

أضواء على الصحيحين

تأليف
العلامة الشيخ محمد صادق النجمي

فهرس المطالب

- كلمة الناشر
- المقدمة
- تأمل في مجرى الحديث
- تمهيد

الفصل الاول سير الحديث اهميته، وتدوينه

- حول الحديث
- ما هو الحديث؟
- نص الحديث
- السند
- السنة
- اهمية الحديث في الكتاب
- اهمية الحديث في السنة
- الفرق بين الكتاب والسنة
- ملخص القول
- تدوين السنة عند اهل السنة والشيعة
- التدوين عند الشيعة
- التدوين في عهد الامام علي (ع)
- الامام الباقر (ع) والصحيفة العلوية
- احصاء مؤلفي الحديث وطبقاتهم
- التدوين في عهد الامام الصادق (ع)
- الكتب الاربعة
- التدوين عند اهل السنة
- المنع في عهد ابي بكر
- المنع في عهد عمر
- المنع عن التدوين في عهد عمر
- الحديث في عهد عثمان

- الحديث في عهد معاوية
- الحديث في عهد خلفاء بني امية
- الخطوة الاولى في تدوين الحديث
- تدوين الحديث في عهد عمر بن عبدالعزيز
- تاريخ ظهور الصحاح الستة
- الفرق بين الصحاح والمسانيد
- هدفنا في البحث

الفصل الثاني

ترجمة

محمد بن اسماعيل البخاري
ومسلم بن الحجاج النيشابوري

- لمحة عن حياة البخاري
من هو البخاري؟
مولده
نشاته العلمية
رحلاته العلمية
مؤلفاته
فتاوى البخاري العجيبة
وفاته ومدفنه
- لمحة عن حياة مسلم
من هو مسلم؟
مولده ووفاته
رحلاته العلمية
مؤلفاته
سبب وفاته

الفصل الثالث

الصحيحان

وموقعهما العلمي عند أهل السنة

- موقع الصحيحين عند أهل السنة

- الصحاح الستة
- خصائص صحيح البخاري
- خصائص صحيح مسلم
- المغالاة في الصحيحين
- مغالاة اكثر
- ما قيل من الرؤى والكرامات
- الفريري والنبوي (ص)
- الشعراء يطرون
- دفاع مرير
- عندما تتجلى الحقيقة
- راي الذهلي في الصحيحين
- مسلم يرفض
- موقف ابي زرعة من الصحيحين
- موقف النووي من الصحيحين
- موقف ابن حجر من الصحيحين
- راي القاضي الباقلاني
- راي ابن همام
- راي الشيخ محمد عبده
- راي احمد امين
- راي مسلمة في صحيح البخاري
- راينا في الصحيحين

الفصل الرابع

أدلة

ضعف الصحيحين وسقمهما

- الدليل الاول: ضعف السند
- علم الرجال ودراية الحديث
- الايمان شرط قبول الحديث
- تناقض هذه الصفات مع الايمان
- تقييم ايمان بعض رواة الصحيحين
- الدليل الثاني: البخاري ومسلم والطائفية الافراطية
- الصحيحان وفضائل الامام علي (ع)

- افتراء مسلم على الشيعة
- بين البخاري والامام الصادق (ع)
- تبرير ابن تيمية
- عداء عريق وظاهر!!
- الدليل الثالث: الفترة الزمنية بين صدور الحديث وتدوينه
- الدليل الرابع: تقطيع الحديث
- الدليل الخامس: البخاري والنقل بالمعنى
- الدليل السادس: الاخرون يتممون الصحيح
- الاستنتاج

الفصل الخامس التوحيد في الصحيحين

- التوحيد في الصحيحين
- 1 - رؤية الله
- المستفاد من الاحاديث
- راي اهل السنة في مسألة رؤية الله
- اسئلة حول الرؤية مع اجوبتها
- منشأ هذه العقيدة الفاسدة
- رؤية الله في المنام!
- الرسول (ص) يرى الله في المنام
- البخاري يصحح هذا الحديث
- علماء السنة يرون الله في المنام
- تعبير الرؤيا
- صلاة لرؤية الله في المنام
- راي الشيعة في رؤية الله
- البراهين العقلية والفلسفية على نفي رؤية الله
- الدلائل القرآنية
- الادلة الحديثية
- 2 - مكان الله؟
- الله في السماء
- الله على العرش
- الله في السحاب

- المستفاد من الاحاديث
رأي اهل السنة في مكان الله
من اين نشأت هذه العقيدة؟
- 3 - هل الله يضحك؟ رب الصحيحين يضحك!!
تبارك الرب الضحوك
المستفاد من هذه الاحاديث
 - 4 - الله وتنقلاته
المستفاد من هذه الاحاديث
تحقيق موجز
 - 5 - الله جنباً الى جنب عبده
 - 6 - جوارح الله واعضائه
 - 1 - وجه الله
الاستنتاج
تحقيق
كم كان عرض آدم (ع)؟
 - 2 - هل لله عين؟ الله ليس باعور
 - 3 - هل لله يدين؟
 - 4 - هل لله اصبع؟
الاستنتاج
 - 5 - هل لله ظهر؟
 - 6 - هل لله ساق؟
تأمل في حديث الساق
رأي صاحب المنار
 - 7 - هل لله رجل؟
 - عقيدة علماء السنة في هذه الاحاديث
تبصرة للبصير
 - نظرة في احاديث الشيعة
سؤال لا بد منه
 - 1 - اختلاف الرؤى والنظريات حول كتب الحديث
 - 2 - احاديث التوحيد في كتب الشيعة
 - 3 - رأي علماء الشيعة في احاديث التوحيد
 - 4 - الروايات الموضوعة
احاديث التوحيد عند الشيعة

الفصل السادس

النبوة

في الصحيحين.

- الانبياء في القرآن
- الاستعداد للرسالة
- عصمة الانبياء
- وخالصة القول
- واما الاستنتاج
- رسول الله (ص) في القرآن والسنة
- مؤهلاته في نظر القرآن
- مؤهلات النبي (ص) في الاحاديث
- اخلاق النبي (ص)
- الوحي والاجتهاد: كيفية الوحي
- الوحي الغير قرآني
- هل كان الرسول (ص) يجتهد
- النبوة في العهدين والصحيحين
- النبوة في العهدين
- 1 - قصة لوط (ع) وابنتيه في التوراة
- 2 - قصة داود (ع) وامراة اوريا في التوراة
- 3 - قصة المسيح (ع) صنعة الخمر
- النبوة في الصحيحين
- متى نشأ الافتراء على النبي (ص)
- 1 - كذبة ابراهيم الخليل (ع) وحرمانه من الشفاعة
- العلاقة بين هذا الحديث والتوراة
- سقوط اعتبارية هذا الحديث
- 2 - طواف سليمان بتسع وتسعون امراة في ليلة
- 3 - عزرائيل يفقد عينه
- 4 - سباق موسى والحجر
- 5 - انتقام موسى (ع) من النمل
- لفظة نظر

الفصل السابع
رسول الله (ص)
في الصحيحين

- النبي قبل البعثة
 - 1 - ايمان ابويه
 - 2 - الرسول ياكل الحرام
 - من هو زيد بن عمرو بن نفيل؟
 - 3 - قصة شق الصدر
 - 1 - الجهة الزمنية
 - 2 - الجهة المكانية
 - 3 - التناقض بين الموضوع والعصمة
 - 4 - الشر ليس غدة مترشحة
 - معنى انشراح الصدر
 - شق الصدر من منظار الحديث والتاريخ
 - كلمة صريحة
- النبي بعد البعثة
 - 1 - شكه وترديده في نبوته: قصة بد الوحي
 - معايب القصة
 - 2 - سهو النبي في الصلاة
 - 3 - النبي يصلي جنبا
 - 4 - الرسول يلعن ويؤذي المؤمنين
 - توجيه الاحاديث
 - اسباب وضع هذه الاحاديث
 - 5 - نهي الرسول (ص) عن تلقيح النخيل
 - دلائل اختلاف القصة
 - هل كان الرسول (ص) يتعبد بالاجتهاد؟
 - 6 - النبي (ص) يعاقب من دون ذنب
 - تحقيق حول الحديث
 - النقيب وحديث اللدود
 - 7 - النبي ونسيانه بعض آيات القرآن
 - 8 - النبي يبول واقفا: نيز تهمة
 - اعتراف بقبح هذه التهمة
 - اعذار اقبح من الفعل
 - لم هذه التوجيهات؟
 - دحض هذه الاباطيل
 - دواعي وضع هذه الاحاديث

- 9 - قصة سحر النبي (ص)
مفتريات على النبوة
- 1 - الغناء في بيت النبي (ص)
- 2 - النبي (ص) يدعو عائشة لمشاهدة الرقص
- 3 - اشتراك النبي (ص) في الحفلات النسائية
تبريرات سخيفة
- 4 - شغف النبي (ص) بالغناء
تقييم الاحاديث المذكورة
فضيحة رواتها
البراهين القطعية تفند صحة الاحاديث
- حول الرسول (ص)
 - الغناء في القرآن
 - الغناء في السنة
 - حول المساجد
 - مسجد النبي (ص)
 - النظر الى الاجنبي والاجنبية
 - عائشة تلعب بالبنات عند الرسول (ص)
 - اسباب جعل هذه الاحاديث
- 1 - تبرير الفساد الخلقي في البلاط الخلفي
صور من مناكير بلاط الخليفة
اهداء الشراب الى النبي (ص)
- 2 - تضخيم دور عائشة
- 3 - اختلاق الفضائل للخلفاء
- موافقات عمر
الايات الثلاثة
تقييم الموافقة في آية الحجاب
- 1 - التضارب في الاحاديث
- 2 - احاديث اخرى تفند صحة هذا الحديث
- 3 - سياق الاية
الصلاة على المنافقين
- 1 - منافاته للعقل
- 2 - نزول الايات كان قبل موت ابن ابي
- 3 - نص الحديث يدل على كونه موضوعا
- اراء علماء العامة في الحديث

الفصل الثامن الخلافة في الصحيحين

- منهج البحث وهدفه
اسئلة حول الخلافة
- فضائل اهل البيت (ع) في الصحيحين
 - 1 - آية التطهير
 - 2 - آية المباهلة
 - 3 - حديث يوم الغدير
العصيبة العمياء
 - 4 - اهل البيت (ع) قرناء الرسول (ص)
 - 5 - الائمة الاثنا عشر (ع)
- فضائل أمير المؤمنين (ع) في الصحيحين
 - 1 - عدو علي عدو الله
 - 2 - حب علي ايمان وبغضه نفاق
 - 3 - صلاة علي (ع) صلاة النبي (ص)
 - 4 - ابو تراب الكنية المهداة
 - 5 - علي (ع) اقضى الناس
 - 6 - الحب المتبادل بين الله ورسوله وعلي
 - 7 - علي هارون الامة
لفتة نظر
- فضائل فاطمة الزهرا (س)
 - 1 - فاطمة سيده النساء
 - 2 - فاطمة اول من تلتحق بالنبي (ص)
 - 3 - فاطمة بضعة الرسول (ص)
 - 4 - تسبيح فاطمة (س)
 - 5 - حنان فاطمة على ابيها
 - 6 - فاطمة (س) تبكي لفقد ابيها (ص)
- فضائل الحسن والحسين (ع)
 - 1 - الحسنان وحرمة الصدقة عليهما
 - 2 - الحسنان اشبه الناس بالنبي (ص)
 - 3 - حنان النبي (ص) عليهما
 - 4 - الحسنان ريحانتا الرسول (ص)
 - 5 - دعا النبي (ص) لهما
 - 6 - اللهم احبيه واحبب من يحبه
- الامامة في رأي الامام علي (ع)
شروط الامامة

- الامامة وحسن الخلق
- الامامة والعلم بالاحكام
- بين الخلفاء والشريعة
- 1 - القتل والفتك
- مالك بن نويرة عامل النبي (ص) على الصدقات
- 2 - قصة فدك وإرث الرسول (ص)
- ابداع مادة قانونية
- اصحاب النبي (ص)
- زوجات النبي (ص)
- 3 - صلح الحديبية
- 4 - الوصية التي لم تكتب
- سؤال وجواب
- 5 - حج التمتع
- تعريفه
- الرسول يتحدى السنن الجاهلية
- تحريم حج التمتع
- علل تحريم عمر متعة الحج
- عثمان وحج التمتع
- لفظة نظر
- معاوية وحج التمتع
- 6 - المتعة او الزواج المنقطع
- 1 - تعريفها
- 2 - مشروعية المتعة في الاسلام
- 3 - عمر يحرم المتعة
- 4 - دعوى النسخ في المتعة
- 5 - الافتراءات الشائعة
- 7 - صلاة التراويح
- سيرة أمير المؤمنين علي (ع)
- استجواب العيني
- 8 - التطبيقات الثلاث
- مجرى التطبيقات الثلاث
- 9 - البكاء على الموتى
- 10 - صلاة المسافر
- مقارنة واستنتاج
- تنبؤات الرسول (ص)
- الارتداد

- التحريف والبدعة في الدين
- اعتراف بالحقيقة

- فهرس مصادر التحقيق



كلمة الناشر

لقد منيت السنة النبوية الشريفة منذ بد تاريخ الاسلام بالمنع والتحرير والوضع والدس، بل كان الوضع مما منيت به في عهد الرسالة، ولقد ورد عن الرسول الاكرم (ص): «لقد كثرت القالة علي».

ومما زاد الوضع ازمة منع تدوين الحديث زها قرن او اكثر ومن هنا فقد حاول جمع كثير من المؤلفين تنقيح الحديث من الموضوعات والمدسوسات، وممن ادعى ذلك البخاري ومسلم، وقد سمي كتاباهما بالصحيحين، وحظي الكتابان بالقبول من عامة علماء اهل السنة وعامتهم حتى عدا تلو القرآن العظيم، ولم يجترئ احد على رمي حديث مما وردفيهما بالضعف، ولكن حدثت اخيرا محاولات لتحطيم هذه الاسطورة فكتب في ذلك المؤلفات ونشرت المقالات في الصحف والمناشير لاثبات ان ما كل ما في البخاري ومسلم صحيح. ومما كتب في هذا المضمار كتاب اضوا على الصحيحين الذي افه اصله باللغة الفارسية العلامة الباحثة الفذ الشيخ محمد صادق النجمي حفظه الله، وقد بحث فيه عن موارد التناقض وما لا يمكن قبوله من احاديثهما لمخالفته الكتاب او السنة القطعية او العقل القطعي وهو كتاب جليل في موضوعه، وترجمه صاحب الفضيلة الشيخ يحيى كمالى البحراني.

ومؤسسة المعارف الاسلامية اذ تنشر هذا السفر الجليل تشكر المؤلف والمترجم وتتمنى لهما دوام التوفيق والعز والتأييد.

كما تشكر المؤسسة الاخوة الذين ساهموا في انجاز هذا الكتاب وتخص بالذكر الافاضل: محمود البديري وفارس حسون كريم لما بذلاه من جهد في اصدار الكتاب. والحمد لله اولا وآخرا، والصلاة على رسوله والائمة الميامين من آله.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على خاتم رسله وعلى آله الطاهرين.
وبعد:

فان كل متتبع يعلم ضرورة ان من الطاف الله جل شانہ على البشرية ان ارسل اليهم الانبياء والمرسلين هداة للناس، وخص هذه الامة المرحومة باشرف انبيائه وخاتم سفرائه سيدنا محمد (ص)، اذ ارسله برسالة خالدة ويكتاب مجيد فيه تبيان كل شي، فمن تمسك به هدى ومن ضل عنه غوى وهوى.

ولما كان هذا الكتاب المعجزة النبوية الخالدة يحتوي على الكليات والعمومات والاطلاقات والمحكمات والمتشابهات ما لا يفهمه ولا يدرك مغزاه الا النبي (ص) ومن غره النبي بالعلم غرا وعنده علم الكتاب، فقام النبي (ص) بتفسيره وبيانه وتخصيص عموماته وتقييد محكماته عملا وقولا.

فكان عمل النبي وقوله وتقريره . السنة النبوية . ركيزة ودعامة ثانية اعتمد عليها المسلمون في فهم دينهم، ومعرفة الاسلام الذي اتى به النبي (ص).
وعندما افتقرت الامة علنا بعد النبي (ص) كما كانوا فئات مختلفة في حياته راي زعماكل فرقة اهمية الحديث النبوي ودوره في استمرارية الدين وديمومته ومكانته الاجتماعية والثقافية والتوعوية، فمنهم من اخظر التحديث عن النبي رواية وكتابة حتى آل الامر الى ضرب رواة الحديث واقصائهم ومنعوا تدوينه، ومنهم من اكد على ضرورة روايته وكتابته، واعتبر ان اقوال النبي (ص) كالقرآن، وانه قال: انما اوتيت القرآن ومثله

معه، واقواله بل اعماله وتقريراته كلها مبنية على اساس الوحي الالهي (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)(1).

وبعد فتور زمني طويل يزيد على قرن واحد احس بعض اتباع المانعين من التدوين والرواية بضرورة حفظ سنة النبي (ص) القولية والعملية، فامروا شيعتهم بذلك، فظهرت من بعد هذا الامر الخليفي مدونات ومصنفات صغيرة وكبيرة ملأت الدنيا ودورها، فيها مرويات واحاديث عن رسول الله (ص) واصحابه رواها الناس على فئاتهم.

ولما كانت الغايات في رواية احاديث النبي (ص) مختلفة سطع نجم هوى الخليفة وكسب عطاياه في صدارة الغايات بعد ان افلتت الغايات الاخرى وخاصة الخالصة لوجه الله عز وجل، فظهر المكذبون والمزورون والمدلسون والوضاعون ولبسوا لباس راوية الحديث والمحدث والمفسر وغيرهم، ودونت كلمات في الكتب والمجاميع والسنن مما اتعبت فيما بعد علماء الرجال والتراجم وائمة الحديث.

ومن المدونات التي فاق صيتها واسمها الافاق، ونالت من المديح والاطرا الكثير:
الجامع الصحيح لابي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري 194 . 256 هـ، والجامع الصحيح لابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري 206 . 261 هـ.

وقد اعتبر علماء اهل السنة هذين الكتابين اصح الكتب واتقنها واضبطها بعد القرآن، واعتمدوا عليهما تمام الاعتماد، واهتموا بهما غاية الاهتمام، حتى غالوا في اطرائهم عليهما وصححو جميع ما ورد فيهما والبعض انزل صحيح البخاري منزلة العصمة، كالقرآن لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا يجوز نقده متاوسندا.
فاما المتن قالوا: انه خرج من شفتي النبي.
واما سنده فقالوا: من اخرج له البخاري فقد جاز القنطرة.
ولكن بعض الحفاظ لما امعنوا النظر ودققوا البصر في الصحيحين راوا ما هو مبائن

1- سورة النجم: 3 و 4.

لهذه الاطراءات والمدائح، فكتبوا كتباً مستقلة او ضمنا في النقد والرد على صحيح البخاري ومسلم، كالدارقطني(1) وابن حجر(2) وغيرهما.
وما احوجنا نحن المسلمون في هذا العصر الى الخروج عن الانطباع على حالة التعبدية والصنمية، والانفتاح الصحيح على القيم والموازين الدينية الاصيلية التي تسوقنا الى معرفة

السنة النبوية الصحيحة الصافية عن الترهات، والمهذبة من الشطحات، وتقيقها حتى لا تتسنى الفرص لاعداء الدين الالدا بالنيل من الاسلام والرسول ورسالته.

وهذا الكتاب على اجماله واختصاره قد تكفل مؤلفه العلامة الشيخ محمد صادق النجمي بيان نقاط الضعف والسقم في الصحيحين بأسلوب علمي مبسط، وقد حاولنا في تعريبه رعاية هذا الاسلوب المبسط ليقره العالم وغيره وارجو من العلي القدير ان يكون هذا الكتاب نافذة تطل على تقيق السنة النبوية الشريفة من ادران الوضاعين والكذابين.

ولا يسعني هنا الا ان امد يد الشكر والامتنان الى اخي وصديقي الاستاذ الفاضل السيد محمد جواد المهري الذي شوقني بامره بترجمة الكتاب الذي بين يديك . عزيزي القارئ . وله الفضل والمنة، واقدم كذلك فائق تقديري للاخوة المسؤولين في مؤسسة المعارف الاسلامية حيث كانوا هم المشوقين لي في هذا العمل المتواضع.

واخيرا اليك يا زهرة المصطفى، ويا بضعة النبي المجتبى، يا سيدتي يا فاطمة، يا ايتها العزيزة، قد مسنا واهلنا الضر وجئناك ببضاعة مزجاة فاوفي لنا الكيل من الولاية، وتصدقني علينا بالشفاعة، ان الله يجزي المتصدقين، واجعلي يا مولاتي سقاية ودك ومحبتك في رحل قلبي وفؤادي، ثم خذيني اليك عبدا قنا.

واليكم يا قادتي وائمتي وشفعائي ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، الا من اتى الله بقلب سليم، بولاية ابيكم امير المؤمنين وسيد الاوصيا، وصي رسول الله حقا، وخليفته

1- الالزامات والتتبع.

2- فتح الباري.

نصا، ووارثه وحيا، علي بن ابي طالب (ع) وولاية ابنائه الاحد عشر الائمة الهداة المعصومين (ع).

واليك يا سليل الاطهار، ووارث الابرار، وصي الاوصيا، وصفي الاصفيا، قانع اهل الضلالة والعتاة المردة، ومنجي البشرية من براثن النفاق والكفرة، بقية الله الاعظم الحجة ابن الحسن روحي وارواح العالمين له الفدا.

اهدي اليكم جميعا هذا العمل المتواضع فتقبلوه مني باحسن القبول.

واهدي ايضا الى جدي المرحومين المغفورين الحاج زايد علي كمالى والحاج غلام
عباس درويش اللذين زرعا حب الولا لعلى (ع) في قلوب احفادهما فاسكنهما الله فسيح
جنانه في زمرة اوليائه وبجوار النبي وآله.
ومن الله سبحانه وتعالى استمد العون واساله ان يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم،
وان يمن علي وعلى والدي بالمغفرة والرحمة وشفاعة محمد وآله الطاهرين في يوم الدين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

يحيى كمالى البحراني

مولد الزهراء (س)

20 جمادى الثانية 1419 هـ.

قم المقدسة

الصفحة

11

بسم الله الرحمن الرحيم

تأمل في مجرى الحديث

(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على
اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله
الشاكرين)(1).

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)(2).

(وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)(3).

توفي رسول الله (ص) وقد ترك في امته واصحابه ثقلين كبيرين (4)، وهما: القرآن
والعتره، وامرهم بالتمسك بهما ولا يتركوهما ابدا.

فقد كان الرسول (ص) قبل وفاته هو المتكفل لبيان الحقائق القرآنية، ونشرالتعاليم الاسلامية بين امته من العقائد والاحكام على نحو الحديث، وقال (ص) عن اهمية رواية الحديث ونقله: «نظر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها، فكم من حامل فقه الى من هو افقه منه»(5).

1- آل عمران: 144.

2- الحشر: 7.

3- النجم: 3.

4- مسند احمد 3: 14 و 17 و 26، وج 5: 182، سنن الترمذي 5: 621 كتاب المناقب باب «32» باب مناقب اهل البيت (ع) ح 3786 و3788.
5- سنن الترمذي 5: 33 كتاب العلم باب «7» باب ما جا في الحث على تبليغ السماع ح 2657 و2658، بحار الانوار 2: 148 كتاب العلم باب «19» باب فضل كتابة الحديث وروايته ح 23 و«باب 21» باب آداب الرواية ح 20 و24، وج 21: 138 كتاب تاريخ نبينا (ص) باب «26»، باب فتح مكة ح 33، وج 27: 67 كتاب الامامة باب «3» باب ما امر به النبي (ص) ح 3 و6.

الصفحة

12

وهنا يجدر بنا ان ننظر الى المجتمع الديني كيف واجه القرآن وعترة رسول الله بعد وفاة النبي (ص)؟ وماذا كان دور المجتمع في قبال احاديث رسول الله (ص)؟
تراهم انهم قد عزلوا اهل البيت (ع) عن المجتمع، وفرضوا عليهم الاقامة الجبرية في الدار، وعاملوهم معاملة بحيث لا يمكن ان يحدها قلم وبيان (1)، وعندما فلقوا ونجحوا في مؤامراتهم من اقصا حماة الدين الواقعيين عن المجتمع استطاعوا بعدها ان يفرقوا بين القرآن والاحاديث التي هي بمثابة تفسير للمفاهيم القرآنية ومن ثم فسروا القرآن واولوه حسب ما اقتضته اهوؤهم وسياساتهم.
ولما كانت اقوال رسول الله وسيرته التي تسمى بالسنة، سدا منيعا امام سياسة الخلفاء، وسلاحا قويا بايدي مخالفين الخلفاء، ولهذا فلم يكن للخلفاء واعوانهم سبيل سوى تجريد مخالفينهم من هذا السلاح.
فاول عمل بدا به الخليفة ابو بكر حاول ان يحتكر هذا السلاح في حيازته، فجمع خمسمائة حديث من احاديث رسول الله (ص) ودونها ولكن بعد برهة من الزمان علم ان هذا العمل لم يكن في صالحه لان حصر هذا الامر من المستحيلات، ولذلك صمم ان يحرق الاحاديث التي جمعها(2).
ولا شك ان من المستحيلات في ذلك العصر ان يتمكن الخليفة ابو بكر من ان يمنع

- 1- ولقد اجاد سلمان الفارسي وابوذر الغفاري في توصيفهما لوضع ذلك العصر، قال سلمان: اصبتم ذا السن منكم واخطاتم اهل بيت نبيكم، لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان ولا كلتموها رغدا، شرح النهج 2: 49.
- وقال ابو ذر: فلو قدمتم من قدمه الله واخرتم من اخره الله وجعلتم الامامة في آل بيت نبيكم لانزل الله عليكم نعمه، والان حيث عملتم هذا فذوقوا وباله (وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) تاريخ يعقوبي 1: 120 عند ذكره ما نغم على ابي ذر.
- 2- تذكرة الحفاظ 1: 5.

المسلمين من رواية الحديث وتدوينه، ويلزمهم رواية الاحاديث التي جمعها ودونها هو بنفسه فقط، ولهذا السبب اتخذ سياسة حظر نشر الاحاديث مطلقا لكي يخلي سواعد المسلمين من حملهم لهذا السلاح القوي الحديث فاعلن للمسلمين قائلا: فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سالكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله (1).

لان القرآن على عكس احاديث رسول الله (ص)، يمكن تاويل آياته وتفسيرها حسب ما تقتضيه المصالح والاهوا (2).

عندما ادركت المنية ابا بكر ادلى بالخلافة الى عمر (3)، ولا يخفى ان اكثر المسلمين لما ابتعدوا عن التعايش مع اقوال النبي (ص)، فقدوا وعيهم الديني، فانقادوا طائعين لاوامر الخليفة.

وخطا عمر في خلافته نفس السياسة التي ساسها ابوبكر فمنع نقل الحديث بكل جهد، واعلن متظاهرا باعطا الناس حر يتهم وشاورهم في رواية حديث رسول الله (ص) وتدوينه فاشاروا عليه بضرورة هذا الامر، فاحتال بعد شهر واحد قضاه في التفكير في هذه المهمة، فظهر انه قد حصل على النتيجة المطلوبة بزعمه، فجا الى الناس واعلن قائلا: اني كنت اردت ان اكتب السنن واني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبنا فاكبوا عليها فتركوا كتاب الله تعالى، واني والله لا البس كتاب الله بشي ابدأ (4).

وتراه انه عندما كان يبعث احدا لمهمة ما، يامرهم بان لا يحدث الناس باحاديث

1- تذكرة الحفاظ 1: 7.

2- حيث ان للقرآن بطون ومعان متعددة، ولذلك يمكن لكل احد ان يفسر الايات حسب رايه الذي يراه صوابا وقال امير المؤمنين علي (ع) لابن عباس لما بعثه لاحتجاج على الخوارج على احقية امير المؤمنين (ع) ويتم عليهم الحجة لئلا يكون لهم حجة على الله: لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها معبر.

3- قال علي (ع): حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده، نهج البلاغة: 3.

4- الطبقات الكبرى 3: 286، جامع بيان العلم وفضله 1: 64 65.

رسول الله (ص) حتى لا يصددهم بذلك عن القرآن، وإذا علم بان احدا منهم لم يتجاوب معه في هذا الامر، يامره بالشخوص الى المدينة ويفرض عليه الرقابة الشديدة (1) هذابا لاضافة الى انه اباد حرقا بالنار جميع الاحاديث التي دونها هو والناس. وعندما توفي عمر والوضع ما زال على ما كان عليه من التحريم نقلا وتدوينا، وتولى الخلافة بعده عثمان بن عفان وذلك ضمن خطة مدروسة (2).

وفي عهد الخليفة عثمان اشتد الوطيس على الحديث، فلو كان الخليفة عمريؤدي رواية حديث النبي (ص) وبصيرهم تحت الرقابة الشديدة، ويحرق ما كتبه من الاحاديث، ولكن عثمان اتخذ اسلوبا آخر للمنع من رواية احاديث الرسول وتدوين سيرة النبي (ص)، فانه كان يعذب الرواة، ويقصيههم عن المدينة، كما حصل ذلك لابي ذر الغفاري، حيث انه اقصي من المدينة الى الشام، ثم الى المدينة ثانيا، وثم الى صحرا ريدة، فمات هذا الصحابي الجليل في تلك البقعة الحارقة غريبا وهكذا عاش وحيدا وكذلك ضرب عثمان عمار بن ياسر صحابي رسول الله حتى وقع على الارض مغشيا عليه (3).

وهكذا عاش اصحاب رسول الله والتابعين المخلصين خمسة وعشرين سنة تحت وطأة ضغوطات الخلفاء حتى ثارت ثائرتهم ونهضوا جميعهم واطاحوا بعثمان وقتلوه، وبعد ذلك اجبروا الامام علي (ع) على القيام بالامر واصروا عليه بقبول الخلافة فلما نهض الامام علي (ع) بالامر كان المسلمون قد انسوا سيرة الخلفاء وذابوا فيها مدة ربع قرن. ويصف الامام علي (ع) الظروف التي عاشها فيقول: (4).

- 1- راجع كتابنا من تاريخ الحديث، تجد ما فيه الكفاية.
- 2- قال علي (ع) فصيرها في حوزة خشنا، نهج البلاغة: 3 الخطبة الشقشقية، وراجع كتاب عبدالله بن سبا 1: 142 - 151 تجد فيه الكفاية.
- 3- انساب الاشراف 5: 49.
- 4- راجع كتابنا احاديث ام المؤمنين باب على عهد الصهرين: 115.

«قد عملت الولاة قبلي اعمالا خالفوا فيها رسول الله (ص) متعمدين لخلافه، ناقضين لعهد، مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها وحولتها الى مواضعها والى ما كانت

في عهد رسول الله (ص) لتفرق عني جندي حتى ابقى وحدي او قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض امامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله (ص).
 ارايتم لو امرت بمقام ابراهيم (ع) فرددته الى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله (ص) (1)، ورددت فدك الى ورثة فاطمة (س)، ورددت صاع رسول الله (ص) كما كان، وامضيت قطائع اقطعها رسول الله (ص) لاقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفرالى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضي بها، ونزعت نساء تحت رجال بغير حق فرددتهن الى ازواجهن واستقبلت بهن الحكم في الفروج والاحكام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من ارض خيبر، ومحوت دواوين العطايا، واعطيت كما كان رسول الله (ص) يعطي بالسوية ولم اجعلها دولة بين الاغنيا (2) والقيت المساحة(3)، وسويت بين المناكح(4)، وانفذت خمس الرسول كما أنزل الله عز وجل

-
- 1- اخرج ابن سعد في طبقاته 3: 204 ترجمة عمر، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: 53، وابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة 12: 75 في احوال عمر، والدميري في حياة الحيوان: مادة الديك وقالوا: ان عمر اخر مقام ابراهيم (ع) عما كان عليه في عهد النبي (ص) لان المقام في عهد ابراهيم واسماعيل (ع) كان ملصقا بالبيت فاخره العرب في الجاهلية فلما بعث النبي (ص) الصقه مرة اخرى، وهكذا كان في عهد ابي بكر ولما ولي عمر اخره ووضعه حيث اخره العرب وهو باق الى هذا اليوم المعرب.
 2- ابتدع عمر بن الخطاب النظام الطبقي في تقسيم الاموال، حيث دون الدواوين وسجل اسما المسلمين فيها فاعطى بعضهم خمسة آلاف درهم سنويا، واعطى آخرين اربعة آلاف، وفتنة ثالثة ثلاثة آلاف، وخمسمائة لفتنة رابعة، ومائتين درهم لآخرين، وهكذا اوجد الفتنة الارستقراطية والراسمالية.
 3- جعل عمر بن الخطاب خراج العراق حسب قوانين الامبراطورية الفارسية، وخراج مصر حسب قوانين الامبراطورية الرومية.
 4- منع عمر نكاح غير العرب بالعربيات.

وفرضه(1)، ورددت مسجد رسول الله (ص) الى ما كان عليه (2)، وسددت ما فتح فيه من الابواب وفتحت ما سد منه، وحرمت المسح على الخفين (3)، وحددت على النبيذ (4)، وامرت باحلال المتعتين (5)، وامرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات (6)، والزمتم الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم (7)، واخرجت من ادخل مع رسول الله (ص) في مسجده ممن كان رسول الله (ص) اخرج، وادخلت من اخرج بعد رسول الله (ص) ممن كان رسول الله (ص) ادخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة(8)، واخذت الصدقات على

اصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة الى مواقيتها وشرائعها ومواضعها،
ورددت اهل نجران الى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر

- 1- اسقط الخلفاء بعد وفاة الرسول (ص) سهم ذوي القربى من الخميس.
- 2- قال ابن ابي الحديد: ان عمر اول وهو الذي هدم مسجد رسول الله (ص) وزاد فيه وادخل دارالعباس فيما زاد شرح النهج 12: 75.
- 3- الخف: حذا يصنع من جلد الحيوان، واهل السنة باتباعهم لاسلافهم يغسلون ارجلهم حين الوضوء ان كان حافيا وان كان الخف في ارجلهم فيجوزون المسح عليه.
- 4- النبيذ: مسكر، ويؤخذ في الاغلب من التمر.
- 5- حرم الخليفة عمر المتعتين: متعة الحج، ومتعة النساء.
- فاما متعة الحج فكان الحجاج يؤدونها بعد ادائهم العمرة والحل من الاحرام، ومن ثم يحرمون ثانية للحج، وقد فرض الاسلام هذا النوع من النسك، ولكن الخليفة امر بان لا يحلوا الاحرام بعد العمرة حتى ينهوا مناسكهم.
- واما متعة النساء فهي النكاح المنقطع، وقد اباح الاسلام هذا النكاح، وهو من المسلمات الاسلامية بنص من القرآن والاحاديث المروية عند اهل السنة.
- وسوف ياتي تفصيل هذه المسألة في ضمن الكتاب ص 435 - 468.
- 6- تكبيرات صلاة الميت عند اهل السنة اربع تكبيرات استنادا الى رواية ابي هريرة، بداية المجتهد 1: 240.
- 7- بعض الفرق من اهل السنة اسقطت البسملة من الحمد والسورة في الصلاة والظاهر انهم في هذه المسألة اتبعوا معاوية واهل الشام راجع تفسير الكشاف 1: 1 تفسير سورة الحمد.
- 8- اباح اهل السنة التطليقات الثلاث في مجلس واحد من دون حضور شاهد عادل عندالطلاق راجع بداية المجتهد 2: 66.

الامم الى كتاب الله وسنة نبيه (ص) (1)، اذا لتفرقوا عني، والله لقد امرت الناس ان لا يجتمعوا في شهر رمضان الا في فريضة، واعلمتهم ان اجتماعهم في النوافل بدعة فتنادى بعض اهل عسكري ممن يقاثل معي: يا اهل الاسلام غيرت سنة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعا لقيت من هذه الامة من الفرقة وطاعة ائمة الضلال والدعاة الى النار (2).

فقد وصف الامام برامجه العملية بانه يسير بسيرة النبي (ص) ولا يعمل بما اتاه الخلفاء، خاصة بالنسبة الى مسألة رواية الحديث، وعمل جاهدا ومتواصلا لمحو ما ابتدعه الخلفاء (3). ولما رات قريش نهج الامام علي (ع) في العمل بانه مضاد لمصالحها الدنيوية اعلنوا مخالفتهم له (ع)، واشعلوا ضده حرب الجمل وصفين اللتين راحت ضحيتهما دما كثيرة حتى وقع هو ايضا شهيدا وهو في المحراب يصلي، وكان ذلك بعد اربع سنوات واشهر من خلافته (ع).

وبعد ذلك استولى معاوية الذي عرف بعدائه لله ورسوله (ص) بثتى انواع الحيل والخداع على اريكة الحكم، وتراه يكشف في حوارهِ مع المغيرة بن شعبه ويبين عن سياسته الاصلية «فقال له المغيرة: انك قد بلغت سنا يا امير المؤمنين! فلو أظهرت عدلا

1- امر الخليفة عمر ان يطلقوا سراح جميع الاسرى العرب، واما اسرى الفرس فمنعهم حتى من دخول المدينة، ومن بدعه ومخالفته لحكم رسول الله (ص) ان منع الارث لمن يولد من غير العربية او ولد في بلد غير عربي راجع الموطا لمالك بن انس 2: 520 باب «13» ميراث اهل الملل ح14.

2- روضة الكافي 8: 61 63 لقد قرأت - ايها القارئ - خطبة الامام علي (ع) وشاهدت فيها كيف كان الامام علي (ع) يتأسف على ما احدثوه وابتدعوه، فتامل فيها جيدا.

3- وكان من اعماله (ع) ان نحى القصاصين الذين فتح لهم عمر وعثمان المجال لان يقصوا خزعلاتهم على الناس في ايام الجمعة وفي مساجد المسلمين، وكذا اباح للناس ان يحدثوا عن رسول الله (ص) بعد ان منعهم الخلفاء من ذلك، وهكذا سعى جاهدا في دفن البدع التي اوجدها الخلفاء راجع كتابنا من تاريخ الحديث ترى فيه الخير الكافي.

الصفحة

18

وبسطت خيرا فانك قد كبرت، ولو نظرت الى اخوتك من بني هاشم فوصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم شي تخافه فقال لي: هيهات هيهات ثم ملك اخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل: عمر، ثم ملك اخونا عثمان فملك رجل لم يكن احد في مثل نسبه فعلم ما عمل وعمل به، فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به وان اخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات اشهد ان محمدا رسول الله فاي عمل يبقى مع هذا؟ لا ام لك والله الا دفنا دفنا»(1).

وهكذا جمع معاوية جميع قواه لاجابة شخصية النبي وآله (ع) ومحو سيرته، فاسس جهازا اعلاميا لوضع الحديث، واستعمل لهذا الهدف بعض الصحابة نحو: اباهريرة الذي روى اكثر من خمسة الاف وثلاثمائة حديث ملفق على النبي (ص)، وعبدالله بن عمر الراوي لما يزيد على الف رواية، وهكذا ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر وانس بن مالك اللذين حدث كل منهما باكثر من الف وثلاثمائة حديث مفتر على رسول الله (ص)(2).
فقد كان هؤلاء واعوانهم يتسابقون فيما بينهم في وضع الحديث طمعا في رضا الحكام، فوضعوا احاديث لا يعلم عددها الا الله ونسبوها الى الرسول (ص) حتى ان

اقول: ورواه ابن ابي الحديد في شرح النهج وفيه: «ان ابن ابي كبشة» بدلا عن «اخاهاشم»، حيث كان المشركون ينسبون النبي (ص) الى ابي كبشة، وهو رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان، فلما خالفهم النبي (ص) في عبادة الاوثان ايضا شبهوه به، وقيل: انه كان جد النبي (ص) من قبل امه فارادوا انه نزع في الشبه اليه. وقال ابن ابي الحديد المعتزلي بعد نقله قصة معاوية وحواره مع المغيرة: وقد طعن كثير من اصحابنا في دين معاوية، ولم يقتصروا على تفسيقه، وقالوا عنه انه كان ملحدا لا يعتقد النبوة، ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات الفاظه ما يدل على ذلك راجع النهاية لابن الاثير 4: 144 وشرح نهج البلاغة 5: 129 المعرب. 2- راجع كتابنا احاديث ام المؤمنين عائشة: 289.

مسخ كل ما يتعلق بالاسلام الحقيقي، ولبس الدين لبس الفرو مقلوبا، ومن ثم احتل الاسلام المزيف والممسوخ الملي بهوى الخلفاء سدة الحكم بدلا عن الاسلام المحمدي الحقيقي.

ولم يقبل الخلفاء بعد ذلك دينا سوى هذا الاسلام المقلوب والمزيف الذي بني صرحه في عهد معاوية وعرف فيما بعد والى عصرنا هذا بالاسلام الحقيقي، بحيث لو ان احدا اراد اليوم ان يقوم بتبيين الاسلام الحقيقي الذي جاء به النبي (ص) لم يتقبلوه، وذلك لانهم اعتادوا الدين الخيفي الذي ابتدعه معاوية، وفهموا الدين من خلال كتب تتضمن احاديث دست على الرسول فالتوحيد الاسلامي عندهم مثلا هو ما عرفوه من خلال هذا الحديث الذي وضعه ابو هريرة:

«ان اناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله.

قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا.

قال: فانكم تزونه، كذلك يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبّع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: انا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا، فاذا اتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول: انا ربكم، فيقولون: انت ربنا فيتبعونه»(1).

وكما تلاحظ . ايها القارئ . ان في هذا الحديث ما يقوض اساس التوحيد والمعاد الصحيح

النابع من منظار الاسلام الحقيقي، وتراهم يروون احاديث اخرى

1- صحيح البخاري 1: 204 كتاب الصلاة باب فضل السجود، وج 8: 146 كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم، وج 9: 156 كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء، صحيح مسلم 1: 163 كتاب الايمان باب «81» باب معرفة طريقة الرؤية ح299.

يخدشون بها شخصية النبي الكريم ويشوهونها، كما رووا عنه انه قال (1): «اللهم اني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن سببته او جلدته فاجعل ذلك كفارة له».

وفي رواية اخرى: آذيته فاجعلها كفارة وقرية تقربه بها اليك، وفي اخرى: سببته او شتمته ان يكون ذلك له زكاة واجرا.

ورووا ايضا انه (ص) قال لاناس يلحقون النخل: لو لم تفعلوا كان خيرا، فتركوه فنفضت او فنقصت وخرج شيصا، فذكروا ذلك له فقال: ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فاني انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني، او قال: انتم اعلم بامر دنياكم(2).

ورووا ايضا: قرا رسول الله (ص) بمكة النجم، فلما بلغ هذا الموضع: (افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) (3) القى الشيطان على لسانه تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترجى قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا ثم جاء جبرئيل بعد ذلك قال: اعرض علي ما جئتك به، فلما بلغ تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترجى قال له جبرئيل: لم آتك بهذا، هذا من الشيطان، فانزل الله: (وما

1- اخرجه مسلم في صحيحه 4: 2007 كتاب البر والصلوة والاداب باب « 25 » باب من لعنه النبي (ص) او سبه جعله الله له زكاة او طهورا.

وروى مسلم في هذا الباب عدة احاديث عن عائشة، وابي هريرة وسائر الاصحاب وقال بعد ذلك: ان دعا النبي (ص) على معاوية بن ابي سفيان: «لا أشبع الله بطنه» فعلى هذا فان جميع لعائن رسول الله (ص) على بني امية وغيرهم تكون زكاة وطهورا وبركة لهم.

2- اخرجه مسلم في صحيحه 4: 1835 كتاب الفضائل باب « 38 » باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره (ص) من معايش الناس على سبيل الراي ح139.

وقد روي هذا الحديث ايضا في العديد من كتب احاديثهم عن عائشة وانس وغيرهما من الاصحاب، واستدل اهل السنة بذلك على جواز مخالفة الرسول (ص) في الامور الدنيوية، وبنا على هذا لا بد ان نعلم ما هي الامور الدنيوية - عند هؤلاء القوم - التي تجوز مخالفتها (ص) فيها، فهل مسألة الامامة والخلافة منها؟.

3- النجم: 19 20.

ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي(1)(2).

وردت هذه الاحاديث في كتب التفاسير المعروفة والمعتبرة عند اهل السنة، مثل: الطبري وابن كثير والسيوطي وسيد قطب، حيث رووا احاديث موضوعة ومدسوسة على النبي (ص) بشكل مكثف حتى غابت الصورة الواقعية لرسول الله (ص) ورا الحجب المكذوبة والمزورة(3).

وعلى العكس من هذا، تراهم قد زينوا صور امرا قريش وقادتهم وخلفائهم فوضعوا لهم فضائل مزيفة، واتهموا مخالفين هؤلاء بتهم مفتراة فوصفوا رجالا مثل: ابي ذر ومالك الاثري وعمار بن ياسر وغيرهم بانهم اناس لا علم لهم بالدين وانهم مخدعون(4). ولم يكتفوا بهذه فحسب، بل مدوا يد الزور والزيف الى التوحيد وصفات الباري، كيفية الحشر والقيامة، الثواب والعقاب، الجنة والنار، تاريخ الانبياء، بالخلق، الاحكام والعقائد الاسلامية، فاختلقوا لكل منها احاديث مختلفة ومقتبسة من عقائد اهل الكتاب الخرافية وما صنعته ثقافتهم الجاهلية وعقولهم البالية وما هي من الدين بشي. وقد كثرت هذه الاحاديث المزورة وتوسعت دائرة تناقلها حتى غطت الحقائق الدينية ومسختها وكانت نتيجتها ان ابتدع اسلام آخر صار المذهب القانوني لحكام بني امية وبني العباس حتى نهاية الخلافة العثمانية.

وفي مقابل هؤلاء المزورين والمختلقين للاحاديث على مر التاريخ الاسلامي

1- الحج: 52.

2- اخرج السيوطي في الدر المنثور 4: 366 368 ذيل الاية 52 من سورة الحج حيث انه اخرج عن اربع عشر طريقا عن الصحابة.

3- لا ريب انه عندما تشيع مثل هذه الاحاديث في المجتمعات الاسلامية ينسد باب النقد والمؤاخذة، ولا يمكن لاحد ان ينتقد الخلفاء وحكام بني امية وبني العباس وغيرهم لانهم كما يستفاد من هذه الاخبار اعلى رتبة واجل منزلة من رسول الله (ص).

4- راجع كتاب عبدالله بن سبا، فصل منشا القصة: 45.

صمد رجال مخلصون، جاهدوا لنشر السنة الحقيقية التي تبين اقوال النبي (ص) وسيرة الرسول مع المسلمين حتى ان ضحوا بانفسهم في هذا السبيل.

ومن زعما هذه الفئة الصحابي الجليل ابوذر الغفاري فانه كان جالسا ذات يوم عند الجمرة الوسطى في منى فاجتمع حوله اناس مسلمون كثيرون يسالونه عن دينهم، واذا باحد مرتزقة بني امية يشهد المنظر فتخلل الناس حتى وقف على ابي ذر فقال: الم ينهك امير المؤمنين عن الفتيا؟ فقال ابوذر: أنت رقيب علي ثم اشار الى حلقه وقال: واللّه لو وضعت الصمصامة على هذه على ان اترك كلمة سمعتها من رسول الله (ص)، لانفذتها قبل ان يكون ذلك(1).

ومن هذه الفئة ايضا رشيد الهجري، فانه لما تولى ابن زياد الكوفة قطع يده ورجله، فلما حمل الى اهله عاده الناس وهم باكون، فقال لهم: ايها الناس، ائتوني بصحيفة ودواة اكتب لكم ما يكون الى يوم القيامة، فاخبر ابن زياد فامر بقلع لسانه(2).

وعلى هذا النهج خطا ميثم التمار، فانه لما تولى ابن زياد الكوفة القى القبض عليه فصلبه وقطع يده ورجله، فكان ينادي باعلى صوته وهو مصلوب: ايها الناس من اراد ان يسمع الحديث المكنون عن علي بن ابي طالب؟ قال: فاجتمع الناس واقبل يحدثهم بالعجائب، فاخبر ابن زياد بذلك، فامر بقطع لسانه، وتشحط ميثم (ره) ساعة في دمه ثم مات(3).

وهكذا آل الامر في ذلك العصر الى ان الخليفة اصبح ذا هيمنة كبيرة بحيث كان بإمكانه ان يحرم ما احله الله ورسوله، ويحلل ما حرمه الله ورسوله، ويبتدع قوانينا

1- سنن الدارمي 1: 146 باب « 46 » باب البلاغ عن رسول الله (ص) وتعليم السنن ح 4، طبقات ابن سعد ج2: 354.
هذه الرواية ومثيلاتها هي مما تناولت اليها الايدي الائمة بالتقطيع والاسقاط.
2- اختيار معرفة الرجال «رجال الكشي» للشيخ الطوسي 1: 290، 131 ترجمة رشيدالهجري، بحار الانوار 42: 122 كتاب تاريخ اميرالمؤمنين (ع) باب « 122 » باب احوال رشيد الهجري ح1، وج 75: 433 كتاب العشرة باب «87» باب التقية والمداراة ح95.
3- اختيار معرفة الرجال 1: 298 ح139 ترجمة ميثم التمار.

موازية للقوانين الالهية، من حيث التطبيق.

وليعلم ان هذا الوضع لم يدم اكثر من عهد عثمان حيث قامت الثورة الشعبية ونهض المسلمون ومحو الكثير من هذه البدع الى ان آلت الخلافة الى معاوية، فقام بتقويم ما محاه المسلمون وذلك بتكوين الاجهزة الاعلامية التي كان قوامها وضاع الاحاديث(1).

ولكن شهادة الامام الحسين (ع) حطمت هذه الخطط وهدمت ما بنوه حتى فقد نظام الخلافة مكانته التي كان يمتاز بها الخلفاء، فالبدع والتعاليم المزورة التي اوجدت الانفصال بين الاسلام المتداول عندهم والاسلام الحقيقي قد توقفت، ولم يتمكن الخلفاء بعد شهادة الامام الحسين (ع) ان يخلقوا بدعا جديدة كما كان في السابق(2).

واثمرت شهادة الامام الحسين (ع) اثرا اخر وهو ان السجن والتعذيب والفتك بمبليغي الاسلام الواقعي ورواة الاحاديث قد تضالت، لان الحكام آنذاك لم يتمكنوا من التتكيل والزجر كما كان داب اسلافهم السابقين، وهكذا استطاع الرواة بعد جهاد طويل ان ينشروا بين المسلمين احاديث صحيحة وموثقة غير تلك الاحاديث الموضوعة التي اختلقها اعوان الخلفاء.

وفي مطلع القرن الثاني من الهجرة انتهت فترة الحظر عن رواية الحديث التي دامت مائة عام، وذلك عندما تولى عمر بن عبدالعزيز، فامر اتباع الاسلام الخلفي ان يدونوا احاديث رسول الله فدونت عشرات الكتب في سيرة الرسول والصحابة ومن بين الاف

-
- 1- نحو: ام المؤمنين عائشة، ابي هريرة، انس بن مالك، عبدالله بن عمر، عبدالله بن عمرو بن العاص، مغيرة بن شعبة، عمرو بن العاص، سمرة بن جندب، واقرا الشرح الكافي في هذا الموضوع في كتاب احاديث ام المؤمنين وكتاب من تاريخ الحديث للعلامة السيد مرتضى العسكري، كتاب ابو هريرة للعلامة شرف الدين، وكتاب ابو هريرة شيخ المضيرة وكتاب اضا على السنة المحمدية للعلامة ابو رية.
 - 2- منها ما امر به عبدالملك بن مروان الناس ان يحجوا الى بيت المقدس بدلا عن الكعبة ويطوفوا حوله ولكن هذه البدعة ما دامت ان دفنت تاريخ يعقوبي 2: 261.

الاحاديث المروية والمدونة في هذه الكتب رويت ايضا احاديث صحيحة ولكنها قليلة جدا رواها المخلصون عن رسول الله (ص)، وحتى هذه الاحاديث اليسيرة الصحيحة كانت تزج اولئك العلما التابعين للخلفاء، ولكي يخرجوا انفسهم من هذه الورطة ويحيلوا عن نشرها اتخذوا قرارين من جهتين:

اولا: من جهة علم الرجال والدراية فانهم جرحوا كل شيوعي ومحب لعلى (ع) بالضعف.

ثانياً: من جهة علم الرواية والحديث فدونا كتبنا واسقطوا منها هذا النوع من الاحاديث وكذا الاحاديث التي تمس بشخصية الحكام والخلفاء بعد الرسول.

فسموا هذه الكتب المدونة على هذا الشكل والاسلوب بالصحيح، حتى بلغ عددها ستة، وكان حظ صحيح البخاري من حيث الاعتبار والوثوق اكثر من سائر الصحاح، لان البخاري كان اكثر اعتقاداً وتمسكاً بالاصلين المذكورين، ولذا تراه يروي عن الخوارج، مثل: عمران بن حطان، ويدع رواية الامام جعفر بن محمد الصادق (ع)، وكذلك تراه يقطع وينقص الاحاديث التي تمس بكرامة الخلفاء، وعلى هذا الاساس نرى اتباع اسلام الخلفاء يعتقدون بان صحيح البخاري اصح كتاب بعد القرآن.

ومن بين كتب التاريخ والسير فهم يعتبرون تاريخ الطبري هو اثبت واصح ما كتب في التاريخ، لان الطبري انتهج في اسلوبه ما انتهجه البخاري من حيث التزامه بالاصلين المذكورين، فهو يتربح بان لا يروي حديثاً فيه ما يخدم هوية هذه الفئة من الصحابة الموثوقين عندهم، ويروي كل حديث مزور ليبرر المواقف الظالمة لبعض الصحابة والخلفاء. ومن هذا المنطلق ترى الطبري يروي مئات الاحاديث التي دستها ايادي الزنادقة بحيث انه اثبت القضايا والحوادث الواقعة في عهد النبي (ص) والخلفاء الاوائل مقلوبة ومعكوسة ولما كان الطبري ملتزماً ومقيداً للحفاظ على مصالح الخلفاء والصحابة الموثوقين عندهم حاز من العظمة والاحترام حتى سموه امام المؤرخين، وان الذين جاؤا

من بعده كابن اثير وابن كثير وابن خلدون اقتبسوا ما كتبه في كتبهم من كتاب

الطبري(1).

واتخذ شيعة اسلام الخلفاء منذ القرن الرابع من الهجرة اقتداء بعلمائهم هذه الكتب الحديثية الستة مصدراً ومرجعاً ونشروها، ومن كتب التاريخ اعتمدوا فقط على تاريخ الطبري ومن سلك دربه، وكانت نتيجة هذا الاعتماد على هذه الكتب ان نسيت مئات الكتب التي دونت في الحديث والتفسير والتاريخ غير التي ذكرناها (2)، ومن هذا المنطلق ايضا تلاحظ انهم اغلقوا على انفسهم على الاخرين باب البحث والتحقيق في معرفة الاسلام الحقيقي الذي جاء به النبي (ص) الى البشرية كافة.

واما الاجيال التي تلت القرن الرابع الهجري والى عصرنا هذا سوى شيعة اهل البيت (ع)

فقد اكتفوا بالتقليد الاعمى لاولئك حتى ان اعتبر الدين الذي اختلقته الايادي الاجيرة

والوضاعة للحديث هو الاسلام الواقعي، الحق ان هذه الاحاديث المختلفة حول العقائد والاحكام وغيرها هي السد المنيع لمعرفة الاسلام المحمدي وهداية الضالين والمنحرفين. ولهذا ينبغي لعلماء الدين ان يبادروا في البحث والتحقيق عن الاسلام الواقعي الذي تمسك به اتباع مذهب اهل البيت (ع)، وقد حاورت الكثير من العلماء في العراق ومصر وسوريا ولبنان وايران في بيان هذه الحقيقة، وارجو من الذين هم حفظة الدين اي الحوزات العلمية ان يلتفتوا الى هذا الامر بالجد والمثابرة.

وفي هذا المجال فاول ما اسعدني هو هذا الكتاب الذي كتبه العلامة الفاضل الشيخ محمد صادق النجفي . احد علماء الحوزة العلمية في قم المقدسة . ولاسباب عديدة ارى من اللازم ان اقدر جهد مؤلفه الكريم من حيث:

1 . ان المؤلف في دراسته هذه قد ادى الدور اللازم في البحث والتحقيق في كتب

-
- 1- عبدالله بن سبا للعلامة العسكري 1: 24.
2- مثل انساب الاشراف للبلاذري، وكتاب اخبار الزمان والاوسط للمسعودي.

الحديث.

- 2 . اختار المؤلف لدراسته من بين كتب الحديث كتابي صحيح البخاري وصحيح مسلم، اللذان هما اصح الكتب ووثقها عند الاخوة اهل السنة.
- 3 . ان المؤلف قد راعى في بحثه ودراسته آداب البحث العلمي رعاية تامة وهادما وجدته اثنا تتبعي في مضامين الكتاب.
- 4 . انه كتب كتابه بالفارسية وبعبارات رشيقة سلسة يفهمها عامة الناس.
- 5 . ان المؤلف وان كان يقطن قم المقدسة وهو احد فضلا حوزتها، وكان بعيدا عن معاشره اهل السنة ومحادثتهم لكنه تصدى في دراسته لهذا الموضوع على الوجه السليم والاسلوب الصحيح ورجانا من اهل العلم والفهم ان يقرأوا الكتاب بدقة حتى تتجلى لهم الحقائق اكثر فاكثر.
- ارجو من الله القدير ان يحفظ قوام الحوزة العلمية في قم المقدسة حتى ظهور صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف وان يوفق جميع العلماء والمحققين في شتى ابواب العلوم الاسلامية.

وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

مرتضى العسكري

مساء الخميس 1392/2/11 هـ. ق.

الصفحة

27

تمهيد

لما رايت مدى مقام صحيح البخاري واهميته عند اهل السنة جذبني الشوق والولع في ان اراجع هذا الكتاب مراجعة دقيقة ومعقة، ولشدة ما كنت اشعر به من العلاقة والشوق في هذا الموضوع اتممت مراجعة الصحيح في فترة قصيرة، (وكان ذلك عام 1388 هـ)، فاخترت من بين احاديثه خمسين حديثا في اربعة وثلاثين مسالة مختلفة ومشوقة، واستنسختها على شكل مذكرات.

ومن ثم اصبح هذا العمل البسيط نافذة على برمجة مطالعاتي المستقبلية ووضع اللبنة الاولى في تاليف هذا الكتاب، وهكذا اثمرت بالنتيجة هذا الكتاب.

ومن خلال هذه المراجعة الاولى وقعت حادثة غريبة وممتعة غيرت مسارطروحتي الفكرية من اسفل الى فوق وصيرت هذه المذكرات التي لم تتجاوز عدة وريقات دراسة متكاملة حتى صارت اضعافا مضاعفة.

ففي شهر رجب من تلك السنة اي 1388 هـ. حلت العطلة الصيفية فرحلت الى موطني آذربيجان الايرانية، فهناك حالفني حظ كبير وموهبة كبيرة ونلت فخرا عظيما ونعمة موفورة، اذ تشرفت بلقا العلامة المجاهد والمجتهد الاعظم الحجة المرحوم الشيخ الاميني صاحب كتاب الغدير تغمده الله برحمته حيث كان يعاني من الالم في رجله فقدم الى تلك البلاد ليغتنم جوها ومياهاها، فخدمته ما يقارب عشرين يوما وذلك لانه سكن داري. وان كان عشرون يوما بالنسبة الى عمر الانسان شيئا قليلا الا ان هذه الايام

الصفحة

بالنسبة لي هي من اسعد ايام عمري واهمها واثمنها، بحيث لا يمكن مقايستها بسنوات العمر .

وفي تلك الايام الخالدة والتي لا انساها ابدا لازمت مجلس ذلك البحر الزاخرومثال العلم والورع فلم افارقه، وكم من مرة انفردت بمجالسته وحدي لساعات عديدة، ولم يكن في المجلس سوانا، وكنا نتحدث معا حول مواضيع مختلفة فاقتطفت من بستان علمه وفضائله ازهارا، وشربت من نبع فقهه وخلقته انهارا.

آه ما احلى تلك الايام المباركة؟ وما اسعد تلك الساعات الفياضة؟
ومن خلال مجالستي معه، قدمت له تلك المذكرات التي كتبتها قبل اشهر، فكانت هذه الوريقات قد ادخلت نوعا من الفرح والسرور في قلب ذلك العلم الذي يعدبحق بطل هذه الميادين العقائدية، والمنصور دائما في الحوارات والمناظرات.
واعتقد ان هذه الوسيلة . اي البحث العلمي . هي افضل الوسائل التي يمكن للمضيف ان يستضيف بها ضيفه الكريم ويجلب رضاه ويسكن فؤاده وخاصة ان كان مثل العلامة الاميني (قدس سره).

وبعد ان قد مت له اطروحتي اخذ يحثني ويشوقني اكثر بعباراته الجذابة وكلماته السحرية في مواصلة هذا السبيل، ويسهل لي الطريق الذي كنت اعتقده عسيراً وصعباً، وبين لي بان مواصلة هذا الامر فريضة واجبة لا يمكن تجاوزها ابدا.
ولما عاد العلامة الى طهران زرته مرة او مرتين لعيادته، ومع انه كان يعاني من الم رحلة معاناة شديدة لكنه لم ينس الموضوع الذي بحثناه معا، فاخذ ثانياً يشوقني اكثر ويرغبني ازيد في استدامة المنهج الذي اخترته فرحمة الله عليه وجزاه الله عن الاسلام خيراً.
ولكن بعد فترة وعلى اثر بعض الاعمال والمشاكل التي واجهتني توقفت عن العمل، ثم عدت كرة ثانية الى تلك الاوراق وتذكرت نصائح المرحوم العلامة الاميني

فواصلت تحقيقاتي وبحثي في صحيح البخاري بشكل اعمق حتى اضفت على ما كتبت في السابق مسائل اخرى.

ومن خلال مراجعتي لصحيح البخاري قرأت سائر الصحاح والسنن قراءة متقنة، واستنتجت فيما بعد بان صحيح مسلم هو الاخر مثل صحيح البخاري من حيث الاهمية والشانية ومواز له في شتى جوانبه الرجالية والروائية بل ان بعض علماء اهل السنة يقدم صحيح مسلم ويرجحه على صحيح البخاري، وان احد علمائهم (1) جمع احاديث الصحيحين في كتاب واحد واسماه «الجمع بين الصحيحين»، وآخر (2) جمع رجال الصحيحين في كتاب مستقل وعنوانه «الجمع بين رجال الصحيحين».

ولهذا التقارن والتقارب بين الصحيحين بدأت بالتركيز والتدقيق اكثر من قبل على صحيح مسلم ايضا، فتجمعت عندي وريقات مترامية ومتشعبة لم تظهر بعد على نحو كتاب، وتاييدا لراي لعلى ابيته كنت استدلت عليه بما ورد في المصادر الاخرى غير الصحيحين، وبناء على هذا تراكمت عندي مذكرات وقصاصات اكثر وهكذا تمت المرحلة الثانية من تاليف كتابي الذي كان للمرحوم العلامة الاميني حظا كبيرا في تدوينه. فما زلت اواصل مطالعاتي في الصحيحين جاهدا، واغتنم مهما امكن كل كتاب احتمل انه سيكون مفيدا في تحقيقي حتى استوهبت فخرا آخرا وانفتحت امامي نافذة اخرى نحو السعادة، وتشوقت اكثر لمواصلة البحث والتحقيق، وتلك الموهبة هي

1- هو رضي الدين ابو الفضائل الحسن بن محمد الصاغاني 577 650 هـ، وقد رتب كتابه الجمع بين الصحيحين على ابواب وفصول النحو، فرتبه على اثني عشر بابا يندرج تحت كل باب منها عدة فصول من فصول النحو وترتيبه وقد جمع فيه 2267 حديثا مما اتفق عليه البخاري ومسلم المغرب.

2- هو ابو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي المعروف بابن القيسراني الشيباني 507 448 هـ، وقد جمع فيه رجال الصحيحين، ورتبه على الترتيب الهجائي للحروف، وذكر فيه ماتفرده به كل من البخاري ومسلم من الرجال المغرب.

زيارتي للعالم الجليل العلامة السيد مرتضى العسكري فتشرفت بلقائه في طهران. العلامة العسكري هو من العلماء العظام والاتقيا ومن مفاخر الشيعة ونجمه لامع في سما البحث والتحقيق في عالم التشيع، وهو غني عن التعريف خاصة عنداهل العلم والمحققين، ولا يخفى على احد ما يمتاز به هذا العالم التحرير، من الهمة العالية والابتكارات البديعة، وانه قد انتهج سبيلا غاب عن علمائنا السلف ان يغتنموه، وجهد كثيرا في تبين حقائق التاريخ الاسلامي، ونشاطه مؤثر في هذا المجال(1).

ومنذ تشرفي بزيارة سيادته تعرفت على اسمى الفضائل الخلقية والمعنوية التي كان يتصف بها العلامة العسكري، هذا وعلاوة على ما استقدت من نبعه العلمي الوافر وتطلعه الزائد، فقد تآثرت بهذه الشخصية العلمية والتقنية كثيرا بحيث تغيرت برامجي الفكرية والتحقيقية.

ولما اطلع العلامة العسكري بدوره كالعلامة الاميني على تاملاتي ومطالعاتي ونظر في مذكراتي نظرة فاحص، اخذ في تشويقي وتشجيعي، فابدى من الفرح والسرور والمدح والثنا على عملي بحيث لم اكن اتوقعه، ولم ار ذلك في شاني وشان كتابي، ثم امرني بالاسراع في طبعه ونشره.

ومع ان العلامة العسكري كان كثير العمل في المجالات العلمية والبحوث التحقيقية، لكنه تفضل علي وراجع الكتاب وصححه وقدم لي ارشادات قيمة وقدم لكتابي مقدمة غنية ومفيدة فشكر الله سعيه، ومتع الله المسلمين بطول بقائه.

وهذا في الواقع يمثل المرحلة الثالثة وهو الدافع لتكميل دراستي واتمام بحثي.

1- الف في هذا الميدان كتب كثيرة، مثل: عبدالله بن سبا، مائة وخمسون صحابي مخلوق، واحاديث عائشة ام المؤمنين، فانه قد كشف الستار عن الصورة الحقيقية لعبد الله بن سبا والاصحاب المختلفين ودور احاديث عائشة. وبرز الحقائق الدينية والتاريخية التي ظلت كامنة خلف الاستار منذ عهد الاسلام الاول، وبين في كتبه الصراط القويم والتحقيق والبحث السليم للاجيال الآتية.

والجدير بالذكر: ان ما زاد رغبتني وحثني اكثر على مواصلة هذا العمل بغض النظر عن تراكم المشاكل وعدم وجود الوسائل، هو عاملين اساسيين:

الاول: الشعور بالمسؤولية القصوى والكبيرة وفهم الحقيقة، والواقع اننا اليوم مكلفون في حفظ العقائد والتعاليم الدينية والثبات امام النشاط الواسع الذي تقوم به المذاهب المختلفة، وكذا ان هذا العمل هو تبليغ وخدمة للدين، بل هو واجب على كل واحد منا حسب ما اعطي من الاستعداد ان يشمر عن ساعديه ويسعى في اصلاح الجيل وتقديمه نحو الامام، وذلك عن طريق التأليف والكتابة التوعوية.

الثاني: ومن جهة اخرى ان الحس الذاتي والرغبة في الحصول على المواضيع المستجدة التي كنت استقطبها خلال مطالعاتي زاد في رغبتني في التحقيق اكثر، بحيث اني قرأت في

مدة قصيرة مئات الكتب، وللحصول على كتاب واحد مما يتعلق بتألفي لعلي سافرت من مدينة الى اخرى وتعرفت حينها على مكاتب عامة ودور نشر كثيرة.
(وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب).

قم . محمد صادق النجمي
ربيع الاول 1392 هـ . ق.

الصفحة
32

الصفحة
33

الفصل الاول سير الحديث اهميته، وتدوينه

الصفحة
34

الصفحة
35

حول الحديث

ما هو الحديث؟

الحديث لغة هو الشي الجديد، ويطلق على مطلق القول والكلام (1)، وفي اصطلاح المحدثين عبارة عن اقوال المعصوم وافعاله وتقديره والمعصوم عند اهل السنة هو النبي الاكرم (ص)، وعند الشيعة هم النبي والائمة من اهل بيته (ع).
قال ابن حجر: لما كان يطلق على القرآن الكريم في صدر الاسلام بالقديم، اطلق لفظ الحديث في مقابل ذلك على كل ما نسب الى النبي (ص)، وهذا التعبير جار الى عصرنا (2).

نص الحديث:

هو قول المعصوم وتقديره.

السند:

يطلق على سلسلة رواة الحديث الذين بلغنا الحديث عن طريقهم.

السنة:

هي في اللغة عبارة عن السيرة والطريقة المتبعة عند الناس، وفي الاصطلاح سنة

1- لولا قومك حديثو عهد بالاسلام حديث نبوي.

(ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا)، الكهف: 6.

2- هدى الساري مقدمة فتح الباري ج1.

الرسول (ص) هي مجموعة الاحكام والتعاليم العملية من العبادات وغيرها التي وردت بسند قطعي وصحيح (1).

وللملازمة الموجودة بين السنة والحديث اطلق لفظ السنة على الحديث كذلك، واستعملت فيما بعد غالبا في هذا المورد.

اهمية الحديث في الكتاب:

الكتاب والسنة هما الدعامتان الاساسيتان لاحكام الدين والتعاليم الاسلامية (2)، ولكن حاجة المسلمين الى السنة بدت اكثر من حاجتهم الى القرآن، لان آيات الاحكام الواردة في

القرآن معدودة ومحدودة، وقيل: ان ها خمسمائة آية حسب المشهور، بحيث لا يمكن
الاقتصار عليها، والاكتفا بها دون السنة والحديث، وذلك لان:
اولا: هذه الايات تحتوي على الاجمال والاطلاق، والسنة هي الكفيلة بتفسيرها وبيانها.
ثانيا: ان هذا المقدار المحدود من الايات لم يكن يفى ببيان جميع الاحكام والقوانين
الدينية، وعلى هذا اجمع علماء الفريقين، بان الحديث الصحيح الذي ثبت صدوره عن
المعصوم (ع) بنحو القطع حجة على المسلمين، فهو كالقرآن من حيث حجيته ولزوم اتباعه
والاخذ به.
وقد اشار القرآن الكريم ضمن آيات عديدة الى هذه الحقيقة ونبه المسلمين على اهمية
السنة والحديث فقال تعالى: (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)(3).

- 1- نهاية ابن الاثير، مادة حدث بتصرف.
- 2- اعتبرت الشيعة ان احاديث الائمة من آل الرسول (ع)، والاجماع، ودليل العقل، من ادلة
استنباط الاحكام الشرعية.
- 3- الحشر: 7.

وقرن طاعة الرسول (ص) بطاعة الله عزوجل وفرضها على المسلمين(1)، واعتبرطاعته
واتباعه (ص) طاعة الله واتباعه (2)، فنهاهم عن مخالفة اوامرالرسول (ص) واحكامه (3)،
واعتبر الانقياد والالتزام باوامر الرسول (ص) علامة الايمان، ومعصيته ومخالفته دليل
الضلالة والشقا(4).

هذه نبذة من آيات الذكر الحكيم التي اوجبت على المسلمين طاعة النبي (ص) والانقياد
له، وتؤكد هذا الوجوب في القرآن باساليب مختلفة وعبارات شتى، وأكدت ايضا ان الاستئنان
والالتزام بالرسول (ص) لا يتم الا عن طريق العمل باوامره والاخذ باقواله.

اهمية الحديث في السنة:

وردت روايات جمة واحاديث متواترة عن الرسول (ص) والائمة من اهل بيته (ع) تؤكد
اهمية الحديث من جهات مختلفة، تارة من حيث السنة نفسها وتارة اخرى من جهة ضرورة
حفظها وتدوينها وتبليغها الى الاخرين(5).

قال رسول الله (ص) في خطبة حجة الوداع: «معاشر الناس، كل حلال وما يكون فيه
سبب سعادتكم قد دلتكم عليه، او حرام وما يكون فيه سبب شقاوتكم قد نهيتكم

- 1- قوله تعالى: (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم) المائدة: 92.
- 2- قوله تعالى: (من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى) النساء: 80.
- 3- قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء: 65.
- 4- قوله تعالى: (ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا بعيدا) الاحزاب: 36.
- 5- اصول الكافي 1: 51 كتاب فضل العلم باب « 17 » باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة، وسائل الشيعة 18: 52 كتاب القضا باب « 8 » من ابواب صفات القاضي، مجمع الزوائد 1: 173 كتاب العلم باب سماع الحديث وتبليغه، سنن ابن ماجه 1: 84 المقدمة باب « 18 » باب من بلغ علما ح 230 236، جامع بيان العلم وفضله 1: 38 باب دعارسول الله (ص) لمستمع العلم وحافظه ومبلغه.

عنه، فاني لم ارجع عن ذلك ولم ابدل»(1).

وفي مواقف عديدة حث النبي (ص) حفاظ الحديث على حفظه ودعا لهم، فقال (ص): «نظر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها»(2).

ودعا لمن يروي الحديث عنه، فقال (ص): «نظر الله عبدا سمع مقالتي فبلغها»(3).

وكم تكرر في اقواله (ص) وخاصة في اواخر خطاباته، قوله: «فليبلغ الشاهد الغائب». هذه الكلمات توضح اهمية الحديث والسنة، وتوحي بان الرسول (ص) قد بين جميع الاحكام الدينية وجزئياتها من الحلال والحرام، وفرض تبليغ ذلك على جميع المسلمين، وخص بذلك المخاطبين والمشافهين منهم ووصف مبلغه احاديثه ورواياتها بانهم خلفاء(4).

الفرق بين الكتاب والسنة:

لا فرق بين القرآن والسنة من جهة صدورهما من منبع الوحي، وانهما نوران انتبعا من نور واحد، الا انه يمكن حصر الفرق بينهما في الوجوه التالية:

الاول: ان القرآن نزل معجزة يتحدى بخلاف السنة اذ انها فاقدة لصفتي الاعجاز والتحدي.

الثاني: ان الفاظ القرآن الكريم كمعانيه نزلت من لدن الحكيم العليم، بينما السنة

- 1- الاحتجاج للطبرسي 1: 65 باب احتجاج النبي (ص) يوم الغدير على الخلق كلهم.
- 2- سنن ابن ماجه 1: 84 المقدمة باب « 18 » باب من بلغ علما ح 230 236، وج 2: 1015 كتاب المناسك باب « 76 » باب الخطبة يوم النحر 3056، سنن الترمذي 5: 33 كتاب العلم باب « 7 » باب ما جا في الحث على تبليغ السماع ح 2656 2658.
- 3- سنن ابن ماجه 1: 84 المقدمة باب « 18 » باب من بلغ علما ح 230 236، وج 2: 1015 كتاب المناسك باب « 76 » باب الخطبة يوم النحر 3056، سنن الترمذي 5: 33 كتاب العلم باب « 7 » باب ما جا في الحث على تبليغ السماع ح 2658 2658.

4- من لايحضره الفقيه 4: 240 باب النوادر ح 5919، صحيح البخاري 1: 37 كتاب العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، جامع بيان العلم وفضله 1: 38 باب دعا الرسول (ص) لمستمع العلم.

بعكس ذلك اذ ان الفاظها من الرسول (ص) ولكنها تحمل معاني الوحي الالهي. الثالث: لا ريب في ان نزول القرآن من عند الله عزوجل قطعي، واما صدور كل الاحاديث التي وردت في السنة عن الرسول (ص) فظني ويصطلح عليه ظني الصدور. الرابع: ان القرآن غالبا ما يذكر الاحكام الكلية والتعاليم العامة بينما جزئياتها وفروعها ذكرتها السنة، وبتعبير آخر: ان الاحكام الواردة في القرآن هي كلييات وجعل بيانها وشرحها من مهام الرسول (ص) وذلك بالهام من الوحي، قال تعالى: (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)(1).

ومن ناحية اخرى ان القرآن فرض على المسلمين ان لا يفرقوا بين ما نزل في القرآن وبين ما جاء به الرسول (ص)(2)، وذلك لان الرسول (ص) كما اخبر عنه القرآن: (لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)(3). فعلى هذا فالسنة مبينة لمجملات القرآن، ومقيدة لاطلاقاته، ومخصصة لعموماته.

ملخص القول:

ان الاحاديث والسنة تبين ما لم يفصله القرآن، فمثلا: جاء في القرآن وجوب اقامة الصلاة، ولكنه لم يفصل اركانها وعدد ركعاتها، بينما نلاحظ النبي (ص) فصل جزئيات احكام الصلاة باقامته لها وتعليمها للناس(4). وهكذا مسالة الحج، فقد ورد تشريعه في القرآن الكريم مؤكدا، واما مناسكه واحكامه الفرعية والجزئية فانها لم تذكر فيه عدا القليل، بينما بين الرسول (ص) تلك

1- النحل: 44.

2- قوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر: 7.

3- النجم: 3 - 4.

4- قال (ص): «صلوا كما رايتموني اصلي» صحيح البخاري 1: 162 كتاب الصلاة باب الاذان للمسافر اذا كانوا جماعة.

المناسك للناس عند ادائه لها، فقال: خذوا عني مناسككم(1).
وهكذا بالنسبة الى الفرائض والارث، فان بعض احكامها واصولها مبينة في القرآن، واما
الجزئيات والفروع نحو حرمان القاتل من الارث فقد وردت في السنة(2).
وكذلك احكام الزكاة والجهاد وآلاف مثلها من الاحكام التي لم نجد اليها سبيلا سوى عن
طريق السنة.

-
- 1- السنن الكبرى للبيهقي 5: 125 باب الايضاع في وادي محسر، وفي صحيح مسلم 2: 943 كتاب الحج باب «51» باب استحباب رمي الجمره ح310 ورد: لتأخذوا مناسككم.
 - 2- سنن الترمذي4: 370 كتاب الفرائض باب «17» ما جا في ابطال ميراث القاتل ح2109.

تدوين السنة عند اهل السنة والشيعة

التدوين عند الشيعة:

طبقا لما ورد في الاحاديث المروية في صحاح اهل السنة انه لم يرد نهي عن كتابة الحديث في عهد الرسول (ص) وانها كانت امرا متداولاً بين المسلمين، وان المسلمين كانوا ينظرون الى تدوين الحديث على انه حاجة ماسة وضرورية، بل ان رسول الله (ص) قد اكد مسالة الكتابة بوجه خاص، وحث على ذلك بعبارات مختلفة، وكان اصحاب النبي (ص) كلا حسب ما اوتي من الفهم والاستعداد يدون ما كان يسمعه من رسول الله (ص)، ومن اولئك الذين دونوا الحديث على عهد النبي (ص) ابو بكر(1).

ومنهم عبدالله بن عمرو بن العاص الذي قال: «كنت اكتب كل شي اسمعه من رسول الله (ص) اريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شي تسمعه من رسول الله (ص)، ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الرضا والغضب فقال (ص): اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه الا حق واثار بيده الى فيه»(2).

ولكن بعد وفاة النبي (ص) وقع الاختلاف بين الاصحاب، فمنهم من كان يصدعن

1- تذكرة الحفاظ للذهبي 1: 5.

2- سنن ابي داود 3: 318 كتاب العلم باب « 3 » باب في كتابة العلم ح 3646، مستدرک الصحيحين 1: 104 و106.

التدوين، واعتبر ذلك امرا غير شرعي، واصر على رايه هذا اصرارا كثيرا، مثل: ابوبكر، عمر بن الخطاب، ابن مسعود، ابو سعيد الخدري وغيرهم، وفي مقابلهم فئة كانت تلح وتحث على تدوين الحديث وتحبب ذلك، وكانوا يكتبون الحديث ويدونونه كما كان على عهد

رسول الله (ص)، مثل: امير المؤمنين على (ع) وشيعته وبالاخص ابنه السبط الاكبر الامام المجتبي (ع).

وهذا الاختلاف في موضوع تدوين الحديث سبب انقسام المسلمين الى فئتين متميزتين: مؤيدي التدوين (الامام على (ع) وشيعته)، والصادين عن التدوين (ابو بكر واتباعه).

التدوين في عهد الامام علي (ع):

روى البخاري في صحيحه عن أمير المؤمنين (ع) انه قال: «لم يكن عندنا كتاب نقرأ الا هذه الصحيفة ثم اخرج صحيفة فيها احكام الجراحات والديات واسنان الابل المشروطة في صحة الزكاة وان المدينة حرم ما بين عير الى ثور».

وكذا اخرج عن الامام على (ع) انه خطب على المنبر، فاخرج من قراب سيفه صحيفة فشرها، ثم قرأ فيها بعض الاحكام(1).

ونقل البخاري ومسلم في صحيحيهما احاديث كثيرة بمتون مختلفة واسانيد متواترة حول صحيفة امير المؤمنين (ع)، وذكرنا بعض الاحكام التي استخرجت من هذه

1- صحيح البخاري 1: 38 كتاب العلم باب كتابة العلم، ج 3: 25 كتاب الحج باب حرم المدينة، ج 4: 122 باب ذمة المسلمين وص 124 باب من عاهد ثم غدر وص 183 باب فكاك الاسير، ج 8: 192 كتاب الفرائض باب اثم من تبرأ من مواليه، ج 9: 119 كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم وص 13 كتاب الديات باب العاقلة وص 16 باب لا يقتل المسلم بالكافر، صحيح مسلم 2: 1147 كتاب العتق باب «4» باب تحريم تولي العتيق غير مواليه ح 30، ج 3: 1567 كتاب الاضاحي باب «8» باب تحريم الذبح لغير الله ح 45، سنن النسائي 8: 19 كتاب القسامة باب القود بين الاحرار والمماليك في النفس، وص 23 باب سقوط القود من المسلم للكافر.

الصحيفة او الصحائف الاخرى له (ع)(1).

واما الاحكام التي يمكن استخراجها من هذه الصحائف طبقا لما نقله البخاري ومسلم في صحيحيهما وان لم تكن كثيرة (2) ولكن التمعن في نصوص الاحاديث يسوقنا الى معرفة حقيقتين مهمتين:

الاولى تعدد هذه الصحائف وكثرتها، والاخرى جامعيتها وشموليتها، كما اشير الى تلك الشمولية في بعض الاحاديث بان هذه الصحائف تتضمن جزئيات الاحكام وفروعها مثل احكام الديات والقصاص واسنان الابل، وحتى حدود المدينة والجبال التي حولها، وبالالتفات الى هذه النقاط تظهر لك جامعية تلك الصحائف.

ولكن قال ابن حجر: وبالجمع بين هذه الاحاديث يتبين ان الصحيفة كانت واحدة، وكان جميع ذلك مكتوبا فيها، فنقل كل واحد من الرواة عنه ما حفظه(3).

الامام الباقر (ع) والصحيفة العلوية:

نقل النجاشي عن محمد بن عذافر الصيرفي انه قال: كنت مع الحكم بن عتيبة (4) . عيينة عند . ابي جعفر (ع) فجعل يساله، وكان ابو جعفر (ع) له مكرما (5)، فاختلفافي شي فقال ابو جعفر (ع): قم يا بني، فاخرج كتاب علي (ع)، فاخرج كتابا مدروجا عظيما وفتحه وجعل ينظر، حتى اخرج المسالة فقال ابو جعفر (ع): هذا خطعلي (ع)، واملا رسول الله (ص)، واقبل على الحكم وقال: يا ابا محمد، اذهب انت وسلمة وابوالمقدام حيث شئتم يمينا وشمالا، فوالله لا تجدون العلم اوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل (ع)(6).

- 1- المصادر نفسها.
- 2- كل ما توصلنا اليه من الاحكام الواردة في احاديث هذا الباب بعد حذف مكرراتها ثلاثة عشر حكما المؤلف.
- 3- فتح الباري 1: 166.
- 4- وهو من علما اهل السنة.
- 5- جات في بعض النسخ مكرها ايضا.
- 6- رجال النجاشي 2: 260 ترجمة احمد بن عذافر رقم 967.

ظهر مما نقلناه عن الصحيحين والنجاشي ان الصحائف التي كانت عندأمير المؤمنين (ع) والتي ورثها الامام الباقر (ع) من جده (ع)، كانت تحتوي على الشرائع والسنن الالهية، ولا توجد صحيفة قبلها في تاريخ تدوين الحديث، وكان الائمة من اهل البيت (ع) يفتخرون بوجودها، ويعتبرونها ثروة غنية، وقد ذكرها علماء الشيعة وغيرهم في كتبهم المعتمدة، وهذه الصحيفة او الصحائف هي اساس الصرح العلمي الشاهق عند الشيعة، وعلى هذا النهج سار شيعة علي (ع) في كتابة السنة على نحو انه لم يحصل بين تاريخ صدور الحديث وكتابه اي فتور وانقطاع، وقد اشتهر في كل عصرالعشرات من العلماء وعرفوا باسم «كتاب الحديث والمحدثين».

احصاء مؤلفي الحديث وطبقاتهم:

ذكر النجاشي في كتابه (1) اسماء ما يقارب الف ومائتين راو من اصحاب الائمة (ع) ورجال الشيعة وترجم لهم وأشار الى ما الفوه من الكتب في موضوع واحد اومواضيع

متعددة، وقال في مقدمة كتابه: انا اذكر المتقدمين في التصنيف من سلفنا الصالح (2) وقسم علماء الرجال المؤلفين والمصنفين المعروفين الى عهد الامام الصادق (ع) الى ثلاث طبقات (3) ومع هذا فانه لم يعرف عددهم دقيقا، لانه من المستبعد ان يكون في اصحاب الائمة (ع) من تشرف بمجلسهم وتلمذ على يد احدهم ولم يصنف كتابا.

التدوين في عهد الامام الصادق (ع):

وفي عهد الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) حيث سنحت له تلك الفرصة الثمينة بان يحدث ويدون الحديث الى اوسع نطاقه، حتى بلغ عدد الذين تتلمذوا عنده واخذوا

1- وهو من رجال الشيعة وعلمائهم، توفي عام 450 هـ.

2- راجع مقدمة رجال النجاشي.

3- راجع: رجال النجاشي، فهرست الشيخ الطوسي، اعيان الشيعة للسيد محسن الامين، الذريعة لاغا بزرگ الطهراني.

منه العلوم المختلفة كالفقه والكلام والطبيعات، اربعة آلاف شيخ(1).

يقول الحسن بن علي الوشا: انه لقي في مسجد الكوفة في عصر واحد تسعمائة عالم كل يقول:

حدثني جعفر بن محمد (2)، هذا مع بعد المسافة التي تفصل بين الكوفة والمدينة مركز تعليم وتدریس الامام الصادق (ع).

وعلى اثر تشويق الامام الصادق (ع) الدائم وحثه الدائب وتاكيدہ على نقل الحديث وكتابته وصيانتہ (3) صنفت كتب كثيرة بحيث لا يمكن احصاؤها واحصامؤلفيها، ولكن جمعت من بين تلك الكتب اربعمائة كتاب لاربعمائة مؤلف او اقل من اصحاب الامام الصادق (ع) في الفقه والعقائد فقط، واشتهرت فيما بعد بالاصول الاربعمائة ولما كانت هذه الاصول متشنتة وبعضها فقدت بادر بعض اصحاب الامام الرضا (ع) (4) الى لم الموجود وضبطه في كتاب مستقل كل حسب طريقته الخاصة وسماه بالجامع واختص به، وهذه الجوامع هي غير الكتب التي فيها اصحاب الائمة (ع) الى

1- الارشاد للشيخ المفيد: 289.

2- حسن بن علي بن زياد الوشا، بجلي كوفي، ومن اصحاب الرضا (ع)، وكان من وجوه الطائفة، قال احمد بن محمد بن عيسى: خرجت الى الكوفة في طلب الحديث، فلقيت بها الحسن بن علي الوشا، فسالته ان يخرج لي كتاب العلا بن علي الفلا وابان بن عثمان

الاحمر، فاخرجهما الي فقلت له: احب ان تجيزهما، فقال لي: رحمك الله وما عجلتك؟ اذهب فاكتبها، واسمع من بعد، فقلت: أمن الحدثن فقال: لو علمت ان هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فاني ادركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول: حد ثني جعفر بن محمد رجال النجاشي: 39 رقم 80.

3- ورد في الحديث: 1 - اعرفوا منازل الناس منا على قدر روايتهم عنا 2 - القلب يتكل على الكتابة 3 - اكتبوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا 4 - احفظوا كتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها راجع مصادرها في: الكافي 1: كتاب العلم ب «16» باب النوادر ح 13 وب «17» باب رواية الكتب والحديث ح 8 و9 و10، بحار الانوار 2: 150 152 باب «19» باب فضل كتابة الحديث وروايته، وسائل الشيعة 18: 54 56 كتاب القضا باب «18» باب وجوب العمل باحاديث النبي والائمة المنقولة ح 7 و15 و17.

4- مثل: احمد بن محمد بن ابي نصر، جعفر بن بشير، حسن بن علي بن فضال، وغيرهم.

زمن الغيبة، والتي تتضمن مواضيع عديدة وعناوين مختلفة.

الكتب الاربعة:

كانت هذه الجوامع منذ عصر الامام الرضا (ع) مرجعا ومصدرا للشيعة في المسائل الدينية والفقهية حتى جاء ثقة الاسلام الكليني 329 هـ. فصنف كتابه (الكافي) وجمع فيه الاخبار باسلوب بديع ومبوب، ثم جاء دور الشيخ ابن بابويه القمي «الصدق» 381 هـ. فالف كتابه (من لا يحضره الفقيه)، وبعده قام شيخ الطائفة الشيخ الطوسي 460 هـ. فدون كتابيه (التهذيب والاستبصار) فجمع هؤلاء في كتبهم الاحاديث المستخرجة من الاصول الاربعمائة وسائر كتب السلف من اصحاب الائمة (ع)، واشتهرت هذه الكتب بعد ذلك بالكتب الاربعة(1).

هذا وقد الف علماء الشيعة بعد ذلك كتبا كثيرة ذات اهمية قصوى في شتى المواضيع التاريخية والتفسيرية والحديثية وغيرها، فامتلات مكتبات البلاد الاسلامية العامة منها، الا ان الكتب الاربعة احرزت من العناية والاهمية الدرجة الاعلى حتى صارت مرجعا لفقها الامامية في استنباطهم للاحكام الشرعية، واعتنوا بها اكثر من سائر الكتب. وبعد ذلك قام علماء الامامية وجهابذة علم الحديث يشدون العزم على تاليف كتب الحديث واستخراجها من الكتب الاربعة والاصول المعتمدة، وصنفوا الموسوعات الضخمة في الحديث.

هذا مجمل تاريخ تدوين السنة عند الشيعة منذ صدر الاسلام حتى عصرنا.

التدوين عند اهل السنة:

واما تدوين الحديث عند اهل السنة . وكما اشرنا اليه آنفا . فان بعض الاصحاب ومنهم ابو بكر، خالفوا تدوين الحديث بعد وفاة النبي (ص)، بل منعوا التحديث عنه (ص) ايضا،

1- جامع احاديث الشيعة المقدمة 1: زي.

الصفحة

47

ومن هنا فلم يستطع احد من اصحاب الرسول (ص) ان يروي او يكتب ما سمعه من النبي (ص)، بل القوا ما كتبوا من الاحاديث في الما او احرقوها بالنار، وتبريرا لما فعلوه تجاه الحديث وتثبيتا لهذه الخطيئة الغير علمية اختلقوا احاديث ونسبوا الى رسول الله (ص) نحو: «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه(1)»(2).

المنع في عهد ابي بكر:

ان الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم (ص) فقال: انكم تحدثون عن رسول الله (ص) احاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم اشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله (ص) شيئا، فمن سالكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه(3). وقالت عائشة: جمع ابي الحديث عن رسول الله (ص) وكانت خمسمائة حديث فبات ليلة يتقلب كثيرا قالت: فغممني فقلت: انتقلب لشكوى اولشي بلغك؟ فلما اصبح قال: اي بنية عندك، فجيئه بها، فدعا بنار فحرقها فقلت: لم احرقتها؟ قال: خشيت ان اموت وهي عندي فيكون فيها احاديث عن رجل اتتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فاكون قد نقلت ذلك(4).

1- صحيح مسلم 4: 2298 كتاب الزهد والرفاق باب «16» باب التثيت في الحديث ح72.
2- والدليل على كون هذا الحديث من الاحاديث الموضوعية والمختلقة هو عدم تمسك ابي بكر وعمر به، وسوف تقرا في الفصول الاتية بان ابا بكر وعمر قد تذرعا بمعاذير واهية واستدلا على منعهما نقل احاديث النبي (ص) وتدوينها بادلة تافهة وحجج ركيكة، ولو كان هذا الحديث مما قد ورد عن رسول الله حقا لتمسكا به في توجيه غايتهما، واضف على هذا، ولو سلمنا صحة الحديث لكان الامام مالك بن انس (الموطأ) والامام احمد بن حنبل (المسند) ومؤلفو الصحاح والسنن والمسانيد هم اول من خالفوا امر رسول الله (ص) واسرعوا بعمل نهى عنه النبي (ص).

ولذا ترى ان علما اهل السنة استنكروا صدور هذا الحديث عن النبي (ص) او انهم ادعوا صدوره واختصاصه بمجالات خاصة.

3- تذكرة الحفاظ للذهبي 1: 3.

4- المصدر: 5.

الصفحة

ولا يخفى ما نتج عن هذا العمل الصادر من ابي بكر الذي منع نقل الحديث تارة، واقدم على احراقه وابادته تارة اخرى على المسلمين والحفاظ والرواة من الاثار السيئة والنتائج السلبية، ففي السنوات الثلاث من خلافة ابي بكر انكب المسلمون على تلاوة القرآن واكتفوا بها دون مراجعة التفسير والبيان، وتركوا نقل الحديث وكتابته، وبهذا تحقق ما اراده ابو بكر من حصر اهتمام المسلمين على الايات القرآنية فقط.

المنع في عهد عمر:

ففي السنوات العشر من عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي عرف بالخشونة والتصلب اشتد الوطيس على الحديث، فلم يكتف عمر بمنع نقل الحديث وتدوينه فحسب، بل انه استعمل في تحقيق هدفه اسلوب القهر والقوة(1).

قال الصحابي المعروف قرظة بن كعب (2): لما سيرنا عمر بن الخطاب الى العراق مشى معنا عمر الى حرارة، ثم قال: اتدرون لم شيعتكم؟ قلنا: تكرمنا لنا قال: ومع ذلك لاجابة انكم تاتون اهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالاحاديث عن رسول الله (ص) فتشغلوهم، جردوا القرآن، واقلوا الرواية عن الرسول (ص) وانا شريككم، فلما قدم قرظة بن كعب الكوفة قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر(3).

واخرج الذهبي في تذكرة الحفاظ عن ابي سلمة انه قال لابي هريرة: اكننت تحدث في عهد الخليفة عمر هكذا؟ قال: لو كنت احدث في عهد عمر مثل ما احدثكم لضربني

1- دامت خلافته عشر سنوات وستة اشهر واربعة ايام.

2- هو من صحابة الرسول (ص) المعروفين واشترك في غزوات عديدة منها احد، وقال ابن حجر في الاصابة 5: 329 ترجمة قرظة بن كعب رقم 7113: ان اول من نبح عليه بالكوفة قرظة بن كعب.

3- مستدرك الصحيحين 1: 102، سنن ابن ماجه 1: 12 باب «3» باب التوقي في الحديث عن رسول الله (ص) ح 28 الطبقات الكبرى 6: 7 طبقات الكوفيين، جامع بيان العلم 2: 167، سنن الدارمي 1: 85 باب من هاب الفتيا مخافة السقط، تذكرة الحفاظ للذهبي 1: 7.

وكان عمر بن الخطاب مستبدا يفرض الضغوط الكثيرة على اصحاب الرسول (ص) الذين كانوا يروون الحديث عنه (ص) روي ان ابا موسى الاشعري نقل لعمرحديثا في باب الاستئذان من صاحب الدار فقال له عمر: ان لم تقم عليه بينة لاجعتك. وظل هذا التشدد من قبل الخليفة مخيما على الرواة حتى اعترض عليه جمع من الصحابة كما ورد في ذيل الرواية الانفة ان ابا منذر قال لعمر: فلا تكن يا بن الخطاب عذابا على اصحاب رسول الله (ص)(2).

ومن استبداده وتشدده انه حبس ثلاثة من الصحابة: ابن مسعود، ابا الدرداء، ابامسعود الانصاري، وفرض عليهم الاقامة الجبرية في المدينة، وظلوا تحت المراقبة الشديدة حتى قتل، وما كان ذنبهم الا انهم رووا احاديث سمعوها من رسول الله (ص) (3) واخرج الحاكم في مستدركه ان الخليفة عمر حبس ابن مسعود، وابا الدرداء، وابانذر في المدينة ليصدهم عن رواية الحديث(4).

ونتيجة لهذا الاستبداد العمري في المنع من نقل الحديث والنهي عنه يقول الصحابي سائب بن يزيد 80 هـ.: صحبت سعد بن مالك(5) من المدينة الى مكة فمسمعته يحدث عن رسول الله حديثا واحدا(6).

وقال الشعبي: جالست ابن عمر سنة كاملة فما سمعته يحدث عن رسول الله (ص)

-
- 1- تذكرة الحفاظ 1: 7.
 - 2- صحيح البخاري 8: 67 كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثا، وسوف يأتي تفصيل القصة في مبحث الخلافة فصل جهل الحكام بالاحكام.
 - 3- تذكرة الحفاظ 1: 7، ومجمع الزوائد 1: 149.
 - 4- مستدرک الصحيحين 1: 110 كتاب العلم.
 - 5- كان من نجب الانصار وعلمائهم وقد حفظ عن رسول الله (ص) سننا كثيرة وروي عنه علما، الاستيعاب 2: 602 رقم الترجمة 954.
 - 6- سنن ابن ماجه 1: 12 باب «3» باب التوقي في الحديث عن رسول الله (ص) ح 29.

حديثاً(1).

المنع عن التدوين في عهد عمر:

نقل ابن سعد: ان عمر بن الخطاب اراد ان يكتب السنن فاستشار في ذلك اصحاب رسول الله (ص)، فاشاروا عليه ان يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا، ثم اصبح يوما وقد عزم الله له فقال:

اني كنت اردت ان اكتب السنن، واني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبنا فاكبوا عليها
فتركوا كتاب الله تعالى، واني والله لا البس كتاب الله بشي ابدأ(2).

الحديث في عهد عثمان:

كانت خلافة عثمان بن عفان التي استمرت اثنتي عشرة سنة من اسوأ الازمنة واتعسها
في تاريخ الاسلام، وذلك لما وصلت فيها الاهوا . كحب الدنيا وقهر الاخرين والظلم . الى
اعلى مراتبه حيث انه اعطى حقوق الضعفا والمساكين وسلم بيت مال المسلمين لشركة
ليست لهم اي فضيلة وصلة بالدين، سوى انهم كانوا من قرابة الخليفة وعشيرته وملازمي
بلاطه، فاكتنزا الملايين، وعاشوا مرفهين، وبنوا القصور المشيدة، وفي جوارهم من المسلمين
من كان يتضور جوعا واما المتقون الصالحون من اصحاب رسول الله (ص) فقد ازبحوا
عن تصدي المناصب المهمة والقضا وادارة الحكومة، وحل مقامهم آخرون مستهترون مثل
الوليد بن عقبة اخو عثمان من امه ومروان بن الحكم ولان المتقون لم يتماشوا ولم يداهنوا
السياسة المتخذة والحاكمة انذاك، ودابوا على قراءة القرآن وترتيله ورواية احاديث النبي (ص)
وتبليغها الى الناس، وهذا مما لا يرتضيه النظام الحاكم والسيرة العثمانية وسياسة حكمه لان
هذه الامور هي على نقيض سياسة الخلافة الحاكمة، ولذلك تعر ضوا للهتك، فمنهم من
نفي الى البوادي، واقصي عن

-
- 1- الطبقات الكبرى لابن سعد 4: 106، سنن ابن ماجة 1: 11 المقدمة باب «3» باب التوقي في الحديث عن رسول الله (ص) ح 26، صحيح البخاري 9: 112 كتاب التمني باب خبر المراهة الواحدة وفيه: قاعدت ابن عمر قريبا من سنتين او سنة ونصف.
 - 2- الطبقات الكبرى لابن سعد 3: 286، وابو طالب مؤمن قريش للخنيزي: 2 3.

المجتمع، ومنهم من سجن وتعرض للتعذيب الجسدي والروحي والجلد وغيره، وهذا علاوة
على منع الخلافة العثمانية من نقل احاديث الرسول (ص) ومخالفتهم للقرآن المجيد.
فنفي الصحابي الجليل والزاهد في الدنيا ابي ذر الغفاري الى الشام، ومنها الى صحرا
الريذة، وضرب الصحابي عبدالله بن مسعود والاعتدا عليه في وسط المسجد حتى انجر الى
كسر اضلعه، وضرب عمار بن ياسر الى درجة الاغما واصابته بالفتق، وكذا الاعتدا ونفي
واهانة العشرات من الصحابة والمسلمين الاوائل، كلها كانت نتائج سياسة عثمان (1) وديده
الى ان آل الامر به ان يرقى المنبر ويعلن للناس منعه اياهم رواية كل حديث لم يسمع به

فقال: لا يحل لاحد ان يروي حديثا عن رسول الله (ص) لم اسمع به في عهد ابي بكر ولا في عهد عمر (2) وهكذا اشتد الوطيس على نقل الحديث وروايته حتى وصل ذروته.

الحديث في عهد معاوية:

كانت دواعي وضع الحديث في عهد معاوية وحكومته التي دامت اربعين عاما اشد من عهد الخلفاء قبله وخاصة في السنوات الخمسة والعشرين الاخيرة من حكمه (3).
وكلما مر الزمان كانت رغبة المسلمين تجاه أمير المؤمنين (ع) ومعرفة مقامه واهمية شأنه تزداد شيئا فشيئا، وكانوا مولعين بسماع الاحاديث الصحيحة وروايتها، وهذا ما لا شك فيه كان يضر بكيان معاوية وموقعه في المجتمع اكثر مما يتصور.
ولذلك بادر معاوية الى ان يتدارك المشكلة ويشيد الحكم الاموي ويقويه، فعمد الى اختلاق وجعل الاحاديث التي تنفع بحاله وتقوم سياسته وتوضع بديلة عن الاحاديث الصحيحة، وتنتشر في المجتمع، وتروى للناس.

- 1- راجع تفصيل القصة وشرحها في: الغدير 8: 292 295، وج 9: 3 69.
- 2- مسند احمد بن حنبل 1: 363، الطبقات الكبرى 2: 336 ذكر من كان يفتي بالمدينة ويفتدى به السنة قبل التدوين: 97، قبول الاخبار: 29.
- 3- منذ موت الخليفة عثمان في سنة 35 حتى موته سنة 60 هـ.

ومن هنا اكتسحت المجتمع مفترياته، وقرئت على الناس مختلقاته، وحقق معاوية بمكره ودهائه المعروف ما اراده على كلا الصعيدين وذلك عبر جهتين: فهو من جهة اعلن على المنبر عن منع كل حديث لم يسمع به في عهد عمر (1)، ومن جهة اخرى عبا الوضاعين واکرم كل من يروي حديثا في فضائل عثمان واصحاب النبي (ص) المناوئون لعلي (ع) واکرمهم بالعطايا الجزيلة والهدايا الثمينة وحثهم على جعل الحديث ونقل الاكاذيب.
فكتب ابو الحسن المدائني (2) في كتابه الاحداث وثيقة تاريخية مهمة تحتوي على بيان حقائق حول كيفية منع الحديث وجعل الاحاديث المفترية على رسول الله (ص) في عهد معاوية، وننقل للقارئ مقتطفات من كلام المدائني، لما فيه الكفاية عن نقل سائر الشواهد الاخرى، وتجنبنا عن الاطناب والاطالة.

المرسوم الاول: قال المدائني: كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام المجاعة:
ان برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل ابي تراب يعني الامام على واهل بيته اى اهل
بيت النبي (ص).

فقام الخطبا في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي اهل
بيته، وكان اشد الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على (ع)، فاستعمل
عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لانه كان منهم
ايام على (ع) فقتلهم تحت كل حجر ومدر، واخافهم، وقطع الايدي والارجل وسمل العيون،
وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها

1- صحيح مسلم 2: 718 كتاب الزكاة باب «33» باب النهي عن المسالة ح 98، وج3: 1210
كتاب المساقاة باب «15» باب الصرف وبيع الذهب ح80.
2- العلامة ابوالحسن المدائني هو احد المتصلعين وجهابذة علم التاريخ، له مؤلفات عديدة،
نحو خطب النبي، والاحداث، وخطب اميرالمؤمنين، وكتاب من قتل من الفاطميين، وكتاب
الفاطميات، نقل عنه ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة اقوالا وارااء كثيرة، وتوفي عام 225
هـ وكان عمره 90 سنة.

معروف منهم.

ويضيف المدائني: وكتب معاوية الى عماله في جميع الافاق: ان لا يجيزوا لاحد من
شيعة على واهل بيته (ع) شهادة، وان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه واهل
ولايته والذين يروون فضله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم، واكتبوا الي بما يروي
كل رجل منهم واسمه واسم ابيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى اكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه اليهم معاوية من
الصلوات والكسا والحب والقطن، ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كل
مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجي احد من الناس عاملا من عمال معاوية
فيروي في عثمان فضيلة او منقبة الا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

المرسوم الثاني: اضاف المدائني: كتب معاوية الى عماله ان الحديث في عثمان قد
كثرت، وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى
الرواية في فضائل الصحابة، والخلفاء الاولين (ابي بكر وعمر)، ولا تتركوا خبرا يرويه احد
من المسلمين في ابي تراب الا وتاتوني بمناقض له في الصحابة، فان هذا احب الي واقر

لعيني وادحض لحجة ابي تراب (الامام علي (ع) وشيعته، واشد عليهم من مناقب عثمان وفضائله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة ولاحقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى اشاروا بذكر ذلك على المنابر، والقي الى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموا بناتهم ونسأهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله. المرسوم الثالث والرابع: ثم كتب معاوية نسخة واحدة الى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة انه يحب عليا واهل بيته (ع) فامحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة اخرى: من اتهمتموه بموالة هؤلاء القوم نكلوا به واهدموا داره، فلم يكن البلا اشد ولا اكثر منه بالعراق، ولا سيما الكوفة، حتى ان الرجل من شيعة علي (ع) لياتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي اليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى ياخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان اعظم الناس في ذلك بلية القرا المرأون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الاحاديث ليحفظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الاموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الاخبار والاحاديث الى ايدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون انها حق، ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها(1).

الحديث في عهد خلفاء بني امية:

وبعد ان نقل ابو الحسن المدائني مصير الحديث في عهد معاوية حسب ما نقلنا عنه بالتفصيل تطرق الى ما آل اليه الامر عندما ولى عبدالملك بن مروان الخلافة لمدة احدى وعشرين سنة فاشتد البلا والتتكيل بالشبيعة على نحو لم يكن له شبيهه في عهد معاوية ثم ذكر المدائني نموذجا من جرائم والي الخليفة الاموي في الكوفة الحجاج بن يوسف الثقفي بحق الشيعة وقال:

ان انسانا وقف للحجاج فصاح به: ايها الامير، ان اهلي عقوني فسموني عليا، واني فقير بائس، وانا الى صلة الامير محتاج.

فتضحك له الحجاج وقال: للطف ما توسلت به فقد وليتك كذا(2).

الخطوة الاولى في تدوين الحديث:

كان وضع الحديث بعد رسول الله (ص) هو كما اوردناه، ففي عهد خلفاء بني امية

1- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 11: 44 46.

2- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 11: 46.

الصفحة

55

الذين التهوا بالمنكرات والفواحش وانغمسوا في البذخ والشهوات [صار مل الحديث، والاصح صارت الامور المعنوية مقبورة] في صندوق النسيان بحيث لم يبق من الدين الا اسمه، ومن القرآن الا رسمه، واما العلماء والحفاظ في عهد بني امية فقد تماشوا مع التأثيرات الاجتماعية، وجعلوا سيرة اسلافهم، والخلفاء الراشدين معيارا وملاكا لفعالهم وعملهم، فاخرجوا من عقولهم كل ما يمت الى الحديث تدوينا وكتابة ورسموا عليه خط البطلان، حتى آلت الخلافة والحكومة الى عمر بن عبدالعزيز عام 99 . 101 هـ. قام عمر بن عبدالعزيز في مدة خلافته القصيرة ببعض الانجازات الايجابية والمفيدة، منها: انه الغى المنع والحظر عن رواية الحديث وكتابته الذي كان عليه سلفه من الخلفاء، وامر بتدوينه.

روى البخاري: ان عمر بن عبدالعزيز كتب الى ابي بكر بن حزم الذي تقلد القضا ان انظر ما كان من سنة او حديث فاني خفت اندراس العلم وذهاب الحديث(1).

تدوين الحديث في عهد عمر بن عبدالعزيز:

يعتقد بعض علماء اهل السنة الذين نقلوا رسالة عمر بن عبدالعزيز المذكورة: ان تاريخ الرسالة هو تاريخ تدوين الحديث حيث بدا التدوين منذ تاريخ امر عمر بن عبدالعزيز اي من السنة الاخيرة من القرن الاول او السنة الاولى من القرن الثاني (2) ولكن العلامة السيد حسن الصدر 1354 هـ. يرد هذه النظرية مستندا الى الشواهد والمصادر التاريخية فقال: اول من صنف في الحديث الامام مالك لما كتب الموطا بامر من الخليفة العباسي المنصور 136 185، ثم يذكر العلامة الصدر الادلة التي تؤيد رايه:

1. ان خلافة عمر بن عبدالعزيز لم تتجاوز السنتين وخمسة اشهر.

2. لم يؤرخ زمان صدور امر عمر بن عبدالعزيز هل كان في بداية عهده بالخلافة ام

- 1- صحيح البخاري 1: 36 كتاب العلم باب كيف يقبض العلم.
2- فتح الباري لابن حجر 1: 157، ارشاد الساري للعسقلاني 1: 7، تدريب الراوي للسيوطي 1: 90.

نهايته؟

3. لم ينقل لنا التاريخ بان ابا بكر بن حزم قد امتثل امر الخليفة، اذ لا يوجد ما يدل على الامتثال من اثر او كتاب لابن حزم، وما ذكره الحفاظ والمؤرخون تاييدا لهذه النظرية فهو مبني على الحدس والاحتمال.
4. فلو كان صدور الامر في عهد ابن حزم ثابتا وكان تاريخ التدوين للحديث قطعيا لم وقع الاختلاف؟ ولماذا صرح بعض المحدثين والمؤرخين بتاريخ التدوين في اواخر القرن الثاني الهجري كالحافظ الخبير الذهبي: ان تدوين الحديث وكتابته بدا بعد انقراض وسقوط الدولة الاموية وانتقالها الى بني العباس؟ وكذلك لا يوجد احد من المؤرخين والحفاظ المتقدمين من يؤيد رأي السيوطي وابن حجر (1).

ونقول تاييدا لما قاله العلامة الصدر: ان ابن حجر نفسه يبدي في مؤلفاته الاخرى اقوالا غير مامر، فيقول حينئذ: ان اول من صنف الربيع بن صبيح (2) وتارة اخرى يقول: اول من دون الحديث ابن شهاب الزهري في اواخر القرن الاول امتثالا لامر عمر بن عبدالعزيز (3)، وقال قولاً آخر: اول من الف الحديث ابن حزم (4).

ويقول محمد فريد وجدي: اول من صنف الحديث هو الامام مالك لما كتب الموطأ، وقيل: انه ابن جريج . 150 هـ (5).

وادعى الشلبي: ان اول كتاب صنف في الاسلام هو كتاب ابن جريج ثم يضيف:

- 1- تاسيس الشيعة: 278 279 بتصرف.
2- هدى الساري مقدمة فتح الباري: 4.
3- فتح الباري 1: 218.
4- فتح الباري 1: 157.
5- دائرة معارف القرن العشرين 3: 361 مادة حدث.

وقيل: الموطا لمالك، وقيل: اول من صنف وبوب ربيع بن صبيح(1).
 وذكر الحافظ الذهبي في حوادث عام 143 هـ: في هذا العصر شرع علم الاسلام في
 مكة والمدينة بتدوين الحديث(2).

قال الدكتور احمد امين في ضمن البحث عن امر عمر بن عبدالعزيز: كل ما نعلمه انه
 لم تصل الينا هذه المجموعة، ولم يشر اليها فيما نعلم جامعوا الحديث بعد، ومن اجل هذا
 شك بعض الباحثين من المستشرقين في هذا الخبر، اذ لو جمع شي من هذا القبيل لكان
 اهم المراجع لجامعي الحديث، ولكن لا داعي الى هذا الشك، فالخبر يروي لنا ان عمر
 امر، ولم يرو لنا ان الجمع تم، فلعل موت عمر تم سريعا وعدل ابو بكر عن ان ينفذ ما امر
 به(3).

وتلاحظ ايها المطالع ان العلماء قد اختلفوا في تاريخ تدوين الحديث، وكذا في اول مؤلف
 من اهل السنة اختلافا شديدا، واما ثبوت التدوين في عهد عمر بن عبدالعزيز فانه خال من
 الدليل سوى ما قاله البخاري بهذا الصدد من ان عمر بن عبدالعزيز قد امر بجمع الاحاديث
 وتدوينها ولكن هل هذا الامر قد امتثل ام لا؟ فالتاريخ بل القرائن والشواهد تثبت عكس ذلك.
 وعلى كل حال فان الحديث قد تم تدوينه بعد قرن ونصف قرن من الزمان، وعندئذ خرج
 من حيز النسيان والانزوا الى حيز المدارس والكتابة ولما كان المسلمون ينظرون الى
 التدوين بكونه عملا مخالفا للسنة ومحرمًا، لذلك فانهم استصعبوه واستنقلوه في بادئ الامر
 حتى اجبرهم الخلفاء على ذلك.

يقول معمر عن الزهري: كنا نكره كتابة العلم حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامرا(4).

-
- 1- كشف الظنون 1: 637 باب علم الحديث.
 - 2- دراسات في الكافي والبخاري: 21.
 - 3- ضحى الاسلام 2: 106 107.
 - 4- الطبقات الكبرى 2: 389 ذكر من كان يفتي بالمدينة بعد اصحاب النبي (ص)، جامع بيان العلم 1: 67.

تاريخ ظهور الصحاح الستة:

في غرة النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ادرك المحدثون اخطا السلف وشطحاتهم بالنسبة لمنعهم الحديث وكتابته، فبدؤا بتدوين الحديث وتاليه. بدا علم الحديث يتحرك نحو التقدم بعد ان قضى تلك الفترة الطويلة التي عاشها في الجمود والسكون، ولعل كان ذلك رد فعل ناشئ عن الانفعال الذي برز اثر منع الحديث، ففي خلال قرن واحد اي من سنة 150 250 هـ ظهرت على الساحة كتب كثيرة كلها تحمل اسم الصحاح والمسائيد والمستخرجات وغيرها(1).

وكان هدف مؤلفي هذه الكتب في هذه الفترة الزمنية منصبا على جمع الحديث فقط، ولم تبوب وتقسّم الاحاديث بعد الى الصحيح والحسن والضعيف، وكان الحديث من دون فرق بين الصحيح وغيره يشكل المحتوى الاصلي للكتب والمسائيد حتى جاء عصر البخاري 256 هـ. وسائر الصحاح.

قال ابن حجر: فلما رأى البخاري هذه التصانيف ورواها وانتشق رياها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف، فلا يقال لغته سمين فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه امين(2).

ثم جاء بعده تلميذه مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري عام 261 هـ. فالف الجامع الصحيح، ومن بعده محمد بن يزيد بن ماجة القزويني 273 هـ. فصنف سننه، ثم كتب ابو داود سليمان بن داود السجستاني سننه 275 هـ. وبعده محمد ابن عيسى بن

1- ذكر الشلبي في كشف الظنون اكثر من اربعين مسندا وقال: ان اهم هذه المسائيد واشهرها مسند احمد بن حنبل الذي يحتوي على اكثر من ثلاثين الف حديث.
2- هدى الساري مقدمة فتح الباري: 5.

سورة الترمذي 279 هـ. دون جامعه المعروف سنن الترمذي، وبعده احمد بن شعيب النسائي 303 هـ. دون سننه ويقال له المجتبي.

وهذه الكتب الستة تشكل الركن الاصيلي لجوامع اهل السنة، فهم يرجعون اليها ويعتمدون عليها في العقائد والفروع والتفسير والتاريخ، واشتهرت فيما بعد بالصحاح الستة، ويطلق تارة على صحيح البخاري وصحيح مسلم الصحيحين، وعلى الكتب الاربعة الاخرى بالسنن(1). وبعد هذه الكتب صنفت المئات من الجوامع، وسميت بالمسند والمستدرک والمستخرج، الا انه لم ينل اي واحد منها مرتبة وشانا عند اهل السنة كما كان شان الصحاح الستة.

الفرق بين الصحاح والمسانيد:

الصحيح اصطلاحا هو الحديث الذي اتصل سنده عبر رجال عدول ومتدينين الى الرسول (ص) او احد الائمة (ع)(2).

والكتب الستة سميت بالصحاح لان احاديثها وما تحتويها مثل الراوي والسند والمتن حائزة لشروط الصحة وان اختلف اصحابها في شروط صحة الحديث، قديكون حديث صحيحا عند ادهم، وعند الاخر غير مكتمل شروط الصحة، وادعى ارباب الصحاح ان كل ما ورد في صحاحهم متوفر الشرائط وصحيح، واما المسانيد والكتب الاخرى لم ترتق الى هذه الدرجة من الصحة ولم يصحح مؤلفوها كل ما اخرجوه في كتبهم اذ كانت عاداتهم في ذلك جمع الاحاديث الصحيحة وغيرالصحيحة، وحتى الامام احمد بن حنبل الذي جمع اربعين الف حديث في مسنده لم يلتزم بصحتها جميعا(3).

- 1- وتارة يعدون الموطا للامام مالك من ضمن السنن.
- 2- هذا التعريف والحد جمع بين رأي علما العامة والشريعة معا.
- 3- التقريب للنووي: 1 2، تدريب الراوي 1: 88 99.

هدفنا في البحث:

هذا الذي ذكرناه كان خلاصة من تاريخ نقل الحديث وتدوينه عند اهل السنة منذ وفاة خاتم النبيين (ص) الى زمن خلافة عمر بن العزيز 99 101 هـ. نقلناه من المصادر المهمة والمراجع المعتمدة، وقد تحصلت من هذا التحليل المجمل مسالتان:

1 . ان تدوين الحديث عند اهل السنة بدا بعد قرن واحد من تاريخ صدورالحديث عن رسول الله (ص) ولم يكن بين هاتين الفترتين الصدور والتدوين اى كتاب يعتمد عليه في التدوين، وكان اكثر اعتماد المؤلفين والكتاب على ذاكرتهم وما تناقلته الالسن .

2 . ازدياد دواعي جعل الحديث: في الفترة التي تم فيها منع الحديث وتدوينه حيث ازدادت دواعي الجعل والوضع، وكثر الوضاعون على لسان النبي (ص). وبملاحظة هاتين الحقيقتين المذكورتين نتعجب ونددهش من صب اهل السنة جل اهتمامهم على هذه الصحاح الستة وخاصة الصحيحين «البخاري ومسلم» اللذين تشكل الروايات . من هذا النمط . المختلقة اكثر محتوياتهما، وقد اعتبروهما اصح الكتب وانقنها بعد القرآن، بل حكموا في قطعية صدور كل ما ورد فيهما تماماكالقرآن وصحة صدور ما احتوتهما من الاحاديث المشتملة على تلك الحقائق المذكورة، وربما اولوا محكمات القرآن طبقا لما جاء في الاحاديث الواردة في كتبهم(1).

وهكذا اصبح الكتابان: صحيح البخاري وصحيح مسلم، مدار العقائد عند اهل السنة. وهذه الامور هي التي دعنتنا الى البحث والتنقيب في الصحيحين وكشف حقيقتهما وماهيتهما، كي تتجلى الحقائق التي استترت خلف الاستار السميكة من التقاليد

1- ستطلع - ابها القارئ الكريم - فيما ياتي آنفا على اهمية هذه الكتب عند اهل السنة وكيف ان احمد بن حنبل ياول آيات القرآن الى ما جا في احاديثهم.

- والعصبيات والظلمات والاهوام التي ظلت مسدولة لفترة تزيد على الف سنة. (وما اريد الا الا صلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب)(1).
- وتتمحور دراستنا فيهما حول هذه المواضيع التسع التالية:
- 1 . ترجمة البخاري ومسلم.
 - 2 . الصحيحان من منظار اهل السنة.
 - 3 . الصحيحان من منظار العلم والتحقيق.
 - 4 . سند الصحيحين.
 - 5 . نصوص الصحيحين.
 - 6 . التوحيد في الصحيحين.

- 7 . النبوة في الصحيحين .
8 . الخلافة في الصحيحين .
9 . بحوث متفرقة في الصحيحين .

1- هود: 88.

الصفحة
62

الصفحة
63

الفصل الثاني

ترجمة

محمد بن اسماعيل البخاري
ومسلم بن الحجاج النيشابوري

الصفحة
64

الصفحة
65

لمحة عن حياة البخاري

من هو البخاري؟

هو ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن مغيرة بن بردزبه الجعفي الملقب
بالبخاري.

مولده:

ولد ببخارى في شوال عام مائة وتسعين واربع، 194 هـ وقال ابن خلكان والخطيب
البغدادي: كان جده الثالث بردزبه مجوسيا ومات عليها(1).

نشاته العلمية:

فقد البخاري اباه في سن مبكر وتولت امه تربيته، وبدا بطلب العلم وهو في العاشرة من
عمره، ولما بلغ العشرين من عمره بدأ رحلاته العلمية بعيدا عن موطنه.

رحلاته العلمية:

كان البخاري مولعا بالعلم وخاصة في مجال علم الحديث، وكان بعيد الهمة في جمع
الحديث وتدوينه، فهاجر من وطنه . لاكتساب العلم . الى مدن عديدة، وكان يتوقف في كل
منها فترة يختلف فيها على علمائها لاخذ الحديث عنهم.
قال محمد فريد وجدي: كان البخاري بعيد الهمة في تحري صحيح الاحاديث، جاب من
اجلها الامصار وكابد الاخطار، فرحل الى خراسان والجبالي ومدن العراق والحجاز والشام
ومصر وهو في كل هذه الاقطار يلاقي الحفاظ ويجالس المحدثين

1- وفيات الاعيان 3: 330، تاريخ بغداد 2: 6.

فيسمع منهم وياخذ عنهم(1).

نقل ابن حجر عن البخاري انه قال: دخلت الى الشام ومصر والجزيرة مرتين: والى
البصرة اربع مرات، واقمت في الحجاز ستة اعوام، ولا احصي كم دخلت الى الكوفة وبغداد
مع المحدثين(2).

مؤلفاته:

اختلف اصحاب التراجم في عدد مؤلفات البخاري، فالمشهور انه كتب سبعة عشر كتابا في الحديث والرجال والتاريخ وغيرها، وقد اهتم اهل السنة بكتب البخاري جميعها اهتماما كبيرا وخاصة الجامع الصحيح، ولا يوجد في اي ملة كتاب له من الشأن مثل ما للجامع الصحيح عند اهل السنة(3).

فتاوى البخاري العجيبة:

نقلت عن البخاري فتاوى عجيبة واليك شطرا منها:

- 1 . يجوز للمرأة ان تخدم الرجل الاجنبي حتى ولو كانت شابة، وحديثه عهدبالزواج.
- 2 . لا يجب على المرأة ان تستر نفسها من العبد حتى لو كان ملكا لغيرها.
- 3 . يطهر محل المني بازالة عين النجاسة كما يطهر بالغسل.
- 4 . لا يجب غسل الجنابة ما لم يخرج المني، بل يستحب(4).
- 5 . يجوز ترك الصلاة في الاوقات الحرجة مثل الجهاد وثم يقضيها.
- 6 . يجوز تدهين البدن بدهن الميتة.

1- دائرة معارف القرن العشرين 2: 56 مادة بحر.

2- هدى الساري: 479.

3- نوافيك بالقرائن والشواهد على هذا في مبحث اهمية الصحيحين فيما بعد ان شاء الله.

4- صحيح البخاري 1: 80 كتاب الغسل باب غسل ما يصيب من فرج المرأة.

الصفحة

67

7 . يجوز استعمال المشط المصنوع من عظم الميتة.

8 . لا اشكال في اللعب باسلحة الحرب مثل السيف والسهم وانشاد الشعر في

المساجد(1).

9 . ومن فتاويه النكرة العجيبة ترتب حكم الرضاع بلبن الحيوانات، فمثلا اذارضع طفلان

من لبن العنز او البقر للمدة المقررة، تترتب عليهما احكام الرضاع وتثبت به الاخوة(2).

قال شيخ الشريعة الاصفهاني بعد ان نقل فتوى البخاري من كتاب الكفاية في شرح

الهداية فقه المذهب الحنفي: (هذه الفتاوى ان دلت على شي فانها تدل على جهل البخاري

وسذاجته، لان نشر الحرمة في الرضاع فرع الابوة والامومة ولا يعقل ان يكون حيوان ابا

لانسان او اما له(3).

وفاته ومدفنه:

توفي البخاري عام مائتين وخمسين وست 256 هـ. عن عمر يناهز اثنين وستين سنة في قرية خرتنك من قرى سمرقند، ودفن بها.

- 1- مقدمة صحيح البخاري بقلم ابو كمال عبدالغني عبدالخالق طبعة مكة عام 1376 هـ.
- 2- يستفاد من عناوين الابواب التي ذكرها البخاري في صحيحه، ان هذه العناوين هي في الواقع فتاوى البخاري، وان الاحاديث التي يوردها البخاري في تلك الابواب تعتبر ادلة البخاري على آرائه كما قال الشيخ محي الدين: ليس مقصود البخاري الاقتصار على الاحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لابواب ارادها، ولهذا المعنى اخلى كثيرا من الابواب عن اسناد الحديث واقتصر على قوله فيه فلان عن النبي (ص) او نحو ذلك، وقد يذكر المتن بغير اسناد وقد يورده معلقا، وانما يفعل هذا لانه اراد الاحتجاج للمسالة التي ترجم لها و اشار الى الحديث لكونه معلوما، وقد يكون مما تقدم وربما تقدم قريبا، ويقع في كثير من ابوابه الاحاديث الكثيرة، وفي بعضها ما فيه حديث واحد، وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله وبعضها لا شي فيه البتة هدى الساري: 6المعرب.
- 3- القول الصراح، مخطوط.

لمحة عن حياة مسلم

من هو مسلم؟

هو ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

مولده ووفاته:

لم يتطرق اصحاب التراجم الى جزئيات حياة مسلم ولم يذكروا الا الشئ القليل منها، تماما على عكس ما ذكروا من الاطناب في البخاري ورحلاته ومجالساته مع الحفاظ، حتى انهم لم يثبتوا تاريخ مولد مسلم ووفاته وعمره ثبتا دقيقا.
قال ابن خلكان: توفي مسلم عشية الاحد لخمس، وقيل: لست بقين من شهر رجب سنة احدى وستين ومائتين بنيسابور وعمره خمس وخمسون سنة، هكذا وجدته في بعض الكتب ولم ار احدا من الحفاظ يضبط مولده ولا تقدير عمره، ثم كشفت من كتاب علماء الامصار ان ولادته كانت في سنة ست ومائتين، ووفاته في سنة اثنين وستين ومائتين(1).
ورجحه محمد فريد وجدي من دون ان يشير الى المصدر(2).
وقال الذهبي: يقال ان ولادته كانت عام 204 من الهجرة(3).

رحلاته العلمية:

شد مسلم الرحال الى العراق والحجاز والشام ومصر، وسافر عدة مرات الى بغداد في طلب الحديث، وكان آخر رحلاته اليها عام 257 من الهجرة، وهو في هذه الرحلات

- 1- وفيات الاعيان 5: 195 ترجمة مسلم رقم 717.
- 2- دائرة معارف القرن العشرين 5: 293 مادة سلم.
- 3- تذكرة الحفاظ 2: 588 ترجمة رقم 613.

ياخذ الحديث من كبار الحفاظ، مثل: احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه . استاذ البخاري وشيخه ولكن اكثر حضوره وتلمذه كان على البخاري، وكان شديدا للالتزام باستاذه وشيخه البخاري فاتبعه اتباع الفصيل لاهمه وخاصة لما تم تبعيد البخاري عن نيشابور وتفرق علمائها عنه، وهذا دليل واضح على ما كان يملكه مسلم من الولع والشغف الزائد في كسب العلم والحديث.

مؤلفاته:

ذكر الحافظ الذهبي عن الحاكم انه قال: كتب مسلم عشرين كتابا في شتى العلوم ذكر اسمها(1) ولكن الجامع الصحيح او صحيح مسلم حاز من الاهمية والعناية اقصاها واكثر من سائر مؤلفاته وكتبه، واهتم اهل السنة والجماعة على مرالعصور والدهور بصحيح مسلم غاية الاهتمام.

سبب وفاته:

ذكروا ان مسلم سئل عن حديث في مجلس بنيسابور، فلم يجر جوابا وقال بعدم علمه بهذا الحديث، وعندما رجع الى بيته قام بالفحص عن ذلك الحديث، وحصل في الاثنا ان جاء احد ملازميه بانا كبير من التمر فلم يزل مسلم يبحث عن الحديث طوال ليلته ولكي يزيل النوم عن عينيه تناول من التمر المهداة اليه حتى طلع عليه الفجر، وما ان اتم اكل التمر كله حتى عثر على الحديث، فبسبب اكله التمر كثيرا تمرض وبعده توفي عن عمر يناهز الخامسة والخمسين سنة ودفن بالقرب من مدينة نيسابور(2).

وعلى فرض صحة هذه القصة فانها تدل على شدة علاقة مسلم وولعه الشديد بطلب العلم والحديث.

- 1- تذكرة الحفاظ 2: 589 ترجمة رقم 613.
2- دائرة المعارف 5: 293 مادة سلم.

الصفحة
70

الصفحة
71

الفصل الثالث الصحيحان وموقعهما العلمي عند أهل السنة

الصفحة
72

الصفحة
73

موقع الصحيحين عند أهل السنة

الصحيحان الستة:

انتخب علماء أهل السنة من بين جميع ما كتب في الحديث ومسانيده ستة كتب منها فقط، فجعلوها في الدرجة الأولى من الاعتبار والصحة وسموها بالصحيحين أي المطابقة

للواقع، وقد شكلت هذه الكتب الصحاح الستة البنية الاولى والاساس الاصلي في احكامهم وعقائدهم والتفسير والتاريخ.

وكما ذكرنا مسبقا ان وجه تسمية هذه الكتب الستة بالصحاح وفرقها مع سائر كتب الحديث والمسانيد هو ان جميع ما ورد فيها من الاحاديث والروايات سوا من وجهة نظر مؤلفيها او من وجهة نظر علماء اهل السنة فهي صحيحة ومطابقة للواقع. وانهم يعتقدون بان كل ما جاء في هذه الصحاح الستة ونسب الى الرسول (ص) فانه قد خرج من بين شفاتي رسول الله (ص) او امضاه وقرره عمليا واماسائر كتب الحديث فانها فاقدة لهذه الخصوصية، اذ يحتمل ان تكون فيها احاديث وقعت سهوا او عمدا ونسبت الى رسول الله (ص).

ومن هذا المنطلق قال فضل بن روزبهان: لو ان احدا حلف يمينا بان كل ما ورد في الصحاح الستة من الاحاديث فهو صحيح وهو قول رسول الله (ص) لكان يمينه صحيحا، ولا عليه الحنث(1).

وقال في موضع آخر: فقد وقع اجماع الائمة على صحتها الصحاح الستة(2).
ومن هنا قال بعضهم في ما يخص بعض الصحاح سنن الترمذي: من كان في

1- احقاق الحق ذيل حديث «علي صاحب الحوض واللوا».
2- احقاق الحق 2: 235.

بيته هذا الكتاب كان في بيته نبي يتكلم(1).
وقالوا في سنن ابي داود: كتاب الله اصل الايمان، وسنن ابي داود عهد الاسلام(2).
واما الصحيحان البخاري ومسلم فقد وقعا موضع اهتمام اهل السنة اكثر من الصحاح الاربعة الاخرى، وحازا قصب السبق ونالا الدرجة الاولى من الاعتبار، ومن ثم تلاهما سائر الصحاح الاربعة.

خصائص صحيح البخاري:

احصا ابوابه واحاديثه: يحتوي صحيح البخاري على تسع مجلدات، واكثر من مائة كتاب، وابوابه تزيد على ثلاثة الاف واربعمائة وخمسين بابا، واحاديثه تبلغ سبعة الاف

ومائتين وخمس وسبعين حديث مع عد المكررات منها، واما اذا اسقطنا المكررات تبلغ احاديثه اربعة الاف حديث(3).

الشروح والتعليقات على صحيح البخاري: بلغت الشروح التي كتبت على صحيح البخاري الى الان سوا الكامل منها او الناقص تسعة وخمسين شرحا، والمطبوعة منها احد عشر، واما التعليقات على البخاري فقد بلغت ثمان وعشرين تعليقة، وكتب خمسة عشر عالما خلاصة للصحيح كل حسب مذاقه، في حين كتب ستة عشر عالما مقدمة له(4).

خصائص صحيح مسلم:

يحتوي صحيح مسلم على ثمان مجلدات وخمسين كتابا، ويشمل الف ومائتين وخمسة ابواب، وعدد احاديثه مع اسقاط المكررات يبلغ اربعة الاف حديث، ومع

- 1- تذكرة الحفاظ للذهبي 2: 634 ترجمة رقم 658، وقد سطرت هذه العبارة على سنن الترمذي المطبوعة عام 1356 هـ القاهرة.
- 2- تذكرة الحفاظ 2: 593 ترجمة رقم 615.
- 3- تدريب الراوي في شرح التقريب للنووي 1: 102.
- 4- مقدمة صحيح البخاري المطبوع عام 1376 هـ بمكة المكرمة.

المكررات يبلغ سبعة الاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثا(1).
وصنف الكثير من العلماء كتباً في شرح الصحيح والتعليق عليه، الا ان اهمها هو شرح الفاضل النووي.

المغالاة في الصحيحين:

قال علماء العامة في الصحيحين وفي تصحيحهم وتوثيقهم لجميع احاديثهما وتعديل مؤلفيهما من المدائح والاطرا كثيرا، واطنبا في ذلك حتى بلغ بهم مبلغ الغلو والافراط فيهما، وكان نصيب البخاري من هذه المدائح والاطراءات اكثر من مسلم.
فتارة تراهم يبعثون سلام وتحية النبي (ص) الى البخاري، وتارة اخرى يقصون الرؤى والاحلام في شان صحيحه وينسبون اليه والى مسلم وصحيحيهما شتى الكرامات الفاضلة حتى ان بلغ الامر بهم ان قالوا: ان رسول الله ايد صحة كتابيهما وامضاهما.

ولكن الواقع ان هذه المنسوبات والكرامات، المدائح والاطراءات والمغالاة بحقهما لا تتوافق مع متن الصحيحين واسلوب مؤلفيهما فيهما، كما سيتضح لك هذا الامر خلال هذا البحث بالتفصيل.

فقبل ان نقوم بالتحقيق في الكتابين نورد بعض هذه الاقوال والمدائح التي قيلت بشأنهما كنماذج وامثلة:

قال الچلبي: اما الكتب المصنفة في علم الحديث فاكثر من ان تحصى، الا ان السلف والخلف قد اطبقوا على ان اصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم(2).

قال محمد بن يوسف الشافعي: اول من صنف في الصحيح، البخاري ابو عبدالله محمد بن اسماعيل وتلاه ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، ومسلم مع انه اخذ عن

-
- 1- ذكر النووي في كتابه التقريب عدد الاحاديث الغير مكررة فقط.
 - 2- كشف الظنون 1: 641 باب علم الحديث.

البخاري واستفاد منه، فانه يشارك البخاري في كثير من شيوخه، وكتاباهما اصح الكتب بعد كتاب الله العزيز(1).

قال الذهبي: واما جامع البخاري الصحيح فاجل كتب الاسلام وافضلها بعد كتاب الله عز وجل(2).

وكذلك قال الچلبي عن صحيح مسلم: جامع مسلم الصحيح من حيث الصحة هو ثاني كتاب وهو احد الكتابين اللذين ليس اصح منهما شي بعد كتاب الله(3).

قال ابو علي النيشابوري: ما تحت اديم السما اصح من كتاب مسلم(4).

يقول الفاضل النووي في تربيته: ان اصح الكتب بعد القرآن الصحيحان: البخاري

ومسلم، وكتاب البخاري اصحهما واكثرهما فوائد، وان رجح البعض تقديم صحيح مسلم عليه، ولكن الصواب والمختار هو الذي ذكرناه(5).

وقال في مقدمة شرحه على صحيح مسلم: اتفق العلماء على ان اصح الكتب بعد القرآن

العزير الصحيحان: البخاري ومسلم، وتلقتهما الامة بالقبول(6).

قال القسطلاني: قد اتفقت الامة على تلقي الصحيحين بالقبول، واختلفت في ايهما
ارجح، فصرح البعض بتقديم صحيح البخاري، وصرح آخرون بتقديم صحيح

-
- 1- هدى الساري: 8.
 - 2- ارشاد الساري 1: 29.
 - 3- كشف الظنون 1: 641 باب علم الحديث.
 - 4- وفيات الاعيان 4: 208، تذكرة الحفاظ 2: 589، كشف الظنون 1: 642.
 - 5- التقريب للنووي: 3.
- هذا الكتاب هو من افضل واقدم ما كتب في علم اصول الحديث، وقام جلال الدين السيوطي
بشرحه واسماه تدريب الراوي ويعتبران معا من المراجع المهمة في علم الحديث.
- 6- شرح صحيح مسلم 1: 14.

مسلم(1).

يقول ابن حجر المكي: الصحيحان هما اصح الكتب بعد القرآن باجماع من يعتد به(2). قال امام الحرمين: لو حلف انسان بطلاق امراته ان ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته هي مطابقة مع الواقع وهي مما حكاه رسول الله (ص) كان حلفه صحيحا ولا كفارة عليه، لان الامة اجمعت على صحة احاديثهما(3).

مغالة اكثر:

لم يقنع علماء اهل السنة في تعريفهم وتمجيدهم للصحيحين وتصحيح وتوثيق كل ما ورد فيهما من الروايات فحسب، بل انهم زادوا الطين بلة حينما سلكوا سبيل الغلو والافراط في هذا المجال، حتى ادعى احدهم انه راي رسول الله (ص) في منامه وقال (ص): ان صحيح البخاري هو كتابي.

وينقل عن الشيخ محمد بن عبدالرحمن شارح مختصر الخليل انه قال: كنت مع شيخي الشيخ عبد المعطي التتوسي (التونسي) في زيارة لمرقد رسول الله (ص) اذ شاهدت شيخي خلافا لما اعتاده يمشي خطوة الى الامام ثم يتوقف هنيئة، ويكرر ذلك حتى وصل الى قبر الرسول (ص)، ووقف امام القبر وتكلم بكلام لم افهم ما قاله.

وعندما رجعنا سألته عن قضية المشي والمكث والمحادثة الغير معتادة قال: كنت استاذن رسول الله (ص) بالدخول والزيارة حتى اذن، فلما دنوت منه قلت: يا رسول الله (ص)، وهل كل ما ورد في صحيح البخاري صحيح؟ قال: نعم قلت: احدث عنك كل ما ورد فيه من الاحاديث؟ قال: نعم، حدث عني.

1- ارشاد الساري 1: 20.

2- الصواعق المحرقة: 9، وجا في تطهير الجنان المطبوع بهامش الصواعق: 20 ذكر البخاري فقط.

3- شرح النووي على صحيح مسلم 1: 19.

ونقلت هذه القصة في كتب اخرى على نحو آخر: ان الشيخ التنوسي لما زار قبرالنبي (ص) سال رسول الله (ص): هل ما ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم من الحديث صحيح ويجوز لي ان احدث ذلك عنك؟

قال رسول الله (ص): نعم، انهما جميعا صحيحان وحدث عني ما ورد فيهما(1).
نقل عن ابي زيد المروزي انه قال: كنت نائما بين الركن والمقام فرايت النبي (ص) في المنام، فقال لي: يا ابا زيد، الى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رسول الله (ص)، وما كتابك؟ قال: جامع محمد بن اسماعيل البخاري(2).
قال محمد فريد وجدي: وغلا بعضهم فرأى ان يستاجر رجالا يقرأون الاحاديث النبوية في كتاب الامام البخاري استجلابا للبركات السماوية تماماكالقرآن(3).
قال القاسمي في قواعد التحديث: صحيح البخاري عدل القرآن، اذ لو قرئ هذا الكتاب مدار في زمن شاع فيه الوباء والطاعون لكان اهله في مامن من المرض، ولو اختتم احد هذا الكتاب لنال ما نواه، ومن قرأه في واقعة او مصيبة لم يخرج حتى ينجونها، ولو حملة احد معه في سفر البحر لنجا هو والمركب من الغرق(4).

ما قيل من الرؤى والكرامات:

يقال: ان البخاري ذهب عيناه في صغره، فرأت والدته ابراهيم الخليل (ع) في المنام، فبشرها بصحة ابنها، فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك له، فاصبح وقد رد الله عليه بصره(5).

- 1- الدر الثمين في مبشرات النبي الامين الحديث الثالث والثلاثون استقصا الافحام 2: 868.
- 2- هدى الساري: 490، ارشاد الساري 1: 29.
- 3- دائرة معارف القرن العشرين 3: 482.
- 4- قواعد التحديث: 250.
- 5- هدى الساري: 478، ارشاد الساري 1: 31، تاريخ بغداد 2: 10.

الفريبي والنبي (ص):

قال محمد بن يوسف الفريبي: رايت النبي (ص) في النوم فقال لي: اين تريد؟ قلت: اريد محمد بن اسماعيل البخاري، قال: اقراه مني السلام(1).

قال البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين(2).

نقل الفربري ان البخاري قال: ما ادخلت في الصحيح حديثاً حتى استخرت الله، وصليت ركعتين، وتيقنت صحته(3).

قال البخاري: صنفت الجامع من ستمائة الف حديث في ستة عشر سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى(4).

حكى الفاضل النووي ان مسلم قال: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة الف حديث مسموعة، لو ان اهل الحديث يكتبون مائتي سنة الحديث فمدارهم على هذا المسند(5).

الشعراء يطرون:

وتبعاً لأولئك العلماء فقد نظم الشعراء في البخاري وصحيحه اشعاراً كثيرة وقصائد متعددة، من ذلك ما انشده ابن عامر الجرجاني حيث قال:

صحيح البخاري لو انصفوه
لما خط الا بما الذهب
هو الفرق بين الهدى والعمى
هو السر دون العنا والعطب

- 1- تهذيب الاسما واللغات 1: 68، تاريخ بغداد 2: 10.
- 2- هدى الساري: 490، ارشاد الساري 1: 29.
- 3- هدى الساري: 490، ارشاد الساري 1: 29.
- 4- هدى الساري: 490، ارشاد الساري 1: 29، كشف الظنون 1: 544 مادة الجامع الصحيح.
- 5- شرح صحيح مسلم للنووي 1: 15.

اسانيد مثل نجوم السما
امام متون كمثل الشهب
به قام ميزان دين النبي (ص)
ودان له العجم بعد العرب(1)

واتشد الامام ابو الفتوح العجلي مادحا صحيح مسلم:

صحيح القشيري ذا رتبة
فالفاظه مثل نور الرياض
واما المعاني فكالشمس تحت
فلله دولة هذا الامام
عليه من الله رضوانه
تفوق الثريا اذا ما اعتلت
سقيها السواري اذا ما سرت
السحاب الخريفي عنه انجلت
ولله همته ان علت
فقد تم مسعاته وانتهت(2)

دفاع مرير:

افرط اهل السنة في ثنائهم على الصحيحين حتى بلغ بهم الامر حد التعسف والغلو، وحفظا لمقامهما وشانهما فقد حظروا على الباحثين والمحققين ان يقوموا بالبحث والتتقيب فيهما، واعتبروهما كالوحي المنزل والقرآن الكريم من حيث العصمة عن الخطأ، ومنزها من ان تتالهما الاراء والافكار وابدأ الراي فيهما، وان البحث والتحقيق فيهما، يكاد يكون توهينا لهما وهذا بمثابة التوهين للقرآن ولا توبة ولاغفران لمن يقوم بذلك. ففي عام 1386 هـ. نشرت جمعية الاصلاح الاجتماعي في الكويت كراسا في الدفاع عن صحيح البخاري والرد على المخالفين بعنوان «كل ما في البخاري صحيح». وكان هذا الكراس ردا واستنكارا على المقال الذي كتبه عبد الوارث كبير تحت عنوان «ليس كل ما في صحيح البخاري صحيحا» الذي نشرته مجلة الوعي الاسلامي الكويتية.

1- ارشاد الساري 1: 30.

2- وردت هذه الابيات في آخر صحيح مسلم طبعة بيروت.

وبما اننا لم نحصل على هذا المقال المنشور في المجلة، لذلك لا يمكننا ان نبدي راينا فيه او نحكم له او عليه واما الكراس المنشور ردا على المقال فهو بايدينا، وهو يحتوي على ردود واستنكارات خطابية او الاصح ان الكراس كتب بأسلوب مملؤ من الهرا والعريدة واللاموضوعية.

فقد جاء في اوله رسالة مفتوحة الى امير الكويت كتبها اثنان وثلثون استاذاً من جامعات سوريا استنكروا فيها على كاتب المقال وطلبوا من الامير كسر مثل هذه الاقلام هذه المقالات في المجلات.

وبعد هذه الرسالة سطرت ثمان مقالات لثمانية من الاساتذة والعلماء من شتى البلاد العربية دفاعاً عن صحيح البخاري ومسلم، ثم ذكروا قائمة باسماء عشرة من اساتيد وعلماء الجامعات ممن تصدوا للجواب والرد على صاحب المقال والاستنكار عليه والدفاع عن البخاري.

ايها القارئ البصير، لعلك ترى اننا قد اطيننا واسهبنا الكلام في هذا الفصل من كتابنا، ولكن الحق ان الاقوال هذا في المجال اكثر مما اوردناه، وما الذي ذكرناه الا نموذجاً ضئيلاً منها، وذلك مما دعت الضرورة والحاجة اليه ليرتفع بذلك الستار المسدول عن واقع الصحيحين ومقامهما واهميتهما عند اهل السنة سوا في الماضي والحاضر، بل ترى اهميتهما اليوم قد ازدادت وتصاعدت اكثر حتى اصبح المنتقد للصحيحين والباحث فيهما ولو بالاسلوب العلمي، او ان الذي اراد ان يناقش صحة الاحاديث الواردة فيهما يواجه ردا صارماً، وتأتيه الضربة الحديدية القاضية.

وما استنكارهم هذا ودفاعهم في تقديس الصحيحين الا سدا لابواب التحقيق على المحققين الباحثين في الصحيحين كيلا يتجرأ احد على ان يكشف الحقائق.

عندما تتجلى الحقيقة:

لو دقق الباحث في كل ما قاله ناثر المدح والاطراء على الصحيحين، ولو استمع المر الى ما نقله علماء العامة من الكرامات والاحلام حول البخاري ومسلم وكتابيهما،

ولو امعن القارئ في ما كتبه علماء العامة بشأنهما، وبشان كتابيهما لتجلت له شخصية البخاري ومسلم وعلو مرتبتهما بحيث ان لم يعد هما معصومين لا يشك ابدافي تقواهما وعدالتهما وورعهما ووثاقتهما، وكذا لا يرتاب ابداء في صحة كتابيهما، وكذلك تتجسد لديه حقيقة مقولة بعض العلماء في الصحيحين من انه ما تحت اديم الارض كتاب اصح منهما، وان الرسول (ص) قد نسب كتاب البخاري الى نفسه واعتبره كتابه، وهكذا تتجسد له هذه الامور جلية بحيث لا يمكن نقضها وتغييرها والخذشة فيها.

ولكن بمجرد دراسة مختصرة وتفحص اجمالي فيهما تتجلى الحقائق التي تكمن خلف استار الوهم والخيال، وينكشف للباحث ان في مقابل تلك الفضائل والكرامات المنقولة في شان البخاري ومسلم والغلو الذي طالما حوصر بين الخيال والوهم هناك علماء من اهل السنة انفسهم قد نظروا الى الصحيحين نظرة المحقق الباحثة فوضعوا ما احتواه الصحيحان على طاولة التشريح ووازنوهما بالمعيار الواقعي وخرجوا بعد ذلك بالنتيجة التالية: ان بعض احاديث الصحيحين من جهة الاسناد وبعضها الاخر من جهة النص والمتمن مرفوضة ومخالفة للاصول العلمية والدينية.

وهناك اخرون ايضا من علمائهم ازاحوا حجب العصبية عن بصائرهم ونظروا الى شخصية البخاري ومسلم بمنظار الواقعية واصبحت نظرتهن تماما على عكس الفئة الاولى المغالين الذين رووا ان رسول الله (ص) بلغ سلامه الى البخاري. وهذا ما تكشفه هذه الصفحات التالية لذوي العقول والابصار من بيان الحقيقة عن ماهية الصحيحين ومؤلفيهما، وتوضح الصورة الواقعية لهما ومؤلفيهما. وليعلم القارئ الكريم باننا نحن الشيعة لم نكن سباقين الى فتح باب الانتقاد على الصحيحين ومؤلفيهما وتنفيذ رواياتهما، بل ان علماء العامة انفسهم لهم سبق وانهم تعرضوا لنقدهما وبينوا الحقيقة بصراحة، وفتحوا باب نقد الصحيحين على مصراعيه. ومن هؤلاء الناقدين جمع من العلماء والمحدثين والحفاظ وشرح الصحيحين الذين تعتمد العامة اقوالهم وتعترف بعلو مقامهم العلمي عندما ابدوا نظرياتهم العلمية

والتحقيقية.

ونستطرد هنا طرفا من آرا ونظريات اولئك العلماء والحفاظ:

راي الذهلي في الصحيحين:

قال ابن خلكان: محمد بن يحيى المعروف بالذهلي من اكابر العلماء والحفاظ واشهرهم، وهو استاذ وشيخ البخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه(1).
قال احمد بن حنبل لابنه واصحابه: اذهبوا الى ابي عبدالله الذهلي واكتبوا عنه(2).
وقال الخطيب البغدادي: كان يرى الذهلي واكثر المتكلمين في كلام الله انه قديم، وقد قالوا بكفر وارتداد مخالفينهم الذين يرون بان كلام الله حديث.

وقالوا: ومن زعم ان القرآن مخلوق فقد كفر، وخرج عن الايمان، وبانت عنه امراته، يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه، وجعل ماله فيئا بين المسلمين، ولم يدفن في قبور المسلمين، ومن وقف وقال:
لا اقول مخلوق او غير مخلوق فقد ضاهى الكفر، ومن زعم ان لفظ القرآن مخلوق فهذا مبتدع لا يجالس ولا يكلم.
واضاف الخطيب قائلا:

1- وفيات الاعيان لابن خلكان 4: 282 ترجمة الذهلي.
قال الكلاباذي الاصبهاني في كتابه الجمع بين رجال الصحيحين في ترجمة الذهلي: روى عنه البخاري في الصوم والطب والجنائز والعنق وغير موضع في ما يقرب من ثلاثين موضعا ولم يقل:
حدثنا محمد بن يحيى الذهلي - مصرحا - بل يقول: حدثنا محمد، ولايزيد عليه، ويقول محمد بن عبدالله - ينسبه الى جده - وقال: حدثنا محمد بن خالد، ينسبه الى جد ابيه، والسبب في ذلك ان البخاري لما دخل نيسابور شغب عليه محمد بن يحيى الذهلي في مسألة خلق اللفظ وكان قد سمع منه فلم يترك الرواية عنه ولم يصرح باسمه راجع الجمع بين رجال الصحيحين 2: 465 ترجمة رقم 1787.
2- تاريخ بغداد 3: 416.

وكان البخاري خلافا لاكثر متكلمي عصره يقول بان لفظ القرآن مخلوق، ولماورد مدينة نيسابور افتى الذهلي الذي تقلد منصب الافتا والامامة بنيسابور قائلا: ومن ذهب بعد مجلسنا هذا الى محمد بن اسماعيل البخاري فاتهموه فانه لا يحضر مجلسه الا من كان على مثل مذهبه(1).

وكان البخاري في نظر الذهلي واكثر علماء نيسابور في ذلك العصر مطروداومضلا منحرفا في العقيدة، ووصل الانزجار والنفور منه الى حد لم يمكنه البقا في نيسابور فرحل عنها، وقال بعض:

انهم ابعده عن نيسابور، وتفرق عنه كل تلامذته واصحابه عدا مسلم واحمد بن مسلمة وفروا منه كفرارهم من النار كيلا يمسه لهيب الانزجار العام وغضب الناس كما اصاب البخاري.

ذكر اصحاب التراجم هذه القصة على انها من اسوا المصائب والالام التي حلت بالبخاري.

ويمكن ان نستنتج من هذه الواقعة التاريخية، ان صحيح البخاري وكذلك صحيح صاحبه الاوحد مسلم بن حجاج النيسابوري قد وقعا معرض النقد والابرار والذم مالا يوصف من قبل العلماء والحفاظ مثل الذهلي وان هذين الكتابين اللذين عرفا واشتهرا اليوم باسم الصحيحين ويعدان مرجعا للتعاليم الدينية عند اهل السنة، قدكان مؤلفاهما

1- ذهب احمد بن حنبل الى تكفير من يقول بخلق القرآن فقال: والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، فمن زعم ان القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم ان القرآن كلام الله ووقف ولم يقل مخلوق ولا غير مخلوق فهو اخبث من الاول، ومن زعم ان تلفطنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوق والقرآن كلام الله فهو جهمي، ومن لم يكفر هؤلاء القوم والقائلين بخلق القرآن وكلام الله فهو مثلهم كافر.
وقال ايضا: من قال: القرآن مخلوق، فهو عندنا كافر، ولا يصلى خلفه ولو تمعنت - ايها القارئ - في هذه الفتاوى الصريحة الواضحة التي مرت عليك أنفا وعرفت السبب في مواجهة البخاري للمحن والمشاكل فيمكنك عندئذ ان تشكل القضية المنطقية من الصغرى والكبرى ومن ثم تحصل على النتيجة فتامل فيها جيدا راجع كتاب السنة لاحمد بن حنبل: 3 53المعرب.

آنذاك محل انزجار واتهام المسلمين اياهما بالكفر والزندقة.

قال الخطيب البغدادي: قال محمد بن يحيى: كتب الينا من بغداد ان محمد بن اسماعيل يقول: بان لفظ القرآن ليس قديم، وقد استتبهنا في هذه ولم ينته: فلايحق لاحد ان يحضر مجلسه بعد مجلسنا هذا(1).

مسلم يرفض:

لم يذهب الذهلي بفساد عقيدة البخاري فحسب، بل كان يرى انحراف صاحبه مسلم بن حجاج صاحب الصحيح عن العقيدة السليمة، ولذا طرده عن مجلسه وحرم على الناس حضور مجلسه(2).

قال ابن خلكان: كان مسلم على اثر اعتقاده هذا مرفوضا ومنفورا في الحجازوالعراق(3).
يظهر من هاتين القصتين ان البخاري ومسلم كانا محل رفض وطرد من قبل اهل نيسابور وعلماء بغداد واهلها لاعتقادهما في القرآن بانه مخلوق، وكان هذا سببا لطردهما من نيسابور.

موقف ابي زرعة من الصحيحين:

يعد ابو زرعة من حفاظ الحديث وعلم من اعلام علم الرجال والعلوم الاخرى، قال الفاضل النووي فيه: انتهى الحفظ حفظ الحديث الى اربعة من اهل خراسان: ابوزرعة و(4).

- 1- تاريخ بغداد 2: 31، ارشاد الساري 1: 38، هدى الساري مقدمة فتح الباري: 491، استقصا الافحام: 978.
- 2- دائرة معارف القرن العشرين 5: 292 مادة سلم، تذكرة الحفاظ 2: 589 ترجمة مسلم بن الحجاج رقم 613.
- 3- وفيات الاعيان 2: 281.
- 4- تهذيب الاسما واللغات 1: 68.

كان ابو زرعة بمكانته العلمية هذه ينتقد مسلم ونظائره واعتبرهم متظاهرين بالحديث ومتاجرين به، وكان يقول بان بعض احاديث صحيح مسلم ليس بصحيح.

وقال الخطيب عن سعيد بن عمرو قال: شهدت ابا زرعة الرازي ذكر كتاب الصحيح الذي الفه مسلم بن الحجاج ثم المصوغ على مثاله صحيح البخاري، فقال لي ابو زرعة: هؤلاء قوم ارادوا التقدم قبل اوانه فعملوا شيئاً يتشوفون به، الفوا كتابا لم يسبقوا اليه ليقيموا لانفسهم رئاسة قبل وقتها واتاه ذات يوم . وانا شاهد رجل بكتاب الصحيح من رواية مسلم فجعل ينظر فيه فاذا حديث عن اسباط بن نصر، فقال ابوزرعة: ما ابعد هذا من الصحيح يدخل في كتابه اسباط بن نصر، ثم راى في كتابه قطن بن نصير فقال لي: وهذا اطم من الاول(1).

وذكر الذهبي قصة ابي زرعة ولكنه اتى بكلمة يتسوقون يتاجرون بدلا عن كلمة يتشوفون يتظاهرون(2) ..

موقف النووي من الصحيحين:

الفاضل النووي شارح الصحيحين البخاري ومسلم، له صيت في علم الرجال، ولف كتبا متعددة في علم الحديث والرجال، وتعد كتبه مرجعا، تراه يشك ويتردد في صحة بعض احاديث الصحيحين، وحيانا يبدي رايه بالصرحة ببطلان بعضها.

فقد قال في مقدمة شرحه على صحيح مسلم: واما قول مسلم وادعاؤه في صحيحه بان ليس كل شي صحيح عندي وضعته فيه فحسب، بل جمعت في كتابي الصحيح كل ما انفق الجمهور على صحته فمشكل فقد وضع فيه احاديث كثيرة مختلف في صحتها لكونها من حديث من ذكرناه ومن لم نذكره ممن اختلفوا في صحة حديثه(3).

1- تاريخ بغداد 4: 273.

2- ميزان الاعتدال 1: 126، ترجمة احمد بن عيسى المصري التستري رقم 507.

وفي ذيل شرحه لحديث ابي سلمة في باب بد الوحي، بان اول سورة نزلت على رسول الله (ص) هي سورة المدثر (يا ايها المدثر) قال النووي: انه ضعيف، بل باطل، والصواب ان اول ما انزل على الاطلاق (اقرا باسم ربك)(1).

موقف ابن حجر من الصحيحين:

قال ابن حجر: وعدة ما اجتمع الناس . على قدحه من الاحاديث مما في كتاب البخاري وان شاركه مسلم في بعضه مائة وعشرة حديثا منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا(2).

وقال في مقدمة فتح الباري: فقد تناول جماعة من المحدثين وعلماء الرجال اكثر من ثلاثمائة من رجال البخاري فضعفوه، وأشار . بعد سرد اسمائهم الى حكاية الطعن والتنقيب عن سبب ضعفهم(3).

راي القاضي الباقلاني:

انكر القاضي ابو بكر الباقلاني صحة حديث صلاة النبي (ص) على جنازة عبدالله بن ابي، واعتراض عمر عليه (ص) . الحديث الذي رواه الصحيحان . وقال امام الحرمين: لا يصححه اي الحديث المذكور اهل الحديث . وقال الغزالي في المستصفى: الاظهر ان هذا الخبر غير صحيح . وقال الداودي: هذا الحديث غير محفوظ(4).

راي ابن همام:

قال كمال الدين بن همام في شرح الهداية: وقول من قال: اصح الاحاديث ما في

- 1- شرح صحيح مسلم للنووي 2: 207.
- 2- هدى الساري مقدمة فتح الباري: 345.
- 3- هدى الساري مقدمة فتح الباري: 382.
- 4- فتح الباري 8: 272 تفسير سورة براءة.

الصحيحين ثم ما انفرد به البخاري ثم ما انفرد به مسلم، ثم ما اشتمل على شرط أحدهما تحكماً وباطل لا يجوز التقليد فيه(1).

هذا الذي ذكرناه هو مجمل ما قاله شراح الصحيحين والسلف من العلماء حول الصحيحين ومؤلفيهما، ولو أردنا أن نستقصي كل ما قيل من النقد والقدح فيهما لاحتجنا في ذلك إلى كتاب مستقل وكبير. ونفت أنظار القراء إلى رأيين من علماء مصر المعاصرين:

رأي الشيخ محمد عبده:

يعد السيد محمد رشيد رضا المصري من أبرز تلاميذ الشيخ محمد عبده، فقد جمع السيد رشيد رضا نظريات وآراء استأذنه في كتابه تفسير المنار، فإنه بعد أن ذكر قول ابن حجر الذي قال: عدة ما اجتمع لنا من ذلك الانتقادات والمؤاخذات مما في كتاب البخاري وأن شاركه مسلم في بعضه مائة وعشرة أحاديث فيها ما وافقه مسلم على تخريجه اثنان وثلاثون حديثاً ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثاً.

وقد ضعف الحفاظ من رجال البخاري نحو ثمانين ومن رجال مسلم مائة وستين. ثم يقول ابن حجر: عدة ما أخرجته من نحو مائتين وعشرة أحاديث انفرد البخاري بأكثر من سبعين حديثاً، وذكر مسلم ما تبقى في صحيحه(2).

فقال السيد محمد رشيد رضا بعد أن عرض الأحاديث المنتقدة على البخاري: وإذا قرأت ما قاله الحافظ ابن حجر فيها رأيتها كلها في فن الصناعة، ولكنك إذا قرأت الشرح نفسه «فتح الباري» رأيت له في أحاديث كثيرة إشكالات في معانيها أو تعارضها مع غيرها أكثر مما صرح به الحافظ نفسه مع محاولة من الحافظ الجمع بين

1- أضوا على السنة المحمدية: 312.
2- هدى الساري مقدمة فتح الباري: 345.

المختلفات وحل المشكلات بما يرضيك بعضه دون بعض(1). وقال الشيخ محمد عبده بعد أن ساق أقوال العلماء والحفاظ في مسألة الصلاة على جنازة ابن أبي: الحق أن هذا الحديث معارض للآيتين، فالذين يعنون بأصول الدين ودلائله

القطعية اكثر من الروايات والدلائل الظنية لم يجدوا ما يجيبون به عن هذا التعارض الا الحكم بعدم صحة الحديث(2).

راي احمد امين:

قال احمد امين الاديب المصري بشأن الصحيحين: وقد ضعف الحفاظ من رجال البخاري نحو ثمانين.

وفي الواقع هذه مشكلة المشاكل . لان بعض من ضعف من الرواة لاشك انه كذاب، فلا يمكن الاعتماد على قوله، والبعض الاخر منهم مجهول الحال، ومن هذا فيشكل الاخذ عنه ومن هؤلاء الاشخاص الذين روى عنهم البخاري وهم غير معلومي الحال عكرمة مولى ابن عباس وقد ملا الدنيا حديثا وتفسيرا، فقد رماه بعضهم بالكذب، وبانه يرى رأي الخوارج، وبانه كان يقبل جوائز الامراء، ورووا عن كذبه شيئا كثيرا. وبضيف الاديب احمد امين على ذلك شواهد تاريخية اخرى لاثبات كون عكرمة كذابا، ثم يقول:

فالبخاري ترجح عنده صدقه فهو يروي له في صحيحه كثيرا ومسلم ترجح عنده كذبه فلم يرو له الا حديثا واحدا في الحج ولم يعتمد فيه عليه وحده وانما ذكره تقوية لحديث آخر(3).

راي مسلمة في صحيح البخاري:

واما ما قاله مسلمة في البخاري وكتابه الصحيح: فانه يعتبر تاليف البخاري

1- اضوا على السنة المحمدية: 302.

2- تفسير المنار 10: 580.

3- ضحى الاسلام 2: 117.

للسحيح عملا خلافا وسيئا وحسب المصطلح ان البخاري قد ارتكب سرقة علمية، وهذا مما يحط من شخصيته العلمية والخلقية، ويسقط قيمته والاعتبار بكتابه ويضعهما في موضع بين القبول والرد.

يقول مسلمة:

الف علي بن المديني شيخ البخاري كتاب العلل وكان ضنينا به، ومهتما به كل الاهتمام لكي لا تتاله الايدي، فغاب يوما في بعض ضياعه خارج المدينة فجاء البخاري منتهزا

الفرصة الى بعض بنيه وراغبه بالمال على ان يرى الكتاب العلل يوما واحدا فاعطاه له، فدفعه البخاري الى النساخ، فكتبه له، وردده اليه، فلما حضر علي بن المديني وجلس في مجلسه تكلم بشي، فاجابه البخاري بنص كلامه مرارا ففهم القضية استنساخ الكتاب واعتم لذلك فلم يزل مغموما حتى مات بعد يسير واستغنى البخاري بذلك الكتاب عن البحث والتتقيب في الاحاديث، وخرج الى خراسان، ووضع كتابه الصحيح، فعظم بذلك شأنه وعلا ذكره(1).

راينا في الصحيحين:

هذا الذي ذكرناه كان ملخص ما ابداه بعض علماء اهل السنة حول الصحيحين ونقدم اياهما من حيث السند حيننا وحيننا من حيث المتن، واخر من جهتهما معا. واما ما نراه ونذهب اليه حول الصحيحين ومحتوياتهما فهو مطابق لرأي هذه الفئة الاخيرة من علماء اهل السنة، وانا واياهم منفقون في العقيدة بالنسبة الى هذا الموضوع، ولكن نرى ان في محتويات الصحيحين وكذا ضمن الاحاديث الصحيحة التي نقلها في شتى الابواب ان الاحاديث الغير صحيحة والضعيفة يبلغ عددها فوق ماعده ابن حجر كما نقل عنه الحفاظ حيث قال: انها لا تتجاوز المائة وعشرة احاديث، ضعيفة من جهة المتن.

1- تهذيب التهذيب 9: 54.

- ونرى ايضا ان في اسناد الصحيحين ورجالهما اشخاصا ضعافا وغير موثقين اكثر مما نقل ابن حجر عن الحفاظ وعلمنا فن الرجال من ان ضعفا رواتهما يبلغ الثلاثمائة شخص. ويؤيد راينا في ضعف احاديث الصحيحين متنا وسندا الادلة التالية:
- 1 . ضعف بعض رجال الصحيحين، وانهم غير موثقين، في علم الرجال.
 - 2 . العصبية الشديدة التي تحلى بها مؤلفا الكتابين.
 - 3 . الفترة الزمنية الطويلة الممتدة بين زمن صدور الحديث وتاريخ تدوينه، مع النظر الى دواعي واسباب الجعل والوضع.
 - 4 . تقطيع بعض الاحاديث عند البخاري تمشيا لذوقه ورايه.
 - 5 . النقل بالمعنى، كما يلاحظ في صحيح البخاري.
 - 6 . تتميم وتكميل صحيح البخاري بوسيلة الاخرين.

7 . ملاحظة كثرة الاحاديث المخالفة للدلة العقلية والدينية فيهما .
هذه ملاحظتنا على الصحيحين وهي تؤيد ضعفهما وتوضح وهن احاديثهما، ولا يمكن
لاي محقق وبحائة الاغماض عن هذه الموارد وسنشرحها بالتفصيل ان شاء الله في
الصفحات الاتية.

الفصل الرابع

أدلة

ضعف الصحيحين وسقمهما

الدليل الاول: ضعف السند

اول المؤاخذات على ضعف احاديث الصحيحين والسبب في عدم الوثوق بهما هو ضعف اسناد ورواة بعض احاديثهما.

ولما كان البحث في السند ذو علاقة وثيقة بموضوع كتابنا، ويعد من البحوث المهمة والرئيسية في علمي الرواية والدراية، وانه افضل واهم ملاك ومعيار في بيان صحة الحديث وعدمه، لزم علينا ان نستوفي البحث فيه بتفصيل اكثر وتبيين اوفر، مع المراعاة لحجم الكتاب، ورعاية الايجاز، وان نخصص صفحات قليلة من الكتاب للبحث في هذا الموضوع.

علم الرجال ودراية الحديث:

من الضروري قبل توثيق اي خبر او الحكم بصحته وترتيب الاثر عليه، الالتفات الى شخصية الراوي والناقل وتقييمه من حيث تحليه بصفات الراوي مثل عدم كونه كذابا ومحرفا

ومدلسا، ومدى التزامه الديني وتعهد العقائدي ومرتبته الايمانية والتقوائية، لان الراوي اذا كان مؤمنا ومتعهدا يكون مصونا من الولوج في التدليس والتحريف وارتكاب الكذب. وهذا الامر من البديهيات التي تتقبلها الفطرة الانسانية والغريزة البشرية، وهما دلت عليه القرائن والشواهد حيث ان البشرية باجمعها في كل العصور والدهور تتلقى الخبر من اي شخص كان تشهد على صحته القرائن والشواهد، وهذا الامر جار عندهم في كل الامور خاصة في الاخبار التي تمت الى القضايا السياسية والتي تتعلق بشؤون الانظمة حيث التحريف والتزوير فيها اكثر من سائر الامور. واما لو ان احدا سلك في هذه المجالات مسلك السذج من الاشخاص، ونظرالى

كل قائل ومقولة بعين الرضا وتقبلها من دون دليل وسند معتد به لا شك ان مصيره لا يؤول الا الى التحير والاضطراب والاعتماد على الاخبار الواهية التي لا اصل ولا اساس لها سوى الوهم والخيال والركون الى بيت العنكبوت الواهن. وقد حذر القرآن الكريم المسلمين من الاعتماد على قول قائل او خبر ناقل لا يتحلى بصفة الايمان والعدالة وحذرهم ايضا عواقب هذه الوثاق الساذجة الخطيرة، وامرهم بالفحص والتبين في اخبارهم فقال عزوجل: (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)(1). وهذا الامر بالثبوت والتبين في الاخبار والذي يرتكز على الفطرة الانسانية والتعاليم الاسلامية كان سببا في تاسيس علمي الرجال والدراية وتاريخ نشاتهما مواز لتاريخ نشأة علم الحديث حيث ان الاول علم الرجال يتكفل الفحص عن احوال رواة الحديث ودراستها، والثاني علم دراية الحديث يتصدى لدراسة الشروط التي يجب تحققها في الرواة وشرائط متن الحديث.

وبرز في هذين العلمين محققون وعلماء بارعون من الشيعة والسنة وتخصصوا فيها والفوا كتباً قيمة.

وقد ذكر علماء دراية الحديث شروطا خاصة يجب توفرها في الرواة، مما يكشف عن اهمية الموضوع الذي نتطرق اليه صفة الايمان في راوي الحديث ولذلك تراهم يعدون المتهم بالنسيان وضعف الذاكرة من المردودين والضعفا ولم يقبلوا حديثه وروايته وان توفرت فيه صفتا العدالة والوثاق.

الايمان شرط قبول الحديث:

كما ذكرنا آنفا ان احد الشروط الرئيسية في قبول الحديث والاعتماد عليه هو توفر شرط الايمان في روايه والاطمئنان من عدم كذبه وانحرافه.

1- الحجرات: 7.

الصفحة
97

بينما نجد وبالاستناد الى الادلة القطعية ان بعض رواة احاديث الصحيحين لم يكونوا مستقيمي الايمان، وقد ثبت بالبراهين التاريخية، والشواهد القويمة التي لا ريب فيها انحرافهم وعدم وثاقتهم.

وان بعض رواتهما كانوا مشهورين بالعدا لعلی (ع) وهذا الامر هو من ابرز صفاتهم، واضف الى ذلك انهم كانوا من وضاعي الحديث الذين كذبوا على رسول الله (ص).

تناقض هذه الصفات مع الايمان:

ومن الواضح انه لو كانت واحدة من هذه الصفات المذكورة موجودة في شخص ما لاسقطته من الاعتماد عليه، ولم تكن لخبره اية قيمة واعتبار، لان هذه الصفات لن تجتمع ابدا مع الايمان الصحيح في قلب المؤمن وحسب ما نراه ان عدم اجتماع وضع الحديث والكذب مع الايمان من اوضح الواضحات، وكذا عدم الوثوق بقول من يتصف بهذه الصفات امر فطري وحسي لذلك لا نرى انفسنا ملزمين بارادة دليل على هذا، ونكتفي اولا بذكر بعض الاحاديث التي تشير الى التناقض الموجود بين الايمان وعداوة الامام على (ع)، وثم نتطرق الى دراسة بعض رواة الصحيحين:

1. قال رسول الله (ص): آية الايمان حب الانتصار، وآية النفاق بغض الانتصار(1).
2. وقال (ص): سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر(2).
3. وقال امير المؤمنين (ع): والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي (ص) الي: ان لا يحبني الا مؤمن، ولا يبغضني الا منافق(3).

1- صحيح البخاري 1: 11 كتاب الايمان باب علامة الايمان حب الانتصار.
2- صحيح مسلم 1: 81 كتاب الايمان باب « 28 » باب بيان قول النبي (ص): سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ح64، سنن النسائي 7: 121 122 باب قتال المسلم وفيه 12 حديث.
3- صحيح مسلم 1: 86 كتاب الايمان باب « 35 » باب الدليل على حب الانتصار وعلي (ع) من الايمان وعلاماته ح78.

تقييم ايمان بعض رواة الصحيحين:

لو امعنا النظر في مضامين هذه الاحاديث التي نقلناها عن الصحيحين، وانتبهنا الى المسائل التي ذكرناها حول الايمان والاعتقاد واهمية الصدق والوثاقة في الراوي لتمكن المطالع الحر ان يقيم رواية احاديث الصحيحين وخاصة اولئك الذين سوف نتطرق الى ذكرهم، ومن ثم يحكم بصحة بعض ما رواه البخاري ومسلم من الاحاديث او عدم صحته. وقد عرفنا ولاحظنا انفا ان محبة الانصار والامام علي (ع) تعد معيارا وميزانا للايمان، وعداوتهم وبغضهم علامة النفاق، وكذا عرفنا من مضامين تلك الاحاديث ان محاربة المسلم ومقاتلته كفر والحاد وخروج عن دائرة الايمان وقد قال بعض المحققين الرجاليين: ان بعض رواة الصحيحين لم يكن في عداد الذين ثبت الايمان في قلوبهم، وكذا قال المؤرخون ان بين رواة احاديثهما كذابين وممن لا يوثق به.

وكذلك نرى ان عدد من اشتهر بعبادة الامام علي (ع) من بين رواة صحيح البخاري ومسلم ليس بقليل.

وحتى ان ابن حجر الذي عرف بالتساهل والاعماض عن كشف الحقيقة عما هو موجود في بعض اسناد احاديث البخاري ومتونها، لم يسعه احيانا الا ان يزيل حجب العصبية والتعنت عن نفسه ويكشف عن بعض الحقائق، فلذا تراه عندما ياتي بذكراسما الرواة الذين ضعفهم وجرحهم السلف من العلماء يقول: بانهم كانوا من النواصب واعدا الامام علي (ع)(1).

وبهذا الصدد قال شيخ المعتزلة ابو جعفر الاسكافي: ان معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي (ع) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً في مثله فاختلفوا ما ارضاه، منهم ابو هريرة

1- هدى الساري مقدمة فتح الباري: 460.

وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير(1).

وبلاحظ القارئ المنصف ان هؤلاء الذين عددهم الاسكافي اعضا في مؤسسة معاوية لوضع الحديث كانوا ممن روى عنهم البخاري ومسلم احاديث كثيرة. وقد اشرنا فيما مر الى اقوال بعض العلماء، مثل: ابن حجر، ابي زرعة، النووي، واحمد امين، وغيرهم ممن قدح في رجال الصحيحين وانتقدتهما (2)، ولا نرى لزاما ان نكرر ما سبق ذكره او نشير الى بقية الاقوال الدالة على ضعف بعض رجال الصحيحين ونستدل بها على ذلك.

للاستشهاد على ما ذكرناه، نشير الى ترجمة بعضهم معتمدين فقط على الناحية الايمانية، لعل يكون هذا بابا ومعيارا لمعرفة آخرين غيرهم من الرواة.

1. ابو هريرة: اخرج الصحيحان عنه احاديث كثيرة وهائلة، وقد ضبط الجهابذة من الحفاظ احاديثه فكانت خمسة الاف وثلاثمائة واربعة وسبعين (5374) مسندا، وله في البخاري فقط اربعمائة وستة واربعين (446) حديثا(3).

وابو هريرة هو ممن اشتهر بكثرة رواية الحديث عن رسول الله (ص) بل حاز المرتبة الاولى في ذلك، وتظهر لك كثافة ما رواه اذا قيس بالاحاديث التي رويت عن الخلفاء الراشدين في الكتب ومسانيد اهل السنة، والتي بلغ مجموعها الفا واربعمائة واحد عشرة (1411) حديثا وهذه النسبة هي اقل من سبعة وعشرين في المائة (27%) من مجموع الاحاديث التي رويت عن ابي هريرة.

فهو ينحدر من اصل يمني، هاجر الى المدينة بعد فتح خيبر السنة السابعة من الهجرة فظهر اسلامه بها، وقد صرح هو بنفسه ان مصاحبته للنبي (ص) لم تتجاوز ثلاث

1- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 4: 63.

2- راجع ص 74 - 82.

3- هدى الساري: 477.

سنوات(1).

كان ابو هريرة من اعوان معاوية واصحابه ومن اعضا مؤسسته لوضع الحديث، وهو من جملة اولئك الذين رووا المطاعن في الامام على (ع) واهل بيته (ع)، وحكوا الفضائل والمناقب لمعاوية والخلفاء الثلاثة(2).

وكان ابو هريرة من الذين اتهموا في زمانه بالكذب واكثر الحديث، ولكنه كان يتدارك التهم ويبيرئ نفسه منها في كل فرصة تسنح له(3).

كيس ابي هريرة: حينما كان يعلم ابو هريرة بان كذبه قد كشف وفشا كان يتدارك الموقف ضمن اعترافه بالكذب ويسد باب النقد والاعتراض امام الاخرين، ويخرج نفسه من ورطة الاتهامات والاستنكارات.

اخرج البخاري في صحيحه حديثا عن ابي هريرة، جاء في آخره ما يلفت النظر، وذلك لما سئل ابو هريرة: هل سمعت هذا من رسول الله (ص)؟ قال: لا، هذا من كيس ابي هريرة.

واصل الحديث هو ان ابا هريرة نقل خبرا عن رسول الله (ص) فتعجب السامعون واندشوا مما جاء في آخر حديثه، فسالوه: هل سمعت هذا من رسول الله (ص) يا ابا هريرة؟ فتحير ابو هريرة، وكشف ما كان يبطنه من الحقيقة التي كان يستند اليها دائما، ولذلك قال في جوابهم: لا، هذا من كيس ابي هريرة(4).

وقد كتب في تاريخ حياة ابي هريرة وترجمته وتعريف شخصيته الدينية

1- صحيح البخاري 4 : 238 باب علامة النبوة في الاسلام، الاصابة في معرفة الصحابة 7 : 355 باب الكنى ترجمة ابي هريرة رقم 10680، الطبقات الكبرى لابن سعد 4 : 327 ترجمة ابي هريرة.

2- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 4 : 43.

3- صحيح البخاري 3 : 68 كتاب البيوع باب ما جا في قول الله تعالى: (فاذا قضيت الصلاة)، مسند احمد بن حنبل 2 : 228 باب مسانيد ابي هريرة.

4- صحيح البخاري 7 : 81 كتاب النفقات باب وجوب النفقة على الاهل والعيال.

والاجتماعية وعضويته في مؤسسة معاوية لوضع الحديث كتب متعددة وقيمة(1).

2 . ابو موسى الاشعري: هو احد رجال الصحيحين وقد ذكر له حفاظ اهل السنة

واصحاب التراجم . حسب ما تقتضيه عادتهم . الكثير من المناقب والفضائل(2).

ونقل البخاري عنه في صحيحه سبعة وخمسين (57) حديثا(3).

وكان ابو موسى الاشعري من الد مبغضي الامام على (ع) واكثرهم عدا، وهوراس الفئة

التي اشعلت نيران الفتن التي قصمت شوكة الاسلام، وكان امير المؤمنين علي (ع) يلعنه

في صلاته(4).

وقال ابن قتيبة: ان امير المؤمنين على (ع) لما نزل قريبا من الكوفة، بعث

- 1- نحو: ابو هريرة شيخ المضيرة للمرحوم الشيخ ابورية الفقيد المصري، وابو هريرة تاليف العلامة السيد شرف الدين العاملي.
- 2- تذكرة الحفاظ 1: 23 24، صحيح مسلم 4: 1943 كتاب الفضائل فضائل الصحابة باب «38» من فضائل ابي موسى وابي عامر الاشعريين وباب «39» باب من فضائل الاشعريين.
- 3- هدى الساري: 476.
- 4- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 4: 79.

عمار بن ياسر ومحمد بن ابي بكر الى ابي موسى الاشعري، وكان ابو موسى عاملا لعثمان على الكوفة، فبعثهما علي (ع) اليه والى اهل الكوفة يستنقزهم، فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن ابي بكر فدعوا الناس الى النصرة لعلي (ع)، فلما امسوا دخل رجال من اهل الكوفة على ابي موسى، فقالوا: ما ترى، انخرج مع هذين الرجلين الى صاحبهما؟ فقال ابو موسى: اما سبيل الاخرة ففي ان تلتزموا بيوتكم، واما سبيل الدنيا فالخروج مع من اتاكم، فاطاعوه، فتباطا الناس على علي (ع).

فقد كان لكلام ابي موسى الاشعري صاحب المنزلة والمقام في الكوفة من الاثرالسي ما ثبط عزيمة شيوخ القبائل الكوفية وشخصياتها عن نصرته الامام علي (ع).

وذكر ابن قتيبة بعد هذا الكلام الحديث الذي دار بين ابي موسى من جهة وبين عمار بن ياسر ومحمد بن ابي بكر من جهة اخرى، ثم ذكر خطبة ابي موسى الاشعري على منبر الكوفة التي عرف بها نفاقه وتزلزله في معرفة الحق، وتمييزه الحق من الباطل وفساد عقيدته وانحرافه عن الامام علي (ع) وكلامه هذا ان دل على شي فانما يدل على خمول ابي موسى الفكري بحيث لا يمكنه التمييز بين الحق والباطل، وانه من جملة اولئك الذين قال الله في وصفهم: (جحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما)(1).

فكانت خطبته في مخالفة الامام علي (ع) وتثبيطه الناس عن القتال الى جانب علي (ع) بمثابة زرع بذور النفاق بين شيوخ القبائل ورؤسا الكوفة وشخصياتها والتي اينعت ثمارها في ما بعد في حرب صفين وغيرها.

وكان ابو موسى معتقدا باولوية عبدالله بن عمر وافضليته للخلافة ولم يكن يعدل به احدا، وانه هو الذي خلع الامام علي (ع) عن الخلافة يوم التحكيم(2).

3. عمرو بن العاص بن وائل: هو احد رجال الصحيحين، وعداؤه للامام علي (ع) ليس بخفي على احد ممن له ادنى معرفة بالتاريخ وقضاياها.

ومما يشهد على هذا العدا الدفين، صفحات حياة عمرو بن العاص المليئة بالخزي والعار، ومشاركته في المؤسسة الاموية مع الشرذمة التي نصبها معاوية لجعل الحديث، واشتراكه في واقعة صفين الى جانب معاوية، هذه الحروب والوقائع الدامية التي تلت صفين كلها كانت من خطئه . التي رسمها . واحتياله المعروف، مثل قضية التحكيم ورفع المصاحف على الرماح في صفين التي آلت فيما بعد ذلك الى الجريمة العظمى التي كسرت شوكة الدين وهزت اركانه وتلمت في الاسلام ثلثة ما سدها شي يعني استشهاد امير المؤمنين علي (ع).

وانه سلك في عداته لامير المؤمنين (ع) نفس المسلك الذي سلكه ابيه بالتبني

1- النمل: 14.

2- الامامة والسياسة لابن قتيبة 1: 119 120.

الصفحة

103

عاص بن وائل ذلك العدو للدود للنبي محمد (ص)، والذي انزل الله تعالى فيه سورة الكوثر ردا بشننه للنبي (ص)، وغيره القرآن بالابترية، وعمرو كذلك كان خصما لدودالعلي (ع) بحيث لم يتهاون في عداوته عن اتخاذ اي وسيلة في سبيل ذلك. ولما كان نقل مطاعنه وكتابة مثالبه التي نقلها المؤرخون واصحاب التراجم وعلماء الرجال بحاجة الى كتاب مستقل (1)، وهو مما يؤدي الى الاطالة والخروج عن نطاق هذا الكتاب، اكتفينا بذكر كلام للامام علي (ع) بشأن عمرو حتى يتجلى لنا كذبه واقتراه وبهتانه على امير المؤمنين الامام علي (ع) وهذا الكلام العلوي يبدو وكأنه لافتة تكشف لنا شخصية ابن العاص الدينية ودرجة اعتقاده ويبين مدى اهمية احاديثه التي اخرجها له الصحيحان وسماها بالصحيح.

قال امير المؤمنين الامام علي (ع): عجا لابن النابغة ام عمرو كانت معروفة في

الجاهلية انها ذات راية حمرا يزعم لاهل الشام ان في دعابة واني امر تلعبه اعافس وامارس، لقد قال باطلا ونطق آثما، اما وشر القول الكذب، وانه ليقول فيكذب، ويعدفيخلف، ويسال فييخلف، ويسال فيلحف، ويخون العهد، ويقطع الال، فاذا كان عندالحرب، فاي زاجر وأمرهو ذلك كان اكبرمكيدته ان يمنح القرم سبته، اما والله اني ليمنعني من اللعب ذكر

الموت، وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الاخرة، انه لم يبايع معاوية حتى شرط ان يؤتيه آتية، ويرضخ له على ترك الدين رضىخة(2).

هذا بيان الحق عن عقيدة عمرو بن العاص واخلاقه، وهو من اولئك الذين كان الامام على (ع) يلعنهم كل صباح ومسا(3).

- 1- لقد الف المؤلف فيما سبق كتابا في تاريخ حياة عمرو بن العاص ونرجو من الله القدير ان يوفقه لطبعه.
 - 2- نهج البلاغة خطبة رقم 84، وامالي الشيخ الطوسي: 83.
 - 3- تاريخ الطبري 5: 40، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 5: 79، الاستيعاب 4: 1600 ترجمة ابي الاعور السلمي رقم 2849، وج3: 906 ترجمة عبدالله بن الزبير رقم 1535.
- <=

=>

اقول: قال ابن ابي الحديد - بعد نقله لكلام امير المؤمنين (ع) المذكور في ذم عمرو بن العاص:

وكان عمرو احد من يؤذي رسول الله (ص) بمكة ويشتمه ويضع في طريقه الحجارة، لانه كان (ص) يخرج من منزله ليلا فيطوف بالكعبة وكان عمرو يجعل له الحجارة في مسلكه ليعثر بها، وهو احد القوم الذين خرجوا الى زينب ابنة رسول الله (ص) لما خرجت مهاجرة من مكة الى المدينة فروعوها وفرعوا هودجها بكعوب الرماح حتى اجهضت جنينا ميتا من ابي العاص بن الربيع بعلمها، فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) نال منه وشق عليه مشقة شديدة ولعنهم، روى ذلك الواقدي.

وروى الواقدي ايضا وغيره من اهل الحديث ان عمرو بن العاص هجا رسول الله (ص) هجا كثيرا كان يعلمه صبيان مكة فينشدونه ويصيحون برسول الله (ص) اذا مر بهم رافعين اصواتهم بذلك الهجا، فقال رسول الله (ص) وهو يصلي بالحجر: اللهم ان عمرو بن العاص هجانى ولست بشاعر، فالعنه بعدد ما هجانى.

وذكر بعد ذلك عن الزبير بن بكار في كتاب المفارقات عن الحسن المجتبى انه قال لابن العاص:

واما انت يا ابن العاص فان امرك مشترك وضعتك امك مجهولا من عهر وسفاح فتحاكم فيك اربعة من قريش فغلب عليك جزاها الامهم حسبا واخبتهم منصبا ثم قام ابوك فقال: انا شانئ محمد الاوتر، فانزل الله فيه ما انزل - (ان شانئك هو الاوتر) - وفاتلت رسول الله (ص) في جميع المشاهد وهجوته وأذيته بمكة وكدته كيدك كله وكنت من اشد الناس له تكذيبا وعداوة ثم خرجت تريد النجاشي مع اصحاب السفينة لتاتي بجعفر واصحابه الى اهل مكة، فلما اخطاك ما رجوت، ورجعك الله خائبا، واكذبك واشيا جعلت خدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به الى النجاشي حسدا لما ارتكب من حليلته ففضحك الله وفضح صاحبك فانت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام.

ثم انك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون انك هجوت رسول الله (ص) بسبعين بيتا من الشعر فقال رسول الله (ص): اللهم اني لا اقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف الف لعنة فعليك اذا من الله ما لا يحصى من اللعن (شرح نهج البلاغة 6: 291).

اقول: لا بد ان لعن رسول الله (ص) اياه تعد زكاة له وطهورا واجرا وتقربا الى الله كما زعم مسلم واخرج احاديث مدلسة على النبي انه قال: انما انا بشر.

وروى ابن ابي الحديد ايضا ان عائشة كانت تلعن عمرو بن العاص لما كان يدعي انه قتل ذا الثدية وقالت: سمعت رسول الله يقول: يقتله خير امتي من بعدي (شرح نهج البلاغة 2: 268).

والذي قتل ذا الندية هو امير المؤمنين (ع)، فعلى هذا فعلى (ع) خير الامة جميعا بعدرسول الله (ص) باقرار عائشة.

4 . عبدالله بن الزبير بن العوام: هو الاخر من رواة الحديث عند اهل السنة، وهومن رجال الصحيحين، ونقل عنه البخاري في صحيحه عشرة احاديث، وكان من الخوارج والنواصب الالدا الذين نصبوا العدا والبغض للامام على (ع)، وقد تصدى للامامة في الصلاة في يوم الجمل رغم حضور ابيه الزبير وطلحة(1).
وتتص بعض النصوص على ان عبدالله هو الذي حرض اباه الزبير على ان يعادي عليا (ع) قال الامام على (ع): ما زال الزبير منا اهل البيت حتى شب ابنه عبدالله(2).
وقد نص بعضها الاخر على انه (ع) حينما التقى بالزبير قبل واقعة الجمل قال له: قد كنا نعدك من بني عبدالمطلب حتى بلغ ابنك ابن السؤ عبدالله ففرق بيننا وبينك(3).
وفي يوم الجمل لما انتهى جيش عائشة الى ما الحواب ومعهم عائشة نبحتها كلاب الحواب فقالت لمحمد بن طلحة: اي ما هذا؟ قال: هذا ما الحواب فقالت: ما اراني الا راجعة قال: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول لنسائه: كاني باحداكن قدنبحتها كلاب الحواب، واياك ان تكوني انت يا حميرا عائشة.
فقال لها محمد بن طلحة: تقدمي رحمك الله ودعي هذا القول اي لا تكوني مفرقة الجمع واتي عبدالله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلفتني اول الليل واتاها ببينة زور من الاعراب خمسين رجلا فشهدوا بذلك فزعموا انها اول شهادة زور شهد بها في الاسلام(4).

- 1- شرح نهج البلاغة 2: 168.
- 2- الاستيعاب 3: 906 ترجمة عبدالله بن الزبير رقم 1535، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 2: 167.
- 3- تاريخ الطبري 4: 509، الامامة والسياسة 1: 55، شرح نهج البلاغة 4: 61، الاستيعاب 3: 906 ترجمة عبدالله بن الزبير رقم 1535.
- 4- تاريخ الطبري 3: 458، الامامة والسياسة 1: 60، شرح نهج البلاغة 4: 61 62.

روى الواقدي وابن الكلبي وغيرهما من رواة السير والمؤرخين، انه قد ادى عدا ابن الزبير لعلي (ع) الى حد انه ما كان يترك فرصة الا واغتتمها حتى ينال من الامام على (ع)

ويشفي غيظه، وانه مكث ايام خلافته اربعين جمعة لم يصل فيها على الرسول الكريم (ص) حتى ان اعترض عليه بعض الناس وانتقدوه لتزكه الصلاة على محمد (ص).
فقال ابن الزبير في جوابهم: اني لا يمنعني من ذكر النبي (ص) الا انه كان له عشيرة لا اريد ان يرفعوا رؤوسهم لذكر النبي (ص) واني لا اريد ان تشمخ رجال من عشيرته (ص) بناقها(1).

5. عمران بن حطان: احد قادة الخوارج وزعمائهم واحد فقهاءهم وخطبائهم، وهو من رواة الحديث عند السنة، ومن رجال الصحيحين، وروى عنه البخاري في صحيحه.
وقد بلغ بغضه وعداوته لعلى (ع) ان يمتدح ابن ملجم في قصيدة له ويثني عليه فيها، ويعتبر قتله للامام على (ع) وسيلة تقربه الى الرضوان ودخول الجنة.
ويزعم ان الجناية العظمى التي ارتكبها ابن ملجم عندما قتل الامام علي (ع) تفوق عند الله تعالى اعمال الثقلين الجن والانس، وكفة ميزان ابن ملجم ترجح الاعمال الحسنة لكافة الناس.
وقال في قصيدته:

يا ضربة من تقى ما اراد بها
اني لاذكره حيناً فاحسبه
الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اوفى البرية عند الرحمن ميزانا(2)

1- المصادر نفسها.

2- نقلها ابن حجر في هدى الساري مقدمة فتح الباري: 432، الاصابة 5: 232 ترجمة عمران بن حطان رقم 6891، شرح نهج البلاغة 5: 93، وج 13: 24، ابن اثير في الكامل في التاريخ 3: 396، ابن عبدالبر في الاستيعاب 3: 1128 ترجمة على بن ابي طالب (ع) رقم 1855.

هذه كانت خلاصة الوجهة الدينية الحقيقية لبعض رجال الصحيحين الذين اخرج عنهم واشباههم البخاري ومسلم في صحيحيهما احاديث مختلفة، وارجو من القارئ المنصف ان يعيد مطالعة ما اوردها من ترجمة من ذكرناهم من رجال الصحيحين، ومن ثم يحكم ويبيد رايه بالنسبة الى صحة كل الاحاديث المروية في الصحيحين.

ايها القارئ الكريم بعد دراستك الصفحات السابقة من هذا الكتاب ارفع عن نفسك الملل
وحجب العصبية والتعصبات وتحريف الحقائق، حتى تتجلى لك عيانا حقيقة ادعا بعض
علماء اهل السنة، امثال:

ابو الحسن المقدسي الذي يقول: الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح البخاري ومسلم
هذا جاز القنطرة يعني لا يلتفت الى ما قيل فيه(1).

الدليل الثاني: البخاري ومسلم والطائفة الافراطية

6 و 7 البخاري ومسلم: ومما يدل على عدم الوثوق بالصححين وعدم اعتبار صحة جميع
ما ورد فيهما، هو التطرف الطائفي المفرط والتعصب الشديد لدى مؤلفيهما وتعنتهما تجاه
الحق، وكان هذا التطرف قد اعترى البخاري اشد واكثر من مسلم.
فكما ان الحب المفرط والبغض الافراطي يعرقل مسيرة الانسان في كشف الحقائق،
ويعمي العين عن مشاهدة الحقيقة ويصم الاذان عن سماعها، ومثلما قيل: حبك للشئ يعمي
ويصم فكذلك العصبية والتطرف الطائفي تمنعان الانسان عن درك الحقيقة واطهار الحق،
وتسوقانه الى التعتيم على الحق وتغطيته وتزويره للواقع، وتزييفه الباطل بلباس الحق، وهذه
العصبية هي اصل الحب والبغض وجذورهما وهي التي اوجدتهما وتعد من اسبابهما
الرئيسية، وقد ابتلي البخاري ومسلم بهذه الخبيصة والرذيلة ابتلاءً شديداً.
واما الشواهد على ذلك:

1- ارشاد الساري 1: 21، هدى الساري: 381.

الصحیحان وفضائل الامام علي (ع):

انك ترى في البخاري ومسلم وصحبيهما هذه العصبية المفرطة عندما تقرأ كتابيهما
وتلاحظ انهما لما يواجهان فضيلة مشهورة ومنقبة مهمة من مناقب أمير المؤمنين علي (ع)
وفيها دلالة صريحة على افضليته لامر الخلافة، وتقدمه على الاخرين فانهما يبادران الى
تعنتيهما وهذه المناقب والفضائل قد ورد ذكرها في سائر الصحاح الستة والمدارك المعتمدة لدى
اهل السنة، وهي من يقينيات الحوادث التاريخية ومسلماتها، وهي مما اجمع عليه علماء
السنة والشيعة، مثل: حديث الغدير، آية التطهير، حديث الطائر المشوي، حديث سد

الابواب، وحديث انا مدينة العلم وعلي بابها (1) وقد روى كل واحدة من هذه الفضائل
والمناقب عشرات الصحابة واثبتها علما اهل السنة في كتبهم المعتبرة (2) الا ان البخاري الذي
لم يرض ان ينقل هذه المناقب المسلمة واليقينية ويخصص لها بابا خاصا في صحيحه
فحسب، بل افرد بابا خاصا في فضائل معاوية، وحيث انه لم يعثر على منقبة لمعاوية رويت
على لسان رسول الله (ص) حقا، يروي حديثين عن حبر الامة ابن عباس جاء في اولهما
انه مدح معاوية لصحبته لرسول الله (ص)، وجاه في ثانيهما مدحا لمعاوية بكونه فقيها
وعالما (3).

والعجب كل العجب ممن يريد ان يصنف كتابا جامعا يلزم فيه بما ورد من احاديث رسول
الله (ص)، ويكتب تفسيرا للقرآن، ويؤلف كتابا في التاريخ، ولا يدع مدحا وثناء من صحابي
بحق صحابي آخر (معاوية) الا واورده فيها، وذلك ادلالا، كيف تسمح

- 1- اخرج مسلم حديث الغدير واية التطهير بتحريف لا سيما عند ذكره لواقعة الغدير فانه
اكتفى بتخريج حديث مدلس ومحرف وبدل على فعله البشع في تحريف ما هو الحقيقة،
وتعظيمه على الواقع انتخابه وتخرجه للقصة على عكس الكيفية المسلمة الواردة في منات
الاحاديث التي رويت بشأن الغدير، وسوف نعالج هذه القصة في الفصل الثامن من هذا الكتاب
في باب فضائل الامام علي (ع) ان شاء الله.
- 2- راجع الموسوعات: غاية المرام في الرد الخصام للبحراني، عبقات الانوار للتستري، والغدير
للأميني.
- 3- البخاري 5: 35 كتاب الفضائل، اصحاب النبي (ص)، ذكر معاوية.

له نفسه بالاغماض عن واقعة ذات اهمية تاريخية كحديث الغدير او حديث «انا مدينة
العلم وعلي بابها»؟ ولا يخفى انه ليس لهذا التغاضي والتجاهل من قبل البخاري سبب الا
التعظيم على مناقب امير المؤمنين الامام علي (ع)، واخفا الحقائق الواقعية.
ولا يخفى ايضا ان هدف البخاري ومسلم كاتبتي الصحيحين الذين اراد ابطريقتهما هذه في
التدوين اخفا المسائل التاريخية المهمة حتى لا يعرف من ياتي بعدهما شيئا عن تلك
الحقائق، ولم يدر من هو الاولي من الصحابة بالتصدي للخلافة، وهل ان الرسول الاكرم
(ص) نص بالخلافة من بعده لاحد ام لا؟
والجدير بالذكر انهما قد نجحا في غايتهما هذه الى حد ما، وكسبا النتيجة المتوخاة،
وخاصة عندما نقرا ما اورده ابن تيمية في رده لحديث الغدير.

واما قوله: من كنت مولاه فعلى مولاه فليس هو في الصحاح، لكن هو مما رواه العلما وتنازع الناس في صحته(1).

افتراء مسلم على الشيعة:

ومن ثمار شجرة العصبية الخبيثة المرة، ومن آثارها المخزية، ما اورده مسلم في مقدمة صحيحه من البهتان والافتراء على الشيعة، فهو عندما يتطرق الى الاحاديث الموضوعية والمخالفة للواقع يقول بكل صلافة: ان من الاحاديث الموضوعية ما ترويه الشيعة الرافضة عن الامام على (ع): ان عليا في السحاب.
واقول: ان احاديث الشيعة قد دونت منذ عهد الرسول (ص)، وعقائدهم قد ملات كتبهم الكلامية بنحو واف وكاف، وان المكتبات لمعمورة بكتبهم، فهل ترى في كتاب واحد مثلا حديثا واحدا يدل على ما بهته مسلم على الشيعة؟ الم تكن عقيدة الشيعة ومحدثيهم ومؤرخيهم بان الامام على (ع) قد قتل في محراب مسجد الكوفة بسيف اشقى

1- منهاج السنة ج7 ص 319.

الناس عبدالرحمن بن ملجم المرادي ودفن في الغري؟
ولا غرو ان يحتوي صحيح البخاري وصحيح مسلم على مثل هذه الاحاديث الموضوعية التي لا اصل لها . كالحديث المذكور .، وهذه هي المسائل التي تسمى عنداهل السنة بالصحيحة، والتي طفحت في المجتمع الاسلامي واتخذها اهل السنة ذريعة للتهجم والمؤاخذة على الاخرين.

ولكن ما هي القصة المذكورة، ومن اين نشأت؟
ورد في المصادر التاريخية ان النبي (ص) كانت عنده عمامة تسمى السحاب، فوهبها يوم غدير خم لعلى (ع) كرامة له، فكان ربما طلع عليه علي (ع) بتلك العمامة فيقول (ص) وهو فرح: اتاكم علي في السحاب وسعد شيعة علي (ع) بتلك المفخرة وكانوا يرددون قول النبي (ص): جاء علي (ع) في السحاب(1).
الا ان مسلم اعرض عن ذكر اصل الحديث وابى عن سرد القصة الحقيقية، واكتفى بذكر حديث موضوع على النحو الذي ذكرناه ونسبه الى الشيعة

بين البخاري والامام الصادق (ع)

بيننا سابقا في مبحث رجال الصحيحين انهما نقلتا احاديث عن بعض الرواة الذين هم من الخوارج والنواصب، وخاصة الذين ثبتت عداوتهم ومناذرتهم لاهل البيت (ع) بنحو القطع، واختص البخاري في النقل عن عمران بن حطان، وهو من زعم الخوارج ومن فقهاءهم ومتكلميهم وخطبائهم، ونرى ان ايمان البخاري وتقواه: قد اجازله ان يروي عن هؤلاء المعلومي الحال ولم يسمح له من ان ينقل ولو حديثا واحدا عن الامام الصادق (ع). ويتجلى لك هذا الامر اكثر وضوحا، ويرتفع الحجاب عن العصبية الطائفية التي كانت عند البخاري عندما تتمعن في الحقائق التاريخية والاجتماعية، وتدرس شخصية

1- سيرة الحلبي 3: 341 وتفصيل القصة تجده في موسوعة الغدير 1: 292، فراجع.

كل من الامام الصادق (ع) والبخاري اذ:

1. ان عهد البخاري كان يقارب عهد الامام الصادق (ع) وانه قد توفي بعد الامام بقرن واحد، لان الامام الصادق (ع) توفي سنة 148 هـ. وتوفي البخاري سنة 256 هـ.
2. كانت المدينة المنورة مركزا لتدريس الامام الصادق (ع) وقد استوطنها البخاري مدة ست سنوات ياخذ من علمائها الحديث، وقد تكررت رحلاته الى مركزالتشيع يومذاك بغداد والكوفة بحيث نسي عددها لكثرتها (1)، وكانت الحجاز والعراق في ذلك العصر غاصتان باصحاب الامام الصادق (ع) بحيث يصعب احصاهم، وكان صيت الامام الصادق (ع) وشهرته قد فاقت ارجا العالم الاسلامي يومذاك حتى ان علماء اهل السنة في ذلك العهد قد سمعوا بها، ولم يكن بوسع احد يدعي الفقاهاة والرواية ان يقول انه لم يسمع عن مقام الامام (ع) العلمي.
3. ان البخاري خرج احاديث عن اخذوا العلم عن الامام الصادق (ع) مثل عبدالوهاب الثقفي، حاتم بن اسماعيل، مالك بن انس، ووهب بن منبه، وهؤلاء هم من مشايخ البخاري في الحديث (2)، ولكن البخاري ابي ان يروي تلك الاحاديث التي رواها هؤلاء المشايخ عن الامام الصادق (ع).

تبرير ابن تيمية:

واما بالنسبة الى عدم رواية البخاري الحديث عن الامام الصادق (ع) وقدكان معاصرا له (ع)، فقد برر ابن تيمية ذلك قائلا: وقد استراب البخاري في بعض حديثه الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) لما بلغه عن يحيى بن سعيد القطان فيه كلام(3).
ذكر ابن تيمية هذا التبرير في لفاة واكتفى فيه بكلام من يحيى بن سعيد.

1- راجع ص.

2- الجمع بين رجال الصحيحين راجع الترجمات رقم 264 و757 و1138 و1275.

3- منهاج السنة 7: 534.

اقول: فلو كان الامام الصادق (ع) رجلا مجهولا في فضله وتقواه وعلمه، أو أن البخاري الذي كان عليما بالرجال وتراجمهم البخاري في عمله هذا ولم نعتبره انسانا متعصبا ومتطرفاتجاه اهل البيت (ع) ولكن الحقائق والواقع ينفيان كل هذه الاحتمالات والتبريرات ويثبتان تعصب البخاري وتطرفه الطائفي الشديد تجاه الامام الصادق (ع).
والحال ان شخصية الامام الصادق (ع) لم تكن دانية وضعيفة في مرتبتها حتى تضمحل وتتهوى بمجرد قول احد او جرح آخر اياه، وتسقط قيمتها العلمية والمعنوية بادنى كتمان.

ومن جهة اخرى ان البخاري كان ذا مهارة تامة، واطلاع كاف، ومتخصصا في فن الرجال كتابه «التاريخ» لمعرفة الرجال والرواة كما قال هو: قل اسم في التاريخ الا وله عندي قصة، الا اني كرهت تطويل الكتاب التاريخ(1).
وبنا على ما ذكرنا فهل يمكن ان يكون هناك سببا آخر غير عناد البخاري وعداوته للامام الصادق (ع)؟ حيث انه لم ينقل عنه حتى حديثا واحدا وهل يمكن تفسير اعراضه عن اهل البيت (ع) سوى مناكبته وخصومته لهم (ع)؟

عداء عريق وظاهر!!

يتحتم علي ان الفت نظر القارئ المنصف الى حقيقة اخرى غير التي ذكرناها سابقا لينكشف تعصب البخاري ومسلم ونصبهما العداوة لال بيت رسول الله (ص) اكثر ويعلم ايضا ان تبرير ابن تيمية عن تصرف البخاري وموقفه تجاه اهل البيت (ع) لم يكن في محله.

يتضح لمن يراجع هذين الكتابين ويتمعن فيهما بدقة ان مؤلفي الصحيحين اللذين

1- تاريخ بغداد 2: 7، ضحى الاسلام 2: 112.

خرجا الحديث عن اكثر من الفين واربعمائة (2400) راو(1)، وان كثيرا من هؤلاء الرواة كانوا نواصب وخصما اهل البيت (ع) (2)، او انهم مجهولون، فعلى هذا ان البخاري ومسلم لم ترض انفسهما في ان يخبر جاء حتى حديثا واحدا عن عترة النبي وآله (ص)، ولو نقلنا عنهم حديثا لا ياتيان الا باكاذيب واحاديث موضوعة عليهم مما تمس العترة (ع) بالسوء، ولكي تكون هذه الاكاذيب اكثر تأثيرا وتقبلا عند اتباعهما ينسبناها الى آل الرسول (ص)،

ولذلك نرى البخاري ومسلم يرويان عن ستة وعشرين رجلا يسمون بالحسن، وثلاثة وعشرين راو باسم موسى، وتسعة وثلاثين محدثا معروفيين باسم علي، ولم يكن بينهم ذكر عن اسم الامام الحسن المجتبي ربحانة رسول الله (ص)، او اشارة الى اسم موسى بن جعفر حفيد النبي (ص)، او اسما لحفيد النبي (ص) علي بن موسى الرضا (ع) الذي كان علمه وفضله موضع اجلال وتكريم المحب والمبغض له(3).

نعم، ان مسلم والبخاري لم يخرجوا حتى حديثا واحدا عن احد من اهل البيت (ع)، مثل: الامام الحسن المجتبي، والامام موسى بن جعفر، والامام علي بن موسى الرضا، والامام محمد الجواد، والامام الهادي، وخاصة الامام الحسن العسكري (ع) الذي كان معاصرا للبخاري(4) كذلك لم يرويا حديثا واحدا عن احد من ابنائهم، مثل: زيد بن علي بن الحسين الشهيد، والحسن بن الحسن المثنى، والعشرات من ابنا ائمة اهل البيت (ع) الذين كانوا رواة الحديث واصحاب مصنفات في الحديث(5).

- 1- اشترك البخاري ومسلم في التخرج عن كثير من هؤلاء وانفردا في عدد يسير منها.
- 2- كما مر عليك في دراسة عمران بن حطان، وراجع ص 97.
- 3- لقد صنف العلامة الشيخ العطاردي كتابا سماه «مسند الامام الرضا (ع)» جمع فيه الروايات التي رواها الامام علي بن موسى الرضا، وقد طبع مكررا في مجلدين، وله ايضا كتاب باسم مسند الامام الكاظم (ع) يقع في ثلاث مجلدات طبع في ايران سنة 1409.
- 4- كانت شهادة الامام الهمام ابي محمد الحسن بن علي العسكري في سنة 260 هـ اي اربع سنوات بعد وفاة البخاري 256 هـ.
- 5- جمع ما روي عن الشهيد زيد بن علي زين العابدين (ره) في كتاب مستقل باسم «مسند زيد» وطبع عدة مرات.

ولكن الفريدة الوحيدة التي صدرت عن البخاري ومسلم في نقلهما الحديث عن اهل البيت (ع) هي انهما نقلتا رواية مختلقة ومزيفة نسبها الى الامام زين العابدين (ع) على انه قال: ان أمير المؤمنين علي وفاطمة (ع) لم يكونا يستيقظان للصلاة، وكان النبي يوقظهما فاجابه النبي بية (وكان الانسان اكثر شي جدلا) (1) تقريرا لعلي وكذا نسبنا اليه حديثا مزورا يذكر فيه قصة شرب حمزة للخمر وتعاطيه اياه(2).

ويبدو ان البخاري ومسلم لم يجدا احاديث نقلت عن آل الرسول (ع) غير هذين الحديثين لكي يخرجاهما في صحيحيهما، وكانما لم ينقل عنهم اي مسالة علمية وشرعية، الا ما نقله البخاري ومسلم من ان اخا الرسول (ص) الامام علي ويضعته وفلذة كبده فاطمة الزهرا (ع) لم يستيقظا لصلاة الفجر، وان هارون هذه الامة، و ابا شبروشبير، وباب مدينة علم النبي

(ص) كان اكثر شي جدلا، وان سيد الشهدا واسد الله واسد الرسول (ص) الذي كبر الرسول على جنازته سبعين تكبيرة كان ياكل الميتة ويعاقر الخمر ويسامر الراقصات

الدليل الثالث: الفترة الزمنية بين صدور الحديث وتدوينه

واليك الدليل الثالث على سقم احاديث الصحيحين ووهنها، فقد ذكرنا في المقدمة خلاصة تاريخ وكيفية تدوين الحديث وجهاته، فتارة من حيث حظر النقل والتدوين، واخرى من حيث اسباب وضع الحديث وجعله منذ زمن وفاة رسول الله (ص) حتى خلافة عمر بن عبدالعزيز وهنا نطرح سؤالا على الصحيحين والقائلين بصحة جميع ما ورد فيهما، وهو:

1- الكهف: 54.

2- صحيح البخاري 6: 110 كتاب التفسير باب تفسير سورة الكهف وسوف نوافيك بالبحث حول هاتين الروايتين اللتين دلسوهما على اهل بيت رسول الله (ص) في المجلد الثالث من كتابنا هذا.

الصفحة

115

في الفترة التي ناهزت المائة عام حيث كانت كتابة الحديث ممنوعة، ونقله محظور، ومن جانب آخر كانت دواعي وضع الحديث عند الوضاعين متوفرة، وقد استخدمت كل الاسباب والوسائل عند اصحاب القدرة ودعاة الوضع في سبيل جعل الحديث، فيا ترى في مثل هذه الاوضاع ما يمكن ان يجري للحديث؟ والى من سيؤول امر الحديث؟ وما التغييرات والتحريفات التي سوف تحدث في نصوص الاحاديث ومتونها؟ وما اكثر الحقائق التي دفنت ولم يبق لها اثر في السنة النبوية التي تعدهم مصدر في الاسلام وحلت مكانها الاحاديث المزورة والقضايا المحرفة؟

ففي هذه الفترة الطويلة التي اخذ فيها الخلف عن السلف، والابنا عن الاباوالاجداد، مسائل كثيرة وعنونوها باسم الحديث، ومن ثم شكلت الاساس والجزرالاعتقادي واصول الاحكام الدينية وفروعها عندهم دون ان يتعرفوا على مصدرها ووصحتها وسقمها. هذا هو السؤال الذي يواجهه الصحيحان واولئك الذين ينادون بصحة كل ماورد فيهما، وما زال هذا السؤال باقيا بدون جواب مقبول وقانع.

وقد عالج بعض كتاب اهل السنة مسألة الفترة الزمنية فطرح مسألة الذاكرة بدلا عن

الكتابة والتاليف(1).

ولكن هذا الجواب مردود:

اولا: انه لا ريب ان الذاكرة مهما كانت قوية لا يمكن الاعتماد عليها للحلول محل الكتابة والتقييد.

ثانيا: لو كانت الوسائط والاسناد بين النقل والكتابة قصيرة وقليلة لكان للركون الى الحافظة في الجواب على السؤال وجه مقبول، ولكن ما نستنتجه ونراه بعد التحقيق في الصحيحين ان الاحاديث خرجت بوسائط متعددة عن رسول الله (ص)، وهذا التعدد

1- مقدمة صحيح البخاري المطبوع في مكة عام 1376 بقلم ابو كمال عبد الغني عبدالخالق.

الصفحة
116

في الوسائط ما يقتضيه وجود الفترة الزمنية الطويلة التي فصلت بين صدور الحديث وكتابته ومن الطبيعي انه لا مفر من وقوع النقل بالمعنى في تخريج الاحاديث، وحدث الزيادة والنقصان في الاخبار، هذا ان كانت نوايا المحدثين والحفاظ سليمة، واما لوتكررت الوسائط في نقل الخبر وكل منهم روى الخبر بالمعنى خاصة اذا كانت الاهداف غير سليمة فحينئذ فعلى الخبر الصحيح السلام.

الدليل الرابع: تقطيع الحديث

وهذا دليل آخر وهو رابع الادلة على عدم الوثوق والطمأنينة بما ورد من الحديث في صحيح البخاري.

وهذا العمل او بالاحرى هذه الخيانة تقطيع الحديث التي صدرت من البخاري ناجمة عن روح التعصب والتطرف الذي كان يكنه تجاه امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع)، ولذلك تراه يسقط ويقطع اى حديث فيه منقبة من مناقب علي (ع) او يكشف عن منقصة وجهالة لاحد من الخلفاء، فيحذف صدر الحديث او ذيله، او يعمد الى قطعه من وسطه حتى تخفي تلك المنقبة او المنقصة.

وهذا العمل يعتبره علماء الحديث تدليسا وخيانة في امانة نقل الرواية وان البخاري كمحدث او مفسر او مؤرخ لم يلتزم في نقله الحديث بمسؤوليته في بيان الحقائق كاملة كما هي، بل عمد الى حذف ما يخالف هواه مما في الحديث وضبط ما تستسيغه نفسه وذوقه، وهذا التدليس والتقطيع يعد من اعظم الخيانات التي يقترفها المحدث، لانه تعميم للحقائق وتزوير للواقع وتضليل للافكار والاذهان، وهذا ان دل على شي فانه يدلنا على حقيقة هامة

وهي ان شطرا كبيرا وعددا ضخما من الاحاديث والروايات الصحيحة كانت بحيازة البخاري، وحيث انها لا تتلام وهواه فلم يدونها في صحيحه ومن ثم اندرست شيئا فشيئا، ومن البين ان من يقوم بالتدليس في كل ما يريد تدوينه فان مصير سائر الاحاديث المخالفة لهواه تكون التشويه او النسيان.

ونورد لك ايها القارئ الكريم . امثلة ونماذج من تدليسات البخاري

وتقطيعاته:

- 1 . حكم الجنازة: قال رجل عمر بن الخطاب: اني اجنبت ولم اجد ماءً فما العمل؟ قال عمر: لا تصل فكان في المجلس عمار بن ياسر فقام معترضا على عمر في فتواه وذكره بحكم التيمم الذي سمعاه معا من رسول الله (ص).
- ولا يخفى ان فتوى الخليفة بترك الصلاة حين الجنازة مخالفة صريحة لنص القرآن وسنة رسول الله (ص)، وهذا مما يدل على جهل الخليفة بحكم التيمم، وعدم احاطته بالاحكام الشرعية، وغفلته عما هو عامة الابتلاء، ولكن البخاري قام بتقطيع الحديث فحذف منه اجابة الخليفة: لا تصل، وذلك حفظا لكرامة الخليفة من ان تتال.
- ولكي تتجلى الحقيقة للقارئ اكثر نورد نص الحديث اولا عن البخاري ثم نردفه بما رواه كل من مسلم والنسائي وابن ماجه:
- اخرج البخاري: حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة، حدثنا الحكم، عن زر، عن سعيد بن عبدالرحمن بن ابزي، عن ابيه قال: جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال: اني اجنبت، فلم اصب الماء فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: اما تذكر انا كنا في سفر انا وانت، فاما انت فلم تصل، واما انا فتمعكت فصليت، فذكرت للنبي (ص)، فقال النبي (ص): انما كان يكفيك هكذا، فضرب النبي (ص) بكفيه الارض، ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه(1).
- واما ما اخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه: عن شعبة قال: حدثني الحكم، عن زر، عن سعيد بن عبدالرحمن بن ابزي، عن ابيه: ان رجلا اتى عمر، فقال: اني اجنبت فلم اجد ماءً، فقال: لا تصل عمار: اما تذكر يا امير المؤمنين اذ انا وانت في سرية فاجنبنا فلم نجد ماء، فاما انت فلم تصل، واما انا فتمعكت في التراب وصليت، فقال النبي (ص): انما كان يكفيك ان تضرب بيدك الارض، ثم تنفخ، ثم تمسح بهما وجهك

وكفيك فقال عمر: اتق الله يا عمار، قال: ان شئت لم احدث به(1).
فكما ترى ايها القارئ العزيز ان هذين الحديثين من حيث السند والمتن سواولا فرق بينهما
الا في جملة «لا تصل» حيث اسقطها البخاري واثبتها مسلم.

2. رجم المجنونة: ورد في صحيح البخاري وشروحه والمصنفات المعتمدة عند اهل
السنة حديث بنصوص مختلفة وخلصته: ان امرأة مجنونة زنت فاتي بها الى عمر فحكم
عليها بالرجم، فعلم أمير المؤمنين علي (ع) بالقصة والحكم فممنع من اجرائه، ولما استقر
عمر من علي (ع) عن سبب نقضه وابرامه الحكم قال (ع): اما علمت ان القلم مرفوع عن
المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ؟(2).
ولتوضيح القصة اكثر نذكر النص المقطع الذي اخرج به البخاري وبعده ناتي بما اخرجه
ابو داود:

روى البخاري: قال على لعمر: اما علمت ان القلم رفع عن المجنون حتى يفيق، وعن
الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ؟(3).

وروى ابو داود عن ابن عباس قال: اتي عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها اناسا فامر
بها عمر ان ترجم، فمر بها على بن ابي طالب (ع) فقال: ما شان هذه؟ قالوا: مجنونة بني
فلان زنت، فامر بها عمر ان ترجم قال: فقال: ارجعوا بها، ثم اتاه، فقال: يا امير المؤمنين،
اما علمت ان القلم قد رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ،
وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى قال: فما بال هذه ترجم؟ قال: لا شي،

1- صحيح مسلم ج:1: 280 كتاب الطهارة باب «28» باب التيمم ح368، سنن النسائي ج:1: 165
كتاب الطهارة باب التيمم في الحضرة، سنن ابن ماجه ج:1: 188 كتاب الطهارة وسننها باب «91»
باب ما جا في التيمم ضربة واحدة ح569.
2- ارشاد الساري ج:10: 9، سنن ابي داود ج:4: 140 كتاب الحدود باب في المجنون يسرق
او يصيب حدا ج4402.
3- صحيح البخاري ج:7: 58 كتاب الطلاق باب الطلاق في الاغلاق والكرة والسكران والمجنون،
وج:8: 204 كتاب المحاربيين باب لا يرحم المجنون والمجنونة.

قال: فارسلها، قال: فارسلها، قال: فجعل يكبر(1).

وذكر احمد بن حنبل هذا الحديث في مسنده (2)، وكذا نقله ابن عبد البر في استيعابه، وزاد في آخره هذه الجملة: «فكان عمر يقول: لولا علي لهلك عمر»(3).

والجدير بالذكر ان البخاري اخرج هذا الحديث في موضعين من صحيحه، ولكنه حفظا على مقام الخليفة وسترا على جهل الخليفة وعدم فهمه وازهاق للحق وتحريفا للحقيقة التي تقول بان عليا (ع) حكم بما يخالف رأي عمر وبعض الصحابة، ولما كان حكمه (ع) مطابقا للواقع وما امر به رسول الله (ص)، ترى البخاري يكتفي بذكر ذيل الحديث فيذكر الحديث في كلا الموردين ناقصا ويسقط منه السند والصدر.

3. حد الخمر: حسبما ورد في صحيح مسلم وسائر الصحاح كان حد شرب الخمر على عهد رسول الله (ص) تعزيرا، وانه (ص) جلد الشارب اربعين ضربة (4) وتبعه في ذلك ابو بكر في مدة خلافته فجلد شارب الخمر اربعين سوطا واما عمر لما تقلد الخلافة بعد ابي بكر، ترك الحكم النبوي ولجا في حد شارب الخمر الى رأي الاخرين، وافتى يراي عبدالرحمن بن عوف فجلد ثمانين جلدة.

وهذه المسألة هي من اوضح القضايا بحيث لا تحتاج الى تبيين وتفسير، وخاصة لمن قلد نفسه الخلافة، واستحل محل رسول الله (ص) فكيف يخفى عليه حكم مسألة قد عمل به مدة طويلة فيلجا الى رأي الاخرين ويترك العمل بسنة رسول الله (ص) وما تقيد به من سبقه بالخلافة؟

- 1- سنن ابي داود 4: 140 كتاب الحدود باب في المجنون يسرق او يصيب حدا ح4399.
- 2- مسند الامام احمد بن حنبل 1: 154.
- 3- الاستيعاب 3: 1102 ترجمة الامام علي بن ابي طالب (ع) رقم 1855.
- اقول: هذه المقولة وغيرها من الاعترافات التي ادلى بها عمر بن الخطاب لبيان جهله بالاحكام الاسلامية قد وردت في كثير من الكتب والمصنفات المعرب.
- 4- ذكر في هذه المسألة فتوى اهل السنة المستنبطة من مصادرهم الموثوقة ولم يشتر فيها الى رأي المذهب الشيعي.

ونسأل الخليفة الذي تقلد زعامة المسلمين وجلس مجلس النبي (ص) هل ان مثل هذه المسألة من حيث البساطة بحاجة الى مشورة الاخرين؟ وهل الخليفة كان جاهلا بذلك بالحكم، او ان الصفاق بالاسواق والعمل بالتجارة الهاه عن معرفة الحكم وتعلمه؟ او انه اراد

ان يحكم بما يخالف حكم النبي (ص) وييدي رايه الخاص في تلك المسألة كما ابدى رايه الخاص في قضايا اخرى؟

وعلى كل حال لما كان هذا الحديث على خلاف مذاق البخاري ومذهبه بادرورعاية لمقام الخليفة الى تقطيعه بنقل اوله الذي بين فيه حكم رسول الله (ص) بالتعزيرومتابعة ابي بكر لرسول الله (ص) في ذلك، واسقط ذيله الذي فيه استشارة عمر لبعض الاصحاب. واليك نص الحديث وندع الحكم والمقايسة للقارئ.

اخرج البخاري: عن انس بن مالك ان النبي (ص) ضرب في الخمر بالجريدوالنعال ووجد ابوبكر اربعين(1).

عن انس قال: جلد النبي (ص) في الخمر بالجريد والنعال ووجد ابو بكر اربعين(2).

وفي صحيح مسلم: عن ابن مالك: ان النبي (ص) اتي برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو اربعين قال: وفعله ابوبكر، فلما كان عمر استشار الناس فقال عبدالرحمن بن عوف: اخف الحدود ثمانين، فامر به عمر(3).

4 . معنى الاب: اخرج البخاري: عن ثابت عن انس قال: كنا عند عمر فقال: نهينا عن

التكلف(4).

1- صحيح البخاري 8: 196 كتاب الحدود باب ما جا في ضرب شارب الخمر.

2- صحيح البخاري 8: 196 كتاب الحدود باب الضرب بالجريد والنعال.

3- صحيح مسلم 3: 1330 كتاب الحدود باب «8» باب حد الخمر ح 1706.

4- صحيح البخاري 9: 118 كتاب الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لايعنيه.

هذا الحديث الذي نقله البخاري بهذه الكيفية اوضح دليل وشاهد على التدليس والتقطيع، وذلك لان كل من كان لديه اقل معرفة بالحديث ونصوصه يعلم بمجرد رؤيته لهذا الحديث عدم تمامية الحديث وعدم استقامته، وانه يحتوي على جملات وكلمات اخرى قد اسقطت، ويعلم كذلك ان ايد قد تدخلت فيه لاصلاحه وترقيعه.

ولم يخف ذلك على كثير من الحفاظ والعلماء الاخرين الذين نقلوا الحديث بكامله وبتمام

الفاظه، وازاحوا قناع الخيانة والتدليس الذي وضعه البخاري عليه، فهذا ابن حجر بعد ان ذكر نص الحديث من رواية اخرى في شرحه لصحيح البخاري قال:

ان رجلا سال عمر بن الخطاب عن قوله: (وفاكهة وابا) (1) ما الاب؟ فقال عمر: نهينا عن التعمق والتكلف.

ان هذا الحديث ورد بسندين عن ثابت ثم قال: ورد هذا الحديث بطرق اخرى عن ثابت وهو اولى مما ورد لثابت عن انس لان يكمل به الحديث الذي اخرجه البخاري(2).
فليعرف القارئ المنصف: اننا قد علمنا من قول ابن حجر المذكور ومن مقارنة للحديثين المنقولين في صحيح البخاري وشرحه فتح الباري: ان هذا الحديث كسائر الاحاديث التي لم تتماش مع هوى البخاري ومذهبه، وحيث انه لم يتمكن من ان يوام بين الحديث وبين تقديره الخليفة عمر بن الخطاب راي ان الحل الوحيد في ذلك هوان يحذف صدر الحديث ويسقط منه الفقرات المهمة والحساسة التي تمس شان الخليفة حتى يكون قد خدم . بفعله هذا مذهب وادى ما عليه تجاه مسلكه وعقيدته وذلك لان القارئ لو قرا هذا الحديث قبل التدليس واسقاط اوله وآخره يتبادر هذا السؤال الى مخيلته وهو: لو كان التعرف واستنباط معنى كلمة من كلمات القرآن يعتبر تعمقا وتكلفا فعلى هذا لا يجوز الاستفسار عن اية مسالة دينية اخرى ولا يحق التفكير فيها.

1- عيس: 31.
2- فتح الباري 13: 230.

اذن فما معنى كل ما ورد من الفضائل بحق العلم والتعلم؟ علماء بان هذه الشخصية العلمية الفذة اي الخليفة الذي لم يتعقل حتى معنى واحد من معاني القرآن في حين ان تفسيرها ومعناها ورد في آخر الاية كيف يصح له ان يتقلد زمام الخلافة؟ وكيف يجوز لمن يكون جوابه لسؤال بسيط ان يقول: «نهينا» يتزعم قيادة الامة الاسلامية ويتربع على عرش الخلافة؟
ولا ريب ان مثل هذه الاسئلة هي التي فرضت على البخاري والجاته الى ان يقتطع الحديث ويدلسه عند اخراجه له.

وهذا الحديث على اختلاف نصه ومنتته اخرجه المفسرون المشهورون كالسيوطي، ابن كثير، الزمخشري، الخازن، البغوي، والحاكم النيسابوري في مستدرکه ضمن تفسير سورة

عبس، وكذا رواه شراح الصحيح كابن حجر (1) والعيني (2) والقسطلاني (3)، ومن اللغويين: ابن اثير في نهايته (4).

وسوف نتطرق الى البحث حول هذه الاحاديث الاربعة بتفصيل واسهاب في فصل الخلافة ان شاء الله.

5. قصة عثمان واسامة بن زيد: ومن فلتات البخاري انه قام بالتعظيم والتغطية على بعض الاحاديث عن طريق تغيير الاسم العلم باسم الاشارة او التعبير بالكناية وايتان بكلمة «فلان» بدلا عن الاسم الظاهر.

ونذكر هنا موردين منها حتى يتبين دها البخاري في التعظيم وتغطية الحقائق: الاول: ما اخرج مسلم عن اسامة وانه انتقد عثمان وشجب اعماله وتصرفاته،

1- فتح الباري 13: 230.

2- عمدة القاري 25: 35 ح 64.

3- ارشاد الساري 10: 311.

4- النهاية 1: 13 انظر باب الهمزة مع الباء مادة اب.

فجاء في هذا الحديث اسم عثمان صريحا.

عن شقيق، عن اسامة بن زيد قال: قيل له: الا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: اترون اني لا اكلمه الا اسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه دون ان افتتح امرا لا احب ان اكون اول من فتحه، ولا اقول لاحد يكون علي اميرا، انه خير الناس بعد ماسمعت رسول الله (ص) يقول: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتتدلق اقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع اليه اهل النار فيقولون: يا فلان بالمعروف ولا آتية، وانهي عن المنكر وآتية (1).

تلاحظ ايها المطالع ان هذه الرواية صريحة وواضحة في ان اسامة بن زيد قد انتقد عثمان، واسامة هو تلك الشخصية المعروفة الذي اعطاه الرسول (ص) راية الاسلام عند وفاته وقلده امانة عسكر المسلمين وامره على كبار الصحابة، ولعن الرسول (ص) كل من تخلف عن جيش اسامة فتري ان اسامة استدل في انتقاده لعثمان بحديث رسول الله (ص) وشبهه بحمار الرحى الدوار ومن الذين تتدلق اقتاب بطنه واحشاه في النار، وهو في الاخرة يلاقى عذابا اليما.

اخرج مسلم هذا الحديث من طريقين وسندين وقد ذكر في كليهما اسم عثمان، وكذا البخاري اخرجه في موضعين، ولكن بزيادة في الفاظه، وحيث ان داب البخاري هو التذليل والتزييف، فانه قام بحذف اسم عثمان من الحديث الذي كان محلا لنقدحديث الرسول (ص) واعتراض اسامة اياه، وانه حرف الحديث في كلا الموردين فمرة جاء باسم الاشارة ومرة اخرى اكتفى بكلمة (فلان) بدلا من التصريح باسم عثمان كماجا في نقل مسلم واخرج الحديثين على النحو التالي ففي احدهما:
قيل لاسامة: الاتكلم هذا؟

1- صحيح مسلم 4: 2290 كتاب الزهد والرفائق باب « 7 » باب عقوبة من يامر بالمعروف ح2989.

الصفحة
124

وفي الاخر: قيل لاسامة: لو اتيت فلانا فكلمته(1).
6. قصة عمر وسمرة بن جندب: اخرج مسلم في صحيحه واحمد بن حنبل في مسنده قصة بيع سمرة بن جندب «والي عمر على البصرة» الخمر وقد جاء اسمه فيهماصريحا مرتين فاقرا:
عمرو بن دينار قال: اخبرني طاووس انه سمع ابن عباس يقول: بلغ عمران سمرة باع خمرا، فقال:
قاتل الله سمرة، الم يعلم ان رسول الله (ص) قال: قاتل الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم فجملوا وباعوها؟(2).
واما البخاري الذي اخرج هذا الحديث في صحيحه كذلك فانه حرفه وعبر عن سمرة بلفظة «فلان» فاقرا ما اخرجه فقال: بلغ عمر ان فلانا باع خمرا، فقال: قاتل الله فلانا، الم يعلم؟ الحديث(3).
وصرح بذلك اكثر شارحي صحيح البخاري وكذا النووي في شرح صحيح مسلم عند شرحهم لهذا الحديث واثاروا الى خيانة البخاري وتحريفه للحديث ولم تخف عليهم هذه المبادرة البخارية.

الدليل الخامس: البخاري والنقل بالمعنى.

ومما يسلب الاطمئنان والاعتماد على صحيح البخاري وعدم الوثوق به ان قسما من احاديثه قد رويت بالمعنى، ولم ينقلها مؤلف الصحيح بنفس اللفظ حسب ما سمعها من ناقلها.

- 1- صحيح البخاري 4: 147 كتاب بد الخلق باب صفة النار وانها مخلوقة، وج 9: 69 كتاب الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر.
- 2- صحيح مسلم 3: 1207 كتاب المساقاة باب « 13 » باب تحريم بيع الخمر والميتة ح 72، مسند احمد بن حنبل 1: 25 باب مسانيد عمر بن الخطاب.
- 3- صحيح البخاري 3: 107 كتاب البيوع باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع.

ونقل الخطيب البغدادي عن البخاري نفسه يقول: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام وكتبته بمصر، قيل له: يا ابا عبدالله بكماله، قال: فسكت(1).

قال ابن حجر: وهذا من نوادر ما وقع في البخاري انه يخرج الحديث تاما باسنادواحد بلفظين كما في حديث سحر النبي (ص)(2).

فلو تتبعنا وفحصنا في الاحاديث التي رواها البخاري في صحيحه لوجدنا ان البخاري اتبع اسلوب النقل بالمعنى في كثير منها، وما ذكره ابن حجر فانه من باب التمثيل لا الحصر.

وعليه فهل يمكن لقارئ ان يعتمد على كتاب وضعه مؤلفه في مدة ستة عشر سنة، كما اعترف البخاري انه خرج وضبط فيه تلك الاحاديث التي سمعها في بلد، وبعدمه من الزمن كتبها وهو في بلد آخر؟

ولا ريب ان هذه الفترة الزمنية التي فصلت بين سماع الحديث وبين تدوينه، سوف تتسبب في الفاظ الحديث، ويأتي مكانها بالفاظ اخرى غيرها، اى يكون النقل فيه نقلا بالمعنى، وبهذا يفقد الحديث شأنه واعتباره، واضف الى ذلك احتمال ان تمحى الكثير من دقائق الفاظ الحديث الاول عندما يروى بالمعنى.

ولهذا السبب جعلنا موضوع النقل بالمعنى الذي اتبعه البخاري في تخريجه للاحاديث في صحيحه دليلا على ضعف احاديثه.

الدليل السادس: الآخرون يتممون الصحيح

ومما يدل على ضعف احاديث البخاري ووهنها هو ان الاخرين قاموا باتمام

- 1- تاريخ بغداد 2: 11.
- 2- فتح الباري 10: 186.

الصحيح وتكميله.

قال القسطلاني: وقد وقع في بعض نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث الى حديث لم يذكر فيه باب، ويقع في كثير من ابوابه احاديث كثيرة وفي بعضها حديث واحد وفي بعضها لاشي فيه البتة.

فاشكل بعضهم، لكن ازال الاشكال الحافظ ابو ذر الهروي بما رواه عن ابي اسحاق المستملي مما ذكره ابو الوليد الباجي قال:

استسخت كتاب البخاري من اصله الذي كان عند الفريري فرايت اشيا لم تتم، واشيا مبيضة فيها تراجم لم يثبت بعدها شيئا، واحاديث لم يترجم لها فاضفنا بعض ذلك الى بعض(1).

وهنا يتبادر سؤال وهو: ان الكتاب الذي تم تنظيمه وتكميله وتبويبه بواسطة الاخرين، وبالرغم من هذا التكميل فما زال التشويش وعدم النسق والترتيب ملاحظافي ابوابه واحاديثه، فيا ترى ايها القارئ الكريم كيف كان وضع هذا الكتاب قبل ان يتم ترتيبه وتكميله؟ ومن هو الذي قام بعملية التتيم والترتيب؟ وهل ان المكمل والناظم للصحيح استعمل في عملية الترتيب ذوقه ورايه الخاص به، كما كان البخاري يستعمل ذلك في تدوين الحديث، فحذف احاديثا كثيرة من صحيحه عملا برايه، او انه اسقط او زاد في احاديث اخرى، وغير ذلك؟ هذه هي المسائل التي لا تزال خفية ومجهولة لدينا ولكن القدر المتيقن والبين ان اي كتاب له ظروف مماثلة للصحيح الذي قام الاخرون بتصحيحه وتكميله وان كان خاليا من المؤاخذات والاشكالات فهو ساقط عن الاعتبار والاهمية ومسلوب الصحة ولا يمكن الوثوق والاعتماد على ما يحتويه، لانه يستلزم الشك والترديد في قرارة

1- ارشاد الساري 1: 23، هدى الساري مقدمة فتح الباري: 6.

انفسنا بالنسبة اليه.

الاستنتاج:

نستنتج من المواضيع التي طالعناها معا ووافيناها لقارئنا العزيز ما ملخصه:
 اننا قد علمنا حال هذين الكتابين اللذين اشتهرا بالصحيحين وتبينت لنا شخصية رواتهما
 ورجالهما، واتضح بعد ارتفاع الستار عما كان عليه مؤلفيهما من العصبية العمياء، وفهمنا
 كيف قام البخاري بتقطيع وتسقيط للاحاديث ونقله بالمعنى، وقد اثبتنا ذلك بالادلة والشواهد
 المسلمة، وعرفنا ايضا مدى اعتبار الصحيحين من حيث الاسناد وشخصية مؤلفيهما.
 وفي هذا الحال كيف يتصور ان يسمى كتابان بالصحيح وكيفيتهما كما رايت وقرات؟
 وكيف يتصور ان النبي (ص) ايد احاديث هذا الكتاب اجمع من اوله الى آخره من دون
 استثنا بين احاديثه؟

وكيف يعقل بان الرسول ايد كتابا مشحونا بالعصبية الافراطية والاعمال المغرضة
 وصحح كتابا مليئا بانواع التقطيع والاسقاط والتزييف وفيه الرواية بالمعنى؟
 وهل يعقل ان الرسول (ص) جعل هذا الكتاب بمثابة كتابه وشجع الناس على قراته؟
 واما الجواب على هذه الاسئلة فهو منوط بعائق القارئ الباحث والحر الذي يحمل بين
 جنبه الفكر السليم ليجيب عليها.
 هذه براهين جلية وشواهد واضحة على الاضطرابات التي تركزت في بعض احاديث
 الصحيحين واثبتت ضعفها وسقمها.

الفصل الخامس التوحيد في الصحيحين

عرف البخاري ومسلم الله عز وجل بانه:

يمكن رؤيته!

ويحتاج الى المكان والجهة!

ويتنقل ويتحول من مكان لآخر!

ويضحك!

ويجالس العباد جنبا الى جنب!

ومن ثم فهو يتكون من اعضا وجوارح!!

تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وهذا الاله الذي عرفه هذان الشيخان . البخاري ومسلم . بانه:

ذو وجه!

وعين!

ويد!

واصبع!

ورجل!

وساق!

و.....!

ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم.

التوحيد في الصحيحين

وهذا في الواقع يمكن اعتباره دليلا سابعا على ضعف الصحيحين ووهنهما تزلزل نصوص احاديثهما وذلك لما يشاهد فيهما احاديث لا تتماشى والاصول الدينية والعقائدية، ومخالفة للقواعد العقلية، وتوجد فيهما مواضيع يشهد التاريخ الصحيح على خلافها. وسوف نتطرق الى البحث في هذا الموضوع خلال دراستنا للفصول التالية:

1 . التوحيد.

2 . النبوة.

3 . بحوث متفرقة.

ونشر بالبحث في هذا الفصل حول التوحيد في الصحيحين.

مسألة التوحيد هي اصل مشترك بين جميع الاديان السماوية، واهتم الاسلام بهذه المسألة اهتماما بالغا واعارها الاهمية الخاصة اكثر من سائر الاديان، ولكن يلاحظ في الصحيحين ان هذه المسألة قد امتزجت من عدة جهات بتحريفات وتزييفات لا تغتفر

وبتعبير اوضح: اننا نشاهد في الصحيحين مسائل لا اصل لها في الدين، ولا تمت الى حقيقة التوحيد بشي.

وسوف ناتي بتحليل كل واحدة منها بدراسة وافية ونكشف الاستار عن الموهومات التي يحتويها الصحيحان بقدر ما يقتضيه كتابنا هذا.

1 . رؤية الله:

المسألة الاولى في الصحيحين: من مسائل التوحيد المهمة بل اهمها كما

جاءت في نصوص احاديث الصحيحين هي مسألة التجسيم، وان الله تعالى جسم كالأجسام المادية الاخرى التي نحس بها في العالم والكون، وانه تعالى يمكن رؤيته ومشاهدته.

وهاك نماذجاً من الاحاديث فتامل فيها جيداً:

1 . عن جرير قال: «كنا جلوساً عند النبي (ص) فنظر الى القمر، ليلة البدر فقال: انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) (1) . (2).

اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما في ابواب متعددة وباسانيد مختلفة. توضيح العيني: قال العيني شارح صحيح البخاري في شرحه على هذا الحديث بعد ان نقل كلاماً للكرماني وهو ايضا من شرح صحيح البخاري: فان استطعتم والتعقيب بكلمة الفا يدل على ان الرؤية قد يرجى نيلها بالمحافظة على هاتين الصلاتين الصبح والعصر، وذلك فالقيام فيها اشق على النفس (3).

2 . عن ابي هريرة: ان اناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟ قالوا: لا، يا رسول الله (ص). قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب؟ قالوا: لا. قال: فانكم ترونه، كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً

1- ق: 39.

2- صحيح البخاري 1: 145 كتاب الصلاة باب فضل صلاة العصر، وص 150 باب فضل صلاة الفجر، وج 6: 173 كتاب القرآن باب تفسير سورة ق، وج 9: 156 كتاب التوحيد باب وكان عرشه

فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الامة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: انا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا، فاذا اتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: انا ربكم، فيقولون: انت ربنا فيتبعونه ويضرب جسرجهنم.
قال رسول الله (ص): فاكون اول من يجيز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ احدا لا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم اللهم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان غير انها لا يعلم عظمها الا الله، فتخطف الناس باعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل، ثم ينجو، حتى اذا فرغ الله من القضا بين عباده واراد ان يخرج من النار، يخرج ممن كان يشهد ان لا اله الا الله، امر الملائكة ان يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة السجود، وحرّم الله على النار ان تاكل من ابن آدم اثر السجود، فيخرجونهم، قدامتحتشوا فيصب عليهم ما يقال له ما الحياة، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل، ويبقى رجل مقبل وجهه على النار، فيقول: يا رب، قد قشبنى ريحها، واحرقني زكاؤها، فاصرف وجهي عن النار، فلا يزال يدعو الله فيقول الله: لعلك ان اعطيتك ان تسالني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا اسالك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: يارب، قربني الى باب الجنة، فيقول: اليس قد زعمت ان لا تسالني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما اغدرك؟ فلا يزال يدعو فيقول: لعلي ان اعطيتك ذلك تسالني غيره فيقول: لا وعزتك لا اسالك غيره، فيعطي الله من عهود ومواثيق ان لا يساله غيره، فيقربه الى باب الجنة، فاذا راي ما فيها سكت ما شاء الله ان يسكت، ثم يقول: يا رب ادخلني الجنة فيقول الله: اوليس قد زعمت ان لا تسالني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما اغدرك؟ فيقول: يارب، لا تجعلني اشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله، فاذا ضحك منه اذن له بالدخول فيها، فاذا دخل فيها قيل: تمن من كذا، فيتمنى، ثم يقال: تمن من كذا، فيتمنى، حتى تتقطع به الاماني فيقول الله: هذا

لك ومثله منه(1).

3 . عن ابي سعيد الخدري: ان اناسا في زمن رسول الله (ص) قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله (ص): نعم.

قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا.

قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا.

قال النبي (ص): ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة الا كمتضارون في رؤية احدهما، اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن، لتتبع كل امة ما كانت تعبد، فلا يبقى احد كان يعبد غير الله، من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار، حتى اذا لم يبق الا من يعبد الله من بر وفاجر وغبرات اهل الكتاب.

فيدعى اليهود، فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: نعبد عزيز ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولدا، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا يا ربنا، فاسقنا، فيشار الا تروون، فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار.

ثم يدعى النصارى فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الاول.

حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر، اتاهم رب العالمين في ادنى صورة من التي رواه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون؟ تتبع كل امة ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على افر ما كنا اليهم، ولم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد،

1- صحيح البخاري 1: 204 كتاب الصلاة باب فضل السجود، و9: 156 كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء)، و8: 146 كتاب ما جاء في الرقائق باب الصراط جسر جهنم صحيح مسلم 1: 163 كتاب الايمان باب «81» باب معرفة طريق الرؤية ح299.

فيقول: انا ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئا . مرتين او ثلاثا . حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه علامة فتعرفونه بها؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساق(1).

4 . عن جرير بن عبد الله: قال رسول الله (ص): انكم سترون ربكم عيانا(2).

قال القسطلاني: عيانا بكسر العين من قولك: عاينت الشيء عيانا، اذا رايت به عينك(3).

- 5 . عن صهيب، عن النبي (ص) قال: اذا دخل اهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا ازيدكم؟ فيقولون: الم تبيض وجوهنا؟ الم تدخلنا الجنة وتجنبا من النار؟ الحجاب، فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل(4).
- 6 . عن ابي بكر بن عبدالله بن قيس، عن ابيه، عن النبي (ص) قال: جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم، الا ردا الكبر على وجهه في جنة عدن(5).
- هذه ست روايات حول مسالة رؤية الله عز وجل نقلناها من الصحيحين، وقد ورد

- 1- صحيح البخاري 6: 56 كتاب القرآن باب تفسير سورة النساء، وج 9: 158 كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء) صحيح مسلم 1: 167 كتاب الايمان باب « 81 » باب معرفة طريق الرؤية302.
- 2- صحيح البخاري 9: 156 كتاب التوحيد باب (وجوه يومئذ ناظرة).
- 3- ارشاد الساري 10: 399.
- 4- صحيح مسلم 1: 163 كتاب الايمان باب « 80 » باب اثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ح297.
- 5- صحيح البخاري 9: 162 كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء)، صحيح مسلم 1: 163 كتاب الايمان باب «80» باب اثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة 296.

- مثلها او بتفاوت يسير في سائر الصحاح(1)، ونلفت انظار القرا الى حديثين آخرين مما روي في السنن ولم ينقلهما البخاري ومسلم في صحيحيهما.
- 7 . عن ابن عمر يقول: قال رسول الله (ص): ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظرالى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة، واكرمهم على الله من ينظرالى وجهه غدوة وعشية، ثم قرا رسول الله (ص): (وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة)(2) . (3).
- وسوف نبحت أنفا حول هذه الاية التي تمسكوا بها لاثبات مدعاهم.
- 8 . عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله (ص): بينا اهل الجنة في نعيمهم انسطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فاذا الرب قد اشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا اهل الجنة وذلك قول الله (سلام قولا من رب رحيم) (4) قال: فينظر اليهم وينظرون اليه، فلا يلتفتون الى شي من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم(5).

يستفاد من هذه الاحاديث المذكورة:

اولا: ان رؤية الله تعالى في يوم القيامة متحققة بهذه العين الظاهرة والمجردة، وذلك على نحو نوع من اتصال شعاع من عين الانسان بذاته تعالى، ثم ان جسمه تعالى يعكس ذلك الشعاع على عين الانسان ثانية «انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر». ثانيا: ليست الرؤية منحصرة بخاصة العباد، بل المنافقون كذلك سوف يرون ربهم

-
- 1- سنن ابن ماجه 1: 66 المقدمة باب « 130 » باب فيما انكرت الجهمية ح 186، سنن الترمذي 4: 592 كتاب صفة الجنة باب «16» رؤية الرب تبارك وتعالى ح 2551 و 2552.
 - 2- القيامة: 22.
 - 3- سنن الترمذي 4: 593 كتاب صفة الجنة باب «16» باب رؤية الرب ح 2553.
 - 4- يس: 58.
 - 5- سنن ابن ماجه 1: 65 المقدمة باب «13» باب فيما انكرت الجهمية ح 184.

«وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فياتيهم الله».

ثالثا: ان لله تعالى صورة وجسا يتاثر بالتاثيرات العرضية كالحركة والتحول وغيرها.

رابعا: ان لله تعالى مكانا خاصا ويظهر عيانا امام اعين العباد.

خامسا: ان لله تعالى صوراً مختلفة واشكالا متعددة، يعرف العباد بعضها وينكرون

بعضها الاخر، فاذا جاهم في الصورة التي يعرفونه بها اتبعوه، «فياتيهم الله في غير

الصورة التي يعرفون، فيقول: انا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك فياتيهم الله في الصورة التي

يعرفون».

سادسا: ان لله تعالى ساقا وهو بمثابة علامة فارقة وخاصة يعرفون بها ربهم، ومادام

الله لم يكشف عن ساقه لم تحصل لهم تلك المعرفة «فيقول هل بينكم وبينه علامة فتعرفونه

بها؟ فيقولون:

الساق فيكشف الساق».

سابعا: وآخر ما يستفاد من هذه الاحاديث هو ان الله يتعجب ويضحك وينخدع بغدر

الانسان المذنب اياه.

هذا ملخص الاحاديث التي وردت في الصحيحين البخاري ومسلم حول مسألة الرؤية

ويستفاد منها مسائل كثيرة غير مسألة الرؤية قد اشرنا الى بعضها.

ونظرا لاهمية مسألة الرؤية اجمع اهل السنة ومحدثيهم على امكان وقوعها، ومن جهة اخرى فان الشيعة وائمتهم (ع) نفوا رؤية الله نفيًا قاطعًا وردوه ردا صارما ولم يقل احد منهم بوقوعها اصلا.

لذلك كان لزاما ان ندرس هنا اقوال علماء الفريقين اهل السنة والشيعة حول موضوع رؤية الله.

راي اهل السنة في مسألة رؤية الله:

يعتقد اكثر علماء اهل السنة ومحدثيهم وائمتهم الاربعة في الرؤية . رؤية الله

عزوجل . بانها ممكنة، وقد نوهت الى ذلك احاديثهم، وهذه المسألة عندهم تعتبر من اصول عقائدهم، بحيث حكموا على من انكر رؤية الله وخالف هذه العقيدة بالخروج عن الدين واعتبروه كافرا ومشركا، فالامام احمد بن حنبل احد ائمة المذاهب الاربعة كفر منكري الرؤية، وحكم على المنكرين لهذه العقيدة بانهم خارجون عن الاسلام(1).

وقال مالك والشافعي امامان من ائمة المذاهب الاربعة بامكان رؤية الله في الآخرة. قال الاشهب: قلنا للامام مالك: يا ابا عبدالله، هل الآية الكريمة: (وجوه يومئذناظرة الى ربها ناظرة)(2) توحى بان الناس سوف يرون الله بهاتين العينين؟ قال: نعم، بهاتين العينين. قلنا: ان اناسا يقولون: ان الآية تعني انتظار ثواب الله وعقابه، قال: انهم يفترون، بل الناس ينظرون الى الله(3).

وحكى المزني عن ابراهيم بن محمد بن هرم، عن الشافعي انه قال في قوله تعالى: (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (4) لما حجبهم في السخط كان دليلا على انهم يرونه في الرضا الآخرة.

وقال الربيع: كنت ذات يوم عند الشافعي وجا كتاب من الصعيد يسالونه عن قوله عز وجل: (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فكتب: لما حجب قوما بالسخط على ان قوما يرونه بالرضا.

قلت له: او تدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى

1- تفسير المنار 9: 135.

2- القيامة: 23.

3- تزيين الممالك في مناقب مالك للسيوطي نقل عنه محمد ابو زهرة في كتاب مالك 88.

ربه في المعاد لما عبده في الدنيا(1).
قال الاسفراييني 429 هـ: اجمع الائمة من اصحاب الراي والحديث من اتباع مالك
والشافعي وابي حنيفة واحمد بن حنبل ائمة المذاهب الاربعة والثوري وابن ابي ليلى
والاوزاعي على ان الله تعالى يكون مرثيا بالعين بدون تشبيه ولا تعطيل.
وقال: واجمعوا بجواز رؤيته تعالى للمؤمنين خاصة في الاخرة.
واضاف: انا قد استقصينا البحث في مسائل رؤية الله في كتاب مستقل(2).
قال احمد محمد شاكر في شرحه على مسند احمد بن حنبل:
والاحاديث في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل ثابتة ثبوت التواتر، من انكرها فانما انكر
شيئا معلوما من الدين بالضرورة، وانما ينكر ذلك الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج
والامامية(3).

وقال النووي: اعلم ان مذهب ائمة اهل السنة باجمعهم هو ان رؤية الله تعالى ممكنة
غير مستحيلة عقلا، واجمعوا ايضا على وقوعها في الاخرة، وان المؤمنين يرون الله تعالى
دون الكافرين، وزعمت طائفة من اهل البدع . المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله
تعالى لا يراه احد من خلقه، وان رؤيته مستحيلة عقلا، وهذا الذي قالوه خطأ صريح، وجهل
قبيح، ثم قال: وكذا رؤيته تعالى في الدنيا فانها ممكنة(4).
وبعد الاستدلال على امكان الرؤية قال:

وان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله (ص) راي ربه بعيني راسه ليلة الاسرا ثم ينقل
ما قالته عائشة: ان رسول الله لم ير الله في المعراج وقال الديار بكري: ومن

1- طبقات الشافعية 2: 81، الامام الشافعي لعبد الغني الدقر: 249.

2- الفرق بين الفرق: 313 335 بتصرف.

3- شرح مسند احمد بن حنبل 14: 137 ح 7703.

4- شرح صحيح مسلم 3: 15.

الخصائص التي اختص بها النبي (ص) رؤيته للباري مرتين(1).

وقال العيني في شرح حديث الرؤية:

ان مفاد هذا الحديث هو انكار على من استحال رؤية الله تعالى، وفيه رد على اهل البدع من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة في قولهم: ان الله لا يراه احد من خلقه، وان رؤيته مستحيلة عقلا، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح، وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى في الاخرة للمؤمنين.

واما رؤية الله في الدنيا فممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم على انها لا تقع في الدنيا، وحكي عن ابي الحسن الاشعري وقوعها في الدنيا(2).

قال القسطلاني: ان رؤيتنا لله تعالى لا شك فيه(3).

حكى ابن حجر عن ابن بطلال قال: ذهب اهل السنة وجمهور الامة الى جواز رؤية الله في الاخرة(4).

قال الشيخ محمد عبده: ان في الاحاديث الصحيحة من التصريح في اثبات الرؤية ما لا يمكن المرا فيه(5).

اسئلة حول الرؤية مع اجوبتها:

وفي هذا المجال نورد الاسئلة الخمسة حول رؤية الله التي طرحت على(6) ابن

1- تاريخ الخميس 1: 213.

2- عمدة القاري 18: 172.

3- ارشاد الساري 10: 399.

4- فتح الباري 13: 359.

5- تفسير المنار 9: 144.

6- ابن حجر الهيتمي من اشهر علماء اهل السنة، توفي سنة 973 هـ، وله مؤلفات عديدة، منها: الصواعق المحرقة في الرد على الشيعة، والفتاوى الحديثية وهو كتاب على نحو الاسئلة والجواب وقد انتقينا هذه الاسئلة واجوبتها من هذا الكتاب مما يناسب بحثنا راجع الفتاوى الحديثية: 108 و153 و154.

حجر الهيتمي واجابته عليها:

1. اذا اعتقد شخص انه راي ربه في الدنيا، وان الرؤية وقعت منه في الدنيا بالعين في اليقظة، فهل يجوز ذلك، كما قال جماعة ان المختار جواز رؤيته في الدنيا في اليقظة بالعين؟

الجواب: الكلام هنا في مقامين: الاول في امكانها عقلا، والذي عليه اهل السنة انها ممكنة في الدنيا.

الثاني: في وقوعها عند اهل السنة، لكنها لم تقع في هذه الدنيا لغير نبينا (ص) وذلك ليلة المعراج.

2 . هل مؤمني الامم السابقة يرون الله يوم القيامة كهذه الامة، ام لا؟
الجواب: فيهم احتمالان لابن جمرة المالكي، وقال: الاظهر مساواتهم لهذه الامة في الرؤية، ويمكن القول بان الخلائق من الملائكة والجن والنسا يرونه، لان لفظ الخلائق عام ة.
3 . لم وقعت رؤية الله في الاخرة لا في الدنيا؟

الجواب: سبب ذلك كما افاده الامام مالك ضعف قوى اهل الدنيا عن ذلك بخلافهم في الاخرة فانهم خلقوا للبقاء، وخص نبينا (ص) بالرؤية ليلة الاسرا بعين باصرة على الاصح كرامة له.

4 . هل النسا كالرجال يرين ربهن؟

الجواب: قيل لا يرين لعدم دليل خاص فيهن، وقيل: يرين لدخولهن في العموم، وقيل: يرين في الاعياد خاصة، ولا يرين مع الرجال في اعياد الجمع، ورجح لحديث فيه، واستثنى جلال الدين السيوطي سائر الصديقات وهن اللاتي ذكرت اسمائهن في

القرآن فقال: انهن يرين الله مع الرجال كرامة لهن.

5 . هل النسا يرين الله في الموقف قبل دخول الجنة كالرجال؟

الجواب: نعم، بل قال جمع من اهل السنة: انها تحصل للمنافقين، وجمع انها تحصل للكافرين ثم يحجبون عنه، واما الرؤية في الجنة فاجمع اهل السنة انها حاصلة للانبياء والرسل والصديقين من كل امة، ورجال المؤمنين من البشر من هذه الامة، واختلف في نسا هذه الامة فقيل: لا يرين لانهن مقصورات في الخيام، وقيل: يرين لعموم النصوص.

منشا هذه العقيدة الفاسدة:

يظهر مما نقلناه من اقوال علماء اهل السنة في الصفحات السابقة ومما سنذكره في الصفحات القادمة ان مستند علماء اهل السنة في اثبات الرؤية هو الاحاديث التي رواها البخاري ومسلم في كتابيهما واخرجها ارباب الكتب المعتمدة عند اهل السنة، وبالتالي ان هذه

الاحاديث هي التي صدتهم ومنعتهم عن التدبر والتفكر في آيات القرآن المجيد، وتأثروا بها كثيرا حتى دفعتهم الى ان ياولوا معاني بعض الايات حسب ما تقتضيه هذه الاحاديث. قال ابن حجر: جمع الدارقطني طرق الاحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فزادت على العشرين، وتتبعها ابن القيم في حادي الارواح فبلغت الثلاثين، واكثرها جياذ، واسند الدارقطني عن يحيى بن معين قال: عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية صحاح(1). قال الشيخ محمد عبده: اما رؤية الرب تعالى فرما قيل: ان آيات النفي فيها اصرح من آيات الاثبات، كقوله تعالى: (لن تراني)(2) وقوله تعالى: (لا تدركه الابصار)(3)

1- فتح الباري 13: 371.

2- الاعراف: 143.

3- الانعام: 103.

فيهما اصرح دلالة على النفي من دلالة قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة) على الاثبات فان استعمال النظر بمعنى الانتظار كثير في القرآن وكلام العرب، كقوله: (ما ينظرون الا صيحة واحدة)(1)، (هل ينظرون الا تاويله)(2)، (هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)(3)، وثبت انه استعمل بهذا المعنى(4). فالشيخ محمد عبده حسب ما جاء في الفقرة المذكورة من كلامه انه يرجح الايات النافية للرؤية، ويميل اليها واستند في القول بضعف آيات الرؤية الى آيات اخرى واقوال المفسرين، ولكنه عندما تعترضه احاديث الرؤية لا يسعه الاغماض عنها، بل ياول الايات الى المعاني التي وردت في الاحاديث، ويقول بالحرف الواحد: ان في الاحاديث الصحيحة من التصريح في اثبات الرؤية ما لا يمكن المرا فيه(5). وعلى هذا، فقد علمنا ان منشا الاعتقاد بالرؤية والتجسيم والتشبيه التي ناتي بذكرها هو الاحاديث المروية في كتب اهل السنة وخاصة صحاحهم الستة، التي يعتبرونها صحيحة وموثقة ولا تقبل الخدش والرد والنقد. وهذه الاحاديث المروية عندهم هي التي دفعتهم الى الاعتقاد في التوحيد بما لا يوافق القرآن الكريم. وملخص القول اذا وضع المعمار حجر الاساس مائلا ومعوجا فان الاعوجاج والانحراف يظل باقيا مادام البنا باقيا.

رؤية الله في المنام!

لقد اطلع القارئ المنصف على ما ذكرناه من عقيدة ارباب الصحيحين واتباعهما

-
- 1- يس: 49.
 - 2- الاعراف: 53.
 - 3- البقرة: 158.
 - 4- تفسير المنار 9: 134.
 - 5- تفسير المنار 9: 144.

في مسألة رؤية الله عز وجل، ومن الجدير بهذه المناسبة ان نذكر ايضا عقيدة علماء اهل السنة بما تختص بمسألة اخرى تتناسب مع هذه المسألة وهي رؤية الله في المنام في عالم الرؤيا.

وانهم ذكروا لاثبات هذه العقيدة احاديث كثيرة تحكي بان الرسول (ص) قد اعطي هذه الموهبة، وانه (ص) رأى الله تعالى في عالم الرؤيا.

وتاييدا لهذه الفكرة وتثبيتها اوسعوا نطاق المسألة بحيث استدعت تحجيم مقام النبوة، وتجاوزوه وتعدوه زاعمين بان بعض العلماء راوا الله في عالم الرؤيا والتقوا به وجالسوه واسمعوه شجون انفسهم وهمومهم.

ومن ثم قاموا بتفسير وتعبير هذه الرؤى بتعابير شيقة وعذبة نقلوها عن اشهر مفسري الاحلام وقد ارشد دعاة هذه العقيدة مشتاقى رؤية الله في المنام، وعلموهم صلاة ذات ركعتين وبكيفية خاصة يصلحها المشتاق حتى ينال تلك الموهبة.

حتى ان المؤرخ المشهور السهيلي صاحب كتاب «روض الانف» المتوفى عام 581 من الهجرة تصدى لهذه المسألة ووضع كتابه «مسألة رؤية الله في المنام والنبى (ص)» (1) بحث فيه موضوع الرؤية في عالم الرؤيا بحثا موسعا واجاب فيه على التساؤلات التي ربما تطرح حول الموضوع.

وسوف نطلع القارئ على بيان هذه المسألة اطلاعا وافيا، وندع الحكم له.

الرسول (ص) يرى الله في المنام:

اخرج الترمذي في سننه روايات عديدة تحكي بان الرسول (ص) رأى الله عزوجل في عالم الرؤيا باحسن صورة، فجالسه وتحدث معه، واليك النص:

عن معاذ بن جبل، قال: احتبس عنا رسول الله (ص) ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نترأى عين الشمس، فخرج سريعا فتوب بالصلاة فصلى رسول الله (ص)

1- سيرة ابن هشام بقلم طه عبدالرؤوف، طبعة 1391.

وتجوز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته، فقال لنا: على مصافكم كما انتم، ثم انفتل الينا، ثم قال: اما اني ساعدتكم ما حبسني عنكم الغداة، اني قمت من الليل فتوضات وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استنقلت، فاذا انا بري تبارك وتعالى في احسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملا الاعلى؟ قلت: لا ادري قالها ثلاثا قال: فرايته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت بردانامه بين ثديي«(1).

البخاري يصحح هذا الحديث:

قال الترمذي بعد اخراجه لهذا الحديث: سألت عن صحته محمد بن اسماعيل البخاري، فقال: هذا حديث حسن صحيح(2).

علماء السنة يرون الله في المنام:

يقول الحافظ ابن العربي المالكي 543 هـ. عند شرحه هذا الحديث وتوثيقه: وقد كان الاستاذ ابو اسحاق الاسفراييني شيخ العلماء والزهاد راي البارئ في المنام، فقال له: رب اسالك التوبة ثلاثين سنة او اربعين سنة ولم تستجب لي بعد حينا(3).
ونقل الشعراني(4) وابن الجوزي(5) والشبلنجي(6) عن احمد بن حنبل انه قال: رايت رب العزة في المنام فقلت: يا رب، ما افضل ما يتقرب به المتقربون اليك؟ فقال: بكلامي يا احمد، فقلت: بفهم او بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم.

- 1- سنن الترمذي 5: 343 كتاب تفسير القرآن باب «39» باب تفسير سورة ص ح3235.
- 2- المصدر: 344.
- 3- عارضة الاحوذى 12: 117.
- 4- طبقات الشعراني 1: 44.
- 5- مناقب احمد بن حنبل: 434.
- 6- نور الابصار: 248.

وقال الالوسي صاحب تفسير روح المعاني 1270 هـ: فانا والله تعالى الحمد قدرنايت ربي مناما ثلاث مرات، وكانت المرة الثالثة في السنة 1246 بعد الهجرة، رايته جل شاناه وله من النور ماله، متوجها جهة المشرق فكلمني بكلمات انسيتها حتى استيقظت(1).

تعبير الرؤيا:

بعد ان روى الترمذي الحديث المذكور في رؤية الله في المنام ذكر تعبيراً وتفسيراً لهذه الرؤيا نقله عن ابن سيرين . اشهر مفسري الاحلام . انه قال: من رأى ربه في المنام دخل الجنة(2).

صلاة لرؤية الله في المنام:

روى علماء اهل السنة وحفاظهم عن ابن عباس انه قال: من صلى يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في اول ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة واحدة، وخمس وعشرين مرة قل اعوذ برب الفلق، وفي الركعة الثانية يقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد وقل اعوذ برب الناس خمس وعشرين مرة، فاذا سلم قال: لا حول ولا قوة الا بالله خمسين مرة، فلا يخرج من الدنيا حتى يرى ربه عزوجل في المنام ويرى مكانه في الجنة او يرى له. روى هذا الحديث جلال الدين السيوطي في اللثالي المصنوعة (3)، وابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» (4) وقال: هذا حديث موضوع، وفي اسناده مجاهيل لا يعرفون، وقد ذكر صلوات الاسبوع ابو طالب المكي، وتبعه ابو حامد الغزالي، وكل ذلك لا اصل

1- روح المعاني 9: 52.

2- سنن الدارمي 2: 126 كتاب الرؤيا باب «12» باب في رؤية الرب تعالى في النوم ح 2150.

3- اللثالي المصنوعة 2: 52.

4- الموضوعات 2: 119.

له.

والعجب ان ابن الجوزي في نقده لهذا الحديث لا يتعرض الى منته الذي اشيرفيه الى مسألة رؤية الله تعالى، واحسبه ان متن الحديث عنده من اليقينيات، واما السند فهو مخدوش عنده، ويقول: حديث موضوع، وفيه مجاهيل لا يعرفون.

راي الشيعة في رؤية الله

يعتقد ائمة الشيعة اي اهل بيت النبي (ع) بان رؤية الله سوا في الدنيا او الاخرة وبالعين المجردة تعد من الامور المستحيلة، وتبعهم في ذلك الشيعة المتعلمون بعلم اهل بيت النبي (ع) وقالوا باستحالتها وان الله اجل واكبر من ان يكون كالاكسام المادية مثل الشمس والقمر التي تدرك بالانعكاسات الضوئية.

هذه هي خلاصة عقيدة اهل البيت (ع) حول الرؤية، ويلزم التمسك بقولهم ولا تقبل معذرة في الاخرة سوى الاخذ عنهم لانهم هم المطهرون من الارجاس والادناس والمنزهون عن الخطا والانحراف، كما اشار الى ذلك القرآن في قوله تعالى: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) (1) وقرنهم رسول الله (ص) بالكتاب، وجعلهم احد الثقلين اللذين اودعهما في امته فقال: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي».

واما البراهين العقلية والايات القرآنية فهما تؤيدان ما ذهب اليه الشيعة من استحالة رؤية الله، والاحاديث المروية عن الائمة (ع) بدورها تفسر تلك الادلة العقلية والقرآنية وتقرب المسألة الى الازهان البشرية.

البراهين العقلية والفلسفية على نفي رؤية الله:

1. قالت الفلاسفة: تتحقق رؤية الشيء بالعين وانعكاس الضوء اذا كان الشيء المرئي والمشاهد بفتح عين الفعل في جهة معينة وان تكون بين الرائي والمرئي مسافة

1- الاحزاب: 33.

معينة تفصل بينهما بحيث لو زادت او نقصت تلك المسافة لخرجت الرؤية عن حيز الامكان، والشرط الاخر هو ان يكون المرئي في مقابل الرائي ومحاذاته وبالالتفات الى هذه الشروط والنقاط فرؤية الله تكون محالة، وذلك لانه لا يتحقق اي واحد من هذه الشروط بالنسبة الى الله، لانه تعالى لم يكن له جهة معينة، ومكان معين، ليستقر فيه، ولم يتصور ان تكون بينه تعالى وبين البشر اية محاذاة وفاصلة ومسافة، لان هذه المسافة والفاصلة تستلزم ان يكون الله عزوجل جسما ماديا ومتحيزا ومتعلقا بالمكان، وهذان الامران من المستحيلات بالنسبة الى ذاته عزوجل.

2. رؤية الله عزوجل بواسطة العين الباصرة لا تخلو من جهتين: اما ان تحيط الرؤية بجميع ذاته تعالى فان هذه الاحاطة تستلزم تحديد وجود الله وحصره في مكان معين وخلو سائر النقاط منه، لان عين الانسان محدودة القدرة ولا تستطيع الاحاطة بجميع الجهات. واما ان تكون رؤيتنا اياه تعالى تتعلق بجزء من ذاته، وانها تدرك قسما من ذاته تعالى، فهذه تستلزم القول بالتجزئة والتركيب في ذاته، وكل ذلك محال بالنسبة الى الله، لانه تعالى

شانه ليس محدودا بحد ولا متحيزا في مكان، وليس له اجزا ومركبات حتى يكون في مكان دون مكان.

واضف الى ذلك ان المرئي . المفعول . لابد ان يكون ذا لون حتى يكون قابلا للرؤية، وتعليق اللونية على ذاته تعالى مستحيل كذلك(1).

الدلائل القرآنية:

في القرآن الكريم آيات متعددة تنفي رؤية الله وتستحيلها، منها:
1 . في سورة الانعام: (لا تدركه الا بصار وهو يدرك الا بصار وهو اللطيف

1- راجع شرح التجريد للعلا مة الحلبي، والقوشجي وسائر المؤلفات الفلسفية والكلامية الاسلامية.

الخبير(1).

قال الطبرسي: الادراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه الا الرؤية وعليه اذا قال احد: ادركته ببصري وما رأيته متضاد، لان الادراك لا يكون بالعين(2).

2 . في سورة البقرة: (واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هوالثواب الرحيم واذ قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون(3). هاتان الايتان المتعاقبتان والمتتاليتان فيهما الدلالة التامة على استحالة رؤية الله عزوجل، لان الاية الاولى صريحة في عذاب الذين عبدوا العجل فالزمهم الله بالتوبة وقيدها بقتل النفس الانتحار كفارة لذنبهم، والاية الثانية صريحة كذلك في معاقبة الذين ارادوا رؤية الله تعالى وان عقابهم هو نزول الصاعقة والبلا السماوي عليهم.

وترشدنا الايتان معا بكل وضوح وبيان الى حقيقة وهي: ان طلب رؤية الله يعتبر من الذنوب الكبيرة ويوجب نزول العذاب السماوي كما ان عبادة العجل كفوارتداد وموجبة للعذاب.

والجدير بالذكر ان في كل الايات التي اشير فيها الى سؤال بني اسرائيل رؤية الله وطلبهم المستحيلات جاء ذكر العذاب والعقاب عقيب السؤال بتعابير بلاغية وجمل مختلفة، وما ذلك الا لكون هذا السؤال ذنبا كبيرا وجريمة عظيمة.

قال تعالى: (يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم)(4).

1- الانعام: 102.

2- مجمع البيان 4: 344.

3- البقرة: 54 55.

4- النساء: 153.

الصفحة

151

وقال تعالى: (وقال الذين لا يرجون لقانا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا)(1).

وعلى هذا الاساس فلو كانت رؤية الله ممكنة كما يعتقد اهل السنة القائلون بإمكانها ويدعون بان رؤيته تعالى والنظر اليه في القيامة هي من اعظم ما ينعم الله على عباده في الجنة، واكبر ما يعطونه من الفضل واللطف الالهي في القيامة لما كان السؤال بتحققها وابقاعها استكبارا وعتوا وتمردا عن امرالله. وفي القرآن آيات عديدة اخرى تنفي الرؤية نفيًا قاطعًا، ولكن اكتفينا بذكرهاتين الايتين كشاهدين ونموذجين.

الادلة الحديثية:

1. من كلام له (ع) وقد ساله ذعلب اليماني فقال: هل رايت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال (ع): افاعبد ما لا ارى؟ بحقائق الايمان(2).
2. سئل الصادق (ع): هل يرى الله في المعاد؟ قال (ع): سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، ان الابصار لا تدرك الا ماله لون وكيفية، والله خالق الالوان والكيفية(3).
3. عن ابي عبدالله (ع)، قال: جاء حبر الى امير المؤمنين (ع) فقال: يا أمير المؤمنين، هل رايت ربك حين عبده؟ فقال (ع): ويملك ما كنت اعبد ربا لم اراه قال: وكيف رايته؟ قال (ع): ويملك لا تدرکه العيون في مشاهدة الابصار، ولكن راته القلوب بحقائق الايمان(4).

1- الفرقان: 21.

2- بحار الانوار 4: 27 كتاب التوحيد باب «5» باب نفي الرؤية وتاويل الايات فيها ح2.

3- بحار الانوار 4: 31 ح5.

4 . عن الاشعث بن حاتم قال: قال ذو الرئاستين: قلت لابي الحسن الرضا (ع): جعلت فداك، اخبرني عما اختلف فيه الناس من الرؤية فقال (ع): يا ابا العباس من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد اعظم الفرية على الله، قال الله: (لا تتركه الا بصار وهو يدرك الا بصار وهو اللطيف الخبير)(1)(2).
وهناك العشرات من الاحاديث الواردة عن الائمة (ع) تنفي رؤية الله عزوجل، وقد ذكرنا طرفا منها كشواهد، ونماذج.

2 . مكان الله؟

النقطة التالية الدالة على ضعف مسألة التوحيد التي ذكرها البخاري ومسلم في صحيحيهما هي ان الله بحاجة الى مكان، واثبتا له تعالى اماكن متعددة.
وتوضيحا للمسألة نقول: اننا ذكرنا في مبحث الرؤية ان رؤية الله تستلزم القول بتعيين مكان خاص لله عزوجل يشغله، وان احد لوازم هذه الرؤية كما هو شأن كل موجود ان يشغل حيزا من المكان، واحاديث الصحيحين تدلنا على كون الله متحيزا في مكان معين، وقد افرد كل واحد من مؤلفي الصحاح ابوابا مستقلة في صحاحهم، حتى ان علماء اهل السنة كتبوا في بيان هذه المسألة وتوضيحها كتبا كثيرة.
وروي في الصحيحين ان العبد اذا كان في الصلاة فان مكانه تعالى الى جهة القبلة وامام العبد، وجا في السنن ان مكانه تعالى هو فوق العرش وقبل ان يخلق الله العرش كان مكانه تعالى في قطعة من السحاب.

واليك احاديث تحدد مكان الله عزوجل:

1 . عن عبدالله بن عمر: ان رسول الله (ص) راى بصاقا في جدار القبلة، فحكه بيده، ثم اقبل على الناس فقال: اذا كان احدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه

1- الانعام: 103.

2- بحار الانوار 4 : 53 ح 31.

إذا صلى(1).

2 . عبد الله قال: بينا النبي (ص) يصلي إذ رأى في قبلة المسجد نخامة، فحكها بيده، ثم قال: إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه، فلا يتخمن حيال وجهه في الصلاة(2).

3 . عن أبي هريرة: إن رسول الله (ص) رأى نخامة في قبلة المسجد، فأقبل على الناس فقال: ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه، يحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه؟ أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه، فإن لم يجد فليفعل هكذا. ووصف القاسم، فنقل في ثوبه، ثم مسح بعضه على بعض(3).
وأخرج مسلم هذا الحديث بطريقتين عن أبي هريرة.

الله في السماء:

روى ثلاثة من أصحاب الصحاح الستة وآخرون من مؤلفي المسانيد والسنن عن معاوية بن حكم السلمي أنه سأل النبي (ص) عن أمته فقال:
فاتيت رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله افتري اعتقها الجارية؟ قال (ص): ائتي بها، فاتيت بها قال لها: أين الله؟ قالت: في السماء قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول

1- صحيح البخاري 1: 112 كتاب الصلاة باب حك البزاق باليد عن المسجد، صحيح مسلم 1: 388 كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب « 13 » باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها ح50.
2- صحيح البخاري 1: 191 كتاب الصلاة باب هل يلتفت لأمر ينزل، وج 8: 33 كتاب الأدب باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله.
3- صحيح مسلم 1: 389 كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب « 13 » باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها ح53، سنن ابن ماجه 1: 326 كتاب الصلاة باب « 61 » المصلي يتنخم ح1022.

الله قال (ص): اعتقها فإنها مؤمنة(1).

الله على العرش:

1 . عن ابن عباس بن عبدالمطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله (ص)، فمرت به سحابة فنظر إليها، فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: السحاب قال: والمزن؟ قالوا: والعنان .

قال ابو داود: لم اتقن العنان جيدا، قال (ص): هل تدرون ما بين السماوالارض؟ قالوا: لا ندري .

قال: بعد ما بينهما اما واحدة او اثنتان او ثلاث وسبعون سنة، ثم السما فوقها كذلك، حتى عدد سبع سموات، ثم فوق السبعة بحر بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء الى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سما الى سما، ثم على ظهورهم العرش، بين اسفله واعلاه مثل ما بين سما الى سما، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك(2).

2 . عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن ابيه، عن جده، قال: اتى رسول الله (ص) اعرابي، فقال: يا رسول الله، جهدت الانفس، وضاعت العيال، ونهكت الاموال، وهلكت الانعام، فاستسق الله لنا، فاننا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله (ص): ويحك اتدري ما تقول؟ وسبح رسول الله (ص)، فما زال يسبح، حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه، ثم قال: ويحك اتدري ما الله ان عرشه على سماواته هكذا،

1- صحيح مسلم 1: 232 كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب « 7 » باب تحريم الكلام في الصلاة ذيل ح 33، سنن ابي داود 1: 382 كتاب الصلاة باب تشميت العاطس في الصلاة ذيل ح 930، سنن النسائي 3: 18 كتاب السهو باب الكلام في الصلاة، موطا مالك 2: 776 كتاب العتق والولا باب « 6 » باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة ح 8، مسند احمد بن حنبل 2: 291 مسند ابي هريرة، وح 5: 447 449 حديث معاوية بن حكم السلمى .
2- سنن ابي داود 4: 231 كتاب السنة باب في الجهمية ح 4723، سنن ابن ماجه 1: 69 المقدمة باب «13» باب فيما انكرت الجهمية ح 193 .

وقال باصابعه مثل القبة عليه وانه ليئط به اطييط الرجل بالراكب .

قال ابن بشار في حديثه: ان الله فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته، وساق الحديث(1).

اقول: روى ابو داود في سننه هذا الحديث باسانيد مختلفة وصححه .

3 . عن ابن مسعود قال: بين السما الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سما

وسما خمسمائة عام، وبين السما السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء

خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شي من اعمالكم(2).

اللّٰه في السحاب:

- 1 . عن ابن زرين قال: قلت: يا رسول اللّٰه (ص)، اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه؟ قال (ص): كان في غما ما تحته هوا، وما فوقه هوا، ومن ثم خلق عرشه على الما(3).

المستفاد من الاحاديث:

- 1 . ان اللّٰه متحيز وله مكان، وقبل ان يخلق الخلق كان في ظلة من الغمام.
- 2 . ان اللّٰه تعالى لما خلق الخلق استقر على عرشه وفوقه، وكان العرش يئط من ثقله تعالى كما يئط المركب من ثقل راكبه.
- 3 . ان للّٰه تعالى اماكن متعددة يستقر فيها انى شاء فمرة تجده على السحاب، واخرى يعنلي العرش، وثالثة ينزل من العرش، وتارة يستقر في جهة قبلة المصلي واخرى يتوسط بينهما المصلي والقبلة.

1- المصدرين.

2- كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب: 212.

3- سنن ابن ماجة 1: 64 المقدمة باب « 13 » باب فيما انكرت الجهمية ح 182، سنن الترمذي 5: 269 كتاب تفسير القرآن باب « 12 » تفسير سورة هود ح 3109.

الصفحة

156

- 4 . علاوة على ما حكته لنا هذه الاحاديث من التجسيم والتشبيه فانها تذكر مسائل حول السماوات والعرش والكرسي، واستقرار العرش فوق الازوال التي تفصل بين اطلاق كل منها وركبتها مسافة خمسمائة عام وكل هذه الاشيا تستقر كل ذلك على الما. وهذه الامور ليست خفية على المطالع اللبيب المحقق وعليه ان يحكم على مثل هذه الاحاديث.

رأي اهل السنة في مكان اللّٰه.

ان نظرة سريعة وخاطفة لكتب الكلام وغيرها تعطي الانسان بصيرة اكثر على مايعتقده علماء اهل السنة وائمة مذاهيم الاربعة الحنبلية، الحنفية، المالكية والشافعية في مسألة مكان اللّٰه تعالى هو ما اخذوه من الاحاديث المروية عندهم في الصحاح، بانهم يعتقدون ان اللّٰه استوى على العرش، وهذا الراي هو ما يعتنقه علماءهم المعاصرون ايضا تبعا لاسلافهم.

فهذا الامام احمد بن حنبل احد المعتقدين بهذا الراي يقول بان الله قد استوى فوق العرش، وتراه عندما يواجه الاية الكريمة (وهو معكم اينما كنتم) (1) التي تثبت عدم اختصاص المكانية لله عزوجل وانها من الدلائل السماعية التي تدل بوضوح على احاطته الكاملة بجميع الامكنة وعدم خلو مكان منه تعالى فقام بتاويلها بعلم الله وقال ان المراد هو ان الله يعلم جميع الاعمال ولا يخفى عليه شي وليس المراد المعية(2). وهذا ايضا الامام ابو حنيفة هو الاخر يرى بان الله مستقر على العرش ويروي الذهبي في كتابه «العلو للعلي الغفار»(3) عن نوح الجامع انه قال: كنت عند ابي حنيفة اول

1- الحديد: 4.

2- تفسير المنار 9: 131.

3- شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي 748 هـ احد علما اهل السنة المعروفين، وله كتب عديدة في شتى العلوم منها هذا الكتاب الذي الفه لاثبات هذه العقيدة بان الله قد استوى على العرش، طبع هذا الكتاب سنة 1388 هـ بالقاهرة ونشرته المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

الصفحة

157

ما ظهر، اذ جاته امراة من ترمذ كانت تجالس جهما، فدخلت الكوفة، فاظنني اقل ما رايت عليها عشرة آلاف نفس فقيل لها: ان هاهنا رجلا قد نظر في المعقول، يقال له ابو حنيفة فاتيه، فاتته فقالت: انت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك؟ اين الهك الذي تعبه؟ فسكت عنها، ثم مكث سبعة ايام لا يجيبها، ثم خرج الينا وقد وضع كتابا: ان الله عزوجل في السما دون الارض، فقال له رجل: ارايت قول الله عزوجل (وهو معكم) قال: هو كما تكتب الى الرجل: اني معك وانت غائب عنه.

قال: ثم قال البيهقي: لقد اصاب ابو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله عزوجل من الكون في الارض، واصاب فيما ذكر من تاويل الاية وتبع مطلق السمع بان الله تعالى في السما(1).

وثالث ائمة اهل السنة الامام مالك بن انس كان يرى هذا الراي ايضا روى عبدالله بن احمد بن حنبل عن ابيه الامام احمد بن حنبل قال: قال مالك بن انس: الله في السما، وعلمه في كل مكان، ولا يخلو منه شي(2).

ورابعهم الامام الشافعي كان على هذا المعتقد ايضا، روى شيخ الاسلام ابوالحسن الهكاري والحافظ ابو محمد المقدسي باسنادهم الى ابي ثور وابي شعيب، كلاهما عن الامام

محمد بن ادريس الشافعي ناصر الحديث رحمه الله تعالى قال: القول في السنة التي انا عليها ورايت عليها الذين رايتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما اقرار بشهادة ان لا اله الا الله، وان محمدا رسول الله، وان الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وينزل الى السما الدنيا كيف شاء وذكر سائر الاعتقاد.

ومما جاء في وصية الامام الشافعي انه يشهد ان لا اله الا الله، فذكر الوصية بطولها

1- ص 101.
2- العلو للعلوي الغفار: 103.

الصفحة
158

وفيها: القرآن غير مخلوق، وان الله يرى في الاخرة عيانا، ويسمعون كلامه، وانه تعالى فوق العرش(1).

روى ابن حجر عن ابن تيمية انه قال: انه سبحانه فوق سماواته على عرشه، علي على خلقه(2).

وعن الاوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: ان الله فوق عرشه ونؤمن بماوردت به السنة من صفاته.

و روى ايضا عن ابي عمر الطلمنكي انه قال: اجمع المسلمون من اهل السنة على ان معنى قوله:

(وهو معكم اينما كنتم)(3) ونحو ذلك من القرآن انه علمه، وان الله تعالى فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شا، وقال: وقال اهل السنة في قوله: (الرحمن على العرش استوى)(4) ان الاستوا من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز(5).

الحافظ شمس الدين الذهبي يرى القول بالمكان لله سبحانه وتعالى ايضا ووضع كتابا في تحرير عقيدته واثباتها وعنوانه «العلو للعلوي الغفار» يقول: ان المسلمون من اهل السنة واتباع الحديث مجمعون على ان الله عزوجل بذاته فوق العرش وان اول من انكر ذلك الجعد بن درهم(6).

وقال محمد اشرف شارح سنن ابي داود في شرحه لقوله ثم الله فوق ذلك: وهذا الحديث يدل على ان الله فوق العرش وهذا هو الحق، وعليه تدل الايات القرآنية

1- المصدر: 120.

- 2- مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية العقيدة الواسطية: 401.
3- الحديد: 4.
4- طه: 5.
5- العلو للعلی الغفار: 179.
6- شرح كتاب التوحيد: 211.

والاحاديث النبوية، وهو مذهب السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم من اهل العلم رضوان الله عليهم اجمعين قالوا: ان الله تعالى استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل، والاستوا معلوم والكيف مجهول والجهمية قد انكروا العرش وان يكون الله فوقه، وقالوا: انه في كل مكان ولهم مقالات قبيحة باطلة، وان شئت الوقوف على دلائل مذهب السلف والاطلاع على رد مقالات الجهمية الباطلة فعليك ان تطالع الاسما والصفات للبيهقي وافعال العباد للبخاري وكتاب العلو للعلی الغفار للذهبي والقصيدة النونية والجيش الاسلامية لابن القيم(1).

اقول: وفضلا عن ذكرناهم فان عالم اهل الشام الاوزاعي وابن جريج مفتي الحجاز وشيخ الحرم، وعالم خراسان مقاتل بن حيان والامام البخاري صاحب الصحيح كانوا ممن يعتقدون بان لله عزوجل مكان خاص (2)، وقال محمد عبدة: ان ابن قدامة الف في هذا المجال كتابا(3).

من اين نشأت هذه العقيدة؟

ذكرنا في مبحث رؤية الله ان منشأ هذا الراي هو مما جاء في الاحاديث التي رواها حفاظ اهل السنة في كتبهم نقلا عن ابي هريرة واقرانه، وهذه المسألة مكان الله هي كتلك نابعة عن احاديث اخرجها البخاري ومسلم وارباب الصحاح والسنن في مؤلفاتهم. وقد اقر بعض علمائهم القائلين بالمكانية بهذه الحقيقة وذكرنا انفا قول ابن حجر فانه بعد ما ذكر كلام الاوزاعي وعقيدته في هذه المسألة قال: فان اتباع السنة مجمعون على ثبوت مكان خاص بالله تعالى، ثم اضاف قائلا: ان هذه العقيدة هي مما ورد في الاحاديث ونؤمن بجميع ذلك.

والعلامة الشيخ عبدالرحمن من متكلمي اهل السنة عند ما يتطرق لاقوال العلما

1- عون المعبود في شرح سنن ابي داود 13: 10.
2- العلو للعلی الغفار: 102.
3- تفسير المنار 9: 180.

في المكان يستدرك ذلك بحديث ويقول: هذا ما احتواه هذا الحديث والاحاديث المتواترة المروية في الصحيحين وغيرهما(1).

3 . هل الله يضحك؟ رب الصحيحين يضحك!!

والمسألة الثالثة التي تبين ضعف التوحيد من وجهة نظر الصحيحين «البخاري ومسلم» انهما اخرجوا احاديث تقص لنا ضحك الله تعالى.

وهاك ايها القارئ الكريم بعض ما روي في هذا الصدد:

1 . روى البخاري ومسلم في كتابيهما حديثا طويلا حول الرؤية وقد ذكرنا آنفا في مبحث الرؤية ضمن الحديث الثاني المنقول، وقد ورد في آخر الحديث اشارات الى موضوع الضحك.

فيقول الله: او ليس قد زعمت ان لا تسألني غيره؟ وبلك يا ابن آدم ما اغدرك؟ فيقول: يا رب، لا تجعلني اشقى خلقك فيها(2).

2 . وكذا روى ابو هريرة حديثا طويلا عن ضيافة احد الاصحاب، وجا في نهاية الحديث، فلما اصبح غدا الى رسول الله (ص) فقال (ص): ضحك الله الليلة او عجب من فعالكما(3).

3 . اخرج مسلم عن ابي هريرة حديث بثلاثة اسانيد ونصين مختلفين فقال فيهما: ان رسول الله (ص) قال: يضحك الله الى رجلين يقتل احدهما الاخر، فكلاهما يدخل الجنة فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال (ص): يقاتل هذا في سبيل الله عزوجل فيستشهد، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيقاتل في سبيل الله(4).

1- التوحيد: 213 طبعة القاهرة سنة 1347 هـ.

2- راجع ص: 114 هامش 1.

3- صحيح البخاري 5: 43 كتاب المناقب مناقب الانصار باب (ويؤثرون على انفسهم).

4- صحيح مسلم 3: 1504 كتاب الامارة باب « 35 » باب بيان الرجلين يقتل احدهما

الاخر يدخلان الجنة ح128.

4 . عن ابن مسعود: ان رسول الله (ص) قال: آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فاذا ما جاوزها التفت اليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد اعطاني الله شيئاً ما اعطاه احدا من الاولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: اي رب، ادنني من هذه الشجرة فلاستظل بظلها واشرب من مائها، فيقول الله عزوجل: يا ابن آدم، لعلي ان اعطيتها سالتني غيرها؟ فيقول: لا، يا رب منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها.

ثم ترفع له شجرة هي احسن من الاولى، فيقول: اي رب بظلها لا اسالك غيرها. فيقول: يا ابن آدم فيعاهده ان لا يساله غيرها، وربه يعذره، لانه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي احسن من الاوليين، فيقول: اي رب بظلها، واشرب من مائها، لا اسالك غيرها فيقول: يا ابن آدم بلى يا رب، هذه لا اسالك غيرها، وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليها، فاذا ادناه منها، فيسمع اصوات اهل الجنة فيقول: اي رب ادخلنيها، فيقول: يا ابن آدم، ما يصريني منك؟ ايرضيك ان اعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب اتستهزئ مني وانت رب العالمين؟

فضحك ابن مسعود، فقال: الا تسالوني مم اضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله (ص)، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال (ص): من ضحك رب العالمين حين قال: اتستهزئ مني وانت رب العالمين؟ فيقول: اني لا استهزئ منك،

ولكني على ما اشأ قدير(1).

تبارك الرب الضحك:

عن ابي زرير قال: قال رسول الله (ص): ضحك ربنا من قنوت عباده وقرب غيره. قال: قلت: يا رسول الله ايضحك الرب؟ قال (ص): نعم. قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً(2).

المستفاد من هذه الاحاديث:

في هذه الاحاديث مسائل تدل على ان جميعها موضوعة ومختلفة، نشير الى بعض منها:

- 1 . عروض الضحك والتعجب لله تعالى تماما كما يعرض ذلك على بني آدم.
 - 2 . انه تعالى اذا اراد في الآخرة ان يمنح عبدا من عبادته شيئا ياخذ عليه الميثاق والعهد بان لا يساله غيره، ولكن ترى ان الله عزوجل ينخدع بخداع العبد اياه اذانه يوعد كذبا ويقر الميثاق على عدم السؤال ثانية، وعندما لبي الله تعالى له طلبه وضمن له الحاجة الاولى يخلف الوعد، وينكث العهد، ويسال مرة اخرى، ويخدع ربه في هذه المرة كذلك، وهكذا مرة بعد اخرى يكرر هذا العمل.
- اقول: الم يكن هناك احد يسال هؤلاء القائلين بصحة هذه الاحاديث ان الله الذي اثني على نفسه بالرحمانية والرحيمية، ومدح ذاته احسن الثناء، لماذا ياخذ على عبده تلك المواثيق الغليظة عندما يريد ان يهبه شيئا؟ ولماذا يمنعه السؤال؟ فما معنى هذا العهد، وما يعني نقضه من قبل العبد؟
- 3 . ان العبد المؤمن والموحد الذي من شأنه ان يغفر له الله وينجيهِ من النار، تراه

1- صحيح مسلم 1: 174 كتاب الايمان باب «83» باب آخر اهل النار خروجا ح310.
2- سنن ابن ماجة 1: 64 المقدمة باب «13» باب فيما انكرت الجهمية ح281.

قد امتلات نفسه بالعجب والغرور، ويجرؤ في ان ينسب صفة الاستهزاء والسخرية التي هي من صفات الجاهلين الى الله اعادنا الله من هذه الموضوعات والخزعبلات واقوال الزور من المزورين والقائلين بها، ونستغفره من كل ذلك.
(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)(1).

4 . الله وتنقلاته

المسألة الرابعة في بيان ضعف التوحيد في الصحيحين هي ما اخرج به البخاري ومسلم في كتابيهما من الاحاديث باسانيدي ومتون مختلفة حول مسألة نزول الله الى السما الدنيا، وهذه الاحاديث جميعها تنتهي الى راو واحد وهو ابو هريرة الدوسي.
نذكر بعضها كامثلة على الموضوع:

1 . عن ابي هريرة: ان رسول الله (ص) قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة الى السما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر، فيقول: من يدعوني فاستجيب له؟ ومن يسألني فاعطيه؟ ومن يستغفني فاعفر له؟(2).

اخرجه البخاري في موردين باختلاف وتفاوت، ففي الاول ينزل ربنا، وفي الاخر يتنزل ربنا واما مسلم فقد اخرجه بلفظ ينزل ربنا.

1- الاحزاب: 71.

2- صحيح البخاري 2: 66 كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، وج 8: 88 كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل، وج 9: 175 كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (يريدون ان يبدلوا كلام الله)، سنن ابن ماجه 1: 435 كتاب الصلاة باب « 182 » باب ما جا في اي ساعات الليل افضل ح 1366 1367، صحيح مسلم 1: 521 كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب « 24 » باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والاجابة فيه ح169168.

الصفحة
164

2 . اخرج مسلم في صحيحه ستة احاديث حول نزول الله تعالى، ونذكر واحدا منها كمثل:

ابو هريرة يقول: قال رسول الله (ص): ينزل الله تعالى في السما الدنيا لشطر الليل او لثلث الليل الاخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له، او يسألني فاعطيه؟ ثم يقول: من يقرض غير عديم ولا ظلوم؟

حدثنا هارون بن سعيد بهذا الاسناد وزاد: ثم يبسط يديه تبارك وتعالى يقول: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم؟(1).

3 . قالت عائشة: ان رسول الله (ص) قال: ما من يوم اكثر من ان يعتق فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وانه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما اراد هؤلاء؟(2).

المستفاد من هذه الاحاديث:

- 1 . تجسيم الله تعالى.
- 2 . حاجة الله الى المكان.
- 3 . حاجة الله الى الجهة، كما ذهب متكلمو العامة مثل: ابن قتيبة وابن عبدالبرالي القول حول الله بالجهتية، وقد اعتمدوا في اثبات نظريتهم وعقيدتهم هذه على الاحاديث المروية عندهم في الصحاح(3).

4 . تحديد الله تعالى بحدود بحيث يحتاج الى تغيير مكانه، وان يتنقل من محل الى محل آخر.

- 1- صحيح مسلم 1: 522 كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب « 24 » باب الترغيب في الدعا والذكر في الليل والاجابة فيه ح 171.
- 2- صحيح مسلم 2: 982 كتاب الحج باب « 79 » باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ح 436.
- 3- عمدة القاري 7: 199.

تحقيق موجز:

لا يخفى ان حديث نزول الله ورد بنصوص ومتون مختلفة ومتفاوتة، ولكن القاسم المشترك بين جميعها هو اشتراكها في راو واحد وهو ابو هريرة، وترى جميعها مضطربة نصا وممتا، ففي بعضها ورد نزول الله في الثلث الاخر من الليل، وفي بعضها عند ذهاب ثلث من الليل، وفي البعض الاخر عند ذهاب ثلثي الليل وورد في بعضها عند ذهاب شي من الليل وكذا تلاحظ اضطرابات في ذيل الحديث من حيث العبارة. وعلى هذا فلا يمكن ان نوحده هذه الاحاديث الستة، بل حتى ان الجمع بين حديثين منها يبدو غير ممكن.

وكما اشرنا اليه سابقا ان هذه الاحاديث جميعها مروية عن ابي هريرة، وتعتبر في الواقع حديثا واحدا تبين موضوع واحد، ولكن لما كان الكذاب نسا ولا حافظة له، ترى الاختلاف والتضارب واضح في اخباره، وعلى كل حال فان هذا الحديث ينافي ويبين مسلمات العقل والقرآن حول التوحيد.

5 . الله جنب الى جنب عبده

اخرج الشيخان في صحيحيهما، وابن ماجة في سننه، بان الله يقف كتفا الى كتف عبده ومحاذيا اليه.

عن صفوان بن محرز قال: بينا ابن عمر يطوف، اذ عرض رجل فقال: يا ابا عبد الرحمن، او قال: يا ابن عمر، اسمعت النبي (ص) في النجوى؟ فقال: سمعت النبي (ص) يقول: يدنى المؤمن من ربه وقال:

يا هشام يدنو المؤمن حتى يضع الله عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول:
اعرف، يقول:

رب اعرف مرتين فيقول: سترتها في الدنيا واغفرها لك اليوم(1).

1- صحيح البخاري 3: 168 كتاب المظالم والغصب باب قول الله تعالى: (الا لعنة الله على الظالمين)، وج 6: 93 كتاب تفسير القرآن تفسير سورة هود، وج 8: 24 كتاب الادب باب ستر المؤمن على نفسه، صحيح مسلم 4: 2112 كتاب التوبة باب «5» باب قبول التوبة ح 29، سنن ابن ماجه 1: 65 المقدمة باب «13» باب فيما انكرت الجهمية ح 183.

6 . جوارح الله واعضائه

الدليل الخامس على ضعف مجموعة من احاديث الصحيحين وسقمها هو ما اخرج الشيخان البخاري ومسلم من الروايات المختلفة التي تمت بصلة الى بيان مسائل التوحيد وما تتعلق بذات الله عزوجل.

والجدير بالذكر ان دراسة هذه المجموعة الكبيرة من الروايات وتحقيقها لتبصر الانسان وتعطيه وعيا على معرفة الحقيقة هي في غاية الاهمية، وهذه الحقيقة هي ان معرفة التوحيد الصحيح والسليم من التوهّمات لا تتحقق ولا تحصل عن طريق هذه الاحاديث المروية في الصحيحين، وذلك لانهما صورا الله تعالى شانه على انه جسم مادي كسائر الموجودات المادية وانه عزوجل يمتلك اعضا وجوارح كجوارح الانسان الكامل، مثل: الوجه واليد والاصبع، وغيرها.

وقد اشرنا فيما مر أنفا في مبحث الرؤية الى بعض هذه الروايات، وتنميما لذلك نتطرق هنا ايضا الى بعضها الاخر ونخصص الدراسة في كل عضو بانفراد.

1 . وجه الله:

اخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما روايات عديدة تصور لنا ان لله تعالى وجهها وصورة مثل وجه الانسان وصورته:

1 . عن ابي هريرة: عن النبي (ص) قال: خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على اولئك النفر الجلوس من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، فانها تحيتك وتحية ذريتك.

فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الان(1).

1- صحيح البخاري 8: 62 كتاب الاستئذان باب بد السلام، صحيح مسلم 4: 2183 كتاب الجنة وصفة نعيمها باب «11» باب يدخل الجنة اقوام افندتهم مثل افندة الطير 28.

2. عن ابي هريرة: عن النبي (ص) قال: اذا قاتل احدكم اخاه فليتجنب الوجه، فان الله خلق آدم على صورته(1).
3. اخرج مسلم عن ابي هريرة: عن النبي (ص) قال: خلق آدم على صورة الرحمن(2).
4. اخرج البخاري في كتابه «الادب المفرد» عن ابي هريرة انه قال: لا تقولن: قبح الله وجهك ووجه من اشبه وجهك، فان الله عزوجل خلق آدم على صورته(3).

الاستنتاج:

نستكشف من هذه الروايات ما يلي:
اولا: تجسيم الله، واثبات الوجه والصورة له تعالى وتقدس.
ثانيا: التشابه بين صورة الانسان وصورة الله، واکراما واحتراما لصورة الله ووجهه الذي يشبه وجه الانسان فلا يجوز لطم وجه الانسان.

تحقيق:

قال العلامة الفقيه السيد عبدالحسين شرف الدين: ان مضمون هذه الاحاديث انما هو عين الفقرة السابعة والعشرين من الاصحاح الاول من اصحاحات التكوين من كتاب اليهود العهد القديم واليك نصها بعين لفظه: قال: فخلق الله الانسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرا وانثى خلقهم(4).

اقول: يتضح لمن يقرأ التوراة ويطالعها، ان هذا المضمون كون صورة آدم شبيهة

1- صحيح مسلم 4: 2017 كتاب البر والصلة والادب باب «32» باب النهي عن ضرب الوجه ح 115.
2- ارشاد الساري 10: 491.
3- الادب المفرد للبخاري: 73 باب «91» باب لا تقل: قبح الله وجهك ح 173.
4- ابو هريرة: 55.

لصورة الله واثبات الوجهية لله تعالى ورد مكررا في التوراة كما ينص عليه في القسم الاول من الاصحاح الخامس من سفر التكوين عندما خلق الله آدم، خلقه على صورة الله. وفسر بولس هذه الجملات الواردة في التوراة وشرحها بان هذا التشابه بين الانسان والرب هو في القدسية والعدالة والسيرة، واما الصورة فالمراد منها الصورة الواقعية للانسان لا الصورة الظاهرية(1).

اقول: لو كان المقصود من التشابه الوارد في التوراة هو هذا المعنى الذي قاله بولس، كان وجيها تقريبا، وارتفعت عندئذ شبهة التجسيم والتشبيه، ولكن وللاسف ان اولئك الذين اخذوا ذلك من التوراة وادرجوه في الصحيحين، اخذتهم العصبية العمياء، فسدوا جميع ابواب التاويل والتفسير وصاروا اراف من الام واحر من الجمره، ورووا هذه الحكاية الوهمية بكيفية بحيث يصعب ويستحيل تاويلها على معنى آخر، كما تشاهده في الحديث الثاني: «اذا قاتل احدكم اخاه فليتجنب الوجه، فان الله خلق آدم على صورته» اذ انه يدفع ادنى احتمال لاي تاويل، ولا يبقى لك مجال في ان تعبر بالوجه بمعنى السيرة لا الصورة الظاهرية والعضو الخاص في البدن كما اشار اليه بولس.

كم كان عرض آدم (ع)؟

قال العيني في شرحه على صحيح البخاري: جاء في الحديث ان طول آدم كان ستون ذراعا، ولم يبين عرضه هنا، وورد ان عرضه كان سبعة اذرع(2).
اقول: تدلنا عبارة العيني فضلا عن التشابه بين الانسان وربه الذي ورد ذكره في تلكم الاحاديث ان طول آدم كان ستين ذراعا وعرضه سبعة اذرع وهذا دليل واضح على كون هذه الاحاديث موضوعة ومختلفة، وذلك لان:

1- قاموس الكتاب المقدس مادة آدم.
2- عمدة القاري 22: 229.

اولا: اذا كان طول الانسان ستين ذراعا يلزم ان يكون طول الجمجمة اكثر من ذراعين، ولكن جماجم الانسان البدائي في القرون الاولى التي تم كشفها والعثورعليها في علم الحفريات لم تكن بينها وبين جمجمة الانسان في العصر الحالي اختلاف كثير وتفاوت كبير، وحتى انه لم يعثروا الى هذا التاريخ على اية جمجمة تكون على حجم ذراعين، ولم يحصلوا على اي اثر يدل على وجود انسان ذي الستين ذراع.

ثانيا: اذا كان طول الانسان ستين ذراعا ولكي تتناسب اعضاؤه يجب ان يكون عرضه سبعة عشر ذراعا وسبع الذراع 1717، لا سبعة اذرع لان العرض اذا كان سبعة اذرع يجب ان يكون طوله اربعة وعشرين ذراعا ونصف الذراع، لان عرض الانسان الطبيعي مع استوا خلقته بمقدار سبعي طوله.

وما ادري من اين عرف ابو هريرة: ان عرض آدم كان سبعة اذرع؟ وبناءً على هذا، فاذا اخذنا الحسابات الابوهريرية بنظر الاعتبار $60*7$ اذرع يمكننا ان نتصور انه قد حصل في احد الحديثين، او في تعيين مقدار طول الانسان وعرضه خطأ وسهواً، او نتصور ان آدم (ع) كان قبيح الهيكل وكريه المنظر او انه لم يكن مخلوقا مستوي الخلقه وهذا الاحتمال الاخير نقيض للنص القرآني المنزل في قوله تعالى: (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم)(1).

2 . هل لله عين؟ الله ليس باعور:

1 . عن نافع: قال عبدالله: ذكر النبي (ص) يوما بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال: ان الله ليس باعور، الا ان المسيح الدجال اعور العين اليمنى، كان عينه عنبة طافية(2).

1- التين: 4.
2- صحيح البخاري 4: 202 كتاب بد الخلق باب (واذكر في الكتاب مريم)، وج 5: 223 باب حجة الوداع، وج 9: 75 كتاب الفتن باب ذكر الدجال، صحيح مسلم 4: 2247 باب «20» باب ذكر الدجال وصفته وما معه ح100.

2 . عن عبدالله قال: ذكر الدجال عند النبي (ص) فقال: لا يخفى عليكم ان الله ليس باعور واثار بيده الى يمينه وقال: ان المسيح الدجال اعور العين اليمنى، كان عينه عنبة طافية(1).

وبلاحظ فيهما:

يتضح من خلال نظرة مجملة وفاحصة لهذين الحديثين وامثالهما، ان الصحيحين قد اثبتا لله عز وجل عينا، وقد وصفا الدجال بانه اعور العين، وان الله ليس باعور، ويحصل ذلك بعد المقارنة بين ثبوت البصر والعمى لهما، واثبات احدهما للاول الله والاخر للثاني .
الدجال.

وبعبارة اخرى تلاحظ في هذه الاحاديث . بعد المقارنة والمقايسة بين الله والدجال ثبوت الاعورية للدجال وعدمها لله تعالى، وثبوت شي لشي متفرع لثبوت المثبت له العين للشي الله تعالى.

ناهيك عن كل هذا، فلا بد ان نهلهل ونرحب بالبخاري ومسلم اللذين قاما بهذه المقايسة والمقارنة التافهة والسخيفة بين الله تعالى وبين اكثر الموجودات شراً الدجال.

3 . هل لله يدين؟

- 1 . عن ابي هريرة، عن النبي (ص) قال: ان يمين الله ملاى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض؟ فانه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، ويبيده الاخرى الفيض والقبض يرفع ويقبض(2).
- 2 . عن ابي هريرة قال: يمين الله ملاى لا يغيضها شي، سحاء الليل والنهار،

1- صحيح البخاري 9: 148 كتاب التوحيد باب ما يذكر في الذات والنعوت واسامي الله.
2- صحيح البخاري 6: 92 كتاب التفسير تفسير سورة هود، وح 9: 152 كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء).

ويبيده الاخرى الميزان، يرفع ويخفض، قال: ارايت ما انفق منذ خلق السموات والارض؟ فانه لم ينقص مما في يديه شيئاً(1).

3 . سمعت رسول الله (ص) وهو على المنبر يقول: ياخذ الجبار سمواته وارضه بيده .
وقبض بيده فجعل يقبضها ويبسطها . ثم يقول: انا الجبار اين الجبارون؟ اين المتكبرون؟
ويتميل رسول الله (ص) عن يمينه وعن يساره، حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شي منه حتى اني اقول:
اساقط هو برسول الله (ص)(2)؟

4 . هل لله اصبع؟

1 . عن عبدالله قال: جاء حبر من الاحبار الى رسول الله (ص) فقال: يا محمد، انانجد ان الله يجعل السموات على اصبع، والارضين على اصبع، والشجر على اصبع، والماء على اصبع، والثرى على اصبع، وسائر الخلائق على اصبع، فيقول: انا الملك، فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله (ص): «وماقدروا الله حق قدره والا رض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه(3)»(4).

اقول: ان اثبات الاصبع لله عزوجل كاثبات سائر الجوارح لله تعالى قد وردالكلام حوله في كثير من اخبار الصحيحين والسنن الاخرى.
2 . واقرا حديثا آخر اخرجہ الترمذي وابن ماجه في سننهما.
عن الكلبي قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: ما من قلب الا بين اصبعين من

1- سنن ابن ماجه 1: 71 المقدمة باب «13» باب فيما انكرت الجهمية ح197.

2- المصدر ح 198.

3- الزمر: 67.

4- صحيح البخاري 6: 157 كتاب التفسير باب تفسير سورة الزمر، وج 9: 164 كتاب التوحيد باب ما جا في قول الله ان رحمة الله قريب من المحسنين، وص 181 باب كلام الرب، صحيح مسلم 4: 2045 كتاب القدر باب «3» باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ح17.

اصابع الرحمن، ان شاء اقامه، وان شاء ازاعه(1).

الاستنتاج:

يستفاد من هذه الاحاديث المروية حول ثبوت اليد والاصبع لله:
اولا: ان لله تعالى يد واصبع كسائر الموجودات، تماما كما للانسان.
ثانيا: ان لله تعالى محدود بحدود، له اطراف ووجهات، يدان يمينى ويسرى، كسائر المخلوقات والممكنات.

5 . هل لله ظهر؟

عن ابي هريرة: عن النبي (ص) قال: خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فاخذت (2) قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: الاترضين ان اصل الرحمن، فقال لها: مه من وصلك، واقطع من قطعك؟ قالت: بلى، يا رب قال: فذاك(3).

6 . هل لله ساق؟

1 . ذكرنا في الفصول السابقة حديثا مضمونه ان الله تعالى يكشف عن ساقه للمؤمنين يوم القيامة، وان هذا الكشف من الايات والعلامات التي بها يعرف المؤمنون ربهم، ولذلك فاننا ندع تكرار ذلك الحديث جانبا ونلفت انظار القرا الاعزا الى حديث آخر غيره يشير الى نفس الموضوع(4).

2 . قال ابو سعيد: سمعت رسول الله (ص) يقول: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له

-
- 1- سنن الترمذي 4: 390 كتاب القدر باب «7» باب ما جا في ان قلب المؤمن بين اصبعي الرحمن ح 2140، سنن ابن ماجه 1: 72 المقدمة باب «13» باب فيما انكرت الجهمية ح 199.
 - 2- الحقو: قال في النهاية 1: 279: والاصل في الحقو معقد الازار، وقال الزمخشري في الفائق 1: 298: الحقو: الازار الذي يشد على الحقو وهو الخصر المعرب.
 - 3- صحيح البخاري 6: 167 تفسير الذين كفروا «سورة محمد».
 - 4- راجع ص: 135 الحديث الثالث.

كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا ربا وسمعة، فيذهب ليسجد فيعودظهره طبقا واحدا(1).

تأمل في حديث الساق:

يتضح من هذين الحديثين ان احدى علامات معرفة الله في يوم القيامة هو الساق، ومادام الله تعالى لم يكشف عن ساقه يظل المؤمنون في حالة شك وتحير وترديد بالنسبة الى وجوده تعالى، ويظهر لك الامر جليا لو تأملت في نص الحديثين تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ولما كان اثبات كشف الساق ذا ارتباط بالاية الكريمة (ويوم يكشف عن ساق) (2) اخرج به البخاري بهذه المناسبة تفسيراً وبيانا لهذه الاية، كان لازما علينا ان نشير الى معنى الاية واقوال المفسرين فيها ولو اجمالا.

قال الطبرسي في تفسير الاية (يوم يكشف عن ساق): اي فلياتوا بهم، في ذلك اليوم الذي تظهر فيه الاهوال والشدائد، وقيل معناه يوم يبدو عن الامر الشديد الفطيع، عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبیر .

قال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: (يوم يكشف عن ساق) فقال: اذاخفي عليكم شي في القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب، اما سمعتم قول الشاعر: «وقامت الحرب بنا على ساق» هو يوم كرب وشدة.
وقال القتيبي: واصل هذا ان الرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج الى الجد فيه، يشمر عن ساقه فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة، وقد روي هذا المعنى عن الامامين الباقر والصادق (ع)(3).

- 1- صحيح البخاري ج6: 198 تفسير سورة ن والقلم.
- 2- القلم: 42.
- 3- مجمع البيان 10: 339.

رأي صاحب المنار:

ذكر الشيخ محمد عبده في تفسيره للآية بعد ان ذكر ذلك المعنى الكنائى الذي نقل عن مجمع البيان والمفسرين القدماء، ونقل هو رأي البيضاوي بالتفصيل فقال: وذهب بعضهم الى ان لفظ الساق ورد بمعنى الذات ذات الله والنفس واستشهدوا له بقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في حرب الشراة: لا بد من قتالهم ولو تلفت ساقي، قالوا: اي نفسي. وعليه فيصح ان يكون كشف الساق في الآية والحديث عبارة عن كشف الحجاب(1).
ايها المطالع المنصف، هذا هو واقع العصبية ومعنى الذود الباطل عن احاديث صحيح البخاري وتصحيح المطالب الموهومة والخرافية فيها وتاويلها، والتغاضي عن بيان الحقائق الذي ابتلي به الشيخ محمد عبده اذ انحرف عن الجادة الصائبة حتى بعدنقله لاقوال المفسرين والعلماء.

7 . هل لله رجل؟

عن انس: عن النبي (ص) قال: يلقي في النار، وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع الله قدمه فتقول قط قط.
عن ابي هريرة: واكثر ما يوقفه ابو سفيان: يقال لجهنم: هل امتلئت؟ وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قط قط(2).
اخرج البخاري في صحيحه هذا الموضوع في عدة احاديث باسنانيد متعددة

1- تفسير المنار 9: 144.

2- صحيح البخاري 6: 173 كتاب التفسير باب تفسير سورة ق، وج 9: 143 كتاب التوحيد باب الحلف بعزة الله، وص: 164 كتاب التوحيد باب ان رحمة الله قريب من المحسنين، صحيح مسلم 8: 2186 كتاب الجنة وصفة نعيمها باب «13» باب النار يدخلها الجبارون ح35.

ومتون مختلفة، وكذا اخرجهم مسلم في صحيحه ضمن خمس احاديث وورد في بعضها كلمة «الرجل»، وفي بعضها الاخر كلمة «القدم». ولا يخفى ان في هذه الروايات التي نقلناها اليك عن الصحيحين البخاري ومسلم اللذين يعتبران اهم المصادر عند اهل السنة بعد القرآن دلالة تامة وواضحة على كونها من الاحاديث المزورة والموضوعة في مباحث التوحيد لانها تحكي عن توصيف رب متحيز في مكان خاص فتارة يكون مستقر على العرش، وتارة اخرى تجده في السحاب، وتارة ثالثة تراه في جهة القبلة امام المصلي، واحيانا ينزل الى السما الدنيا وذلك في بعض الليالي الخاصة، وانه يرى كما ترى الاجسام المادية، ويضحك، وله اعضا وجوارح كما للانسان اعضا وجوارح.

فحينئذ فهل يعقل ان يتخذ مثل هذا الموجود ربا والها؟ فكما ان الدلائل النقلية تنفي التسليم والانقياد لمثل هذا الموجود فكذلك البراهين العقلية والفلسفية تايى قبول هذا الرب المحتاج والمحدود والذي له آثار وعلامات المخلوقين لا الخالق والصانع ولا يقبل العقل ان يتعبد لمثل هذا الموجود كرب واله وخالق.

ولعل يوجد بعض من لم تكن له معرفة بعقائد اهل السنة وآرا علمائهم ومحدثيهم في مسألة التوحيد فينتقدنا ويورد اشكاله علينا قائلا: ان جميع الاقوال والايات والاحاديث تحتل التوجيه والتاويل، اذن فما الداعي ان تكون هذه الاحاديث التي رويتها عن كتب اهل السنة مما تقبل التاويل والتوجيه؟ ولماذا لا يلتزمون بهذه الطريقة ولم تاولوا هذه الاحاديث الى معان يتقبلها العقل؟

واما الاجابة عن هذه الاسئلة نقول: ان في هذه الاحاديث اسبابا وعللا عديدة تمنعنا من ان ناولها ونبررها وفي الحين ذاته ان هذه الاسباب قد غلقت جميع الطرق والمحاولات لتبرير وتوجيه تلك الاحاديث ولان:

اولا: ان عملية التاويل والتوجيه تتم لو حصل المعارض والمخالف بينما لا نرى

ولم نعثر على حديث واحد يخالف مفهوم احاديث الرؤية والتجسيم المرؤية في الصحيحين وسائر الكتب المعتمدة عند اهل السنة، وحيث لم تحصل رواية تنفي التجسيم والرؤية فبماذا ناول الاحاديث؟(1).

ثانيا: ان متون تلك الاحاديث صريحة وواضحة عن اهداف ونوايا كانت مرادة لجاعلي الاحاديث وان الفاظها وسياق عباراتها قد وضعت على نحو لا تدع للتاويل والتبرير مجالا وسبيلا الا الاخذ بظواهر الاحاديث، فياترى كيف يمكن تاويل الاحاديث الحاكية . بانكم سترون ربحكم كما ترون هذا القمر . التي هي صريحة في الرؤية والمشاهدة؟ وبماذا يمكن توجيه الوجه في احاديثهم التي تقول اذا قاتل احدكم اخاه فليجنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته؟ وبماذا ناول الاحاديث التي تثبت المكانية والجهتية لله عزوجل وانه تعالى فوق العرش والعرش على سماواته، او انه تعالى كان في غما قبل ان يخلق الخلق وهكذا سائر الاحاديث الاخرى التي مر عليك بعضها؟

هل يمكنك ان تتصور معنى ومفهوما آخر غير التجسيم والتشبيه وتحديد المكان لهذه الاحاديث التي تلونها عليك والاحاديث الاخرى التي اخرجوها في كتبهم في مباحث التوحيد؟ اذن كيف يسنح لنا ان نقوم بعملية التاويل والتوجيه؟

ثالثا: ان ما احتوته هذه الاحاديث لم يكن بحثا جديدا وحديثا حتى ناولها ونقوم بتوجيهه وتبرير ذلك على غير ظاهرها ليتناسب مع العقل، بل انها امور ظهرت الى الساحة

1- نعم، عثرنا على احاديث واقوال تخالف تلك الاحاديث ولكن ما اسرعهم ان اولوا هذه الاحاديث المعارضة او انهم ضعفوها بحيث تطابق مفهوم احاديث الرؤية والتجسيم والتشبيه التي عليها المعتمد عند العامة، ولذلك ترى في اكثر كتب اهل السنة خاصة الكتب الحديثية والكلامية والتفسيرية عناوين تختص بالبحث في الرؤية وغيرها، وان عقيدة الاغلبية الساحقة من علمائهم هي اثبات الرؤية والتجسيم وغيرها من الامور المتعلقة بالتوحيد حتى كتبوا كتبا كثيرة ومؤلفات عديدة في تقويم هذه العقيدة، بحيث افتى علما السنة وانتمهم بكفر كل من لم يعتقد بالتجسيم والتشبيه، وقد ملئت كتبهم بهذه الفتاوى وتحريم تاويل ظواهر الحديث واخراجه عن المعنى الظاهري منه فعلى هذا فهل يبقى محل وموضع للتاويل والتوجيه؟ فتامل جيدا المعرب.

منذ اللحظة الاولى من وفاة النبي (ص) وانسداد الابواب العلمية والدينية، ومن بعد ذلك ثبتت واستقرت في الصحاح الستة في عهد البخاري حتى النسائي عام 256 . 279 هـ .
ونلاحظ ان هذه المسائل هي نفس المسائل التي كانت تطرح على ائمة اهل بيت رسول الله منذ عهد الامام الباقر (ع) حتى عهد الامام الرضا (ع) وقد تصدى الائمة للاجابة

عليها، ونفوها نفيا قاطعا حتى انهم (ع) انكروا صدورها عن النبي (ص) واعلنوا صريحا بانها مزيفة ومختلقة . لانهم اصحاب البيت وهم اعلم بما في البيت .
فعلى هذا فلو كان للتاويل والتبرير مجال وسبيل لتذرع به السائلون الذين سالوا الائمة (ع) واستفسروا منهم عن صحة تلك الاحاديث .
رابعا: ان احد الاسباب التي تدفعنا عن تاويل هذه الاحاديث وتمنعنا من توجيهها هو الاقوال والاراء التي واعتقد بها اغلبية علماء العامة الذين افتوا بمنع تاويل هذه الاحاديث وضرورة التمسك بظواهرها، حتى ان وصل بهم الامر الى تكفير المتاولين وحكموا عليهم بالكفر والزندقة والارتداد .
وهاك ايها القارئ طرفا من تلك الاقوال والفتاوي :

عقيدة علماء السنة في هذه الاحاديث

1 . مسلم بن حجاج النيسابوري: عقد في صحيحه بابا خاصا للبحث في اثبات الرؤية وبابا آخر في كيفية الطريق الى الرؤية واخرج في هذين الفصلين الاحاديث التي تحكي مسالة الرؤية وتصرح بمسالة الجهنية وتشير صريحا الى تجسيم الله تعالى(1) .
ومن الواضح ان تخريجه لهذه الاحاديث في هذين الفصلين من صحيحه يدل على القول بها والحكم بصح تها والزام المسلمين على الاعتقاد بظواهرها ونهيمهم عن تاويل وتفسير عباراتها على غير ظاهرها .

1- صحيح مسلم 1: 163 172 كتاب الايمان باب «80 81» .

2 و 3 . ابن ماجة وابي داود: وهما من ارباب الصحاح الستة ومن العلماء المعتمد عليهم عند العامة عقد ابن ماجة في سننه بابا خاصا يتعلق فيما انكرت الجهمية، وكذا افرد ابو داود بابا في الجهمية (1) واخرجا احاديثا تمت الى مبحث الرؤية والتجسيم والتشبيه واثبات المكانية لله عزوجل كاثبات الضحك لله وانه تعالى يقف الى جنب عبده كنفه بكتفه، وتجليه وتستره عن اعين العباد وو .

ويعتقد هؤلاء ان الجهمية (2) طائفة كالشيعة ينكرون رؤية الله، وينفون القول بالمكانية لله تعالى، ولا يرون بان لله عزوجل شأنه اعضا وجوارح وجسما كسائر الموجودات، وانهم لا يعتقدون بظواهر هذه الاحاديث.

وعنوان الباب في سننهما وتخريجهما للاحاديث في هذا الباب يدل على ان ابن ماجه وابي داود يعتقدان في التوحيد حسبا ورد في تلك الاحاديث وظواهرها، وحكما على مخالفتهما الذين لا يعتقدون بعقيدتهما بالكفر مثل الجهمية، وان الذين ياولون ظاهر الاحاديث زنادقة ومرتدون وخارجون عن الدين.

4 . ابن تيمية: قال: واما احاديث النزول الى السما الدنيا كل ليلة فهي الاحاديث

-
- 1- سنن ابن ماجه 1: 70 المقدمة باب « 13 » باب فيما انكرت الجهمية، سنن ابي داود 4: 231 كتاب السنة باب في الجهمية، وباب في الرؤية، وباب في الرد على الجهمية.
 - 2- الجهمية احدى الحركات الفكرية التي ظهرت على الساحة الاسلامية في القرنين الثاني والثالث وهم اتباع جهم بن صفوان الترمذي السمرقندي (المتوفى سنة 128 هـ) ويرمون الى ارجاع الامة الى الجاهلية وتعربها بعد الهجرة ومن عقائدها القول بالجبر والاضطرار، وان الجنة والنار تبيدان وتفنيان وان الايمان هو معرفة الله والكفر الجهل به، وان العلم الالهي حادث وينفون الصفات مثل الحياة والقدرة والعلم والارادة وغيرها عن الله ويقولون انها صفات المخلوقين ولا يجوز ان يصف الانسان الله تعالى بهذه الصفات ومركز عقيدتهم على اصلين 1 - القول بالجبر 2- تعطيل الصفات عن الله فاين هذه الاباطيل عن عقائد الشيعة الامامية التي جات في كتبهم والامة الاسلامية على اختلاف فرقها تعتقد بكفر هذه الفئة ومن عقيدة الجهمية ايضا ان القرآن مخلوق.
- وقد عرفت فيمامر (ص 74) عقيدة ائمة اهل السنة وخاصة احمد بن حنبل في من يعتقد بخلق القرآن وتكفيره لهذه الفئة فراجع المعرب.

المعروفة الثابتة عند اهل العلم بالحديث، وكذلك حديث دنوه عشية عرفة رواه مسلم في صحيحه، واما النزول ليلة النصف من شعبان ففيه حديث اختلف في اسناده، ثم ان جمهور اهل السنة يقولون: انه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل مثل ذلك عن اسحاق بن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما، ونقلوه عن احمد ابن حنبل(1).

5 . محمد اشرف شارح سنن ابي داود قال في ذيل «وانه ليئط به اطييط الرجل

بالراكب»: ان العرش ليعجز عن حمله وعظمته حتى يئط به، اذ كان معلوما ان اطييط الرجل بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله، ثم يذكر كلاما للخطابي وينكره وينتقده ويقول: كلام الامام الخطابي فيه تاويل بعيد، خلاف للظاهر لا حاجة اليه،

وانما الصحيح المعتمد في احاديث الصفات امرارها على ظاهرها من غير تاويل ولا تكيف ولا تشبيه ولا تمثيل كما عليه السلف الصالحون(2).

6 . البغوي في شرح السنة: كل ما جاء في الكتاب والسنة من هذا القبيل في صفاته تعالى كالنفس والوجه والعين والاصبع واليد والرجل والاتيان والمجي والنزول الى السما والاستوا على العرش والضحك والفرح فهذه ونظائرها صفات الله تعالى ورد بها السمع فيجب الايمان بها وابقاها على ظاهرها معرضا فيها عن التاويل مجتنباً عن التشبيه(3). هذا وقد تطرقنا آنفا الى آرا بعض العلماء حول التجسيم كالنووي والعيني والقسطلاني واحمد محمد شاکر وعبدہ والاسفراييني واحمد بن حنبل وابن تيمية وابي عمر والذهبي والشيخ عبدالرحمان(4) وذكرنا عقيدتهم ورايهم وراي آخرين غيرهم بمايناسب ضرورة الالتزام بظواهر هذه الاحاديث وعدم جواز تاويلها وتوجيهها، وهذا

1- منهاج السنة 1: 262.

2- عون المعبود في شرح سنن ابي داود 13: 15.

3- سنن ابن ماجة 1: 71 في الهامش على حديث 198.

4- راجع ص 138 - 144.

الذي لاحظته ايها القارئ الكريم هو غيظ من فيض، ولو اردنا ان نورد جميع اقوال علمائهم لاحتجنا الى موسوعة كبيرة من الكتب.

تبصرة للبصير:

عرفنا مما نقلناه من الاحاديث التوحيدية في الصحاح الستة ان مضمون هذه الروايات يحكي لنا امكان رؤية الله واثبات المكان له، وانه تعالى ذو اعضا وجوارح مختلفة تماما كالموجود الطبيعي والمادي، وان علماء السنة يعتقدون في صفات الله حسب ما تقتضيه رواياتهم ويوصون اتباعهم بالاعتقاد بهذه الصفات والافكار. ولا بد من الازعان بان منشأ هذا الانحراف في العقيدة والضلالة عن الصراط المستقيم هو ما روته لهم هذه الاحاديث التي يراها علماء السنة صحيحة ومعتمدة حول مسألة التوحيد التي هي الدعامة الاولى في العقيدة الدينية.

وقد اعترف بهذا الموضوع علماء السنة انفسهم، واستنادهم الى هذه الاحاديث في بيان عقيدتهم مجمع عليه، ونحن في غنى عن تكرار البحث وعن ذكر الدلائل والشواهد الاخرى

لاننا قد فصلنا البحث مسبقا وفي هذا الفصل كذلك، ولكن ندعو القارئ ثانية الى مراجعتها مرة اخرى بدقة وتعمق اكثر ليقف على الارتباط الوثيق بين هذه الاحاديث وعقائد علماء اهل السنة.

ومن خلال التأمل فيما مر من البحوث تتضح لنا المسألة التالية اكثر واوفر: ما هو مدى التأثير السلبي الذي اوجدته هذه الاحاديث وهذه الكتب عبر القرون المتتالية على العقائد الاسلامية؟

اجل ان هذه الاحاديث والتمسك بصحتها خلقت بين المسلمين قضايا خرافية ومضحكة وانتجت الضلالات والانحرافات في عقائد طائفة كبيرة منهم.

ومن هنا: حكي عن مقاتل بن سليمان، وداود الجوراني ونعيم بن حماد انهم قالوا: انه تعالى في صورة الانسان، وانه لحم ودم، وله جوارح واعضا من يد ورجل

ولسان وراس وعينين، واستثنوا عنه الفرج، ولكن معاذ العنبري قال: له تعالى فرج رجل، واستدل على قوله هذا بان لله تعالى آلة الذكران بالاية الكريمة (وليس الذكر كالانثى)(1). وادعى بعض متكلمي اهل السنة، بان له لحم وجلد وعظم كالانسان. وقالوا: انه سبحانه ينزل ليلة عرفة من السما الى الارض على جمل احمر في هودج من ذهب.

وروى قوم منهم: انه تعالى نظر في المرأة فرأى صورة نفسه فخلق آدم (ع) عليها. ورووا: انه يضحك حتى تبدو نواجذه.

وروا: انه امرد جعد قطط، في رجليه نعلان من ذهب، وانه في روضة خضرا على كرسي تحمله الملائكة.

وروا: انه يضع رجلا على رجل ويستلقي فانها جلسة الرب.

وروا: انه خلق الملائكة من زغب ذراعيه، وانه اشتكى عينه فعادته الملائكة، وانه يتصور بصورة آدم ويحاسب الناس في القيامة.

وروا: انه ينزل الى السما الدنيا في نصف شعبان، وانه جالس على العرش قدفصل منه اربع اصابع من كل جانب، وانه ياتي الناس يوم القيامة فيقول: انا ريكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيقول لهم:

افتعرفونه ان رايتموه؟ فيقولون: بيننا وبينه علامة، فيكشف لهم عن ساقه، وقد تحول في الصورة التي يعرفونها، فيخرون له سجدا.
وروا ان النار تزفر وتتغيظ تغيظا شديدا، فلا تسكن حتى يضع قدمه فيها فتقول: قط قط، اي حسبي حسبي(2).

1- آل عمران: 36.
2- شرح نهج البلاغة 3: 224 227.

الصفحة
182

هذه الافكار والاراء تعتبر من اصول عقائد متكلمي اهل السنة في التوحيد، وقد اجمعوا على بعضها مثل لقا الله ورؤيته، ومجي الله يوم القيامة عند الناس.
ثم قال ابن ابي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة عقيب كلامه: وان في التوراة نحو ذلك من العقائد، ومن ثم اشار المعتزلي الى ما ذكرناه آنفا ان منشا هذه العقائد المذكورة الباطلة هو الاحاديث المستخرجة في صحاحهم.
وعند ما يذكر ابن ابي الحديد كلمة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع): «ياتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن الا رسمه، ومن الاسلام الا اسمه» يقول شارحا: هذه صفة حال اهل الضلال والفسق والريا من هذه الامة، لانهم اهل ضلالة كمن يسكن المساجد الان ممن يعتقد التجسيم والتشبيه والصورة والنزول والصعود والاعضا والجوارح ومن يقول بالقدر يضيف فعل الكفر والجهل والقبيح الى الله تعالى، فكل هؤلاء اهل فتنة يردون من خرج منها اليها ويسوقون من لم يدخل فيها ايضا(1).
اقول: نستفيد من صراحة مقولة ابن ابي الحديد ان هذه الاعتقادات الباطلة كانت مشاعة في عصره، وكان اكثر ائمة المساجد آنذاك يعتقدون بهذه الخرافات.
(واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود)(2).

1- شرح نهج البلاغة 19: 299.
2- هود: 90.

الصفحة
183

نظرة في احاديث الشيعة

سؤال لايد منه:

يحتمل ان يكون بين قرائنا الكرام من يقرأ فصل التوحيد في الصحيحين ثم يستشكل علينا ويتسال:

ان ما اوردموه من الاحاديث والروايات المستخرجة من صحاح اهل السنة وامهات المصادر حول مسالة التوحيد قد كشف الصورة الحقيقية لهذه الكتب وعقيدة علمائهم بالنسبة الى محتويات هذه الاحاديث، خاصة اذا اعتقد احد انه عن طريقها يمكن ان يصل الى التوحيد ومعرفة الله تعالى التي هي اهم المسائل العقائدية لم يحدد سوى نتائج واهية ومسائل لا اصل ثابت لها وكذلك يشاهد في بعض كتب الحديث عند الشيعة ومضامين الروايات التي ترتبط بمسالة التوحيد ما يشعر بالتجسيم والرؤية، ولعل بعض المسائل المذكورة حول التوحيد في الصحيحين وكتب اهل السنة مطروحة كذلك في بعض كتب الشيعة واحاديثهم، وعلى هذا فان الاشكال والايراد كما هو وارد على مصادر اهل السنة يرد على مصادر الشيعة ايضا.

للجواب على السؤال المذكور لايد من الاشارة الى عدة موارد:

1 . اختلاف الرؤى والنظريات حول كتب الحديث:

هناك فرق كبير واختلاف شاسع بين نظرة علماء الشيعة واهل السنة الى كتب الحديث ومحتوياتها، ان اغلب علماء اهل السنة يعتقدون بان كل ما ورد في صحيح البخاري فهو صحيح، وانهم يقولون: لو ان احدا حلف يمينا بان كل ما في الصحيحين صحيح ومطابق للواقع وهو قول رسول الله لكان يمينه صحيحا ولا عليه الحنث. واما علماء الشيعة فانهم على عكس ذلك تماما لا يعتقدون في كتبهم الحديثية

مثل عقيدة اهل السنة، فانهم يرون ان احاديث الكتب الاربعة تقبل البحث والنقد متناوسندا، وان بعض الاحاديث وهو محدود عندهم صحيح ومقبول، وباقي الروايات فهو ما موثق او حسن او ضعيف.

هذه هي نظرة الشيعة الى احاديثهم ومحتويات كتبهم ومصادرهم(1).
فعلى هذا فان تخريج حديث ما في كتاب للشيعة ليس دليلا على صحته، وليس معيارا
وملاكا للقبول عندهم، بحيث اذا كان ذاك الحديث غير صحيح يرد نفس الاشكال على
علماء الشيعة ومحدثيهم وكتبهم كما ورد على اهل السنة وعلمائهم وكتبهم.

2 . احاديث التوحيد في كتب الشيعة:

زد على ما سبق في المورد الاول لايد من التوجه الى هذا المورد ايضا: ان في جميع
الاحاديث المروية في كتب اهل السنة حول التوحيد نوع من الابهام او التصريح باثبات
التجسيم، ولم يكن هناك حتى حديث واحد ينفي التجسيم ويخالف تلك الاحاديث مفهوما
ومضمونا، وكما قلنا: ان التوحيد في هذه الكتب لم يكن سوى التجسيم والتشبيه.
واما كتب الشيعة فاذا لوحظ فيها حديث من هذا القبيل فان هناك المئات من الاحاديث
المعتبرة والموثوقة في الكتب الاصلية تفند مسالة التجسيم بشدة.
وعناوين الابواب والفصول في كتب الحديث عند الشيعة (2) مثل ابطال الرؤية، النهي
عن الجسم والصورة، نفي الحركة والانتقال، نفي التشبيه وغيرها اكبر شاهد واقوى دليل على
ما ذهبنا اليه، وهذا هو وجه الاختلاف والتمايز الموجود بين مصادر الفريقين والاحاديث
المستخرجة فيها، وبهذا الجواب يمكن دفع كثير من الاسئلة الاخرى التي سوف تختلج في
خلد احد.

-
- 1- راجع مرآة العقول للمجلسي، معجم رجال الحديث للخوئي، الذريعة لاقا بزرگ الطهراني
كلمة الكافي.
 - 2- راجع: اصول الكافي للكليني، التوحيد للصدوق وبحار الانوار للمجلسي.

3 . رأي علماء الشيعة في احاديث التوحيد:

ان الاحاديث التي تنفي الرؤية وتفند التجسيم والتشبيه التي استخرجت في كتب الشيعة
صريحة وبيّنة ومعتبرة سندا، بحيث ان علماء الشيعة ومتكلميهم اعتمدوا مضامينها وجعلوها
اساسا واصلا كبيرا من مباحثهم في علم الكلام، وكل حديث ورواية تناقض هذه الاحاديث
الصحيحة والصريحة في نفي التجسيم فانها مردودة ومرفوضة علميا ومن هنا فلا يبقى
طريق وسبيل للاشكال عليهم.

4 . الروايات الموضوعية:

ان البحث والتتقيب في اسانيد اكثر هذه الاحاديث التي سوف تكون مستمسكا للمستشكيلين تومي الى ضعف هذه الروايات سندا، وان روايتها ليسوا بموثقين عند علماء الرجال والتراجم ولا يعتمد احد على اقوالهم لانهم كذابون ووضاعون للحديث. وان الاحاديث التي رويت في كتب الشيعة والتي تؤيد فكرة التجسيم، فهي موضوعة، وضعها الكذابون والوضاعون كمقاتل بن سليمان وغيره من القائلين بالتجسيم، وذلك لكي يصححوا عقيدتهم المنحرفة، واختلقوا لها اسانيد ايضا ونسبوا الى احد الائمة المعصومين من آل بيت رسول الله (ع).

وبنا على هذا التوضيح يتحتم على كل من يريد التعرف على عقيدة الشيعة في التوحيد ان ياخذ ذلك عن احد الطرفين:

- 1 . مراجعة الاحاديث الصحيحة والمقبولة عند الشيعة كما يرجع الى احاديث العامة وصحاحهم الستة في هذا الموضوع.
- 2 . مراجعة اقوال وآراء علماء الشيعة ومتكلميهم المشهورين كما نستخرج نظرية اهل السنة في هذا الموضوع من اقوال وآراء علمائهم المشهورين.

احاديث التوحيد عند الشيعة

واليك نماذجا من احاديث الشيعة:

تطرقنا في بحث نفي الرؤية الى بعض احاديث الشيعة في التوحيد، وهذه روايات اخرى اعتمد عليها الشيعة في اثبات عقيدتهم في التوحيد، وهي تشكل الدعامة الاساسية لعقيدتهم في مسألة التوحيد، ولكي تكون اولا جوابا اوفي للسؤال المذكور ثانيا: نقارن بينها وبين ما ورد في ثنايا احاديث اهل السنة، ويعلم القرا الاعزا بعد ذلك اهمية هاتين الرؤيتين السنية والشيعية نقارن بينهما وبين ما ورد في ثناياهما ثم يحكموا بالوعي التوحيدي وباخذوا بالصحيح منهما.

- 1 . عن ابي بصير: عن ابي عبد الله (ع) قال: ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان، ولا حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا(1).

2 . عن داود الرقي قال: سألت ابا عبدالله (ع) عن قول الله عزوجل: (وكان عرشه على الماء) (2) فقال: ما يقولون؟ قلت: يقولون: ان العرش كان على الماء والرب فوقه. فقال: كذبوا، من زعم هذا فقد صير الله محمولاً، ووصفه بصفة المخلوق، ولزمه ان الشئ الذي يحمله اقوى منه(3).

3 . عن يعقوب السراج قال: قلت لابي عبدالله (ع): ان بعض اصحابنا يزعم ان الله صورة مثل الانسان، وقال آخر: انه في صورة امرئ جعد ققط. فخر ابو عبدالله (ع) ساجدا ثم رفع راسه، فقال: سبحان الله الذي ليس كمثلته

-
- 1- بحار الانوار 3: 330 كتاب التوحيد باب « 14 » باب نفي الزمان والمكان والحركة عن الله عزوجل ح33 توحيد الصدوق: 183 باب «28» باب نفي المكان والزمان عن الله عزوجل ح20.
2- هود: 7.
3- توحيد الصدوق: 319 باب «49» باب معنى قوله عزوجل وكان عرشه على الماء ح1، اصول الكافي 1: 132 كتاب التوحيد باب « 20 » باب العرش والكرسي ح 7، بحار الانوار 57: 95 كتاب السما والعالم ح80.

شيء، ولا تدركه الابصار، ولا يحيط به علم، لم يلد لان الولد يشبه اياه، ولم يولد فيشبه من كان قبله، ولم يكن له من خلقه كفوا احد، تعالى عن صفة من سواه علوا كبيرا(1).
4 . عن يونس بن ظبيان قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد (ع) فقلت: يا ابن رسول الله، اني دخلت على مالك(2) واصحابه، فسمعت بعضهم يقول: ان لله وجهاً كالوجه، وبعضهم يقول:

له يدان، واحتجوا لذلك بقوله تعالى: (خلقت بيدي استكبرت) (3) وبعضهم يقول: هو كالشباب من ابنا ثلاثين سنة، فما عندك في هذا يا ابن رسول الله (ص)؟
قال: وكان متكئاً فاستوى جالسا وقال (ع): اللهم عفوك عفوك، ثم قال (ع): يا يونس من زعم ان لله وجهاً كالوجه فقد اشرك، ومن زعم ان لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله، فلا تقبلوا شهادته، ولا تاكلوا ذبيحته، تعالى الله عما يصفه المشبهون بصفة المخلوقين، فوجه الله انبيائه واوليائه، وقوله: (خلقت بيدي استكبرت) اليد القدرة كقوله: (واى دكم بنصره)(4).

فمن زعم ان الله في شيء، او على شيء، او يحول من شيء الى شيء، او يخلو

- 1- توحيد الصدوق: 103 باب «6» باب انه عزوجل ليس بجسم ولا صورة ح 19، بحارالانوار 3: 304 كتاب التوحيد باب «13» باب نفي الجسم والصورة ح42.
- 2- مالك بن انس احد ائمة المذاهب الاربعة السنية ولد عام 93، وتوفي عام 179 هـ، ودفن في مقبرة البقيع.
- وقد قيل: انه ولد بعد موت ابيه بثلاث او اربع سنوات وان امه قد حملت به ثلاث سنوات او اكثر بقليل، وهذا ما استدعى ان يقول بعض العلماء من اهل السنة بان مدة الحمل يمكن ان تكون ثلاث سنوات او اكثر ويفتي على خلاف النص القرآني الذي يعتبر مدة الحمل والرضاع معا ثلاثين شهرا اي سنتين ونصف السنة.
- ولهذا الامام آرا ونظريات فقهية غريبة بحيث انتقدها علما عصره والامام الشافعي المعرب.
- 3- ص: 75.
- 4- الانفال: 26.

منه شيء، او يشغل به شيء، فقد وصفه بصفة المخلوقين، واللّه خالق كل شيء، لا يقاس بالقياس ولا يشبه بالناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، قريب في بعده، بعيد في قربه، ذلك اللّه ربنا، لا اله غيره، فمن اراد اللّه واحبه بهذه الصفة، فهو من الموحدين، ومن احبه بغير هذه الصفة، فاللّه منه بري ونحن منه برا(1).

5. عن يعقوب بن جعفر الجعفري، عن ابي ابراهيم (ع): قال: ذكر عنده قوم يزعمون ان اللّه تبارك وتعالى ينزل الى السما الدنيا.

فقال (ع): ان اللّه لا ينزل ولا يحتاج الى ان ينزل، انما منظره في القرب والبعد سوا، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج الى شيء، بل يحتاج اليه، وهو ذو الطول لا اله الا هو العزيز الحكيم.

اما قول الواصفين: انه ينزل تبارك وتعالى، فانما يقول ذلك من ينسبه الى نقص، اوزيادة، وكل متحرك محتاج الى من يحركه، او يتحرك به، فمن ظن باللّه الظنون هلك، فاحذروا في صفاته من ان تقفوا له على حد تحدونه بنقص او زيادة او تحريك او تحرك، او زوال او استئزال، او نهوض او قعود، فان اللّه جل وعز عن صفة الواصفين، ونعت الناعتين، وتوهم المتوهمين(2)، (وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين)(3).

- 1- بحار الانوار 36: 403 كتاب تاريخ اميرالمؤمنين (ع) باب « 46 » باب ما ورد من النصوص ح15.
- 2- بحار الانوار 3: 311 كتاب التوحيد باب «14» باب نفي الزمان والمكان ح5.
- 3- الشعراء: 217 219.

الفصل السادس النبوة في الصحيحين.

الانبياء في القرآن

الاستعداد للرسالة:

النبوة والرسالة مرتبة لا يمكن تقييمها وقياسها بالمقاييس المادية والبشرية، وهذا المقام الشامخ بحاجة الى مقدمات عقلية واخلاقية ونفسية، بحيث لو لم يتحلى الانسان بهذه الكمالات لا يمكنه ان ينال هذا المقام الرباني، وقد اشار القرآن الى هذه الحقيقة في عدة آيات.

وقد وصفت هذه الايات انبياء الله (ع) بانهم في ارقى درجة من الكمال، وذكرت لهم على وجه العموم صفات وخصائص، وخص لرسول الله (ص) على وجه الخصوص ميزات وصفات خاصة.

ولكي نستلهم مزيدا من التعرف على مقام النبوة والرسالة من وجهة نظر القرآن نذكر طرفا من هذه الايات:

1 . قال تعالى: (اللّٰهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ)(1).

تؤكد هذه الاية بان انبيا الله (ع) هم الصفوة والنخبة من البشر وقد انتجهم الله تعالى للنبوة وحملهم رسالته السماوية.

2 . قال تعالى: (اللّٰهُ اعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)(2).

هذه الاية تقرير وتوضيح لاصطفا الانبياء، وتؤكد بانهم كانوا ممهدين

1- الحج: 75.

2- الانعام: 124.

ومستعدين من جهات عديدة مثل العظمة والقوة الروحية والصفاء النفسي والشجاعة وجميع الفضائل الاخلاقية والتعاليم الالهية ومهيئين للاصطفا والاجتبا لتلقي الرسالة الالهية وهداية الناس وارشادهم الى سبيل السعادة والكمالات الانسانية ويخرجوهم من الظلمات الى النور وكلام قوم صالح (ع) شاهد على هذه الحقيقة المذكورة.

3 . قال تعالى: (يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا)(1).

يحكي الله عنهم بانهم قالوا: يا صالح ان قوم ثمود كانوا يرون فيك الكمال وعلقوا عليك الامل بان تقودهم نحو المدنية والتقدم وتفيدهم وتسعدهم بخدماتك الاجتماعية.

وتدل هذه الاية على ان الانبياء (ع) كانوا قبل بعثتهم افرادا متفوقين على اممهم واقوامهم والمجتمع الذي كانوا فيه، بامتيازات خلقية، بحيث ان المجتمع لم يكن ينظر اليهم بكونهم اشخاصا عاديين كسائر الافراد، وان استعدادهم وسيرتهم الاخلاقية والعبادية هي التي كانت سببا لكي يتوقع منهم المجتمع اكثر من غيرهم، وقد ابدى قوم صالح توقعهم بقولهم: (قد كنت فينا مرجوا).

وان هذه الكمالات والاستعدادات قبل بعثتهم بالنبوة هي التي جعلت اولئك الذين لم تشوبهم العصبية والعناد ان يستجيبوا لهم في بداية امر دعوتهم ويلتزموا باوامرهم.

عصمة الانبياء:

أكدت الكثير من الايات بان الانبياء (ع) كانوا معصومين من الذنوب والخطا ومنزهين من الضلال والانحراف.

واليك بعض الايات التي تدل على عصمة الانبياء (ع):

1. قال تعالى: (ولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(2).

1- هود: 62.
2- الانعام: 90.

جاءت هذه الاية بعد ان ذكر الله عز وجل ثمانية عشر نبيا وسماهم باسمائهم (1) وبعد ان قال: (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم) (2) قال تعالى: (ولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (3) حيث امر الله عز وجل بوجوب الاهتدا والاتباع بهدى الانبياء وذلك لان هذه الهداية الواجبة الاتباع ليست من نوع الهداية العامة، بل هي مختصة بالانبياء والرسول (ع).

ويعلم بالضرورة والبداهة ان اختصاص الانبياء بهذه الصفة لم يبق للذنوب والانحراف سبيلا اليهم، وبعبارة اخرى: ان الهداية المذكورة مصداق بارز لاية اخرى هي قوله تعالى: (ومن يهد الله فما له من مضل) (4) وعندما نجمع بين مفهومي هاتين الايتين معا نحصل على ان الله تعالى هدى انبياء ورسوله (ع) على نحو ينفي عنهم اي سبيل للانحراف والضلالة والذنوب اليهم وبهذا اوجب الله تعالى على الاخرين متابعتهم والانقياد اليهم والاهتدا بسيرتهم وهديتهم.

وهنا لابد ان نطرح سؤالاً: ما هي حقيقة الضلالة والانحراف وما هيتهما اللتين نفاهما

القرآن عن الانبياء (ع)؟

بين القرآن حقيقة الضلالة في قوله تعالى: (الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ولقد اضل منكم جبلا كثيرا) (5) وفي خلال النهي الصريح في الاية عن عبادة الشيطان واتباعه ترى ان الاية قد اعتبرت ان جميع المعاصي والضلالات التي تحصل بواسطة ابليس هو انحراف وضلال، ولو اخذنا هذه الايات

1- وهم: ابراهيم - اسحاق - يعقوب - نوح - داود - سليمان - ايوب - يوسف - موسى - هارون - زكريا - يحيى - عيسى - الياس - اسماعيل - اليسع - يونس - لوط.
الانعام 83 - 86 المغرب.

2- الانعام: 87.

3- الانعام: 90.

4- الزمر: 37.

5- ييس: 62.

الثلاث بعين الاعتبار لاستنتاجنا بان الانبياء والرسل (ع) منزهون من كل ذنب ومعصية المعبر عنها في القرآن ضلالة.

وختلصة القول:

1. وصف القرآن الانبياء (ع) بانهم يمتازون بهداية خاصة.
2. انه ليس للضلالة والانحراف سبيل الى اولئك الذين نالوا هذه الهداية.
3. ان القرآن عبر عن الذنب والانحراف العام عن سبيل الله تعالى بانهما ضلالة.

واما الاستنتاج:

فعندما نتمسك بهذه الاصول الثلاثة المذكورة، نستطيع ان نجزم بان القرآن الكريم نزه الانبياء (ع) عن ارتكاب الذنوب وزكاهم من الاخطا.

2. قال تعالى: (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله)(1).
- المنشود في هذه الاية ان الغاية من ارسال الرسل هي اطاعتهم والانقياد لهم. ونستظهر من مضمون هذه الاية ان ارادة الله ومشيتته تعلقت بهذا الامر، وهو: ان الانبياء يجب ان يكونوا مطاعين من الجهة القولية والعملية، لان قولهم وفعلهم وسيلة لارشاد وهداية الناس.

فعلى هذا فاطاعة الرسل (ع) والاستئنان بقولهم وفعلهم واجب وذلك لان: لو افترضنا انه بدرت منهم معصية لابد وان تكون هذه المعصية مرادة عند الله ومحبوبة اليه، لانه تعالى هو الذي امر الناس وفرض عليهم طاعة الانبياء واتباعهم. ومن جهة اخرى نشاهد ان المعصية منهية وممنوعة، وقد نهى الله عزوجل عن ارتكابها.

وبتعبير آخر: ان القول بعدم عصمة الانبياء (ع) مستلزما للتناقض بان يامر الله بشي وينهى عنه، اي يكون الشئ الواحد ذا جهتين مبغوضا ومحبوبا لله تعالى في آن

واحد، وهذا الامر باطل ومرفوض.

3. قال تعالى: (فبعزتكم لا غوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين)(1).

هذه الاية تحكي قول الشيطان الذي حلف يمينا بانه سيغوي العباد كلهم الا المخلصين منهم، فلو كان الانبياء (ع) ممن تصدر منهم الذنوب حتى ولو كانت من الصغائر، فانهم سوف يكونون في زمرة الغاوين والضالين، وليس من عباد الله المخلصين، وقد قرأنا خلال الايات التي ذكرناها آنفا، ان الانبياء هم الناجون والمخلصون كما قال تعالى: (انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)(2).

وتلاحظ ايضا في ثنايا الاية المذكورة ان الشيطان اعترف واقر بالعجز عن اضلال المخلصين من العباد واغوائهم، وقد شهد الله تعالى لانبيائه بانهم من المخلصين، وضمن لهم منزلة الاخلاص، وايدها لهم. وهنا نستنتج: ان وساوس الشيطان واضلاله لا سبيل لها الى الانبياء (ع)، ولا تمسهم ببنت شفة.

وبنا على هذا فانا نقطع بان القول بصدور الذنوب من الرسل (ع) وارتابهم المعاصي قول باطل وسقيم وتحكم.

هب اننا نشاهد في بعض الايات استشعار وقوع الذنب من بعض الانبياء وارتابهم المعصية، فان ظاهر هذه الايات يتعارض مع تلك الايات الصريحة التي تنفي ارتكاب الانبياء (ع) للذنب، بحيث لا يمكن الجمع بين هاتين الفئتين من الايات، وعلى هذا يقتصر الحل الوحيد بان ناول هذه الايات الى المعاني التي حددتها الايات الصريحة من الفئة الاخرى والاحاديث الواردة في هذا الموضوع.

وقد تصدى العلماء للموضوع فالفوا كتباً في عصمة الانبياء وقد جمعوا بين كلا الطائفتين من الايات ومن ثم تاويل الايات النافية الى معان تتناسب مع هذه الايات والروايات الصريحة في اثبات العصمة.

1- ص: 83 و64.

2- ص: 83 و64.

رسول الله (ص) في القرآن والسنة

مؤهلاته في نظر القرآن:

يظهر من آيات القرآن الكريم ان محمدا (ص) قبل ان يبعث نبيا ورسولا كان متفوقا على الآخرين وممتازا عليهم من الجهات الايمانية والاخلاقية والعقائدية، وكان ذا استعداد خاص وكفاة مميزة، وان آباه واجداده كانوا من الانبياء والموحدين المؤمنين، الذين لا يشوبهم الشرك والوثنية، ولم يسجدوا لغير الله قط ويدل على ذلك الايات التالية:

1 . قال تعالى: (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين)(1).

عن ابن عباس في قوله تعالى: (وتقلبك في الساجدين) قال: من نبي الى نبي ومن نبي الى نبي حتى اخرجك نبيا(2).

يستفاد من هذه الاية وتفسيرها بان نطفة النبي (ص) كانت منذ عهد آدم (ع) حتى ابيه عبدالله (ع) تنتقل من صلب الانبياء والمطهرين الى اصلاب مثلهم من الانبياء والساجدين، وهذا دليل على ان استعداد النبي لتلقي الوحي لم يختص به منذ طفولته بل كان قبلها ومن عهد آدم (ع).

2 . ومن الايات التي تدل على هذه الحقيقة ايضا، وتكشف عن ان الرسول (ص) كان محظوظا بهذا الاستعداد قبل بعثته، هي الاية التي نزلت في اواسط البعثة في مكة وذلك عندما انتقد زعما ورؤسا قريش الرسول وقالوا: (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما

1- الشعراء: 217 218.

2- الطبقات الكبرى لابن سعد 1 - 25، تفسير ابن كثير 3: 365.

اوتي رسل الله(1).

فقال النبي (ص) في جوابهم: (الله اعلم حيث يجعل رسالته)(2).

تشير الاية الى الحكمة والفلسفة التي من اجلها اصطفى الله عزوجل الانبياء (ع) عامة ورسول الله (ص) خاصة، وتحكي بان منصب تلقي الوحي والرسالة ليس من نوع المناصب التي تنال للجميع من دون مقدمة، ومن دون مؤهلات، وانه منصب لا يعطى الا لمن

توفرت فيه مقدمات الكمال وشروطه، ويكون مؤهلاً لذلك، وإن الله أعلم بهم، وبمن توفرت فيهم الكفاءات.

3. قال تعالى: (إنك لعلی خلق عظیم)(3).

تكشف عن الحالة (4) اجمع جل المفسرين على أنها نزلت في الأيام الأولى من البعثة النبوية النفسية والروحية التي امتاز بها النبي (ص)، وتبين اخلاق رسول الله (ص) وكفاته واستعداده الروحي عموماً، وتوضح ان هذا الخلق العظيم نتيجة تلك المواهب والكفاءات التي كان يتحلّى بها النبي (ص) قبل ان يبعث نبياً، ويصطفيه الله لتبليغ رسالته اذا اخذنا تاريخ نزول الآية بعين الاعتبار.

ولا ريب انه لا بيان وتعبير اوسع نطاقاً واجمع معنى من هذه الآية، ولا مدح وثنا اعلى واشمل مما جاء في مفهوم هذه الآية، لان الخلق يشمل الاعمال الفاضلة والعادات الحسنة، وكاشف لجميع صفات النبي (ص) النفسانية الشخصية والاجتماعية والانسانية والعائلية والدينية، بحيث اثنى الله عليه بتلك الصفة المثالية الخلق ووصفها بالعظمة واكد ذلك الله عزوجل بقوله: (الله اعلم حيث يجعل رسالته).

1- الانعام: 124.

2- الانعام: 124.

3- القلم: 4.

4- الاتقان 1: 17، تاريخ الخميس 1: 10 وقال فيه: ثاني سورة نزلت بمكة ن والقلم، وهذا الراي اختاره الطباطبائي ايضاً في الميزان 13: 233 234 واخرجه عن البيهقي عن ابن عباس ومجاهد.

ومما يؤيد صحة هذا المعنى قول الامام الصادق (ع): «ان الله عزوجل ادب نبيه فاحسن ادبه، فلما اكمل له الادب قال: (إنك لعلی خلق عظیم)(1).

4. قال تعالى: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)(2).

نزلت هذه الآية بحق رسول الله (ص) واهل بيته (ع) وتدل على طهارتهم من الشرك والكفر، ومن كل رذيلة، وتتص على طهارتهم وبراتهم من الذنوب، صغيرها وكبيرها، لانها ارجاس ورذائل وهم منزهون عنها، كما نصت الآية على ذلك.

اخرج الطبري في تفسيره عن رسول الله (ص) قال: نزلت هذه الآية في خمسة: في وفي

علي وحسن وحسين وفاطمة (ع)(3).

وكذا اخرجہ محب الدين الطبري في ذخائر العقبي (4) وجلال الدين السيوطي في تفسير الدر المنثور (5) عن رسول الله (ص).
وقال الراغب الاصفهاني في معنى اراده فمتى قيل: اراد الله كذا فمعناه حكم فيه انه كذا وليس كذا نحو (ان اراد الله بكم سؤا او اراد بكم رحمة)(6)(7).
وقال ايضا الرجس: الشئ القذر، والرجس يكون على اربعة اوجه: اما من حيث الطبع، واما من جهة العقل، واما من جهة الشرع، واما من كل ذلك كالميتة والميسر والشرك(8).

- 1- تفسير نور الثقلين 5: 389 390 ح 14.
- 2- الاحزاب: 33.
- 3- جامع البيان في تفسير القرآن 22: 5.
- 4- ذخائر العقبي: 24.
- 5- تفسير الدر المنثور 5: 198.
- 6- الاحزاب: 17.
- 7- مفردات الفاظ القرآن: 207 مادة رود.
- 8- مفردات الفاظ القرآن: 188 مادة رجس.

ونستلهم من هذه الاية ان النبي وعترته (ع) مطهرون ومنزهون عن كل الرذائل والصفات الذميمة لانها من الصفات التي تكون رجسا، ومبغوضة عند الله، واتصاف اولئك الذين هم مطهرون باذن الله وارادته بمثل هذه الصفات محال ويستفاد ايضا من الاية ان العترة النبوية منزهون عن ارتكاب الحرام حتى ولو كان سهوا وخطا، لان المحرمات كما تراه الشيعة والمعتزلة تتبعها المفاصد التي هي السبب في النهي عنها وان السهو وان كان رافعا لشروط القدرة والارادة عن التكليف الا انه غير رافع للقبح والاثر الوضعي التابع للمحرم والرجس والقدارة الذاتية.

5. قال تعالى: (ارابت الذي ينهى عبدا اذا صلى)(1).

ترى في الاية مدحا وثنا لرسول الله وتقريبا وذما لذلك الطاغي المغرور (2) الذي ظل مراقبا لكي يمنع الرسول (ص) عن العبادة والصلاة.

نشير في هذه الاية الى نقطتين:

1. ان رسول الله (ص) كان قبل البعثة والرسالة موحدا وكان يعبد الله عزوجل وذلك ما دلت عليه هذه الايات من سورة العلق وهي اول سورة نزلت على الرسول (ص)(3) كما

1- العلق: 10.

2- وردت في الروايات الصحيحة التي رويت عن النبي واهل بيته (ع) واخرجها الحفاظ والمفسرون والمؤرخون في مؤلفاتهم ان هذا الطاعني المغرور الذي قرعه الله تعالى وذمه في كتابه الكريم هو ابو جهل، حيث كان يراقب النبي (ص) عند دخوله وخروجه المسجد حتى اذا قام النبي للصلاة قال ابو جهل لجلسائه من قريش: هل يعفر محمد (ص) وجهه بين اظهركم؟ قالوا: نعم قال: فبالذي يحلف به لئن رايتك يفعل ذلك لاطان على رقبته فقيل له: هاهو ذلك يصلي فانطلق ليطا على رقبته فما فجاهم الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقالوا: مالك يا ابا الحكم؟ قال: ان بيني وبينه خندقا من نار وهؤلاء واجنحة. وقال النبي (ص): والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا، فانزل الله سبحانه (ارابت الذي ينهى) المعرب.

3- راجع الاحاديث المستخرجة والتي اجمع عليها المفسرون من الفريقين استندوا عليها في اثبات نظريتهم مثل تفسير نور الثقلين، البرهان في تفسير القرآن، التبيان، مجمع البيان، الدر المنثور، الميزان، الخازن، ومحاسن التاويل، وغيره.

وقد فصل العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان البحث وايد هذه النظرية.

تدل عليها الاحاديث المتواترة والمتضاربة عن الائمة (ع) واقوال اكثر المفسرين.

2. ان عبادته (ص) كانت على خلاف عبادة الناس في الجزيرة العربية آنذاك، ومخالفة لطريقتهم والطقوس المتخذة في العبادة عندهم، وهذا احد الاسباب التي سببت مخالفة الناس ومنعهم اياه (ص) عن اقامة الصلاة.

يمكن استنباط هاتين النقطتين من الروايات التي تفصل كيفية عبادة النبي (ص) قبل البعثة، حيث تروى لنا انه كان (ص) يصلي احيانا في الخفا وتارة اخرى في الملا والعلن.

ونكتفي هنا بذكر حديث واحد مما روي بهذه المناسبة:

نقل صاحب السرائر من جامع البنزطي عن زرارة قال: سمعت ابا جعفر وابا عبد الله (ع) يقولان:

حج رسول الله (ص) عشرين حجة مستسرا، منها عشر حجج او قال: تسع. الوهم من الراوي قبل النبوة، وقد كان صلى قبل ذلك وهو ابن اربع سنين، وهو مع ابي طالب في ارض بصرى(1).

مؤهلات النبي (ص) في الاحاديث:

وردت احاديث كثيرة عن النبي (ص) واهل بيته (ع) في المصادر المعتمدة لدى الفريقين، تؤيد مقولتنا الانفة، وتثبت كفاة النبي (ص) وتاهله، وتروي لنا كيفية صلاته وعبادته قبل ان يبعث نبيا، واليك بعض هذه الاحاديث:

1. اخرج ابن سعد باسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح(2).

- 1- بحار الانوار 15: 361 كتاب تاريخ نبينا باب « 4 » باب منشاہ ورضاعه وما ظهر من اعجازه عند ذلك ح17.
- 2- الطبقات الكبرى لابن سعد 1: 61 ذكر امهات النبي.

2. قال امير المؤمنين علي (ع) في خطبته القاصعة وهي من افصح خطب نهج البلاغة وابلغها واطولها، يذكر فيها رسول الله (ص): ولقد قرن الله به من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن اخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت معه اتبعه اتباع الفصيل اثر امه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقة علما، ويامرني بالاعتداه، ولقد كان يجاور في كل سنة بحرا فاراه، ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وانا ثالثهما(1).
3. روي ان بعض اصحاب ابي جعفر محمد بن علي الباقر (ع) ساله: عن قول الله عزوجل: (الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رسدا)(2). فقال (ع): يوكل الله تعالى بانبيائه ملائكة يحصون اعمالهم ويودون اليه تبليغهم الرسالة، ووكل بمحمد (ص) ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع، يرشده الى الخيرات، ومكارم الاخلاق، ويصده عن الشر ومساوى الاخلاق، وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا رسول الله، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن ان ذلك من الحجر والارض، فيتأمل فلا يرى شيئا(3).
4. وفي رواية اخرجها ابن ماجة في سننه(4) واحمد بن حنبل في مسنده(5) والطبري في تاريخه(6) باسنادهم عن أمير المؤمنين (ع) قال:
انا عبدالله، واخو رسوله، وانا الصديق الاكبر، لا يقولها بعدي الا كاذب مفتر، صليت قبل الناس بسبع سنين.

- 1- نهج البلاغة خطبة رقم 192، د صححي الصالح.
2- الجن: 27.
3- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 13: 207.
4- سنن ابن ماجة 1: 44 المقدمة باب « 11 » باب فضائل اصحاب رسول الله (ص) فضل علي ابن ابي طالب (ع) ح120.
5- مسند احمد 1: 99.
6- تاريخ الطبري 2: 310.

واخرج النسائي قوله (ع): عبت الله قبل ان يعبده احد من هذه الامة تسع سنين(1). وقال ابن ابي الحديد: وان كان قد ورد في كلامه انه صلى سبع سنين قبل الناس كلهم، فانما يعني ما بين الثمان والخمس عشرة ولم يكن حينئذ دعوة، ولا رسالة، ولا ادعا نبوة، وانما كان رسول الله (ص) يتعبد على ملة ابراهيم (ع) ودين الحنيفية، ويتحنث، ويجانب الناس، ويعتزل ويطلب الخلوة، وينقطع في جبل حرا، وكان علي (ع) معه كالتابع والتلميذ(2).

اقول: ان تفسير ابن ابي الحديد وبيانه كلام أمير المؤمنين (ع) صحيح بشكل عام، ولكن ادعائه بان النبي (ص) كان قبل بعثته يتعبد على دين ابراهيم (ع) مردود من وجهة نظرعلما الشيعة الذين يعتقدون ان الرسول (ص) كان يتعبد على دين الاسلام، الذي جاء به فيما بعد، الا انه لم يؤمر بتبليغ تلك الاحكام الى الناس حتى بلغ الاربعين من عمره.

اخلاق النبي (ص):

كل ما تقدم، كان البحث في مؤهلات النبي (ص) وكفاته لتلقي الوحي والرسالة، منذ ان كان طفلا، ونبحث هنا في المؤهلات الاكثر ارضية لذلك، والتي هيأت الرسول (ص) لكسب الفضائل والصفات، والمراتب العالية من الخلق الانسانية. ونذكر نبذا من اخلاق النبي العظيمة على نحو الاجمال حتى تتجلى لك عظمة رسول الله (ص) وشخصيته اكثر، وتكون ايها القارئ. مستعدا للمباحث التي نوافيك بها فيما ياتي: آيات عديدة في القرآن تبين الحالة الاخلاقية للنبي (ص)، وكيفية معاشرته وتعامله مع الاخرين ننتخب لك من تلك الايات ثلاث:

- 1- خصائص اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (ع): 3 ح6، اسد الغابة 4: 17 ترجمة علي بن ابي طالب.
- 2- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 13: 248.

1 . قال تعالى: (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)(1).

هذه الآية توضح مدى علاقة النبي (ص)، وعطفه وحنانه على المسلمين، وتؤكد ايضا ان هذه العلاقة وهذا العطف كان تثقل على قلبه ثقلا كبيرا لما كان المسلمون يعانون من المصاعب.

2 . قال تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم)(2).

تحكي هذه الآية عن اخلاق النبي الحميدة، وطبعه الحسن، ولين عريكته، ومداراته الرفيعة، التي هي صورة مصغرة لرحمة رب العالمين، وكلمة (لو) التي وردت في الجملة الثانية من الآية (ولو كنت فظا) تبين ان الخشونة والشدة بعيدة عنه، لان كلمة لوتستعمل غالبا في الامور التي يستحيل وقوعها وتنتفي ما بعدها.

3 . قال تعالى: (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اليه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعتم فانثشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق)(3).

وهذه ايضا كاشفة عن خصلة اخرى من خصال النبي (ص) وتبين خصلة الحياء عند النبي، حيث كان يستحي من اصحابه، وان بعض اصحابه كان يدخل بيت النبي (ص) من دون اذنه، وكان يحب مجالسته قبل الطعام وبعده، والنبي (ص) يحتمل ذلك ويصبر على هذه المشقة من عامة اصحابه معه، فكان يتأذى منها ولم يخبرهم بذلك، حتى لا يجرح عواطفهم.

وهذا الصبر الذي هو انبل واعلى صفة اخلاقية، لا تجده الا في الانبياء

1- التوبة: 128.

2- آل عمران: 159.

3- الاحزاب: 53.

والرسل (ع).

الوحي والاجتهاد: كيفية الوحي:

يستفاد من العديد من آيات الذكر الحكيم ان بين الله عزوجل وبين رسله الذين اكرمهم بوحيه وخطابه اتصال(1)، وهذا الاتصال يتم عن طرق واساليب ثلاث، وقد اشار القرآن الى هذه الطرق في سورة الشورى في قوله تعالى:

(وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيمة)(2).

1 . القسم الاول: الالهام ويظهر من خلال اراء المفسرين حول هذه الاية، ان المراد بالوحي هنا بقرينة التقسيم والمقابلة بين الاقسام هو الالهام والتكلم الخفي، سوا كان في اليقظة او الرؤيا، من دون ان يتوسط واسطة بينه وبين النبي المرسل، او انه تعالى يخلق صوتا من وراء حجاب، بحيث ان النبي يعرف ان هذا الصوت الهام ووحي من الله عزوجل، فياتمر بما اوحى اليه، كما في قصة النبي ابراهيم الخليل (ع) وذبحه اسماعيل (ع)، حيث انزل الله عزوجل عليه الوحي بصورة الهام في رؤياه.

2 . القسم الثاني: التكلم من وراء حجاب:

والمراد منه الايحا والمحادثة عن طريق خلق الصوت، وايجاده من دون ان يرى النبي الله عزوجل، وهو كالقسم الاول، لان الوحي هنا يتم من دون ان يتوسط واسطة بينه تعالى وبين نبيه، ولكن حسب ما اعتاد عليه ذهن البشر وفكره، يتوهم ان مشاهدة طرفي المحادثة والمكالمة بعضهما البعض حين المحادثة هي من مستلزمات المحادثة والمكالمة، بان يرى كل من المخاطب والمتكلم الاخر، وهذا التقييد في الاية من وراء

1- تحدثت آيات عديدة عن كيفية الوحي المنزل على الانبياء (ع) فراجعها في سور: البقرة: 97، النحل: 2 و102، الشعراء: 193 194، فاطر: 1، النجم: 10 1، والتكوير: 19 21.
2- الشورى: 51.

حجاب دفع للتوهم المذكور، ويدل على ان مشاهدة الله عزوجل ورؤيته حين المحادثة امر مستحيل وكان اكثر ما نزل على موسى (ع) هو هذا القسم من الوحي.
3 . القسم الثالث: ارسال الرسل:
وان الله عزوجل اذا اراد ان يوحي الى نبي من انبيائه يرسل اليه الملائكة ليوحون اليه ثم ان الوحي الى الانبياء يتم احيانا عن جميع الطرق الثلاثة، وتارة عن بعضها.
ويمكن تقسيم الوحي باعتبار آخر الى ان الوحي المنزل من الله عزوجل الى نبيه الكريم (ص)، تارة يكون اللفظ والمعنى كلاهما من عندالله عزوجل، ويسمى هذا النوع بالوحي القرآني، واخرى يكون المعنى موحى من عندالله عزوجل، ولكن اللفظ من عندالنبي (ص)،

بان يكون الوحي ينزل على النبي حاويا المعنى فقط والنبي (ص) يصيغه بالفاظه، ثم يبلغه الى الناس، وهذا القسم من الوحي يسمى وحيا غير قرآني.
وان السنة والاحاديث النبوية هي من هذا القسم من الوحي.

الوحي الغير قرآني:

يظهر للمتدبر في آيات القرآن ان الوحي الذي ينزل على رسول الله (ص) تارة يكون وحيا قرآنيا، واخرى يكون وحيا غير قرآني، بحيث ان النبي (ص) يؤمر بتبليغ امرتلقاه في رؤياه او يقظته من لدن العليم الحكيم ربما انزل الله عزوجل الوحي القرآني ليعطي الوحي الغير القرآني زحما من التاكيد والتاييد.
واليك نماذج على ما ذكرناه اليك:
1. قال تعالى في سورة الانفال: (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم).
تحتوي الاية(1) على بعض الامور المتعلقة بغزوة بدر، واجمع المفسرون على انها

-1 الانفال: 5 و7.

نزلت بعد بدر، وتؤكد مؤيدة وجود الوحي الغير قرآني الذي سبق الحرب والقتال(1).
2. قال تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين)(2).
امر الله تعالى نبيه (ص) في السنة السادسة من الهجرة ان يخرج هو واصحابه الى مكة للحج، وكان هذا الامر الالهي نزل على الرسول بنحو الالهام والرؤيا الصادقة، فائتمر الرسول وشد الرحال الى مكة، ولكن واجه ممانعة قريش اياه، ومن ثم انعقدت معاهدة صلح الحديبية وكانت هذه سببا لاعتراض بعض الاصحاب عليه (ص)، فانزل الله تعالى هذه الاية تاييدا لرسوله (ص) وتقريعا لهم.
3. قال تعالى: (يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع)(3).
وهذه ايضا من الايات التي تؤيد الوحي الغير قرآني.

سياق الآية والاحاديث المروية في سبب نزول هذه الآية وتفسيرها تؤكد بان صلاة الجمعة كانت تقام قبل نزول هذه الآية، ونزلت هذه الآية تعظيما وتاكيدا لاهمية صلاة الجمعة، وتهديدا لبعض المسلمين الذين كانوا يتهاونون في الاحكام الاسلامية وذلك لفرط لهفهم على التجارة وجمع المال، لكي يرتدعوا عن التجارة والمعاملة، ويتجهوا نحو الصلاة وذكر الله عزوجل.

والمتيقن انه لم تنزل آية تدل على وجوب صلاة الجمعة سوى هذه الآية، وكان الامر بالوجوب قبل نزول هذه الآية على صورة الوحي الغير قرآني.

هذه نماذج من الوحي القرآني وغير القرآني ويمكن ان نجد العشرات من الاحكام

-
- 1- لمزيد الاطلاع راجع التفاسير التالية: الطبري، البغوي، مجمع البيان، ابن كثير، الخازن، وغيرهم.
 - 2- الفتح: 27.
 - 3- الجمعة: 9.

والتعاليم الدينية التي لم يشر اليها الوحي القرآني، بل صدر حكمها عن طريق الوحي الغير قرآني.

هل كان الرسول (ص) يجتهد:

تعتقد الشيعة بان الرسول (ص) لم يكن ليجتهد في الاحكام والتعاليم الدينية، وانما كان يعمل وفقا للوحي، واذا لم ينزل الوحي فانه يبقى منتظرا حتى ينزل وثمة آيات وروايات تكشف لنا هذه الحقيقة، فاليك طرفا منها:

1. قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)(1).

تدل هذه الآية على ان كلام رسول الله (ص) مستند الى الوحي الالهي، وتتفي عنه القول الاجتهادي والنابع من تلقا نفسه.

2. قال تعالى: (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقائنا انت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقا نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي)(2).

قال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: فهذا يدل على انه (ص) ما حكم الا بالوحي، وهذا يدل على انه لم يحكم قط بالاجتهاد(3).

3. قال تعالى: (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ان اتبع الا ما يوحي الي) (4).

وقال الفخر الرازي في تفسيره: ان هذا النص يدل على انه (ص) لم يكن يحكم من تلقا نفسه في شي في الاحكام، وانه ما كان يجتهد، بل جميع احكامه صادرة عن

1- النجم: 4 3.

2- يونس: 15.

3- التفسير الكبير للفخر الرازي 17: 56.

4- الانعام: 50.

الصفحة

208

الوحي، ويتأكد هذا بقوله: (لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) (1).

4. قال تعالى: (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله) (2).

قال الفخر الرازي: اعلم انه ثبت بما قدمنا ان قوله: (لتحكم بين الناس بما اراك) معناه بما اعلمك الله، ويسمى ذلك العلم بالرؤية، لان العلم اليقيني المبرا عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور.

وكان عمر يقول: لا يقولن احد: قضيت بما اراني الله تعالى، فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيه واما الواحد منا فراهه يكون ظنا ولا يكون علما.

ثم يقول الفخر الرازي: اذا عرفت هذا فنقول: قال المحققون: هذه الاية تدل على انه

(ص) ما كان يحكم الا بالوحي والنص.

واذا عرفت هذا فنقول: تفرع عليه مسالتان احدهما انه لما ثبت انه (ص) ما كان يحكم

الا بالنص، ثبت ان الاجتهاد ما كان جائزا له (3).

وهذا ما اقر به البخاري في صحيحه وافرد له بابا خاصا وعنوانه: ما كان النبي (ص)

يسال مما لم ينزل عليه الوحي فيقول: لا ادري، او لم يجب حتى ينزل عليه الوحي، ولم يقل

براي ولا بقياس لقوله تعالى: (بما اراك الله) (4).

1- التفسير الكبير للفخر الرازي 12: 231.

2- النساء: 106.

3- التفسير الكبير للفخر الرازي 11: 33.

4- صحيح البخاري 9: 124 كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما كان النبي (ص) يسال.

النبوة في العهدين والصحيحين

النبوة في العهدين:

كل ما قرأته ايها القارئ الكريم في الفصول السابقة هو ملخص الايات والاحاديث الصحيحة الواردة عن الائمة (ع) حول الانبياء عامة ورسول الله (ص) خاصة، ومن خلالها يمكن ان نتعرف على الصورة الواقعية للانبياء (ع) الاخلاقية والايمانية سواقبل بعثتهم او بعدها، ونفهم ايضا شخصيتهم، منزلتهم، قداستهم، طهارتهم، نزاهتهم، وعصمتهم من الذنوب والارجاس.

ولكن المحرفين للتوراة والانجيل شوهوا الصورة الواقعية للانبياء (ع) وحرفوها، وذلك لاسباب ونوايا خاصة، والتطرق الى تفصيل وشرح تلك الاسباب خارج عن نطاق بحثنا واجمالا لذلك نقول:

ان العهدين التوراة والانجيل المحرفين فضلا عن انهما نفيا العصمة عن الانبياء (ع)، وسلبا عنهم الطهارة والقداسة والنزاهة، تراهم انهم نزلوا مقام الانبياء وصغروا مرتبتهم، ونسبوا اليهم (ع) الاكاذيب وانواع الافك، حتى غيروا بذلك الصورة الواقعية والنزاهة لهم فانزلوهم الى ادنى منزلة في المجتمع، وساووهم بالافراد العاديين، وزادوا على ذلك حتى جعلوهم في صف اهل الهوى واللعب، الذين لا رادع اخلاقي ومعنوي يردعهم عن اتيان الشهوات، واتباع الاهوا.

واليك امثلة من المرويات في التوراة والانجيل المحرفين:

1 . قصة لوط (ع) وابنتيه في التوراة:

وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لانه خاف ان يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: ابونا قد شاخ وليس في

الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الارض، هلم نسقي ابانا خمرا، ونضطجع معه فنحيي من ابينا نسلا، فسقتا اباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع ابيهما، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد ان البكر قالت للصغيرة: اني قد اضطجعت البارحة مع ابي، نسقيه خمرا الليلة ايضا فادخلي اضطجعي معه، فنحيي من ابينا نسلا، فسقتا اباهما خمرا في تلك الليلة ايضا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من ابيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو ابو الموآبيين الى اليوم والصغيرة ايضا ولدت ابنا ودعت اسمه بنى عمان وهو ابو عمون الى اليوم(1).

2 . قصة داود (ع) وامرأة اوريا في التوراة:

ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت جميلة المنظر جدا، فارسل داود، وسال عن المرأة فقال واحد: هذه امرأة اوريا الحثي، فارسل داود رسلا فاخذها، فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها ثم رجعت الى بيتها وحبلت المرأة، فارسلت واخبرت داود وقالت: اني حبلت فارسل داود الى يوآب يقول: ارسل الي اوريا الحثي، فارسل يوآب اوريا الى داود، فأتى اوريا اليه، سال داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب، ونجاح الحرب، وقال داود لاوريا: انزل الى بيتك واغسل رجلك فقال اوريا لداود: ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحرا، وانا آتي الى بيتي لاكل واشرب واضطجع مع امراتي، وحياتك وحياة نفسك لا افعل هذا الامر فقال داود لاوريا: اقم هنا اليوم ايضا وغدا اطلقك، فاقام اوريا، وفي الصباح كتب مكتوبا الى يوآب، وارسله بيد اوريا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت. فمات اوريا الحثي، فلما سمعت امرأة اوريا انه قد مات اوريا رجلا نذبت بعلها،

1- توراة سفر تكوين اصحاح 19 بند 30 38.

ولما مضت المناحة ارسل داود، وضمها الى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا واما الامر الذي فعله فقبح في عيني الرب(1).

وجا في الانجيل المحرف: ولد سليمان بن داود من المرأة التي كانت لاوريا(2).

3 . قصة المسيح (ع) صنعة الخمر:

دعي يسوع (عيسى) الى عرس، ولما فرغت الخمر، فصنع لهم المسيح ستة اجران من الخمر (3).

وفي انجيل لوقا: لم يشرب عيسى الخمر فحسب، بل انه كان محب للعشارين والخطاة (4).

هذه نماذج مما نسبه العهدان القديم والجديد المحرفان الى الانبياء (ع) فصورا نبياسكر وتضطجع معه ابنتاه وتلدا منه ابنين اثنين، ونبيا آخر يزني بامرأة احد قواده في الجيش، ولما حبلت منه خاف ذلك النبي داود الفضيحة، فامر بقتل ذلك القائد العسكري، وبعد ان قتل تزوج امراته الارملة وولدت له في ذلك الحمل نبيا آخر وهو النبي سليمان. وتارة صوروا صنع الخمر بانه اعظم معجزة لنبي، وانه كان من العشارين والمدمنين على الخمر.

النبوة في الصحيحين:

وترى هذا النوع من التحريف والتشويه لشخصية الانبياء (ع) الذي ورد في

- 1- توراة سفر صموئيل الثاني 11 12.
- 2- انجيل متى: الصحاح: 1.
- 3- انجيل يوحنا: باب 2.
- 4- انجيل لوقا: باب 7 وانجيل متى: باب 11.

العهدين القديم والتوراة والجديد الانجيل المحرفين ورد ايضا في الصحيحين البخاري ومسلم الذين نحن بصدد التحقيق فيهما، فهما عندما ياتيان على ذكر الانبياء (ع) يسطران الاساطير والقصص، التي كان يرويها قصاصو اليهود وغيرهم، وينسبونها الى الانبياء (ع)، ودسوها بعد ذلك بين اوساط المسلمين بعنوان الاحاديث الصحيحة.

والاطم من ذلك ان الصحيحين لم يشوها الصورة الحقيقية للانبياء (ع) عامة وحرفوها فحسب، حتى ظهرت صورتهم مضحكة ومستهترة، بل انهما بدلا الصورة الواقعية والحقيقية للنبي محمد (ص) من كونها شخصية روحية ذات السمات الاخلاقية والربانية الى شخصية منافية للواقع ومباينة لما ورد في آيات الذكر الحكيم.

متى نشأ الافتراء على النبي (ص):

عندما نراجع الاحاديث المروية في الصحيحين حول النبي (ص) نتكشف لنا حقيقة ما، وتلك الحقيقة هي: ان الافتراء وبث الاشاعات حول شخصية النبي (ص) بدأت في حياته، وذلك عندما نشر بعض الاشخاص حبا للرسول (ص) او بغضا له او لاسباب اخرى اكاذيب اختلقوها وشايعات صنعوها حول شخصيته (ص) حتى ضاق الرسول بهاذرعا، واعلن هو للناس على المنبر عن وجود هؤلاء الوضاعين الكذابين بين الناس، وحذرهم بعاقبة عملهم الفاسد والمفسد قائلا: لا تكذبوا علي، من كذب علي فليلج النار(1). وان سليم بن قيس الهلالي سال أمير المؤمنين عليا (ع) عن الاحاديث التي في ايدي الناس، فاجابه الامام علي (ع) بخطبة بليغة قسم فيها الاحاديث ورواتها الى عدة اقسام فقال: ان في ايدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا،

1- صحيح البخاري 1: 38 كتاب العلم باب اثم من كذب على النبي (ص)، تحف العقول: 136.

ومحكما ومتشابهها، وحفظا ووهما، ولقد كذب على رسول الله (ص) على عهد(1). ولكن بعد وفاة النبي (ص) ازدادت اسباب جعل الحديث والكذب عليه (ص)، وكلما ابتعد الناس عن عهد الرسول (ص) اكثر فاكثر، زادت الدواعي والاسباب واشتد الكذب والشائعات المنسوبة الى النبي (ص) حتى شملت هذه الاحاديث المفترية تاريخ النبي (ص) قبل البعثة، وبد نزول الوحي، والحياة العائلية والداخلية، وكيفية معاشرته مع المسلمين، بل شوهوا جميع الشؤون والامور التي تمت الى النبي (ص)، حسب ما تملي عليهم اهوؤهم ومقاصدهم الخبيثة، ولذلك ترى كل واحد منهم اذا قصد الحصول على مايرتئيه، او الوصول الى هدفه يضع حديثا وينسئه الى النبي (ص) وكان هذا دابهم المقصودحتى عهد معاوية حيث اشتدت الدواعي اكثر.

فامر بتأسيس هيئة التحديث مؤسسة وضعها معاوية لجعل الحديث لغايات واهداف عديدة، وكان يستخدم معاوية هذه المؤسسة واعضاها في سبيل تحقيق مربه على احسن وجه مثل التعظيم على اعماله وافعاله الغير شرعية، وتحجيم شخصية النبي (ص) بواسطة الاحاديث التي اختلقتها هذه المؤسسة حتى يوازيها بشخصيته وشخصية ابنه وما كان هدفه في ذلك التحجيم والتعظيم على شخصية النبي (ص) الا ان يعدالعدة ويمهد الارضية لخلافة الفاسق الفاجر ابنه يزيد.

ومن جهة اخرى كان هدفه من تاسيس الهيئة التزويرية اتهام مخالفيه، ليردعهم ويشفي غليله ويصب حقه وحقارته عليهم، ويملا بذلك نواقص ومعايب شخصيته وعشيرته، ويبرر ما جنته يداه في عهد خلافته(2).

وبعد هلاك معاوية رأى الخلفاء الذين تزعموا المسلمين ان الاحاديث التي اختلقها مؤسسة معاوية مفيدة في تثبيت نظامهم وتقوية اركان سلطانهم، وتحكيم

-
- 1- شرح نهج البلاغة 11: 38 خطبة 203.
 - 2- يمكنك ايها القارئ ان تستلهم المزيد في هذا الموضوع عند مراجعة فصل الحديث في عهد معاوية.

خلافتهم، فلذلك سعوا في حفظ هذه الاحاديث وتنظيمها وتعديلها واجتهدوا في تقويتها. ومن بعد ذلك كانت هذه الاحاديث تنتقل من فم هذا الى اذن غيره، حتى استقرت وقرت في الكتب والمؤلفات، وفي مقدمتها صحيح البخاري وصحيح مسلم، ومن هذين الصحيحين انتقلت الى كتب الحديث والتاريخ والتفسير، بل وردت في بعض كتب الشيعة ايضا، وضبطها بعض مؤلفي الشيعة في كتبهم الحديثية والتاريخية والتفسيرية، من دون تحقيق وتحليل وتامل، ولا ثبات ما قلناه نقل خمس نماذج من الاحاديث التي اخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما ونسباها الى الانبياء (ع)، ومن ثم نقوم بتحقيقها ونقدها، ثم نتطرق بعون الله تعالى الى نقد وتحليل الاحاديث التي رواها الشيخان في كتابيهما مما تمت الى شخصية رسول الله (ص) بصلة.

1 . كذبة ابراهيم الخليل (ع) وحرمانه من الشفاعة

عن ابي هريرة: ان النبي (ص) قال: لم يكذب ابراهيم النبي (ع) قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله، قوله: (اني سقيم) (1)، وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا) (2) وواحدة في شان سارة، فانه قدم ارض جبار ومعه سارة، وكانت احسن الناس، فقال لها: ان هذا الجبار ان يعلم انك امراتي يغلبني عليك، فان سالك فاخبريه انك اختي، فانك اختي في الاسلام، فاني لا اعلم في الارض مسلما غيرك وغيري، فلما دخل ارضه رآها بعض اهل الجبار، فاتاه فقال: لقد قدمت ارضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك، فارسل اليها فاتي بها، فقام ابراهيم (ع) الى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها، فقبضت قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فعاد، فقبضت اشد من القبضة

الاولى فقال لها: مثل ذلك ففعلت، فعاد فقبضت اشد من القبضتين الاوليين فقال: ادعي الله ان يطلق يدي فلك الله ان لا اضرك، ففعلت واطلقت

1- الصافات: 89.

2- الانبياء: 63.

الصفحة

215

يده ودعا الذي جاء بها فقال له: انك انما اتيتني بشيطان، ولم تاتني بانسان، فاخرجها من ارضي، واعطها هاجر، قال: فاقبلت تمشي، فلما رآها ابراهيم (ع) انصرف فقال لها: مهيم؟ قالت: خيرا، كف الله يدالفاجر، واخدم خادما.

قال ابو هريرة: تلك امكم يا بني ما السما(1).

وقد ورد ايضا في الصحيحين في بيان مسالة شفاعة النبي ضمن رواية مطولة مروية عن ابي هريرة بالفاظ مختلفة عن رسول الله (ص) تحكى بان اهل الحشر ياتون الانبياء واحدا تلو الاخر، ليشفعوا لهم، وكل نبي يذكر فعلة من فعالة التي اغضب بهارب العالمين، ويعتذر للناس من طلب الشفاعة، ويوكلونهم الى النبي الذي اتى بعده، حتى ينتهي بهم الامر الى خاتم الانبياء (ص) فيشفع لهم.

وقد ذكر في هذا الحديث: ان الناس ياتون النبي ابراهيم (ع): فيقولون له: انت نبي الله وخليه في الارض اشفع لنا الى ربك، الا ترى الى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: ان ربي قدغضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، واني قد كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي(2).

هذان حديثان مما رواه الصحيحان حول كذبة ابراهيم الخليل (ع)، وحرمانه من الشفاعة بسبب تلك الاكاذيب.

ولو امعنا النظر ودققنا البصيرة فيهما لعرفنا اولاً: ان هذين الحديثين يتنافيان مع ماورد عن الخليل ابراهيم (ع) في القرآن والاحاديث المروية عن اهل بيت النبي (ع).

وثانياً: ان هذا الموضوع من الاسرائيليات الواردة في التوراة، فاشبعوها بالايات

1- صحيح البخاري 4: 171 كتاب بد الخلق باب قول الله: (واتخذ الله ابراهيم خليلاً)، صحيح مسلم 4: 1840 كتاب الفضائل باب «41» باب من فضائل ابراهيم الخليل (ع) ح154.

2- صحيح البخاري 6: 105 كتاب التفسير تفسير سورة بني اسرائيل، صحيح مسلم 1: 184 كتاب الايمان باب «84» باب ادنى اهل الجنة منزلة فيها ح327.

القرآنية، وبعد ذلك دست في اذهان بعض المسلمين وذلك لان قول ابراهيم (ع): (بل فعله كبيرهم هذا) و(اني سقيم) جاء في مقام الاحتجاج والمنازعة، والاستتكار على الوثنيين، وانها طريقة واسلوب بديع ابتدعه ابراهيم (ع) في حوارهم معهم، حتى ياخذ الاقرار منهم على بطلان عقيدتهم، وانحرافهم عن الحق، وهي شبيهة لقوله الاخر لما رأى طلوع الشمس والقمر والكواكب فقال: (هذا ربي)، وعندما رآها تغرب، قال: (اني لا احب الافلين) ولم يصح عبادة الرب الاقول هذا ويتضح لك هذا جليا عند التأمل والمطالعة في صدر الآية وذيلها. واطف على هذا، وضوح بطلان الحديث الثاني الذي يروي بان النبي ابراهيم (ع) اعترف: بان هذه المواضيع الثلاثة ذنوبا حرمتها من الشفاعة، ولو سلمنا بان النبي ابراهيم (ع) قال تلك الجملات الثلاثة عند الضرورة، فانها لا منافاة بينها وبين الشفاعة، لان واجبه آنذاك في تلك الموارد كان ذلك، بل ان هذه المواقف الثلاثة تعتبر من المحن والمصائب والاختبارات التي امتحن الله بها نبيه ابراهيم (ع) واجهها في سبيل الله واحيا اوامره وان مثل هذه المحن ليست مانعة من الشفاعة فحسب بل تزيد في درجة شفاعته الانبياء والصالحين.

ويلزم ان نسعف ما ذكرناه ببيان مطلب آخر، هو انه لو كانت جملتا (اني سقيم) و(بل فعله كبيرهم) صدرتا كذبا من ابراهيم الخليل (ع)، لا بد ان تعد اكاذيب ابراهيم سنا وليس ثلاث لان ابراهيم كما نص القرآن على ذلك فانه كلما رأى الشمس او القمر او كوكبا كان يقول: (هذا ربي)(1).

1- راجع الايات المنزلة في هذا الموضوع لتزداد علما وفهما: الانعام 75 79 (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموفين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لا كونن من الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برى مما تشركون انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين).

واما ارتباط هذين الحديثين بالتوراة فواضح جلي، لان قصة النبي ابراهيم (ع) حسبما جاءت في التوراة بالتفصيل لما تصل الى الحديث عن سارة والحاكم الجبار، تروي لنا اشيا تخالف النصوص الاسلامية الصحيحة تماما، مثلما وردت في رواية ابي هريرة.

فاقرا ما جاء في النص التوراتي لتزداد يقينا:

وحدث لما قرب ابرام ان يدخل مصر، انه قال لساراي امراته: اني قد علمت انك امرأة حسنة المنظر، فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون: هذه امراته فيقتلونني ويستبقونك. قولي: انك اختي ليكون لي خيرا بسببك، وتحيا نفسي من اجلك، فحدث لما دخل ابرام الى مصر، ان المصريين راوا المرأة انها حسنة جدا، وراها رؤسا فرعون ومدحوهالدى فرعون، فاخذت المرأة الى بيت فرعون فصنع الى ابرام خيرا بسببها(1).

سقوط اعتبارية هذا الحديث:

يتضح لك ايها القارئ الكريم عدم اعتبار الحديث المذكور اكثر، اذا امعنت النظر في النقطة التالية من الحديث:

ان ابراهيم (ع) امر زوجته سارة بان تقول: بانها اخت ابراهيم، حتى يتزوجها الملك الجبار، ويامن ابراهيم (ع) من اذاه، ويتقرب الى الحاكم زلفى وينال منه ثروة كبيرة، وفي الواقع ان ابراهيم اراد ان يصل الى منفعة خيالية، وذلك عن طريق تمهيد اسباب لتمليك الاخرين زوجته سارة الى الغير (حاشا النبي من هذا).

واما في الحديث المروي عن ابي هريرة وان لم يكن الموضوع واضحا كما ورد في التوراة ولكن لاحظ اولاً: بان القول عن الزوجة بانها اخت لم يكن له سبب وعلّة

1- التوراة: سفر التكوين الاصحاح 12 بند 11 16.

سوى ما ذكرناه. ثانياً: فان حديث ابي هريرة صورة مجملّة لما ورد في التوراة. وهنا ندع الحكم والقضا للقارئ اللبيب والباحث عن الحقيقة، حتى يبدي رايه في التطابق بين حديث ابي هريرة والنص التوراتي.

ونختم بحثنا هذا بنكته دقيقة ذكرها الفخر الرازي بهذا الصدد:

قال في تفسيره: اعلم ان بعض الحشوية روى عن النبي (ص) انه قال: ما كذب ابراهيم

(ع) الا ثلاث كذبات فقلت: الاولى ان لا نقبل مثل هذه الاخبار فقال على طريق

الاستنكار: فان لم نقبله لزمنا تكذيب الرواة فقلت له: يا مسكين ان قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب ابراهيم (ع)، وان رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة، ولا شك ان صون ابراهيم عن التكذيب اولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب(1).

2 . طواف سليمان بتسع وتسعون امرأة في ليلة

عن عبدالرحمان بن هرمز قال: سمعت ابا هريرة عن رسول الله (ص) قال: قال سليمان بن داود: لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين، كل منهن تاتي بفارس، يجاهد في سبيل الله، فقال له الملك صاحبه: قل: ان شاء الله، فلم يقل: ان شاء الله، فلم يحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل.

والذي نفس محمد بيده، لو قال: ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون. وفي هذه الرواية الصحيحة اولاً: اضطراب نص الحديث: لان عدة النساء الثلاثي اراد سليمان (ع) ان يطوف عليهن في ليلة واحدة، ذكر تارة انهن مائة امرأة(2) واخرى روي

-
- 1- التفسير الكبير للفخر الرازي 18: 119.
 - 2- صحيح البخاري 4: 27 كتاب الجهاد باب من طلب الولد للجهاد، وج 7: 50 كتاب النكاح باب قول الرجل لاطوفن الليل على نسائه.

انهن تسع وتسعون (1)، وروي الثالثة انهن تسعون (2)، وفي بعض الاحاديث انهن سبعون (3) وفي بعضها ستون (4)، وكل هذه الاعداد مروية في صحيح البخاري ومسلم، وهذا الاضطراب في العدد دليل واضح على كون الحديث من المجعولات والموضوعات، ويدل ايضا على ان راوي القصة اراد ان يبدي رايه في عددا للنساء حتى ان بعض شارحي الصحيحين لم يسعه الكتمان حتى اشار في شرحه الى هذا الاضطراب(5).

ثانياً: فان الانسان مهما كان قويا، فانه يعجز عن القيام بمثل هذا العمل الذي يشبه المعجزة والخوارق، بينما هذا الموضوع والقصة لا تمت الى المعجزة والاعجاز بشي اطلاقاً.

ثالثاً: من الناحية الزمنية فان الليلة الواحدة في الغالب لقليلة للطواف على مائة امرأة.

رابعاً: انه لا يجوز على سليمان النبي (ع) وهو من عباد الله المخلصين، ان يترك التعليق بقوله ان شاء الله، حتى ولو سلمنا انه عرض عليه النسيان هادي الخلق الى الحق!! لا سيما بعد أن ذكره ونبّه الملك بذلك.

- 1- صحيح البخاري 4 : 27 كتاب الجهاد باب من طلب الولد الجهاد.
- 2- صحيح البخاري 8 : 162 كتاب الايمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي (ص) وص 172 باب الاستئنا في الايمان، صحيح مسلم 3 : 1276 كتاب الايمان باب «5» باب الاستئنا ح25.
- 3- صحيح مسلم 3 : 1275 كتاب الايمان باب «5» باب الاستئنا ح23 و24.
- 4- صحيح البخاري 9 : 169 كتاب التوحيد باب في المشيئة والارادة، صحيح مسلم 3 : 1275 كتاب الايمان باب «5» باب الاستئنا ح22.
- 5- شرح صحيح مسلم للنووي 11 : 120.

وانما يترك قول ان شاء الله الذين نسوا الله وجهلوا ان الامور بيد الله تعالى.

3 . عزرائيل يفقد عينه.

عن ابي هريرة قال: ارسل ملك الموت الى موسى (ع) فلما جاء صكه فرجع الى ربه فقال: ارسلتني الى عبد لا يريد الموت، فرد الله عينه وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة قال: اي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالان فسأل الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال: قال رسول الله (ص): فلو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر(1).

اخرج هذا الحديث البخاري ومسلم، الا ان في لفظيهما تفاوت يسير حيث ورد في رواية مسلم: فلما جاء صكه ففقا عينه.

روى الثعالبي في كتابه «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» القصة في باب لطمة موسى ثم قال:

هذا الحديث في اساطير الاولين، ويضرب مثلا بين الناس، وقد اشتهر بعد ذلك بين العوام بان عزرائيل اعور وفيه قيل:

يا ملك الموت لقيت مكرها لطمة موسى تركتك اعورا

واختتم الثعالبي مقولته قائلا: وانا بري من عهدة هذه الحكاية(2).

اقول: فكما اعتبر الثعالبي هذه القصة انها من اساطير الاولين فكذلك نحن نقول بانها من الاساطير التي ينقلها العجائز للاطفال، وسوف نوافيك بالادلة على كون هذا الحديث اسطورة يتناقلها العوام فقط، وذلك لما تشاهد فيه من المسائل المخالفة للناموس الالهي وشان الانبياء والملائكة:

- 1- صحيح البخاري 2: 113 كتاب الجنائز باب من احب الدفن في الارض المقدسة، وج 4: 192 كتاب بد الخلق باب وفاة موسى، صحيح مسلم 4: 1842 كتاب الفضائل باب « 42 » باب من فضائل موسى (ع) ح 157.
- 2- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: 53 رقم 63.

اولا: كيف يليق بعبد اصطفاه الله للنبوته ويصير كلیم الله ان يبیطش بطش الجبارين والمنكبرين، ويفقا عيون الاخرين، من دون سبب وخاصة اذا كان ذاك مامورا من قبله تعالى، ليوحى الى الكلیم امرا من اوامر الله قائلًا له: اجب ربك؟

ثانيا: ان الله عزوجل كافا النبي موسى (ع) خيرا، لانه ارتكب هذا الفعل المذموم، ولم يعاقبه على فعله، ولم يعتب عليه، بل شرفه بشرافة اكبر، وبشره بالعيش آلاف السنين. فياعجبا بطشة واحدة، وآلاف الجوائز!!

ثالثا: كيف يتصور ان تنسب هذه القصة الى موسى الذي اصطفاه الله بالنبوته، وائتمنه على وحيه، وانتجبه لمناجاته، وجعله نبيا من انبيا اولي العزم، وقال تعالى مادحا اياه: (واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا)(1).

وقال تعالى: (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقريناه نجيا)(2).

وقال تعالى: (وكان عند الله وحيها)(3).

فهل يتصور ان من نال هذه المرتبة الرفيعة والمنزلة الربانية، يفر من الموت فراريا يترك لقا الله والوصول الى مرتبة اعلى العليين وذلك بيطشة واحدة؟

رابعا: فهل يعقل ان الانبياء وخاصة اولي العزم منهم (ع) يهينون الملك الذي ياتيهم بالوحي من عند الله تعالى؟ بينما نحن نتبرا من الكفار والمشركين والجبابرة كفرعون ونمرود وابي جهل، ونعتبرهم اعدا لله عزوجل، لانهم رفضوا اوامر الله وعاندوا

- 1- الاحزاب: 71.
2- مريم: 51 52.
3- الاحزاب: 69.

الانبياء والرسل (ع)، واهانوهم واستكبروا عن ذلك.
 فلو صححنا هذا الحديث بمضمونه الوارد في صحيح البخاري ومسلم، فلم يبق هناك
 فرق بين موسى (ع) وفرعون، لان الحديث المذكور، يروي لنا ان الاسلوب الذي اتخذه
 فرعون تجاه الرسول موسى (ع) والاهانة التي اهانها اياه، هو نفس الاسلوب الذي اتبعه
 موسى (ع) تجاه عزرائيل ملك الموت ورفض دعوة ربه.
 خامسا . اصف الى كل ذلك، ما هي حقيقة الملائكة؟ هل هي جسمانية ومادية؟ ولها
 عيان، كما هي عند الانسان بحيث تعمى بمجرد بطشة واحدة؟
 ان الجواب عن هذه الاسئلة ليس صعبا ومشكلا خاصة للوضاعين وجعل الاحاديث
 الذين يروون احاديث يخرجونها من اكياسهم حينما يواجهون الانتقادات، فيقرون بانفسهم من
 المزق.
 ولذا نرى ابا هريرة جاعل الحديث عندما واجه الانتقاد اجاب على ذلك وقال: ان ملك
 الموت كان ياتي الناس عيانا حتى اتى موسى فلطمه ففقا عينه جاء الى الناس خفية بعد
 موت موسى(1).

بنا على هذه الاشكالات الموجودة في الحديث لم ادر واني لحائر هل ان بطش موسى
 وضربه ملكا مقربا الى الله عزرائيل (ع) وهو في لحظة تبليغ امر الله، ويفقا عينه ويعميها
 تعتبر فضيلة وكرامة لموسى حتى يخرجها مسلم ضمن فضائل موسى؟

4 . سباق موسى والحجر

اخرج الشيخان في صحيحيهما عن ابي هريرة قال: قال رسول الله (ص): ان موسى
 كان رجلا حيبا ستيرا، لا يرى من جلده شي استحياءاً منه، فذاه من آذاه من بني

1- مسند الامام احمد بن حنبل 2: 533، مستدرک الصحيحين 2: 578، تاريخ الطبري 1: 434
 تاريخ موسى (ع)، تلخيص المستدرک للذهبي ذيل المستدرک 2: 578.

اسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده، اما برص واما افة،
 وان الله اراد ان يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم
 اغتسل، فلما فرغ اقبل على ثيابه لياخذها، وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب

الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فراوه عريانا، احسن مما خلق الله وابراه مما يقولون، وقام الحجر فاخذ بثوبه فلبسه، وطقق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا فذلك قوله: (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عندالله وجيها)(1)(2).

قبل ان نقوم بالبحث والتحقيق حول هذا الحديث ندعو القرا الكرام الى ان يلقوا نظرة في ما قاله اثنين من شارحي الصحيحين بهذا الصدد:

قال بدر الدين العيني في شرحه على صحيح البخاري: وفيه اي في الحديث:

1. جواز المشي عريانا للضرورة، وكذا جواز النظر الى العورة عند الضرورة.
2. وفيه معجزة ظاهرة لموسى، ولا سيما تأثير ضربه بالعصا على الحجر مع علمه بانه ماسار بثوبه الا بامر من الله تعالى(3).

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم: ان فيه الحديث معجزتين ظاهرتين لموسى: احدهما مشى الحجر بثوبه الى ملا من بني اسرائيل والثانية حصول

1- الاحزاب: 69.

2- صحيح البخاري 1: 87 كتاب الغسل باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة، وج 4: 190 كتاب بد الخلق باب حديث الخضر مع موسى، صحيح مسلم 1: 267 كتاب الحيض باب « 18 » باب جواز الاغتسال عريانا في الخلوة ح 75، وج 4: 1842 كتاب الفضائل باب « 42 » باب فضائل موسى ح 156 165.

3- عمدة القاري 15: 302.

الندب في الحجر (1).

اقول: ان في هذا الحديث وهو عندهم صحيح ومعتبر انتقادات واستفسارات عدة تطرح نفسها:

1. هل ان تشهير كليم الله (ع) بابدا سواته على مرأى من قومه يبقي موسى على مقامه، ويحفظ شخصيته التي كان عليها قبل الواقعة ام لا؟ ولا سيما اذا راه القوم بتلك الحالة المضحكة، وهو يعدو خلف حجر لا يسمع ولا يدرك شيئا ويناديه: ثوبي حجرثوبي حجر.

2. لو سلمنا بصحة الحديث اللّٰه، ففي هذه الحالة فما يعني غضب موسى (ع)؟ واي اثر لعقوبة الحجر وعتابه؟

3. ان فرار الحجر بثياب موسى (ع) لا يبيح لموسى ان يبدي عورته ويهتك نفسه، بل كان في امكانه عقلا وشرعا ان يستتر في مكان ما ويستتر عورته عن اعين الناس. وما ادعاه العيني والنووي من كون عمل موسى (ع) هذا معجزة، فعلى فرض صحة دعواهما فلا بد ان يعلما ان المعجزة لا تاتي الا اذا كان المقام مقام التحدي والتعجيز، ومانسب الى موسى (ع) بهذا الشأن لم يكن في مقام التحدي والتعجيز. واما براته من الادرة وغيره، فليست من الامور التي يباح في سبيلها هتكه وتشهيره، ولا هي من المهمات التي تصدر بسببها الايات والمعجزات، ولو فرض ابتلاؤه بهذا المرض، فاي باس عليه؟ الم يصاب النبي شعيب (ع) في بصره، وايوب (ع) بجسمه، وانبيا اللّٰه قد مرضوا وماتوا بذلك فهل هتكوا انفسهم؟ هذا على فرض ابتلائه بالادرة، فان هذا الدا كان مستورا على اكثر الناس ولم يكونوا يعلمون بذلك.

1- شرح النووي على صحيح مسلم 15: 127.

واما واقعة ايداء بني اسرائيل موسى (ع) التي اشير اليها في الاية وفسرها ابو هريرة براهيه، وطبقها ضمن قصته الخرافية التي افرزتها ذهنيته هو اتهام موسى بقتل هارون، كما اخرج العيني (1) ورواه عن أمير المؤمنين (ع) وابن عباس ونقل بعض المفسرين انها قضية المومسة التي اغراها قارون بقذف موسى بنفسها، وقيل: آذوه من حيث نسبوه الى السحر والكذب والجنون (2). وهذا التفسير الذي رووه عن ابي هريرة لا يخرج الا من كيس ابي هريرة، بل انه من مميزاته الخاصة به.

5. انتقام موسى (ع) من النمل

قال ابو هريرة: قرصت نملة نبيا من الانبياء، فامر بقرية النمل فاحرقت، فاوحى اللّٰه اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح اللّٰه اخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما (3).

وحسب ما ورد في مضمون حديث آخر اخرجہ الترمذی (4) وصححه القسطلانی (5) وابن حجر (6) ان هذا النبي القاسي الذي احرق الوفا من النمل ذات ارواح بسبب قرصة نملة واحدة هو النبي موسى (ع).
ويظهر من الحديث الذي رواه ابو هريرة ولم نعلم من اى قصاص اخذ، ان النبي موسى (ع) انتقم من مجموعة كبيرة من النمل بسبب ذنب ارتكبه نملة واحدة!! بينما نرى

-
- 1- عمدة القارئ 15: 302.
 - 2- راجع كتب التفاسير.
 - 3- صحيح البخاري 4: 75 كتاب الجهاد والسير باب بلا عنوان، صحيح مسلم 4: 1759 كتاب السلام باب «39» باب النهي عن قتل النمل ح148.
 - 4- سنن الترمذی كما اشار اليه القسطلانی.
 - 5- ارشاد الساري للقسطلاني 6: 114.
 - 6- فتح الباري لابن حجر 7: 168.

أن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) يقول: واللّه لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها، على ان اعصي اللّه في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته(1).
 هذه الحكاية التي نسبت الى نبي من انبياء اولي العزم (ع) علامة على انها مذمومة وغير مندوحة عنداللّه عزوجل فانها لم تتماش مع الاحساسات البشرية خاصة رافة الانبياء وعطفهم ولكن ابا هريرة صور موسى (ع) في روايته هذه بالقساوة والخشونة، حتى انزله مرتبة ادنى من منزلة الشاعر الفردوسي(2) القائل:

لا توذى النملة الجالبة حبة لها نفس، ونفس الشئ محبوبة

لفتة نظر:

هذه خمس قصص عن الانبياء السابقين (ع) ذكرها البخاري ومسلم في صحيحهما، وقد رايت تعليقتنا على كل واحدة منها، وذكرنا ايضا نقاط الوهن والضعف في كل منها. والجدير بالذكر ان هذه القصص الخمس لم يكن لها الا راو واحد وهو ابو هريرة، وكل هذه الافتراءات على الانبياء (ع) لم تسفر الا من كيس شيخ المضيرة وتاجر

1- شرح نهج البلاغة 11: 245 خطبة 219 ونهج البلاغة خطبة 224 صبحي الصالح.
 2- هو الحكيم ابو القاسم الحسن بن محمد الطوسي الشاعر المعروف، له يد في تمام فنون الكلام من التسيب والغزل والحكمة والاعذار والمدح والهجا والرثا وغيرهما من اغراض الشعر، ولد سنة 323، وتوفي بطوس سنة 411 هـ، وهو اكبر شعرا ايران واشهرهم، وعلاوة على تضلعه في الادب الفارسي كان ذا اطلاع على الاخبار والاحاديث الاسلامية وعارفا بالعلوم البرهانية في الفلسفة والرياضيات وله ديوان شعري معروف يسمى بالشاهنامه وقد اجمع علما الشرق والغرب على رأي واحد تجاه كتابه هو اعتباره ادبا عاليا وشعرا في اسمى طبقه. واسلوبه في نظم الشاهنامه مقتبس من اسلوب القرآن الكريم، وكذلك الكنايات المقبولة التي في اشعار العرب ياتي بها بنفسها او بترجمتها وقد تكون احسن من الاصل احيانا، ومن هنا يعلم ان الفردوسي كانت عنده مادة غزيرة من اشعار العرب المعرب.

وقد ذكرتنا هذه الاحاديث مقالة العلامة المحقق فقيده مصر المرجوم محمود ابورية اذ يقول: ما كاد ابو هريرة يرجع الى المدينة معزولا عن ولايته بالبحرين، حتى تلقفه الحبر الاكبر كعب الاحبار اليهودي (1)، واخذ يلقنه من اسرئليياته، ويدس له من خرافاته، وكان المسلمون يرجعون اليه فيما يجهلون، وبخاصة بعد ان قال لقيس بن خرشة هذه الاكذوبة: وما من الارض شبر الا مكتوب في التوراة التي انزلت على موسى ما يكون عليه وما يخرج منه.

ومن اجل ذلك هرع ابو هريرة اليه، لياخذ منه ويتلمذ عليه، ولم يتوقف سيل روايتهما، ولا سيما بعد ان خلا الجو لهما، بموت عمر واختفا درته، ولا يزال هذا السيل

1- هو كعب بن ماتع الحميري، ويكنى ابا اسحاق، وهو من احبار اليهود ومعروف بكعب الاحبار، اسلم في عهد ابي بكر، وقيل: في عهد عمر وذاع صيته اكثر واوفر في عهد عثمان لما استصفاه معاوية بن ابي سفيان وجعله من مستشاريه لكثرة علمه وهو واحد من اعضاءمؤسسة معاوية لجعل الحديث. اظهر كعب اسلامه ليخدع المسلمين، بما بثه هو وزميله وهب بن منبه وعبدالله بن سلام اليهوديين من الاسرائيليات والاحبار اليهودية في الاسلام، فهؤلاء توسلوا بالمكر والدهاابتغا ما يتبعون فزرعوا في نفوس المسلمين الاحاديث المزورة والاحبار المزيفة. وكان الخليفة عمر بن الخطاب معجبا به وبما يرويه من الاخبار مما جا في كتبه التي كانت في حيازته، وكان كعب يجالس الخليفة كثيرا ولعل وصل به الامر ان يخلو بالخليفة، والخليفة يستمع الى احاديثه حتى ترخص الناس في استماع ما عنده غثه وسمينه. وكان اكثر احاديث كعب في تفسير آيات القرآن حتى امتلات كتب التفسير من منقولاته، وحيث كان كعب وزميله وهب وعبدالله بن سلام من خواص بلاط الخلفاء عمروعثمان ومعاوية بعدهم لم يجر احد ان يحس بشخصيتهم الا وواجهته كتل من الضرب والشتم والتهم وقد كان الكثير من رواة الجمهور ياخذون منهم ويروون عنهم احاديث، ومن هؤلاء ابو هريرة الدوسي. هذه كانت مقتطفات عن كعب الاحبار اليهودي، وراجع التفاصيل في اضوا على السنة المحمدية للشيخ ابو رية، وضحي الاسلام لاحمد امين، وابو هريرة شيخ المضيرة لابي رية، وكتب التراجم والرجال المعرب.

يتدفق بالاحاديث الخرافية والمشكلة.

وقد سمعت مرة من احد احرار الفكر المحققين، ان ابا هريرة وكعبا هما اللذان افسدا الاسلام، بما بثا فيه من الخرافات والاهام. ومن عجيب امر هؤلاء الذين يطلق عليهم جمهور المسلمين انه على رغم ما قيل فيهما، وما ثبت من اكاذبيهما ثبوتا بينا، لا يزالون يتقون بهما، وياخذون بما يرويانه، وفيهما ما لا يقبله عقل صريح، ولا نقل صحيح، ثم يجعلون الاول من خيار التابعين، ويجعلون الاخر راوية الاسلام من بين جميع المسلمين(1).

الفصل السابع رسول الله (ص) في الصحيحين

النبي قبل البعثة

1 . ايمان ابويه:

تعرفنا في الفصول السابقة على الصورة التي رسمها ارباب الصحيحين للانبياء (ع)،
ونتعرف هنا على الصورة التي رسمها للنبي محمد بن عبدالله (ص) ولذلك قسمنا
ببحثنا حول حياة الرسول (ص) الى قسمين: النبي قبل البعثة والنبي بعد البعثة.
فاما الصورة المرسومة للنبي (ص) قبل البعثة والاكاذيب التي نسبها اليه ندرجها واحدا
بعد الاخر في فصول مستقلة.

ونستفتح البحث في هذا الفصل بما اخرجته مسلم في صحيحه بان ابوا النبي فارقا الدنيا
وهما مشركان وهماك النص:

1 .روي عن انس: ان رجلا قال: يا رسول الله اين ابي؟ قال (ص): في النار، فلما قفى
دعاه، فقال:

ان ابي واباك في النار(1).

2 .روي عن ابي هريرة قال: زار النبي (ص) قبر امه فبكى وابكى من حوله، فقال:
استاذنت ربي في ان استغفرلها، فلم يؤذن لي، واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي، فزوروا
القبور فانها تذكر الموت(2).

1- صحيح مسلم 1: 191 كتاب الايمان باب « 88 » باب بيان من مات على الكفر فهو في
النارولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين ح 347، سنن ابن ماجة 1: 501 كتاب الجنائز باب
«48» باب ما جا في زيارة قبور المشركين ح 1573، سنن ابي داود 4: 230 كتاب السنة باب في
ذراري المشركين ح 4718.
2- سنن ابن ماجة 1: 501 كتاب الجنائز باب « 48 » باب ما جا في زيارة قبور المشركين
ح 1572، صحيح مسلم 2: 671 كتاب الجنائز باب «36» باب استئذان النبي (ص) ربه عزوجل في
زيارة قبر امه ح 108، سنن ابي داود 3: 218 كتاب الجنائز باب في زيارة القبور ح 3234.

لا يخفى ان مختلفي هذه الاحاديث ارادوا اثبات كفر ابوي النبي (ص)، فدلسوا حديثا
ونسبوه الى الرسول (ص) على انه قال: ان ابي كذلك في النار، وحيث كان الدعاء وطلب
الغفران للمشركين غير جائز، فلذلك نهى الرسول (ص) ان يدعو لامه ويستغفر لها، لانها
توفيت على الشرك اقول: الدلائل التي ذكرناها آنفا وهكذا الروايات الصحيحة والمصادر
التاريخية اليقينية تثبت كون هذان الحديثان من المفتريات والموضوعات، لان الاخبار
الصحيحة تبين بان الكثير من العرب في الجاهلية، كانوا موحديين ومؤمنين بالله الواحد،
واشهرهم في هذا الايمان بنو هاشم عبدالمطلب وابو طالب وعبدالله والد النبي، حيث كانوا
يعبدون الله عزوجل، ويجتنبون عبادة الاصنام، وينكرون ما كان اكثر العرب يعتقدون
به(1)، وهؤلاء المؤمنون كانوا يعبدون الله عزوجل تارة على مرأى من كفار قريش، وتارة
اخرى في مغارات الجبال.

والدليل على ايمان اجداد النبي (ص) وابائه نذكر حديثين كنموذج لا الحصر:

1. عن الاصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: واللّه ما عبد ابي ولا جدي عبدالمطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنما قط، قيل: فما كانوا يعبدون؟ قال (ع): كانوا يعبدون يصلون الى . البيت على دين ابراهيم (ع) متمسكين به(2).
2. قال رسول اللّٰه (ص): يا علي ان عبدالمطلب كان لا يستقسم بالازلام، ولا يعبد الا صنما، ولا ياكل ما ذبح على النصب، ويقول: انا على دين ابي ابراهيم (ع)(3).

1- سيرة ابن هشام 1: 252، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 1: 120، المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي: 171.

2- كمال الدين للصدوق: 174 باب « 12 » باب في خبر عبدالمطلب وابي طالب ح 32، بحار الانوار للمجلسي 15: 144 كتاب تاريخ نبينا (ص) باب « 1 » باب بد خلقه وما جرى له ح 76.

3- بحار الانوار 15: 127 كتاب تاريخ نبينا (ص) باب « 1 » باب بد خلقه ح 67، الخصال: 312 باب الخمسة باب سن عبدالمطلب في الجاهلية خمس سنن ح 90، من لا يحضره الفقيه 4: 365 كتاب النوادر ح 5762.

ونقل احمد بن حنبل في مسنده (1)، وكذا ابن سعد في طبقاته (2): ان ابا ذر كان في الجاهلية موحدا ومؤمنا باللّٰه.

اما الذين اختلفوا هذين الحديثين لم تكن غايتهم الا محو الخزي والعار الذي احدث بهم وبقبيلتهم الذين حاربوا الاسلام، حفظا للوثنية والشرك وتثبيتا لهما وقاوموا القرآن والرسول (ص)، وماتوا وهم مشركين كافرين او انهم اظهروا اسلامهم مكرهين، وطمعا في المال والدنيا وهم في الواقع كفار ومشركين.

نعم ان مختلقي هذه الاحاديث اردوا بوضعهم حديث كفر ابوي النبي (ص) ان يشبهونهما ببائهم، وان يزيلوا العار المطبق على اجدادهم وضامدا لحقارتهم.

ولكن المؤسف ان اكثر المسلمين يعتبرون هذه الروايات الموضوعة صحيحة، وعليها بنوا اسس عقائدهم.

2 . الرسول ياكل الحرام

يمكنك ايها القارئ العزيز بعد ان عرفت الكلام حول الموضوع السابق عدم ايمان والدي النبي ان تتعرف الان على اعتبار حديث آخر، وضع نكايه بالرسول (ص) نفسه، يحكي لنا هذا الحديث ان النبي كان وثنيا قبل ان يبعث نبيا، فعلى هذا يمكنك بعد قراتك للحديث ان تحكم بصحته او سقمه وضعفه.

اخرج البخاري باسناده عن سالم انه سمع عبدالله بن عمر يحدث عن رسول الله (ص) انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل، باسفل بلدح، وذلك قبل ان ينزل على رسول الله (ص) الوحي، فقدم رسول الله (ص) سفرة فيها لحم، فابى ان ياكل منها، ثم قال: اني لا آكل مما تذبحون على انصابكم(3) ولا آكل الا مما ذكر اسم الله عليه(4).

1- مسند الامام احمد 5: 174.

2- الطبقات الكبرى لابن سعد 4: 219.

3- كان العرب في الجاهلية ينصبون تماثيل وصخورا وصورا يعبدونها، وهذه هي الاصنام والالوثان واحيانا كانوا ينصبون صخورا حول الكعبة وهي ليست على اشكال وهينات معينة وكانوا يسمونها بالنصب او الانصاب حيث كانوا يذبحون قرابينهم امامها ويمسحون الصخور بدم القران.
4- صحيح البخاري 7: 118 كتاب الذبائح والصيد باب ما ذبح على النصب والالزام.

وروى في موضع آخر من صحيحه حديثا آخر بنفس المضمون الا ان فيه بعض الزيادات(1).

ويستفاد من الحديث المذكور:

اولا: ان زيد بن عمرو بن نفيل كان اعرف واعلم في معرفة التوحيد من رسول الله (ص) قبل البعثة ثانيا: ان الرسول (ص) لا يمتاز عن سائر العرب الجاهليين، لانه كان يملك صنما ونصبا، وكان ياكل اللحم الذي ذبح على النصب، واما زيد بن عمرو بن نفيل فقد كان موحدا ومؤمنا، وكان يرفض الاصنام وعبادتها، كما ورد في الحديث انه قال: فاني لا اكل مما تذبحون على انصابكم.

والاطم من الحديث الاول ما اخرجه احمد بن حنبل في مسنده باسناده عن نوفل بن هشام بن سعيد بن زيد، عن ابيه، عن جده فانه قال: ومرو بالنبي (ص) يعني زيد بن عمرو بن نفيل ومعه ابو سفيان بن الحرث، ياكلان من سفرة لهما، فدعوا الى الغدا فقال: يا ابن اخي، اني لا آكل ما ذبح على النصب، قال: فما رؤي النبي (ص) من يومه ذاك ياكل مما ذبح على النصب حتى بعث(2).

وقد ذكر المؤرخون هذه القصة نقلا عن هذين الكتابين المعترين والصحيحين البر (3) ينقل عن ابن حنبل، وينقل ابو الفرج الاصفهاني(4) عن البخاري.

1- صحيح البخاري 5: 50 كتاب فضائل اصحاب النبي باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل.

2- مسند احمد بن حنبل 1: 189.

3- الاستيعاب لابن عبد البر 2: 615 ترجمة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رقم 982.

من هو زيد بن عمرو بن نفيل؟

من هو زيد الذي نال هذه المرتبة من القدسية والتكريم؟ وكما روى البخاري في مبحث التوحيد ان زيد نال مرتبة من التوحيد لم ينلها النبي (ص) قبل البعثة واما زيد هذا هو ابن عم الخليفة عمر بن الخطاب وابو زوجته (1)، وقد اطراه الكثير من المؤرخين واصحاب التراجم، فقالوا: انه في الجاهلية كان موحدا، وكان يعبدالله وهو على دين ابراهيم (ع) الحنيف، واما يعتقد عرب الجاهلية، ويصلي ويسجد لله تعالى، وذكره في السجود دليل على ايمانه وحنيفيته(2).

اقول: قد ذكرنا في اول الكتاب ما استنتجناه من الايات والروايات حول الانبياء عامة ورسول الله (ص) خاصة، وبيننا ايضا في الفصل السابق سيرة ابا النبي (ص)، واثبتنا بالدلائل النقلية الثابتة قطعية ان عبدالمطلب وابو طالب كانا موحدين، وكانا يجتنبان اكل ما ذبح على الانصاب وان النبي (ص) علاوة على مسالة النبوة واستعداده لتلقي الوحي، كما تطرقنا اليه سابقا فانه عاش ونشا في هذا البيت، وترى في احضان ورعاية هؤلاء الافراد.

فعلى هذا فهل يعقل ان النبي (ص) ترك سيرة ابائه وعقائدهم والتعاليم والاداب العائلية وقد كانوا يجدون ويسعون في حفظ تلك الشعائر ويرفض (ص) كل ذلك، ويتمسك بسيرة الوثنيين؟

فهل يتصور ان النبي (ص) لم ينل ما ناله زيد بن عمرو بن نفيل وامثاله من الوصول الى مدارج التوحيد الرفيعة، وعبادة الله، والامتناع عن اكل ما ذبح على النصب، وينهى الرسول (ص) عن اكل ذلك، ويرشده الى ترك هذا العمل، وتراه احيانا يدعو النبي الى هذا

1- هو ابو عاتكة بنت زيد بن نفيل زوجة عمر بن الخطاب راجع: اسد الغابة 4: 78، الفقرات الاخيرة من ترجمة عمر بن الخطاب.
2- راجع ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل في اسد الغابة 2: 236 238.

العمل . الاجتناب عن اكل ما لم يسم عليه اسم الله لان المحبوب عندالله عزوجل،
والنبي بدوره يستحب له فيمتنع من الاكل حتى ان بعثه الله نبيا .

واعتقد ان هذين الحديثين وضعا لتبيين فضائل احد ابنا عمومة الخليفة عمر بن
الخطاب، كما اختلفوا مئات الاحاديث والروايات في بيان الفضائل للخلفاء وقبائلهم، وما ارى
دافعا وداعيا لاختلاق مثل هذه الروايات غير التعصب القبلي المفرط، ومما يؤيد راينا انه لم
يرو هذا الحديث احد سوى عبدالله بن عمر، ونوفل ابن هشام بن سعد وهذا الاخر هو حفيد
زيد بن عمرو بن نفيل.

ولكن رواة الحديثين وواضعاهما لم يدركا ان مضامين قولهما مباينة لما جاء في القرآن
والروايات الصحيحة والصريحة، وكذا لم يعلما انهما قد اهاننا بحديثيهما النبي (ص)، واساءوا
الى منزلة النبوة اساءة لم يمحصها شي .

ولا يتوهم احد اننا ننكر كون زيد بن نفيل من الموحدين في العهد الجاهلي، لانه كما
ورد في الاحاديث المروية عند الشيعة ايضا انه كان يسعى لمعرفة التوحيد، ويتبرامن
الوثنية(1)، ولكننا نقول: ان ما ورد في الحديثين من المقايسة بينه وبين الرسول (ص) لم
يكن الا مبالغة وتقديسا لزيد، وان لواضعي الحديثين نوايا ومقاصد لا يمكنهما الوصول اليها
الا عن طريق جعل احاديث مثل ما ذكر، ودسها في المصادر وكتب الحديث عند اهل
السنة، والعجب ان المسلمين قبلوها قبول المسلمات حتى اعتبرتها العامة احاديث صحيحة
وقطعية.

3 . قصة شق الصدر

عن انس بن مالك قال: كان ابوذر يحدث: ان رسول الله (ص) قال: فرج عن سقفي
بيتي وانا بمكة، فنزل جبرئيل ففرج صدري، ثم غسله بما زمزم، ثم جاء بطست من

1- كمال الدين: 198 باب «20» باب خبر زيد بن عمرو بن نفيل وفي الباب خمس احاديث،
بحار الانوار: 15: 204 206 تاريخ نبينا (ص) باب «2» باب البشائر بمولده ونبوته ح2320.

ذهب ممثلى حكمة وايماننا فافرغه في صدري، ثم اطبقه، ثم اخذ بيدي فخرج بي الى
السما الدنيا(1).

اخرجه البخاري منكررا في مواضع عديدة (2) وبالفاظ مختلفة ومتناقضة، وكذا اخرجه مسلم في صحيحه بتفاوت.

وايضا عن انس بن مالك: ان رسول الله (ص) اتاه جبرئيل، وهو يلعب مع الغلمان، فاخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بما زمزم، ثم لامه، ثم اعاده في مكانه، وجا الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا: ان محمدا قد قتل فاستقبلوه، وهو منتقع اللون، قال انس: وقد كنت ارى اثر ذلك المخيط في صدره(3).

وهذا الحديث هو من الاحاديث الغربية وقد اخرجه البخاري ومسلم في كتابيهما، وتبعهما اكثر المؤرخين، اذ ذكروه في كتبهم(4) والمفسرون اعتمدوا على احاديث الصحيحين اعتمادا كبيرا، فذكروا هذه الاسطورة في تفاسيرهم(5) عند ما جاوا على تفسير قوله تعالى: (الم نشرح لك صدرك)(6).

ولكن هذا الحديث جدير بالنقاش والنقد من عدة جهات حتى تتجلى الحقيقة،

-
- 1- صحيح البخاري 1: 97 كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات.
 - 2- صحيح البخاري 4: 165 كتاب بد الخلق باب ذكر ادريس (ع) وص 133 باب ذكر الملائكة، وج5: 67 باب حديث الاسرا، وج9: 182 كتاب التوحيد باب قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما)، صحيح مسلم 1: 148 كتاب الايمان باب « 74 » باب الاسرا برسول الله (ص) الى السموات وفرض الصلوات ح263.
 - 3- صحيح مسلم 1: 147 كتاب الايمان باب «74» باب الاسرا برسول الله (ص) ح261.
 - 4- راجع التواريخ، مثل: الطبري، تاريخ الخميس، الطبقات الكبرى، مروج الذهب، سيرة ابن هشام وغيرهم.
 - 5- راجع التفاسير نحو: الدر المنثور للسيوطي، الخازن، ابن كثير، الالوسي وغيرهم.
 - 6- الانشراح: 1.

وينكشف ما اسدل عليه من الستار.

1 . الجهة الزمنية:

هذا الحديث روي متواترا، ولكن اضطرب فيه تعيين عمر النبي (ص)، والزمان الذي وقعت فيه القصة اضطرابا كبيرا، بحيث لا يمكن الجمع بينهما، فبعض الاحاديث تروي ان قصة شق الصدر حدثت في زمان طفولية النبي (ص)، عندما كان يلعب مع الغلمان (1)،

وجا في بعضها ان هذه العملية الجراحية اجريت للنبي (ص) بعد ان بعثه الله نبيا رسولا، وفور ذلك عرج به جبرئيل الى السما الدنيا(2). وعلى كل حال فان الاختلاف الحاصل في الاحاديث المروية حول هذه القصة خلال مدة تتراوح اربعين عاما.

2 . الجهة المكانية:

وترى ايضا التناقض والاختلاف الكبير في هذه الاحاديث التي تعين محل وقوع القصة، فبعض الاحاديث تروي ان الحدث وقع في المسجد الحرام (الحطيم او حجراسماعيل) (3)، وروايات اخرى تقول ان الواقعة حدثت في الصحرا (4)، ومجموعة ثالثة تقول بان النبي كان في بيته فانشق عليه سقف الدار(5)، وصرحت بعض الاحاديث انه جي بطست من ما زمزم فاستخرج قلب الرسول وغسل في ذلك الطست (6) وتقول روايات اخرى: ان الرسول (ص) اخذ الى بئر زمزم(7).

عندما نشاهد الاختلاف والتناقض الفاحش بين هذه الاحاديث، يا ترى اى مجموعة منها صحيحة ومعتبرة لكي نأخذ بها ونعتمد عليها وندع الباقي جانبا؟ أو أن

- 1- راجع ص 237 هامش 3.
- 2- راجع ص 237 هامش 1.
- 3- راجع ص 237 هامش 2.
- 4- راجع ص 237 هامش 2.
- 5- راجع ص 237 هامش 1.
- 6- راجع ص 237 هامش 1.
- 7- راجع ص 237 هامش 2.

جميعها صحيحة ومقبولة؟

3 . التناقض بين الموضوع والعصمة:

ان قصة شق الصدر بناءً على رواية انس بن مالك اذا قورنت وقيست بموضوع عصمة النبي (ص) تبدو ضعيفة وغير مقبولة، وخاصة تنزيهه (ص) عن الارجاس الشيطانية، وذلك لان ليس لابليس حظ في النفوذ الى قلب النبي (ص) حتى يشق صدره (ص)، ويستخرج ما كان فيه من حظ الشيطان.

4 . الشر ليس غدة مترشحة:

اضف الى ما مر ذكره من الموارد الثلاثة السابقة، ان الشر في ذات الانسان ليس شبيها بالغدغد المترشحة في الجسم، بحيث لو استئصلت الغدة انقطعت الترشحات، وهكذا الخير والبر لم يكونا من نوع الامور المادية والظاهرة كالمواد المأكولة التي يتغذى جسم الانسان بها بواسطة الابر، وهكذا العلم والحكمة ليست من نوع الاجسام المادية المحسوسة التي يمكن انتقالها من انا الى انا آخر(1).

معنى انشراح الصدر:

واما شرح الصدر المذكور في قوله تعالى: (الم نشرح لك صدرك) (2) لانتتم الى شق الصدر باية صلة، وانما معناه انبساط قلب النبي وانشراحه، حتى يتمكن الرسول بواسطة هذا الانشراح ان يتحمل الشدائد، ويصبر على المصاعب والاهوال، التي سوف يلاقها عند تبليغ رسالته، ويستعد لها.

وهذا المعنى هو نفس الانشراح الذي كان يرجوه النبي موسى (ع) من الله، عندما

1- ذكر هذا الاشكال الفخر الرازي في تفسيره عند تفسير سورة الانشراح نقلا عن القاضي عبدالجبار ج 32: 2 ثم اجاب عليه، وكذا اجاب عن الاشكال النيسابوري والالوسي في روح المعاني، فراجع.
2- الانشراح: 1.

كان يناجي ربه، ويساله (رب اشرح لي صدري ويسرلي امري)(1).

شق الصدر من منظار الحديث والتاريخ:

اذا دققنا في هذه الاشكالات المذكورة، والاسئلة المطروحة، يتضح لنا بان الاعتماد على ما افادته هذه الاحاديث غير سديد، ولا يمكن ان نعتبر قصة شق الصدر قصة حقيقية وواقعية.

واشرنا سابقا بان هذه القصة الوهمية والخرافية، قد ذكرت في كثير من كتب العامة ومصادرهم، وتلقوها بكونها من المسلمات الضرورية.

ولعل تواتر روايتها ونقلها كان سببا في نقلها ان يتأمل بعض علماء الشيعة ومحققهم فيها، مع اعترافهم بان القصة لم تصلهم باسناد موثوقة ومعتمدة.

قال العلامة المجلسي رحمة الله عليه:

اعلم ان شق بطنه (ص) في صغره ورد في روايات كثيرة مستفيضة عند العامة، كما عرفت، واما رواياتنا وان لم يرد فيها باسنانيد معتبرة، لم يرد فيه ايضا، ولا ياباه العقل ايضا، فنحن في نفيه واثباته من المتوقفين كما اعرض عنه اكثر علمائنا المتقدمين (2) وان كان يغلب على الظن وقوعه، والله تعالى يعلم وحججه (3).

كلمة صريحة:

لو لاحظنا الادلة الاربعة التي ذكرناها، وهكذا لو تمعنا في اعراض علمائنا المتقدمين من الولوج في هذه المسألة، لم يبق محل للتوقف او موضع للقول باحتمال

1- طه: 25.

2- لعل عدم تعرض المتقدمين الى البحث لا نفيا ولا اثباتا ناجم عن شذوذ الخبر وغرابته ولذلك اعرضوا عن ذكره، وثانيا لعل عدم وروده في المتون الشيعية والاحاديث المروية عن ائمة اهل البيت (ع) المعرب.

3- بحار الانوار 16: 140.

وقوع هذه القصة، ولو كان لهذه القصة حقيقة كسائر القضايا لذكرها ائمة اهل البيت (ع)، الذين هم ادري بما في البيت، بينما تراهم (ع) لم يدعوا صغيرة ولا كبيرة مما تمت بحياة الرسول وتاريخه الا وذكروها، فكيف بهذه القصة التي تعد من قضايا التاريخ الاسلامي؟ ولو فرضنا انهم تطرقوا اليها فلم لم نر لها اثرا في احاديثهم الصحيحة التي وصلتنا؟

وزد على كل ما ذكرناه، ما اقر به العلامة المجلسي من ان القصة لم تصلنا بسند موثوق ومعتبر.

وان احد المحققين المعاصرين ذكر هذه الاحاديث في تفسيره على سبيل التمثيل، وصحح الروايات المنقولة في الموضوع، وفسرها على كونها قضية خارجة عن حيز الماديات.

ولكن هذا التاويل مخالف لظاهر هذه الاحاديث وهو غير قابل للتوفيق بينها، لان:

اولا: ورد في الاحاديث ان الغلمان الذين كانوا يلعبون مع الرسول (ص) اخبروا حليمة

السعدية بخبر قتل النبي (ص)، ولما عادوا الى المحل راوا الرسول (ص) منتقع اللون

مضطرب الحال.

ثانياً: ان انس بن مالك راوي الحديث يقول: اني رايت اثر ذلك الشق في صدره، وراى
ايضا اثر المخيط الذي اجرته الملائكة في صدره، وذلك بعد مضي عدة سنوات.
ويلاحظ ان هاتين المسالتين تتايفان موضوع التمثل، ولا يقبل الجمع بينهما.
وعلى هذا يمكن القول صراحة بان هذه القصة هي شبيهة لقصة موسى (ع) وسباقه مع
الحجر، وكذلك شبيهة لقصة عزرائيل عندما فقد عينه، وهذه القصص كلها لا اصل
ولاحقيقة لها.

النبي بعد البعثة

1 . شكه وترديده في نبوته: قصة بد الوحي

حدث ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة ام المؤمنين انها قالت: اول ما بدابه رسول الله (ص) من الوحي، الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبيب اليه الخلا، وكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد ليالي عديدة، قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود بمثلها، حتى جاء الحق، وهو في غار حرا، فجاه الملك فقال: اقرا، قال: ما انا بقارئ، فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني، فقال: اقرا قلت: ما انا بقارئ، فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني، فقال: اقرا فقلت: ما انا بقارئ، فاخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني، فقال: (اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقر وربك الاكرم)(1).

فرجع بها رسول الله (ص) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروح فحدث خديجة بذلك واخبرها الخبر، وقال: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله ابدا، انك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة، حتى اتت ورقة بن نوفل بن اسد بن عبدالعزى ابن عم خديجة، وكان امرا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي.

فقال له خديجة: يا بن عم! اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا

ترى؟ فأخبره رسول الله (ص) بما رأى.
 فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني اكون
 حيا اذ يخرجك قومك.
 فقال رسول الله (ص): او مخرجي هم؟
 قال: نعم، لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي، وان يدركني يومك انصرك
 نصرا مؤزرا.
 ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفترة الوحي(1).
 في هذا الحديث الذي اخرج الصريحان فان جملة «واني خفت على نفسي» مبهمة
 ومجملّة، ومتعلق الخوف فيها محذوف.
 واما ابن سعد اخرج هذه القصة في حديثين بشكل واضح وصريح، وذكر متعلق الخوف
 فيه ايضا وقال: واني خشيت ان اكون كاهنا واني اخشى ان يكون في جنن(2).
 ونقلها الطبري كذلك في تاريخه عن عبدالله بن زبير قال: قال رسول الله (ص): ولم
 يكن من خلق الله ابغض الي من شاعر او مجنون، كنت لا اطيق ان انظر اليهما قلت:
 ان الابدع يعني نفسه لشاعر او مجنون لا تحدث بها عني قريش ابدا لاعمدن الي حالق
 من الجبل، فلا طرحن نفسي منه، فلاقتلها ولاستريحن، قال: فخرجت اريد ذلك، حتى اذا كنت
 في وسط الجبل سمعت صوتا من السما يقول: يا محمد انت رسول الله (ص)(3).
 ويظهر من تصريح ابن سعد والطبري وما ورد في صدر الحديث الذي اخرج

1- صحيح البخاري 1: 3 باب كيف كان بد الوحي، وج 4: 141 كتاب بد الخلق باب اذا قال
 احدكم آمين، وج 6: 214 كتاب التفسير باب تفسير (اقرا باسم ربك الذي خلق)، وج 9: 37 كتاب
 التعبير باب التعبير واول ما بدئ به رسول الله (ص)، صحيح مسلم 1: 139 كتاب الايمان باب
 «73» باب بد الوحي الي رسول الله (ص) ح 252.
 2- الطبقات الكبرى 1: 194 150 ذكر نزول الوحي على رسول الله (ص).
 3- تاريخ الطبري 2: 301.

البخاري وذيله تاييد للمعنى المراد من انه خشى على نفسه من التكهن والشعر والجنون.

معايب القصة:

وان كان المؤرخون قد نقلوا هذه الاسطورة ولكن اكثر العتب والمؤاخذة ترد على البخاري
 ومسلم اللذان اخرجوا هذا الحديث في صحيحهما معتقدين بصحته.

ويستفاد من هذا الحديث:

اولا: ان النبي (ص) كان شاكاً ومتربداً في نبوته حتى بعد نزول الوحي والقرآن عليه، وهبوط جبرئيل اليه، وكان يخيل اليه ان الجن قد حل فيه.
وهؤلاء المخرجون للحديث ارادوا بذلك تثبيت ما كان عرب الجاهلية يعتقدونه بعد نزول الوحي من ان النبي (ص) كاهن او شاعر، . مع انه كان يكره الكهان والشعرا والجنون وحاول الانتحار بان يطرح نفسه من جبل شاهق ليروح نفسه، ولكن خديجة وابن عمها ورقة بن نوفل ساعده حتى اذها عنه ما كان فيه من الخوف والروع، وذكره بان هذه المسألة لا علاقة لها بالاجنة بل هي وحي ونبوة.
فعلى هذا، كيف يعقل ان النبي (ص) لا يعلم انه نبي ورسول حتى بعد نزول الوحي عليه، في حين ان الكهنة والرهبان كانوا على علم برسالته منذ امد بعيد.
وهل يعقل ان يبعث الله نبيا وليس للرسول خبر عن هذه الرسالة الملقاة على عاتقه؟ حتى انه لا يستطيع ان يميز بين الوحي الالهي والوساوس الشيطانية؟ بينما نقرافي القرآن بان النبي عيسى (ع) اعلن بكل صراحة عن نبوته، وهو ما زال في المهد: (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) (1) ونقرا ايضا عن النبي موسى (ع) انه علم بنبوته في بداية نزول الوحي عليه واعد نفسه للدعوة الالهية وقال: (رب اشرح لي صدري ويسرلي امري) (2).

1- مريم: 30.

2- طه: 2625.

واما بالنسبة الى النبي (ص) الذي خشي على نفسه، ولم يدر شيئا عما حدث له، حتى اخبرته زوجته خديجة وورقة بن نوفل فاطمئن بقولهما، فزال عنه ما تداخله من الرعب والخوف، فما كانت نوعية الرسالة والنبوة التي اعطيت اليه ويعث بها؟
وبنا على هذا ولا يخفى فان هذه المرة خديجة وهذا النصراني ورقة كانا انسب واليق من رسول الله في التصدي لامر النبوة والرسالة، وحسب ما تتضمنه الرواية من المعنى ان خديجة وورقة كانا اقدم ايماننا واعتناقنا للاسلام من رسول الله.

2 . ان جواب الرسول لجبرئيل الامين لما قال له: «اقرا» فقال النبي (ص): «ما انا بقارئ» يفهم منه ان النبي لم يعلم ولم يفهم مقصود جبرئيل لان جبرئيل كان يقصد من قوله:

«اقرأ» اي رتل وكرر ما اتلوه عليك، ولكن النبي فهم عكس هذا القول وان مقصود جبرئيل هو ان يقرأ ما كان مكتوبا على اللوح، وعلم الرسول ما قصده الملك في المرة الثالثة لما كرر جبرئيل قوله وانهى ما كان فيه النبي من المعضل والترديد.

ولكن يتبادر سؤال: هل ان جبرئيل كان ضعيف البيان والاداء، بحيث لا يستطيع ان يؤدي الرسالة حق الاداء؟ ام ان الرسول كان قاصر الفهم ولم يعلم المقصود؟(1).

3. ورد في الحديث ان الملك المنزل بالوحي اخذ النبي ثلاث مرات يهزه بشدة حتى احس الرسول (ص) بالوجع، وهذه الاخذة والهزة كما اشار اليها القسطلاني لم يفعل باحد من الانبياء (ع) ولم ينقل عن احدهم انه جرى له عند ابتدا الوحي اليه مثله(2).

1- هذا الاشكال والسؤال المتبادر الى الذهن هو مما يستخرج ويستفاد من مضمون الاحاديث المروية عند اهل السنة بما يمت الى موضوع بد الوحي على رسول الله (ص)، واما الشيعة فتعتقد بان المراد من الامر بالقراءة عند نزول جبرئيل على النبي (ص) في غار حرا هو بداية النبوة والبعثة وهذا الامر هو انطلاقة نزول الوحي عليه وليس القراءة اللفظية كما يقال.

2- ارشاد الساري 1: 63.

انن فما تعني هذه الاخذة الشديدة بالنسبة الى النبي (ص) خاصة من بين الانبياء؟ وهل العقل يعتبر هذا الرعب والخوف الذي اوجده جبرئيل (ع) عند النبي (ص) في مقابل عمل لم يطقه النبي عملا صحيحا؟ وهل ان جبرئيل (ع) بفعله هذا اراد ان يظهر عضلاته للنبي؟

وهل كان النبي (ص) فاقد لتلك القوة التي كانت عند موسى لما لطم عزرائيل فاعماه وفقا عينه(1) كما قرأته آفا؟

هذا ما نقله الصحيحان في موضوع بد الوحي، وهو ك «شق الصدر» وقد اثبتته المفسرون والمؤرخون والمحدثون في كتبهم في تفسير سورة العلق (2) من دون ان يبدوا اي نقد وتحليل، حتى تسرب ذلك الى بعض كتب الشيعة(3).

والوحيد من بين المفسرين الذين ردوا هذا الحديث وانتقدوه نقدا علميا هو العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان(4).

2 . سهو النبي في الصلاة

ثمة احاديث متواترة اخرجها الشيخان في صحيحيهما تفيد بان الرسول (ص) كان يسهو في صلاته فينقص ركعاتها او يزيد عليها، وانه كان احيانا يصلي ركعتين بدل اربع، ولم يلتفت الى سهوه، حتى ذكره المامون بذلك فتدارك ما انقصه او ما اضافه.
ولسنا الان بصدد اثبات مسالة عصمة الانبياء وهل انهم يتعرضون للسهو ام لا؟
ولسنا كذلك بصدد تمحيص هذه الاحاديث التي رويت في موضوع سهو النبي (ص) واثبات ضعفها وركاكتها، لان هذا الامر بحاجة الى افراد بحث مستقل وكتاب

1- راجع ص 22.

2- راجع تفاسير العامة، مثل: تفسير ابن كثير، الدر المنثور، الطبري، الخازن، محاسن التاويل، روح المعاني، والمراغي وغيرهم في تفسير سورة العلق.

3- مثل: تفسير منهج الصادقين للكاشاني.

4- الميزان في تفسير القرآن 20: تفسير سورة العلق.

مستقل.

بل ان ما نقصده هنا هو: ان نعرف القارئ ركاقة بعض هذه الروايات وضعفها، ونبين له بعد ذلك انه كيف تسربت في شتى ابواب الصحيحين الاحاديث الموضوعية والمدسوسة التي تمس الشريعة والدين بسوء، حتى شملت حياة النبي (ص) الشخصية وعباداته.
واليوم وقد مرت على دس تلك الاحاديث قرون من الزمن وكثيرا من اتباع القرآن والمسلمون ينظرون اليها نظرة قبول واعتبار، بكونها احاديث صحيحة، واعتقدوا بمضامينها اعتقادا راسخا وانقادوا اليها عمليا.
واليك من تلك الاحاديث الموضوعية ما رواه ابو هريرة حول موضوع سهو النبي (ص) في الصلاة قال: صلى بنا رسول الله احدى صلاتي العشا قال ابن سيرين سماها ابو هريرة ولكن نسيته انا قال:

فصلى بنا ركعتين، ثم سلم، فقام الى خشبة معروضة في المسجد فاتكا عليها كانه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبك بين اصابعه ووضع خده الايمن على ظهر كفه اليسرى، وخرجت السرعان من ابواب المسجد فقالوا: قصرت الصلاة؟ وفي القوم ابوبكر وعمر، فهابا ان يكلماه، وفي القوم رجل في يديه طول يقال له ذو اليدين، قال: يا رسول الله انسيته ام قصرت الصلاة؟ قال (ص):

لم انس ولم تقصر فقال: اكما يقول ذو اليمين؟ فقالوا: نعم فتقدم فصلى ما ترك ثم سلم ثم كبر وسجد مثل سجوده او اطول، ثم رفع راسه وكبر.

اخرج البخاري هذا الحديث في مواضع متعددة من صحيحه(1) ورواه مسلم ايضا

1- صحيح البخاري 1: 129 كتاب الصلاة باب تشبيك الاصابع في المسجد، وج 2: 85 باب اذا سلم في ركعتين او في ثلاث، وص 86 باب من لم يتشهد في سجدي السهو وباب من يكبر في سجدي السهو، وج 8: 20 كتاب الادب باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم الطويل والقصير، وج 9: 108 كتاب الاحكام باب ما جا في اجازة خبر الواحد الصدوق في الاذان والصلاة والصيام.

في صحيحه(1) وضبطها اصحاب الصحاح في كتبهم.

وفي الحديث مسائل قابلة للنقاش من عدة جهات:

1 . يستفاد من هذا الحديث ان ابا هريرة كان حاضرا في الصلاة التي سها فيها النبي

(ص)، وذكره ذو اليمين وحالاته، كما قال: فقام الى خشبة معروضة في المسجد فاتكا

عليها كانه غضبان ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين اصابعه، ووضع خده الايمن على ظهر كفه اليسرى.

ومما يجدر بالذكر، ان ذا اليمين المذكور في الحديث هو ذو الشمالين (2) الذي استشهد

في غزوة بدر (3) وذلك قبل ان يسلم ابو هريرة بخمس سنوات (4) وبناعلى هذا كيف يدعي

ابو هريرة رؤية ذي اليمين مع الفارق الزمني الطويل بين استشهاده ذي اليمين

1- صحيح مسلم 1: 403 كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب « 19 » باب السهو في الصلاة والسجود له ج 97.

2- اخرج مالك في الموطا 1: 93 94 كتاب الصلاة باب « 15 » باب ما يفعل من سلم من ركعتين ساهيا ج 58 60، وكذا اخرج النسائي في سننه 3: 20 كتاب الصلاة باب ما يفعل من سلم من ركعتين ناسيا وتكلم، وكذا اخرج الدارمي في سننه 1: 419 420 كتاب الصلاة باب 175 باب سجدة السهو من الزيادة ج 1496 1497، وجميعهم رووا باسنادهم عن ابي هريرة، ولكن يلاحظ في هذه الاحاديث ان المذكر للنبي (ص) تارة ذواليمين وتارة ذوالشمالين.

وعلق مالك والسيوطي على الحديث قائلين: قال ابن عبد البر: لم يتابع الزهري على قوله ان المتكلم ذوالشمالين لانه قتل يوم بدر وقد اضطرب الزهري في حديث ذي اليمين اضطرابا اوجب على اهل العلم بالنقل تركه روايته خاصة وقد غلط فيه مسلم ولا اعلم احد من اهل العلم بالحديث المصنفين فيه عول على حديث الزهري في قصة ذي اليمين وكلهم تركوه لاضطرابه، وانه لم يقم له اسنادا ومتنا المعرب.

3- راجع الطبقات الكبرى 3: 167 ترجمة ذي اليمين او ذي الشمالين، والاصابة 2: 233

ترجمة الخرباق السلمى رقم 2243، الاستيعاب 2: 458 ترجمة خرباق السلمى رقم 686.

4- اسلم ابو هريرة بعد غزوة خيبر اي بعد السنة السابعة من الهجرة، راجع ص 99.

واعلان ابي هريرة اسلامه فهذا امر مريب.

2 . مؤدى الحديث يبين ان الرسول (ص) والمسلمين قد محوا صورة صلاتهم، بحيث ان النبي قام عن مصلاه وتحرك واتكا على خشبة في المسجد، والمسلمون بعضهم خرج من المسجد، بظنهم انهم قد اتموا الصلاة، ولما التفت النبي الى سهوه رجع الى مصلاه وتدارك ما فاته من الصلاة، ثم سجد سجدي السهو .
والمتيقن ان كل ما يغير صورة صلاة الانسان فهو من المبطلات، وهذا العمل الصادر من رسول الله (ص) تحركه عن مصلاه وعوده اليه مرة اخرى واتمام صلاته مناقض ومخالف للحكم الذي شرعه هو بنفسه.
قال ابن رشد: قد انعقد الاجماع على ان المصلي اذا انصرف الى غير القبلة انه قدخرج من الصلاة(1).

3 . ان هذا السهو الفاحش ونسيان نصف اركان الصلاة انما يصدر من اولئك الساهين في صلاتهم، اللاهين عن مناجاة ربهم، ويستحيل ان تصدر هذه الغفلة والسهو الذي هو مناف ومضاد لحالتي الخشوع والخضوع لله عزوجل عبادالله المخلصين والانبياء (ع) ولا سيما سيدهم وخاتمهم محمد بن عبدالله (ص).
ولا يقع ذلك الا لمن كان مصداقا لقول الشاعر:

اصلي فما ادري اذا ما ذكرتها اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

4 . جاء في الحديث المذكور ان النبي (ص) لما سها وذكره ذوالبيدين انكر ذلك وقال: لم انس ولم تقصر، وهذا يدل دلالة قطعية على انه لا سبيل للسهو الى النبي (ص).
ولو سلمنا وقوع ذلك من النبي (ص) وافترضنا كذلك عدم العصمة في الانبياء (ع) في السهويات، فان عصمته (ص) عن المكابرة والتسرع وتكذيب الاخرين من الضروريات، والمسلمات عند المسلمين.

فعلى هذا، فكيف يمكن ان يقول الرسول (ص): لم انس ولم تقصر، ولكن عندماشهد بعض الاصحاب ذي اليبدين تراجع النبي (ص) عن قوله الاول، وعلم فيما بعد ان ذلك كان خلافا للواقع؟

قال السيوطي في شرحه على سنن النسائي وهو ينقل هذه الاشكالات عن القرطبي: قال القرطبي:

هذا قبول السهو مشكل بما ثبت من حاله (ص) وحياته كلها فانه يستحيل عليه الخلف وصدور خلاف الواقع عنه والاعتذار عنه(1).

3 . النبي يصلي جنباً

بعد ان قمنا بالتمحيص والتحقيق في الحديث السابق سهو النبي (ص) الذي اخرجه الصحيحان عن ابي هريرة، وعرفت ايها المطالع الكريم انه من الموضوعات والاحاديث المختلفة، يمكنك الان ان تتطلع وتتعرف على موضوعية حديث اخر يرويه الشيخان عن ابي هريرة ايضاً.

يقول ابو هريرة: اقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً فخرج الينا رسول الله (ص) فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب فقال لنا: مكانكم ثم رجع فاغتسل ثم خرج اليناوراسه يقطر فكبر فصلينا معه(2).

وجدير بنا ان نذكر عقيب هذا الحديث الذي رواه ابو هريرة عن النبي (ص) كلمة ابي هريرة التي قالها عن نفسه واعتراف في جعل الحديث.

اخرج البخاري في صحيحه حديثاً حول النفقات يرويه ابو هريرة عن رسول الله (ص)، ولما كان في الحديث المناكير التي تعجب منها سامعوها، فقالوا: يا ابا هريرة

1- شرح سنن النسائي للسيوطي 3 : 22.
2- صحيح البخاري 1 : 77 كتاب الغسل باب اذا ذكر في المسجد انه جنب وص 164 كتاب بد الاذان باب انه هل يخرج من المسجد لعله وباب اذا قال الامام مكانكم حتى رجع، صحيح مسلم 1 : 422 كتاب الصلاة باب « 29 » باب متى يقوم الناس للصلاة ح 157 158 ، سنن ابي داود 1 : 60 كتاب الطهارة باب في الجنب يصلي بالقوم وهو ناس ح 233 235.

سمعت هذا من رسول الله (ص)؟ قال: لا هذا من كيس ابي هريرة(1).
وبناءً على هذا الاقرار والاعتراف من ابي هريرة وانه كان يخرج من كيسه اباطيل
واراجيف وينقلها الى الناس على انها قول الرسول (ص) وسيرته، فما ندري نبع كيس ابي
هريرة، والقرائن التي ذكرناها هناك في حديث سهو النبي (ص) تؤيد ما ابدناه هنا.
واما هذا الخبر، فلو كان صحيحا لرواه غير واحد من الصحابة والرواة بالتواتر، بينما لم
يسمع هذا الا من ابي هريرة وابي بكر(2).
والعجب العجاب ان علماء اهل السنة قد بهرتهم هذه الاحاديث الموضوعة والمجعولة
الى حد ان بنوا عقائدهم واحكام دينهم على اساس هذا النوع من المختلقات والموضوعات
الهزيلة واعتبروها جميعا احاديثا صحيحة لا تقبل الخدش والشك فيها.
وعلى هذا الاصل قال العيني في شرحه على الحديث المذكور:
ومما يستفاد من هذا الحديث جواز النسيان على الانبياء (ع) في امر العبادة
للتشريع(3).

-
- 1- صحيح البخاري 7: 81 كتاب النفقات باب وجوب النفقة على الاهل والعيال وقد مرعلينا آنفا
في ص 80.
2- اخرج هذا الحديث المزور ارباب الصحاح، وقد قرأت مصادره من الصحيحين، واما
سائر الصحاح: سنن ابن ماجه 1: 385 كتاب اقامة الصلاة باب « 137 » باب ما جا في البناء في
الصلاة ح 1220، سنن النسائي 2: 81 كتاب الامامة باب الامام يذكر بعد قيامه في مصلاه انه
على غير طهارة، وكذا رواه احمد بن حنبل في مسنده 2: 237 و 283 و 339 و 448 و 518 وجميع
هؤلاء اخرجوا الحديث عن راو واحد الا وهو ابو هريرة الدوسي، واخرج ابوداود حديثا آخر غير ما
رواه ابو هريرة عن ابي بكر، راجع سنن ابي داود 1: 60 و 61 كتاب الطهارة باب في الجنب يصلي
بالقوم وهو ناس ح 233 و 235.
3- عمدة القاري 5: 156.

4 . الرسول يلعن ويؤذي المؤمنين:

عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال: اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر،
واني قد اتخذت عندك عهدا لم تخلفنيه، فايما عبد آذيته او سببته او جلدته، فاجعلها كفارة
وقربة تقربها اليك(1).
وفي حديث آخر قال: اللهم انما انا بشر فايما رجل من المسلمين لعنته او سببته فاجعله
له زكاة واجرا(2).

وقال ايضا: اللهم انما انا بشر، ارضى كما يرضى البشر واغضب كما يغضب البشر فايماء احد دعوت عليه من امتي بدعوة ليس لها باهل ان تجعلها له طهورا وزكاة وقربة تقر به بها منه يوم القيامة(3).

مؤدى هذه الروايات المستخرجة في ابواب مختلفة من صحيح البخاري وخص لها مسلم في صحيحه لها بابا خاصا وعنوانه: باب من لعنه النبي (ص) وليس هواهلا ان النبي (ص) هو كسائر البشر، تعتريه حالات فيغضب ويؤذي المسلمين من دون سبب ويسبهم ويلعنهم.

توجيه الاحاديث:

ان القرآن الكريم وصف النبي (ص) بانه على خلق عظيم ولكن البخاري ومسلم اخرجوا في كتابيهما احاديث منافية تماما للقرآن ونقلوا احاديث حول اخلاق النبي (ص) على عكس ما يصفه القرآن.

وننقل من تلكم الاحاديث ثلاثا منها كمثال:

- 1- صحيح البخاري 8: 96 كتاب الدعوات باب قول النبي: من أذيته فاجعله له زكاة ورحمة، صحيح مسلم 4: 2008 كتاب البر والصلة والاداب باب « 25 » باب من لعنه النبي (ص) اوسبه او دعا عليه وليس هو اهلا لذلك كان له زكاة واجرا ورحمة ح 90 و91.
- 2- صحيح البخاري 8: 96 كتاب الدعوات باب قول النبي: من أذيته فاجعله له زكاة ورحمة، صحيح مسلم 4: 2008 كتاب البر والصلة والاداب باب « 25 » باب من لعنه النبي (ص) اوسبه او دعا عليه وليس هو اهلا لذلك كان له زكاة واجرا ورحمة ح 90 و91.
- 3- صحيح مسلم 4: 2009 كتاب البر والصلة والاداب باب « 25 » باب من لعنه النبي (ص) أو سبه او دعا عليه وليس هو اهلا لذلك كان له زكاة واجرا ورحمة ح 95.

1 . خصص البخاري في صحيحه في كتاب الادب بابا عنوانه: لم يكن النبي (ص) فاحشا ولا متفحشا، جمع فيه الاحاديث التي تصف اخلاق النبي (ص) الفاضلة واليك حديث واحد منها:

قال ابن ابي مليكة عن عائشة: ان يهودا اتوا النبي (ص) فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم.

قال (ص): مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وايك والعنف والفحش، قالت: او لم تسمع ما قالوا؟ قال (ص): او لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في(1).

- 2 . اخرج مسلم في صحيحه احاديث متعددة عن رسول الله (ص) انه نهى عن ان يكون المسلم لعانا وفحاشا ونهاهم حتى من لعن الدواب والحيوانات(2).
- 3 . وروى مسلم ايضا حديثا فيه: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال (ص): اني لم ابعث لعانا وانما بعثت رحمة(3).
- نعم ان الرسول (ص) ليس كبعض افراد البشر الذي تعتريه حالة الغضب، من دون سبب ومن غير حق، ويسب ويلعن المسلمين، فكيف يتمكن من كان فحاشا يؤذي الاخرين ظلما وعدوانا، ويضربهم بالسياط وبالدرة جورا، ان يهدي المجتمع البشري الى الخير والصلاح والصدق والعدل؟
- فكيف يكون النبي فحاشا ولعانا وهو يمنع عائشة من ان تجيب اليهود الذين هم الد خصما الاسلام، ووجودهم اكبر مانع لتقدم الدين الحنيف، والذين قالوا للنبي (ص)

1- صحيح البخاري 8: 106 كتاب الدعوات باب قول النبي (ص) يستجاب لنا في اليهود ولايستجاب لهم فينا وص 15 كتاب الادب باب لم يكن النبي فحاشا ولا متفحشا.
2- صحيح مسلم 4: 2004 كتاب البر والصلة والاداب باب « 24 » باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ح 80 87.
3- صحيح مسلم نفس المصدر ح 87.

واصحابه: السام عليكم، فاجابتهم عائشة بمثل ما قالوا، ونهاها الرسول (ص) وامرها بالرفق والمداراة معهم ويقول: اني لم ابعث لعانا وانما بعثت رحمة.
هذا نموذج من اخلاق النبي (ص) الذي نهى الناس ان يلعنوا حتى الدواب فهل يعقل ان يكون هو يؤذي مؤمنا ويسبه او يلعنه من غير حق؟

اسباب وضع هذه الاحاديث:

ثبت في التاريخ ان النبي (ص) كان في بعض الاحايين يلعن بعض الفئات المعينة، ويلعن بعض الناس، وما كان ذلك الا بامر من الله عزوجل، وتارة كان ينفي بعض الافراد الى المناطق النائية.

هو لا الملعونون على لسانه كان عداهم للدين والرسول (ص) اشد من اليهود، وكان خطرهم على المسلمين اكثر من المشركين، ولما كان لعن النبي (ص) اياهم يعتبروصمة عار كبير على جباههم، بحيث كان يزلزل مقامهم الاجتماعي، ولذلك حاولوا بواسطة اناس

مثل ابي هريرة وغيره، وعزوا اليهم ان يخلتقوا احاديثا مثل هذا الحديث لكي يحوا ذلك العار عن جباههم، وبعد ان ادى ابو هريرة وظيفته، قام اتباع اولئك الملعونين بنشر تلك الاحاديث وضبطها والاستفادة منها لخدمة عقيدتهم وقادتهم.

واليك يا قارئ المنصف بعض هذه التزيورات والتحويلات:

1 . اخرج مسلم حديثا لابن عباس قال: كنت العب مع الصبيان فجا رسول الله (ص) فتواريت خلف باب قال: فجا فحطاني حطاة وقال (ص): اذهب وادع لي معاوية، قال: فجئت فقلت: هو ياكل فقال (ص): لا اشبع الله بطنه(1).

اعلم ايها القارئ الكريم ان تخريج مسلم النيسابوري لهذا الحديث بعد ان ذكر اكثر من عشرة احاديث بينها وبين صريح القرآن والسنة الصحيحة منافاة ومباينة واضحة

1- صحيح مسلم 4: 201 كتاب البر والصلة والاداب باب « 25 » باب من لعنه النبي (ص) وليس هو اهلا لذلك ح 96.

وما تخريجه لهذه الاحاديث الا ان تكون مقدمة لتحريف المفهوم الحقيقي للحديث المشهور لدى جميع المسلمين والذي هو بمثابة وصمة عار على جبين معاوية، فعلى هذا فان لعن النبي (ص) اياه هو وسيلة تقريه الى الله وكفارة لجرائمه واجرا لجناياته.

2 . اورد ابن حجر في كتابه تطهير الجنان الذي الفه في فضائل معاوية عند تاويله للحديث «لا اشبع الله بطنه» اجابات عديدة ثم قال: ان هذا الدعا جرى على لسانه (ص) من غير قصد، وقد اشار مسلم في صحيحه الى ان معاوية لم يكن مستحقا لهذا الدعا، وذلك لانه ادخل هذا الحديث في باب من سبه النبي (ص) اودعا عليه وليس هو اهلا لذلك كان زكاة واجرا ورحمة(1).

3 . قال الحافظ الذهبي في تذكرته في ترجمة النسائي صاحب السنن: قيل له: الاتخرج فضائل معاوية؟ فقال: اي شي اخرج حديث «اللهم لا تشبع بطنه»؟ فسكت السائل. قال الذهبي: هذا الحديث اورده النسائي ذما لمعاوية اقول: لعل هذه منقبة لمعاوية لقول النبي (ص):

اللهم من لعنته او شتمته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة(2).

4 . اخرج ابن حجر روايات عديدة باسانيد وطرق مختلفة نقلها من كتب ومصادر اهل السنة حول لعن النبي الحكم بن العاص وابنه مروان ثم يقول: لعنته (ص) الحكم وابنه مروان لا تضرهما لانه (ص) تدارك ذلك بقوله مما بينه في الحديث الاخر: انه بشر يغضب كما يغضب البشر، وانه سال ربه ان من سبه او لعنه او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة وزكاة وكفارة وطهارة له(3).

اقول: ترى في مقولة ابن حجر الذي عرف بتأثره بالعصبية، والذي اثر رجلين

- 1- تطهير الجنان بذيل الصواعق المحرقة: 29.
- 2- تذكرة الحفاظ 2: 699 ترجمة النسائي رقم الترجمة 719.
- 3- تطهير الجنان بذيل الصواعق المحرقة: 65.

حقيرين وذليلين مثل مروان وابيه الحكم على النبي (ص) وانتصر لهما ودافع عنهما نوعامن التحجيم والتصغير لمرتبة النبوة، وتصوير النبي (ص) بانه كسائر البشر العاديين. وتشاهد ان بين هذا الكلام الذي تقوله ابن حجر وبين النصوص القرآنية التي تقول: (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)(1) تفاوت كبير وتعارض واضح. نعم، رسول الله (ص) بشر ولكن يمتاز عليهم بما يوحى اليه، قال تعالى: (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي)(2). ان فاذا اوحى الله عزوجل الى النبي (ص) ان يلعن احدا فانه يلعن بامر من الله عزوجل. وعليه، فمن يلعن على لسان النبي (ص) فلا يغنيه دفاع احد عنه شيئا، وانتصارالآخرين له.

5 . نهى الرسول (ص) عن تلقيح النخيل:

روى مسلم في صحيحه، وابن ماجة في سننه، ثلاث احاديث تتضمن: ان النبي (ص) مر بقوم يلحقون النخيل فقال: لو لم تفعلوا لصلح قال ثابت بن انس: فخرج شيصا، فمر (ص) بهم فقال (ص): ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا قال (ص): انتم اعلم باموردنياكم(3).

وفي حديث آخر قال: انما انا بشر، اذا امرتكم بشي من دينكم فخذوا به، واذا امرتكم بشي من رايي فانما انا بشر(4).

وفي ثالث قال: انتم اعلم بامور دنياكم(5).

1- النجم: 4.

2- الكهف: 110، فصلت: 6.

3- صحيح مسلم 4: 1836 كتاب الفضائل باب «38» باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره (ص) من معايش الدنيا على سبيل الراي ح 139 141، سنن ابن ماجة 2: 825 كتاب الرهون باب «15» باب تلقيح النخل ح 2470 2471.

4- صحيح مسلم 4: 1836 كتاب الفضائل باب «38» باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره (ص) من معايش الدنيا على سبيل الراي ح 139 141، سنن ابن ماجة 2: 825 كتاب الرهون باب «15» باب تلقيح النخل ح 2470 2471.

5- صحيح مسلم 4: 1836 كتاب الفضائل باب «38» باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره (ص) من معايش الدنيا على سبيل الراي ح 139 141، سنن ابن ماجة 2: 825 كتاب الرهون باب «15» باب تلقيح النخل ح 2470 2471.

دلائل اختلاف القصة:

ان كون هذا الحديث من السخافات الموضوعية هو من اوضح الواضحات، بحيث يغنيننا عن البحث والتكلف في جهات الحديث، لان احدى الروايات تقول: ان القصة وقعت في المدينة، فيا ترى ان نبيا عاش في الجزيرة العربية خمسين عاما وعاشر اهلها، ويراهم يلحقون النخيل في كل عام، هل يعقل بمجرد ان هاجر الى يثرب نسي هذا الامر التلقيح؟ ولم يعلم مدى تاثير التلقيح على النخلة ورشدها حتى منع اهل يثرب عن هذا العمل، ولما راي ان المسالة صارت معكوسة ندم على قوله، ثم اعلن للناس انتم اعلم بامور دنياكم؟ لا يخفى ان الغاية من جعل هذا الحديث هي فتح باب المخالفة للنبي (ص) بحيث لو اراد الخلفاء واصحاب السلطة يوما ان يحكموا على خلاف تعاليم النبي (ص) وينقضوا اوامره، فهم يملكون دليلا، ويستدلون على مخالفتهم بان النبي قد ارتكب خطأ في مسالة تلقيح النخيل وبعدها قال: انتم اعلم بامور دنياكم.

ومما يجدر ذكره ان هؤلاء عالجوا هذه المسالة بتلبيسها الوجهة العلمية والفنية واسموها بالاجتهاد، وادعوا بان الرسول اذا امر بحكم ولم يكن هذا الحكم في القرآن ولا علاقة له بالوحي فانه يكون من اجتهاداته (ص) ومخالفة المجتهدين بعضهم بعضا في المسائل العلمية امر عادي ولا يرد عليه اشكال. واليك اراء علماء العامة في هذا الموضوع:

هل كان الرسول (ص) يتعبد بالاجتهاد؟

قال الامدي: اختلفوا في ان النبي هل كان متعبدا بالاجتهاد فيما لا نص قرآني فيه؟ فقال احمد بن حنبل والقاضي ابو يوسف: انه كان متعبدا، وجوز ذلك الامام الشافعي في رسالته، وبه قال اصحابه والقاضي عبدالجبار وابو الحسين البصري: نعم،

كان النبي يتعبد باجتهاده فيما لا نص صريح من القرآن فيه. ثم يقول الامدي: المختار عندنا جواز ذلك عقلا ووقوعه سماعا(1).

ثم يضيف: ان القائلين بجواز الاجتهاد للنبي (ص) اختلفوا فيما هل يمكن ان يخطأ النبي في اجتهاده ام لا؟
فذهب بعض اصحابنا الى منع وقوع الخطا في اجتهاداته، وذهب اكثر اصحابنا والحنابلة واصحاب الحديث والجبائي وجماعة من المعتزلة الى جواز ذلك (2).
وقال الدكتور موسى توانا (3) في كتابه الاجتهاد ومدى حاجتنا اليه في هذا العصر:
بد الاجتهاد في الاسلام منذ عهد رسول الله، فقد كان النبي (ص) يجتهد في الامور التي لا تتعلق بالرسالة ثم يذكر قصة التلقيح دليلا على ما ذهب اليه.
قال الشيخ محمد عبده: وقد كان الاذن المعاتب عليه اجتهاد منه (ص) فيما لانص فيه من الوحي، وهو جائز وواقع من الانبياء (ع)، وليسوا بمعصومين من الخطا فيه، وان ما العصمة المتفق عليها خاصة بتبليغ الوحي ببيانه والعمل به ويؤيده حديث طلحة في تايير النخل اذ رآهم يلقحونها (4).
وقال المحقق المتكلم الفاضل القوشجي عند ذكره مسالة تحريم عمر للمتعة ومخالفته لحكم رسول الله فيها:
واجيب عن ذلك: بان ذلك ليس مما يوجب قدحا فيه اي عمر فان مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية ليس ببدع (5).

-
- 1- الاحكام في اصول الاحكام 4: 398 المسالة الاولى.
 - 2- المصدر السابق ص 440 المسالة الحادية عشر.
 - 3- وهو من علما العامة ومن الاساتذة الافغان وكتابه المذكور هو رسالته الجامعية طبع من قبل جامعة الازهر بمصر.
 - 4- تفسير المنار 10: 465 466.
 - 5- شرح تجريد الاعتقاد للقوشجي: 384 فصل الامامة.

وقال قاضي القضاة في المغني: ان الرسول (ص) انما يامر بما يتعلق بمصالح الدنيا من الحروب ونحوها عن اجتهاده، وليس بواجب ان يكون ذلك عن وحي، كما يجب في الاحكام الشرعية، وان اجتهاده يجوز ان يخالف بعد وفاته، وان لم يجز في حياته لان اجتهاده في الحياة اولى من اجتهاد غيره.
ثم ذكر: ان العلة في احتباس عمر عن الجيش حاجة ابي بكر اليه، وقيامه بما لايقوم به غيره وان ذلك احوط للدين من نفوذه (1).

اقول: ذكرنا في فصل هل الرسول كان يجتهد (2)؟ واثبتنا عدم تعبد النبي (ص) بالاجتهاد واستدلنا على ذلك بالآيات المتظافرة، ونقلنا آراء بعض علماء اهل السنة من المحدثين والمفسرين الذين ذهبوا الى ما قلناه بعدم التعبد بالاجتهاد، وان هناك نوعا آخر من الوحي غير الوحي القرآني فكلامه كله وحي الهي.

فعلى هذا فلو حكم النبي (ص) بحكم لم يرد نصه في القرآن الكريم لم يكن دليلا على عدم وجود الوحي في الحكم، بل حكمه وحي من النوع الثاني القرآني.

وعلى هذا فكما ان اساس قصة تايير النخل فاقدة الصحة فكذلك عقيدة اولئك العلماء من اهل السنة الذين نسبوا الى رسول الله التعبد بالاجتهاد وجواز الخطا في اجتهاده تكون باطلة ومردودة، وان التمسك بقصة تايير النخل ذريعة ودليلا لعقيدتهم ليست لها قيمة علمية، كما ان عدم وجود حكم واضح في القرآن ليس دليل على عدم وجود الوحي والحكم الالهي في المسألة.

واما ما ذكره الفاضل القوشجي عن مقولة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في تحريمه للمتعتين واعتبر مخالفته للرسول مخالفة في مسألة اجتهادية فهو مردود ومرفوض ايضا، ولم يقبله اي محقق لبيب، لان هذا القول هو قياس مع الفارق ولا يوجد

1- شرح نهج البلاغة 17: 176.

2- راجع ص: 206.

من يقيس الرسول ويقارنه باحد افراد هذه الامة، وقول النبي (ص) هو نفس الحكم الثابت في اللوح المحفوظ: (ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى) (1) اليس الاجتهاد هورد الفروع على الاصول والاستفادة من الادلة الظنية عن طريق استنباط الحكم الواقعي؟ فهل يبقى للمقايسة بين النبي (ص) وغيره محل؟ فاين الثرى واين الثريا؟

واما ما ادعوه من جواز الاختلاف في الاجتهاد فهذا صحيح اذا اختلف مجتهدان ووقع اجتهاد احدهما في مقابل اجتهاد الاخر واما ان يجتهد احد في مقابل نص الرسول والوحي والقانون الالهي فهذا ليس باجتهاد وسميه بما تشاء.

6 . النبي (ص) يعاقب من دون ذنب

هذا الحديث هو الاخر من الاحاديث الموضوعية والمختلقة على رسول الله (ص)، فهو مروى في كتب العامة كالصحيحين وغيرهما باسانيد ونصوص مختلفة، ويحكي لنا هذا الحديث قصة نسبت الى رسول الله (ص) ودلست عليه بانه عاقب في اللحظات الاخيره من عمره اناسا ابريا عقابا ملؤه السخرية والهزل. والقصة اشتهرت بحديث اللدود، وخلصتها: انه اشدد المرض بالرسول (ص) في آواخر حياته حتى اغمي عليه وغشي، فتشاورن زوجاته واصحابه ان يصنعوا له دوا وهو عجيبة مرة تعطى لمن اصيب بدادات الجنب فاعطوه وهو مغمى عليه، فلما افاق وشعر بمرارة الدوا، حلف يمينا بان يصب الدوا في فم كل من هو حاضر في المجلس عدا عمه العباس. فاعطوا الحاضرون حتى جاء دور زوجاته، فكانت ميمونة ذاك اليوم صائمة فاصرت على كونها صائمة، ولكن الرسول (ص) لم يلتفت الى قولها واكد اعطاها الدواعم لا ووفاءً باليمين.

وهذه القصة اخرجها الشيخان في الصحيحين مختصرة ومجملة عن عائشة انها

1- النجم: 4 5.

قالت:

لددناه في مرضه فجعل يشير الينا: ان لا تلدونى، فقلنا: كراهية المريض للدوا، فلما افاق قال: الم انهكم ان تلدونى؟ قلنا: كراهية المريض للدوا، فقال: لا يبقى احد في البيت الا لد وانا انظر الا العباس فانه لم يشهدكم(1).

تحقيق حول الحديث:

لما كانت دراسة جميع الاحاديث التي رويت بشأن حديث اللدود على ما احتوت من التفصيل والتطويل سواءً من حيث النص او السند، خارج عما نحن عليه في هذا الكتاب من الاجمال وعدم الاطناب لذا اقتصرنا على تبين نصوص هذه الاحاديث والالفاظ الغريبة التي تتضمنها مع الاشارة الى المصادر:

اولا: اول ما يتبادر الى الذهن ويثبت اختلاقيه هذه الاحاديث وكذبها هوالتضادوالتناقض بين الفاظها، ونشير هنا فقط الى ثلاثة موارد من هذه التناقضات:

- 1 . متى احس النبي (ص) باللد؟ فاكثر الاحاديث صريحة بانه لما افاق من غشوته على اثر مرارة الدوا عرف بانه قد لد افاق فعرف انه قد لد ووجد اثر اللدود(2).
- ولكن حسب مضمون الحديث الذي ذكرناه في بداية هذا الفصل والمروي في الصحيحين عن عائشة بان الرسول عرف بانه يلد قبل ان يعطى الدوا ولذلك اشار بيده ان يمتنعوا من ذلك «فجعل يشير الينا ان لا تلدونى فلما افاق قال: الم انهكم ان تلدونى؟».
- 2 . موقف العباس في القصة: حسب ما يتضمنه الحديث الذي رواه الترمذي

1- صحيح البخاري 6: 17 باب كتاب النبي (ص) الى كسرى وقيصر باب مرض النبي (ص) ووفاته، ج7: 164 كتاب الطب باب اللدود، ج 9: 10 كتاب الديات باب اذاصاب قوم من رجل هل يعاقب منهم كلهم، صحيح مسلم 4: 1733 كتاب السلام باب «27» باب كراهة التداوي باللدود ج85.

2- مسند الامام احمد بن حنبل 6: 118.

- وغيره من علماء العامة بان العباس عم النبي كان ممن صب الدوا بغم النبي (ص) لده العباس واصحابه(1).
- ويروي ابن ابي الحديد عن عائشة انها قالت: اغمي على رسول الله (ص) والدارمملوة من النساء، وعندنا عمه العباس بن عبد المطلب فاجمعوا على ان يلدوه فقال العباس: لا الده، فلدوه(2).
- ولكن مضمون رواية الصحيحين يفيد بان العباس لم يكن حاضرا وبعد ان لد النبي (ص) دخل المجلس «الا لعب اس فانه لم يشهدكم».
- 3 . من الذي شملته العقوبة: حسب ما نقله الامام احمد بان بعض الصحابة كانوا في المجلس فلدوا حتى جاء دور زوجات النبي (ص)(3).
- ولكن هذا الامام احمد نفسه يروي حديثا آخر بانه لم يكن في المجلس ذاك اليوم سوى زوجات النبي ولم يلد غيرهن.
- عن العباس انه دخل على رسول الله (ص) وعنده زوجاته فاستترن منه الا ميمونة، فقال: لا يبقى في البيت احد شهد اللد الا لد(4).
- فهل يمكن تصور الانسجام بين هذا الحكم ومنزلة النبوة؟
- اضف الى ما في نصوص الاحاديث من التناقضات الثلاث التي ذكرناها، هذا السؤال الذي يطرح على اصل القصة، وانه هل ان صدور مثل هذا الامر والحكم من رسول الله

(ص) يتناسب مع منزلة الرسالة والنبوة وشخصية النبي (ص)؟ فظاهر مضامين الاحاديث
وصريح منطوق بعضها يدل على ان هذا الامر المؤكد واليمين على لد كل

- 1- سنن الترمذي 4: 342 كتاب الطب باب 12 باب ما جا في الحجامة ح 2053، الفائق للزمخشري 3: 313.
- 2- شرح نهج البلاغة 13: 31.
- 3- مسند الامام احمد بن حنبل 6: 118.
- 4- مسند الامام احمد بن حنبل 1: 209.

الحاضرين في المجلس والدار هو رد وجزا للعمل بمثله لقسم رسول الله (ص) عقوبة
لهم بما صنعوا(1) ويرد على هذا:

اولا: كما اشرنا اليه آنفا ودلت عليه مضامين بعض الاحاديث ان النبي (ص) عرف
موضوع اللد بعد ان افاق، فعلى هذا فلم يكن نهي قبل ارتكابهم هذا العمل حتى تتحقق
المخالفة ويجزون عقابا على ارتكابه.

ثانيا: وعلى فرض قبول الحديث بان الرسول (ص) كان عالما بانه يلد فاشار اليهم ناهيا
اياهم بان يمتنعوا من ذلك، فعلمهم ليس بذنب حتى يعاقبون عليه، ويحق له ان يعاقبهم
على مخالفتهم له، لان هذه المخالفة مبتنية على اعتقادهم بكرهية المريض للدوا وهذه
الكراهية للدوا هو داب كل مريض.

وثالثا: لو سلمنا ان الحاضرين في البيت اجمعوا جميعهم على اللد، ولكن المباشري
اعطا الدوا للرسول (ص) هو واحد لا الجميع لماذا عاقب النبي الجميع بفعل واحد او اثنين
منهم؟ والقرآن صريح في قوله: (لا تزر وازرة وزر اخرى) (2)، وهذا النوع من الحكم يشبه
الحكم بقصاص اناس رضوا بالقتل، فهل من عاقل تسمح له نفسه ان يعاقب من عمل
بواجبه الشرعي والانساني تجاهه، فاحسن اليه وانقذه من الموت؟ فالجواب حتما لا، فكيف
بسيد الانبياء وخاتم المرسلين الذي وصفه ابن حجر: بانه ما اقتص ولا انتقم من احد حتى
من عدوه اذا تعدى على حقوقه الخاصة(3).

لقد بينا في الفصلين السابقين ان الغاية من اختلاق ووضع مثل هذه الاحاديث التي مر
ذكرها هي تزكية اولئك الذين لعنوا على لسان رسول الله (ص) كمن تخلف عن جيش
اسامة، وقوله (ص): لا اشبع الله بطنه، فجعلوا لعن النبي اياهم فخرا وتزكية ورفعة لمقامهم
ورتبهم وصيروا ذلك اللعن اعلى رتبة من الدعا والثنا.

واختلفوا قصة تلقيح النخل التي اصدر فيها الرسول (ص) حكما خطأ ثم تدارك خطاه بالندم والتاسف، ليثبتوا اصل الاجتهاد للنبي (ص) وجواز عدم اصابته في اجتهاده ويصححوا شطحات الاخرين بعد وفاة الرسول (ص)، ومخالفتهم للسنة واصولها على انها مخالفة مجتهد لغيره، ولا باس بهذه المخالفة.

واما حديث اللود فانهم وضع توهينا وتطاولا على النبي (ص) بحيث اصبح بعد ذلك ذريعة ووسيلة بايدي اعدا الاسلام للنيل من الدين، وبناءً على هذا فان الدواعي في جعل الحديث كثيرة اهمها اثنان:

الاول: خلق فضائل لبني العباس: كانت سياسة بني العباس واهتمامهم منكب على تمهيد وسائل الخلافة سوا قبل وصولهم للخلافة او بعدها، وهذا الامر يستدعي ان يختلفوا فضائل ومفاخر لذويهم بدوا من عب اس عم النبي (ص) حتى آخروهم، حتى ولو كان هذا الوضع يستوجب تحجيم شخصية النبي والنبوة، كما نراه واضحا في قصة اللود فسعوا لاثبات فضيلة وكرامة للعباس جدهم، حيث اننا نقرا في جميع احاديث اللود مع تظافر التناقضات فيما بينها انها قد اتحدت في مسألة واحدة وهي، ان ظاهرا لاحاديث المروية في هذا الباب تدل على ان كل من كان في البيت من الصحابة وزوجات النبي (ص) حتى ميمونة التي كانت صائمة واهل البيت وسبطا الرسول (ع) قد شملتهم العقوبة، لان أمير المؤمنين والزهرا والسبطان (ع) على فرض صحة الحديث كانوا في الدار عند ابيهم رسول الله (ص)، وانهم قد لدوا كرها وبامر من رسول الله (ص) والوحيد الذي لم يلد وكان حاضرا واستثنى من عقوبة الرسول هو العباس بن عبدالمطلب.

الثاني: تاييد نظرية عمر، الغاية الثانية التي استهدفوها وضاع هذا الحديث المختلق، هي اثبات وتاكيد صحة مقولة الخليفة عمر التي قالها في اللحظات الاخيرة من حياة النبي (ص) ونسبها اليه «انه يهجر»⁽¹⁾، وارادوا باختلاقهم ذلك تصحيح كلمة عمر بان

النبي كان يصدر اوامر في اواخر حياته هذيا ومن دون تعق ل، لانه تارة يقول: لدواء الحاضرين في البيت بتلك العجينة المرة وانا انظر اليهم، وتارة اخرى يقول: انتوني بكتف ودواة لاكتب لكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي.

النقيب وحديث اللدود:

ومن العلماء الذين نفوا صحة حديث اللدود، وحكم عليه بكونه مختلقا وموضوعا هو ابو جعفر النقيب استاذ ابن ابي الحديد يروي ابن ابي الحديد كلام استاذه مع انه كان مؤيدا للحديث ومخالفا لراي استاذه فيقول: سالت النقيب ابا جعفر عن حديث اللدود، فقلت: الد علي بن ابي طالب ذلك اليوم.

فقال: معاذ الله لو كان لد لذكرت عائشة ذلك فيما تذكره وتتعاه عليه قال: وقد كانت فاطمة حاضرة في الدار وابناها معها، افتراها لدت ولد الحسن والحسين؟ ولده من ولده تقريبا الى بعض الناس(1).

واما النتيجة: فهذا الذي قرأته هو اسطورة حديث اللدود، وتلك هي التناقضات والاختلافات في احاديث اللدود والاسئلة التي ترد على مضامينها، وقرأنا ايضا الغاية من اختلاقم هذه الاسطورة الخرافية، حتى ان واحدا من محققين العامة صمد في مقابل جميع محدثيهم ومؤرخيهم واعلن اختلاقية وزيف هذه القصة. ولما كانت هذه الاسطورة الخرافية براي علماء الشيعة وفقهائهم موضوعة ومختلقة، وهي مباينة لعقيدتهم في النبوة، لم يروها احد من محدثيهم ومؤرخيهم، بل انهم لم يتصدوا للرد والجواب عن ذلك، ومروا عليها مرورا غير معتنين بها وتركوها نسيانسيا خلافا لعلماء العامة الذين بذلوا جهودا كثيفة في اثباتها(2).

1- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 13: 32.

2- رايت في الاونة الاخيرة ان احد مؤلفي العامة كتب كتابا وسطر فيه بعض الخزعبلات منها هذه الاسطورة ونمقها بعبارات وكلمات ادبية، وثم حكم على علماء الشيعة الذين لم يروون هذه الرواية الاسطورية بانهم ليسوا مطلعين ومضطلعين في المسائل التاريخية، وللأسف ان هذا الحكم والتحكم قد اثر في بعض السذخ والغافلين فاتخذوا الموقف السلبي تجاه علماء الشيعة.

7 . النبي ونسيانه بعض آيات القرآن

عن هشام، عن ابيه، عن عائشة قالت: سمع النبي (ص) رجلا يقرأ في المسجد فقال (ص): رحمه الله اذكرني كذا وكذا آية اسقطتها في سورة كذا وكذا.

روى هذا الحديث البخاري ومسلم في صحيحيهما(1).

وفي حديث آخر اخرجه الصحيحان ذكرت كلمة انسيتهما بدلا عن اسقطتها اي اذكرني تلك الايات التي انسيتهما(2).

وهذا من الاكاذيب الواضحة والصريحة التي لا تتناسب والعقل والقرآن والسنة لان النبي . حاشاه . الذي ينسى ما يوحي اليه من الايات ولم يستطع ان يحفظ معجزة دينه الخالدة، لا شك انه لا يمكن الاعتماد عليه والوثوق به في مجال تبليغ الدعوة، بل لم يكن صالحا لتلقي الوحي والرسالة.

ومن هنا يمكننا ان ندرك مدى خطورة هذا الحديث للطعن على اصل النبوة، ولما كانت هذه المسألة من المواضيع الهامة نفي القرآن صريحا صدور اي غفلة ونسيان من النبي (ص) بقوله: (سنقرئك فلا تنسى) (3) فالآية تنفي صحة الحديث وتتكبره، وتثبت ان الرسول حفاظ للقرآن وغير نسا له.

واضف الى هذا ان تخريج مسلم لهذا الحديث في باب الامر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت وتخريجه حديثا قريبا لمضمون عنوان الباب قال رسول الله (ص): بئسما

1- صحيح البخاري 3: 225 كتاب الشهادات باب شهادة الاعمي ونكاحه، وج 6: 238 كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن، وج 8: 91 كتاب الدعوات باب قول الله وصل عليهم.
2- صحيح البخاري 6: 239 كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن، صحيح مسلم 1: 543 كتاب فضائل القرآن باب «33» باب الامر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت ح225.
3- الاعلى: 6.

للرجل ان يقول نسيت سورة كيت وكيت او نسيت آية كيت وكيت(1).

وبناء على هذا فكيف يعقل ان يذم النبي (ص) احدا على شي وهو متصف به؟ اويكره

عملا للاخرين ويذمه لهم وهو مبتلى به؟

8 . النبي يبول واقفا: نيز تهمة

1 . روى البخاري ومسلم عن حذيفة قال: اتى النبي (ص) سباطة قوم خلف حائطفبال قائما(2).

2 . ورويا ايضا عن ابي وائل قال: كان ابو موسى الاشعري يشدد في البول ويقول: ان بني اسرائيل كان اذا اصاب ثوب احدهم قرضه فقال حذيفة: لوددت ان صاحبكم لا يشدد هذا التشديد، فلقد رايتني انا ورسول الله (ص) نتماشى، فاتى سباطة، خلف حائطفقام كما يقوم احدكم فبال فانتبذت منه فاشار الي فجئت فقممت عقبه حتى فرغ(3).

مؤدى هاتين الروايتين اللتين رواهما البخاري ومسلم: ان رسول الله . حاشاه هومثلل الاشخاص السذج الذين آنسوا السنن الجاهلية، ولما يتعرفوا على التعاليم والاداب الاسلامية، وانه كمثل هؤلاء يقف على السباطة خلف الجدران ويبول وهو واقف «قام رسول الله كما يقوم احدكم فبال قائما».

اعتراف بقبح هذه التهمة:

اننا في هذا البحث الموجز نغض النظر عن التحقيق والبحث العلمي حول هذه الفرية التي الصقوها برسول الله (ص).

- 1- صحيح مسلم 1: 544 كتاب فضائل القرآن باب «33» باب الامر بتعهد القرآن ح228.
- 2- مفاد ما ورد في صحيح البخاري 1: 66 كتاب الوضوء باب البول عند صاحبه والتستربالحائط وباب البول قائما وقاعدا وباب البول عند سباطة قوم، وح3: 177 كتاب المظالم باب الوقوف والبول عند سباطة قوم، صحيح مسلم 1: 230 228 كتاب الطهارة باب «22» باب المسح على الخفين ح73 80.
- 3- مفاد ما ورد في صحيح البخاري 1: 66 كتاب الوضوء باب البول عند صاحبه والتستربالحائط وباب البول قائما وقاعدا وباب البول عند سباطة قوم، وح3: 177 كتاب المظالم باب الوقوف والبول عند سباطة قوم، صحيح مسلم 1: 230 228 كتاب الطهارة باب «22» باب المسح على الخفين ح73 80.

ولا اريد ان اقول: ان النظافة مسالة فطرية وغريزية مودعة حتى في الحيوانات بحيث تشعر بها بشعورها الذاتي، وانها تسعى عند البول ان لا تتلوث به.
ولا اريد ان اقول: ان النظافة من البول مسالة بديهية يعرفها حتى ابو موسى الاشعري وكان يشدد فيها.
ولا اريد ان اقول: ان مسالة البول عند بني اسرائيل كما حدثنا ابو موسى كانت مهمة للغاية بحيث انهم كانوا يقرضون ثيابهم اذا اصابها بول.

انا نغض النظر عن كل هذه المسائل لان قبح المسالة بديهي، حتى ان علماء العامة وشرح الصحيحين اذعنوا لذلك، واعترفوا بكون هذه المسالة ونسبتها الى النبي هي اهانة واستخفاف بشان النبوة، ولذا عمدوا الى توجيهه وتاويل الاحاديث المذكورة، وذكروا لهامعاذير واهية التمسوا عذرا هو اقبح من الذنب.

اعذار اقبح من الفعل:

قال شرح صحيحي مسلم والبخاري في تيريرهم لهذين الحديثين:

- 1 . ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بالبول قائما، فلعل كان به (ص) وجع الظهر فتاسى بداب الجاهلية فبال قائما.
- 2 . انه بال قائما لعة بمابضه اي باطن الركبة بحيث تمنعه من الجلوس.
- 3 . انه لم يجد مكانا للقعود فاضطر الى القيام.
- 4 . البول قائما يحصن الانسان من خروج الحدث من مخرج الغائط، ولكن هذه الحصانة غير مامونة عند الجلوس، ولذا قال عمر: البول قائما احسن للدبر (1)، ولعل النبي بال قائما عملا بهذا الاحتمال.
- 5 . انه (ص) كان يبول قائما احيانا لكي يبقى حكمه الجواز .

1- شرح صحيح مسلم 3: 166.

ذكر هذه التبريرات الركيكة شارحو صحيحي البخاري ومسلم كابن حجر في فتح الباري(1)، والقسطلاني في ارشاد الساري (2)، والنووي (3) في شرح صحيح مسلم نقلا عن الخطابي والبيهقي وغيرهما من اهل السنة. واضاف السيوطي الى هذه الوجوه وجوها اخرى(4).

لم هذه التوجيهات؟

هذه تبريرات مؤيدي البخاري ومسلم وتاويلهم لهاتين الروايتين، وقد عرفت ايها القارئ الكريم هزال هذه التبريرات وخفتها، انها اعذار اقبح من الذنب، وانها لاشام من نفس التهمة التي الصقوها بالنبي (ص).

واعتقد ان قبول هذه الاحاديث ثم تيريرها وتاويلها بتاويلات فارغة المعنى وسخيفة لم تكن الا لعلتين وسببين:

1 . الجهل بمقام النبوة.

2 . الاعتقاد الاعمى بصحة كل حديث اوردته البخاري ومسلم في صحيحيهما وكما يروي السيوطي: ان البول قياما صار عادة اعتاد عليها المسلمون من العامة في مدينة هرات واحيا لهذه السنة المبتدعة، وعدم مخالفتهم لما جاء في صحيح البخاري ومسلم، تراهم انهم يستنون بهذه السنة فكانوا يبولون عن قيام حتى ولو مرة واحدة في كل عام(5).
ونقل لي احد العلماء المعاصرين: ان بعض المسلمين من اهل السنة في العراق اليوم، يبولون قياما تاسيا بهذه الاحاديث الموضوعة.

1- فتح الباري 1: 261 262.

2- ارشاد الساري 1: 293.

3- شرح صحيح مسلم للنووي 3: 165 166.

4- شرح سنن النسائي 1: 19 26.

5- شرح سنن النسائي 1: 19 26.

دحض هذه الاباطيل:

فلو كان لهؤلاء ادنى معرفة بالنبوة والرسالة، ولو انهم فرغوا عقولهم من السذاجة والتعصب المفرط، وحسن ظنهم الشديد وتعلقهم بالصحيحين، وتاملوا قليلا فيهما لعرفوا ان هذا الموضوع الذي لفقوه على النبي (ص) ليس فقط لا يتلام ومقام النبوة فحسب، بل انه يشين باي فرد من الافراد ممن له معرفة سطحية بالمعارف الدينية او يكون محترما عند نفسه.
واننا نرفض جميع هذه الروايات الملفقة على النبي (ص) ولا نقول بصحتها ابدا كما يعتقد بان الحديث الصحيح هو كل ما اخرجته البخاري ومسلم في صحيحيهما بل ناخذ بالاحاديث الصحيحة التي تروي لنا: كنت مع النبي (ص) في سفر فاتي النبي حاجته فابعدني المذهب(1)، وانه كان يرتاد لبوله مكانا كما يرتاد منزلا(2).

واننا نقبل الاحاديث التي تقول: مر النبي (ص) على قبرين فقال: انهما ليعذبان ومايعذبان في كبير ثم قال: بلى اما احدهما فكان يسعى بالنميمة، واما احدهما فكان لايستتر من بوله(3).

دواعي وضع هذه الاحاديث:

يبدو ان هناك بين اصحاب النبي (ص) من ترسخت فيه عادات الجاهلية مثل البول قياما فهو لا يستطيع ترك هذه العادة الساقلة، وحتى لا يكون مشجوبا عند الناس، ولا

-
- 1- سنن الترمذي 1: 31 كتاب الطهارة باب « 16 » باب ما جا ان النبي (ص) كان اذا اراد الحاجة ابعده في المذهب ح 20 وسنن النسائي 1: 18 كتاب الطهارة باب الابعاد عند ارادة الحاجة.
 - 2- سنن الترمذي نفس المصدر.
 - 3- صحيح البخاري 2: 124 كتاب الجنائز باب عذاب القبر من الغيبة والبول، صحيح مسلم 1: 240 كتاب الطهارة باب « 34 » باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ح 111، سنن ابي داود 1: 6 كتاب الطهارة باب الاستبراء من البول ح 20 سنن النسائي 1: 28 كتاب الطهارة باب التنزه عن البول.

يحط شأنه وشخصيته في الانظار، فلذا تراه يختلق مثل هذه السخافات، وبتهم فيهارسول الله بالبول قائما لكي تمكنه ممارسة هذا العمل القبيح ويقال من قبح عاداته المخزية. وتتجلى لك حقيقة قولنا اذا راجعت وتمعننت في الروايات المروية في كتب العامة المعتمدة.

- اخرج ابن ماجة في سننه: وكان من شان العرب البول قائما(1).
 - وخرج مالك في الموطا عن عبدالله بن دينار قال: رايت عبدالله بن عمر يبول قائما(2). وحول تبول الخليفة عمر قائما ورد حديثان:
 - 1 . عن ابن عمر، عن عمر قال: رأني النبي (ص) وانا ابول قائما فقال: يا عمر لا تبل قائما، فما بلت قائما بعده(3).
 - 2 . وعن ابن عمر قال عمر: ما بلت قائما مذ اسلمت(4).
- ونجد ان الراوي الوحيد الذي حدث وروى حديثا في البول قائما هو عمر بن الخطاب الذي روى حديثا وبين فيه الحكمة والفلسفة للبول في حال القيام فقال: البول قائما احفظ للدبر(5).

وعلى اي حال فان كلام عبدالله بن دينار في ابن عمر وكذا نفي موضوع التبول في
حالة القيام عن الخليفة عمر بن الخطاب ونسبته الى رسول الله (ص) فلسفة عمر في هذا

-
- 1- سنن ابن ماجة 1: 112، كتاب الطهارة باب «14» باب في البول قاعدا ذيل ح309.
 - 2- موطا مالك 1: 65 كتاب الطهارة باب «31» باب ما جا في البول قائما وغيره ح 112.
 - 3- سنن الترمذي 1: 17 كتاب الطهارة باب «8» باب ما جا في النهي عن البول قائما ح 12،
وسنن ابن ماجة 1: 112 كتاب الطهارة باب «14» باب في البول قاعدا ح308.
 - 4- سنن الترمذي 1: 18 كتاب الطهارة باب «8» باب ما جا في النهي عن البول قائما ح12.
 - 5- فتح الباري 1: 262، ارشاد الساري 1: 277 و شرح صحيح مسلم 3: 165.

الموضوع، كل ذلك يدلنا على ان بين هذه الموارد المذكورة علاقة وثيقة. والجدير بالذكر ان هذه المسألة قد طرحت بعد وفاة الرسول (ص) وفي حياة عائشة، وقد دار النقاش حوله فبعض نفى نسبتها الى الرسول، والاخر اثبته، واما عائشة فقد التزمت بالدفاع عن الرسول وقامت تفند وتستنكر هذه الاحاديث وتقول: من حدثكم ان النبي (ص) كان يبول قائما فلا تصدقوه، ما كان يبول الا قاعدا (1) وقال الترمذي بعد تخريجه لهذا الحديث: حديث عائشة احسن شي في الباب واصح(2). ومن الذين صادق على صحة رواية عائشة واكدها ابن حجر العسقلاني في شرحه على صحيح البخاري(3).

9 . قصة سحر النبي (ص):

ومن مفتريات الصحيحين على رسول الله (ص) رواية لم يروها احد سوى عائشة بنت ابي بكر وصارت بعد ذلك ذريعة وحرية بايدي اعدا الاسلام (4) للنيل من الاسلام ورسوله، هي قصة سحر النبي (ص).

وخلاصة القصة هي: ان الساحر اليهودي لبيد بن الاعصم من بني زريق سحرالنبي (ص) حتى كان الرسول (ص) يتخيل انه يعمل عملا ما، بينما هو لا يعمل، وتارة يتصور انه قد اتى احدى زوجاته في حين لم يكن هكذا، واليك النص: عن عائشة قالت: سحر النبي (ص) حتى انه يخيل اليه انه يفعل الشي وما فعله، حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه ثم قال (ص): اشعرت يا عائشة ان الله قد

1- سنن الترمذي 1: 17 كتاب الطهارة باب «8» باب ما جا في النهي عن البول قائما ح 12، سنن ابن ماجه 1: 112 كتاب الطهارة باب «14» باب في البول قاعدا ح 307، سنن النسائي 1: 26 كتاب الطهارة باب البول في البيت جالسا.
2- سنن الترمذي 1: 17 كتاب الطهارة ذيل حديث 12.
3- فتح الباري 1: 261.
4- للمؤلف كتاب آخر باسم الاسلام يرد فيه على شبهات اعدا الدين.

قلت: وما ذاك يا رسول الله (ص)؟
قال (ص): جاني رجلان فجلس احدهما عند راسي، والاخر عند رجلي، ثم قال احدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟
قال: مطبوب قال: وما طبه؟ قال: ليبيد بن الاعصم اليهودي من بني زريق.
قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر.
قال: فاين هو؟ قال: في بئر ذي اروان.
قال: فذهب النبي (ص) في اناس من اصحابه الى البئر، فنظر اليها وعليها نخل، ثم رجع الى عائشة، فقال: والله لكان ماها نقاعة الحنا، وكان نخلها رؤوس الشياطين.
قلت: يا رسول الله افاخرجته؟ قال (ص): لا، اما انا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت ان اثور على الناس منه شرا، وامر بها فدفنت(1).
رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة، واخرج البخاري حديثا آخر في الموضوع نفسه عن عائشة انها قالت: سحر الرسول الله (ص) حتى كان يرى ياتي النساء ياتيهن.
قال سفيان: وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان(2).
اقول: نرجع الجواب والتحقيق في هذه القصة التي وردت في كثير من الكتب التاريخية والتفسيرية، وحتى انها دست احيانا في بعض كتب الشيعة، الى محله واوانه

1- صحيح البخاري 4: 148 كتاب بد الخلق باب صفة ابليس وجنوده، وج 7: 177 كتاب الطب باب هل يستخرج السحر وص 176 و178 باب السحر، وج 8: 22 كتاب الادب باب قول الله تعالى: (ان الله يامر بالعدل) وص 103 كتاب الدعوات باب تكرير الدعاء، صحيح مسلم 7: 1719 كتاب السلام باب «17» باب السحر ح 43.
2- صحيح البخاري 7: 177 كتاب الطب باب هل يستخرج السحر.

المناسب، واما هنا فنكتفي بما ذكره احد المحققين المعاصرين في هذا الشأن فقال:
والاحاديث المروية حول هذا الموضوع كلها تنص على ان النبي (ص) قد اثر به السحر الى حد اصبح يخيل اليه انه قد صنع الشي وما صنعه، ولازم ذلك ان يكون قد فقده، ومن الجائز عليه في تلك الحالة ان يتخيل انه قد صلى ولم يصل، وان يتخيل شيئاً يتنافى مع نبوته بل مع انسانيته في فعله، وبالرغم من اني قد اخذت على نفسي ان لا اهاجم احدا في هذا الكتاب، ولكني اراني مضطرا في هذا المورد وارى لزاما علي ان اقول:

ان الذين رووا هذا الحديث ودونوه هم المسحورون لانهم لا يفكرون بما يكتبون، ويروون ولا يتثبتون، وكيف يصح على نبي لا ينطق عن الهوى كما وصفه ربه ان يكون فرية للمشعوذين؟ فيفقد شعوره ويغيب عن رشده ومع ذلك يصفه القرآن بانه لا ينطق الا بما يوحي اليه، ويفرض على الناس اجمعين ان يقتدوا باقواله وافعاله، والمسحور قديقول غير الحق ويفعل ما لا يجوز فعله على سائر الناس، وقد يخرج عن شعوره وادراكه(1).

مفتريات على النبوة

تقدمت في الصفحات الاولى من الكتاب الاشارة الى الايادي الخفية والقائمة التي شوهدت صورة الانبياء الحقيقية في التوراة والانجيل وحرفوها حسب اهوائهم وشهواتهم، وتبريرا لاعمالهم وافكارهم الجائرة والفسادة فانهم صوروا الانبياء بانهم زناة وجناة، خمارين وشهوانيين.

فاتهموا نبيا بانه تعدى على امراة محصنة وذات بعل، فحملت منه سفاحا، ولكي يذفن ما اقترفه من ذنب ويحفظ حيثيته خطط جريمة قتل زوجها(2).

1- دراسات في الكافي وصحيح البخاري: 247.

2- راجع 191 ص هامش 1 و2.

وافتروا على نبي آخر بانه سكر وزنى بابنتيه وحملتا منه سفاحا ووضعنا ابنتين(1).
وكذبوا على نبي آخر بانه صناع للخمر واعتبروا هذه معجزة له(2).
ومما يجدر الايما اليه ان رسول الاسلام لم يخرج عن دائرة التهم والافتراءات، حتى نسبوا اليه اكاذيب صنعتها ايدي الجائرين المتسلطين، فلفقوا عليه المفتريات وعموا عنه الحقائق والفضائل.

وحيث كان الله قد ضمن صيانة القرآن من التحريف والتغيير فثبتت تلك الاتهامات بين المسلمين على هيئة الحديث لا آي القرآن فتقبلها اكثر المسلمين العامة بقبول حسن واعتمدوا عليها واعتبروها جميعها صحيحة.
ونسرد اليك ايها القارئ هذه المفتريات على نبينا (ص) من خلال اربعة مجموعات، وبعد ذلك نختم بحثنا بتفنيدها ونوضح لك دواعي وضعها:

1 . الغناء في بيت النبي (ص).

روى البخاري ومسلم احاديثا تتضمن ان الجواري كن يطربن ويعزفن في بيت الرسول (ص) وهو جالس يستمع اليهن، فدخل ابو بكر فتاذى من هذا المشهد فزجرهن فقال له رسول الله (ص): دعهن يا ابا بكر فان اليوم يوم عيد وسرور . وكذلك يرويان بان عائشة كانت تلعب بالدمية ورسول الله (ص) حاضر في البيت، وكانت بعض صديقاتها ياتينها ويلعبن معها، فما ان يدخل الرسول (ص) في بعض الاحيان داره، حتى يقمن ويتسترن حيا منه، ولكن الرسول يدعوهن ويرغبهن بمواصلة اللعب، واحيانا كان يرسل واحدة تلو اخرى للعب مع عائشة .
وهاك ايها العزيز النصوص المشيرة التي اخرجها مؤلفا الصحيحين:

1- راجع ص 190 هامش 1 .
2- راجع ص 192 هامش 1 و2 .

- 1 . عن عائشة: ان ابا بكر دخل عليها والنبي (ص) عندها يوم فطر او اضحى، وعندها قينتان تغنيان بما تقاذفت الانصار يوم بعث فقال ابو بكر: مزمار الشيطان مرتين .
؟ فقال النبي (ص): دعهما يا ابا بكر، ان لكل قوم عيدا، وان عيدنا هذا اليوم(1) .
بيان: وردت في الحديث كلمة القينة اي الامة غنت اولم تغن كما صرح بذلك ابن الاثير(2) وكذا وردت لفظة تقاذقت الانصار اي كن يقرآن تلك الاشعار التي كان الانصار قبل الهجرة يتقاذفونها ويسبون بها بعضهم بعضا .
- 2 . وايضا رويت هذه الرواية بلفظ آخر عن عائشة انها قالت:
دخل علي ابو بكر وعندي جاريتان من جواري الانصار تغنيان بما تقاولت الانصار يوم بعث قالت:
وليستا بمغنيتين فقال ابوبكر: امزامير الشيطان في بيت رسول الله (ص)؟ وذلك في يوم عيد فقال رسول الله (ص): يا ابا بكر ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا(3) .
- 3 . وقالت ايضا: ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى، تدفان وتضربان، والنبي (ص) متغش بثوبه، فانتهرهما ابوبكر، فكشف النبي (ص) عن وجهه فقال: دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد، وتلك الايام ايام منى(4) .
ورواها عنها عروة بلفظ آخر فقال:

- 1- صحيح البخاري 5: 86 كتاب الفضائل فضائل اصحاب النبي (ص) باب مقدم النبي واصحابه المدينة، مسند احمد بن حنبل 6: 99.
- 2- النهاية 4: 135 مادة قين.
- 3- صحيح البخاري 2: 21 كتاب العيدين باب سنة العيدين لاهل الاسلام، صحيح مسلم 2: 607 كتاب صلاة العيدين باب «4» باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ح16.
- 4- صحيح البخاري 4: 225 كتاب المناقب باب قصة الحبش وقول النبي (ص) يا بني ارفده، وج2: 29 كتاب العيدين باب اذا فاته العيد يصلي ركعتين، صحيح مسلم 2: 608 كتاب صلاة العيدين باب «4» باب الرخصة في اللعب ح17.

4. عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله (ص) وعندي جاريتان تغنيان بغنابعات فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل ابو بكر فانتهرني، وقال: مزمارة الشيطان عند النبي (ص) رسول الله (ص) وقال: دعهما، فلما غفل، غمزتهما فخرجتا(1).
5. وقالت ايضا: كنت العب بالبنات عند النبي (ص) وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله (ص) اذا دخل يتقمعن منه، فيسريهن الي فيلعبن معي(2).
- وروى البخاري هذا الحديث في موضعين من كتابه الادب المفرد(3).
- نكتة توضيحية: روى البغوي حديثا آخر في كتابه المصابيح(4): عن عائشة انها قالت: رجع رسول الله (ص): من غزوة تبوك اوحنين ومعها بنات لعب.
- ولا يخفى ان كلتا الغزوتين تبوك وحنين وقعتا بعد فتح مكة وفي الايام الاخيرة من حياة الرسول (ص) ولو سلمنا صحة الحديث لكان عمر عائشة آنذاك خمسة عشر سنة الى عشرين.

2. النبي (ص) يدعو عائشة لمشاهدة الرقص.

- اخرج الصحيحان ان بعض مهاجري الحبشة كانوا يلعبون في فنا مسجد الرسول، فدعا النبي (ص) زوجته عائشة لتشهد الاحباش، وتارة كانت عائشة هي التي تسال

- 1- صحيح البخاري 2: 20 كتاب العيدين باب الحراب والدرق يوم العيد، وج 4: 47 كتاب الجهاد باب الدرقي، صحيح مسلم 2: 609 كتاب صلاة العيدين باب «4» باب الرخصة في اللعب ح19.
- 2- صحيح البخاري 8: 37 كتاب الادب باب الانبساط الى الناس، صحيح مسلم 4: 1890 كتاب فضائل الصحابة باب «13» باب في فضل عائشة ح 81، مصابيح السنة 2: 443 كتاب النكاح باب «10» باب عشرة النساء ح2420.
- 3- الادب المفرد للبخاري: 13 باب «172» باب مسح راس الصبي ح 370 وص 427 باب «627» باب لعب الصبيان بالجوز ح1304.
- 4- مصابيح السنة للبغوي 2: 452 كتاب النكاح باب «10» باب عشرة النساء، ح2442.

رسول الله (ص) ليسمح لها بذلك والرسول (ص) تارة يجعل رداه حائلا بينها وبين من كان في المسجد من الرجال، وتارة اخرى كان يقف هو امامها وكانت عائشة ترتقي كتف الرسول وتتنظر مشهد الاحباش الذين كانوا يرقصون.

ولكن الخليفة عمر بن الخطاب لم يكن يرض بلعب الاحباش، ورقصهم حتى وردانه رآهم فاهوى الى الحصى في فنا المسجد ليرميهم بها ويصدهم عن لعبهم، فمنعه الرسول (ص) وقال لهم: امنا بني ارفدة، فشجعهم الرسول (ص) ورغبهم الى ما كانوا يفعلون.

واليك بعض النصوص التي رويت في الصحيحين:

1. ان عائشة قالت: لقد رايت رسول الله (ص) يوما على باب حجرتي، والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله (ص) يسترني بردائه لكي انظر الى لعبهم، ثم يقوم من اجلي حتى اكون انا التي انصرف.

فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو(1).

2. وقالت عائشة: رايت النبي (ص) يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة: وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر فقال النبي (ص): دعهم، امنا بني ارفدة يعني من الامن، وانا جارية، فاقدروا الجارية العربية الحديثة السن«(2).

والجملة الاخيرة في الرواية وانا جارية فاقدروا الجارية العربية الحديثة السن اوردها

مسلم(3).

1- صحيح البخاري 1: 123 كتاب الصلاة باب اصحاب الحراب في المسجد، وج 7: 48 كتاب النكاح باب نظر المرأة الى الحبش ونحوهم من غير ريبة، صحيح مسلم 2: 609 كتاب صلاة العيدين باب «4» باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه ح18.
2- صحيح البخاري 2: 29 كتاب العيدين باب اذا فاته العيدين يصلي ركعتين، وج 4: 225 كتاب المناقب باب قصة الحبش، صحيح مسلم 2: 608 كتاب صلاة العيدين باب «4» باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في ايام العيد ح17.
3- انظر صحيح مسلم في الهامش السابق.

وفي حديث آخر اخرجه البخاري وردت جملة: فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع

اللهو(1).

3 . وعن عروة عن عائشة قالت: وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فاما سألت النبي (ص) واما قال (ص): تشتهين تتظرين؟ فقلت: نعم، فاقامني وراه، خدي على خده، وهو يقول:

دونكم يا بني ارفدة، حتى مللت، قال: حسبك؟ قلت: نعم، فقال: فاذهبي(2).

4 . وعنها ايضا قالت: جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد، فدعاني النبي (ص)، فوضعت راسي على منكبه، فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا التي انصرف عن النظر اليهم(3).

بيان وتوضيح: قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: يزفنون: من الزفن يعني الرقص(4).

وقال ابن من يابى في كتابه فتح المنعم: دونكم اي الزموا لعبكم، وارفدة هم اجداد الحبش(5).

قال القسطلاني: ان ذلك . رقص الاحباش وضربهم الدف بعد قدوم وفد الحبشة وان قدومهم كان سنة سبع ولعائشة يومئذ ست عشرة سنة(6).

اقول: في مقولة عائشة التي قالت: «فاقامني وراه وخدي على خده لكي انظر

-
- 1- راجع ص 249 هامش 1.
 - 2- صحيح البخاري 2: 20 كتاب العيدين باب الحراب والدرق يوم العيد، وح 4: 47 كتاب الجهاد باب الدرق، صحيح مسلم 2: 609 كتاب صلاة العيدين باب «4» باب الرخصة في اللعب ح19.
 - 3- صحيح مسلم 2: 609 كتاب صلاة العيدين باب «4» باب الرخصة في اللعب ح20.
 - 4- شرح صحيح مسلم للنووي 6: 186.
 - 5- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم لابن من يابى 1: 197 ح447.
 - 6- ارشاد الساري 8: 118.

لعب الاحباش» سؤال وهو: هل كانت عائشة اطول من النبي حتى وضعت خدها على خده، ام انها وضعت شيئاً تحت قدميها، ام كانت تصعد منكب النبي (ص) حتى تضع الخد على الخد؟

ولما كانت عائشة قد سكنت من بيان ذلك ونحن كذلك لم نكن حاضري الواقعة ولذلك فاننا نعتذر عن الجواب الصريح.

5 . وكذلك قالت عائشة: للعابيين، وددت اني اراهم قالت: فقام رسول الله (ص) وقمت على الباب انظر بين اذنيه وعاتقه، وهم يلعبون في المسجد(1).

6. وعن ابي هريرة قال: بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله بحرابهم، اذ دخل عمر بن الخطاب فاهوى الى الحصبا يحصبهم بها فقال له رسول الله (ص): دعهم ياعمرو(2).

3. اشتراك النبي (ص) في الحفلات النسائية.

يظهر من احاديث اخرى وردت في الصحيحين متظافرة بان الرسول (ص) كان يشترك في الاعراس والحفلات النسائية، ويستمتع الى اغاني الفتيات اللاتي كن يمتعن المستمعين الحاضرين بصوتهن العذب.

وتارة كان يشترك في الاعراس التي تقوم العروس بخدمة الرجال واستقبالهم وكان رسول الله (ص) يحظى بخدمة العروس له. واليك النصوص في ذلك:

1. خالد بن ذكوان قال: قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء، جاء النبي (ص) فدخل حين بنى على، فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضرين بالدف

-
- 1- صحيح مسلم 2: 610 كتاب صلاة العيدين باب «4» باب الرخصة في اللعب ح21.
2- صحيح البخاري 4: 46 كتاب الجهاد والسير باب اللهو بالحراب، صحيح مسلم 2: 610 كتاب صلاة العيدين باب «4» باب الرخصة في اللعب ح22.

وبندبن من قتل من آبائي يوم بدر اذ قالت احدهن: وفينا نبي يعلم ما في غد فقال (ص): دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين(1).

اخرجه البخاري في موضعين من صحيحه ونقله المؤرخون واصحاب التراجم عن البخاري في ترجمة الربيع بنت معوذ بن عفراء(2).

تبريرات سخيفة:

ولما شوهد الحديث محفوف بالتفاهة والركاكة وتباينه لمقام النبوة والنبي (ص) ما لا يقبله العقل بدا القوم في تبرير هذه الحكايات التافهة، وذلك لانه لا يعقل ان يشترك مؤمن ملتزم او عالم ديني حتى لو كان في ادنى درجة من العلم والدين في الاعراس، ويجالس النساء اللاتي تزين بوسائل التجميل من الملابس وغيرها الماكياج، وهن يعزفن ويرقصن امامه وهو يراهن ويستمتع الى ما يغن ين ويبيدي رايه في ما عزفن.

نعم، ان الانسان العادي الذي لم يملك تلك المعنوية العالية والغيرة الدينية الشديدة يمتنع من هذا المشهد فكيف بنبي ورسول؟
ولذا ترى ابن حجر يخطط اعدارا هي اقبح من الذنب نقلها عن الكرمانى تبريرا وتوجيها لهذا الحديث فقال: قال الكرمانى للحديث احتمالات ووجوه عديدة منها ان هذه القصة محمولة على ان ذلك كان من ورا حجاب، او كان قبل نزول آية الحجاب، او جاز النظر للحاجة او الامن من الفتنة، انتهى.
واضاف ابن حجر: والاخير هو المعتمد والذي وضح لنا بالادلة القوية ان من خصائص النبي (ص) جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها(3).

- 1- صحيح البخاري 5: 105 كتاب الفضائل باب في ذيل باب شهود الملائكة بدر، وج 7: 20 كتاب النكاح باب ضرب الدف في النكاح والوليمة.
- 2- الطبقات الكبرى 8: 447 قسم ذكر نسا بني مالك بن النجار ترجمة الربيع بنت معوذ، الاستيعاب 4: 1837 ترجمة الربيع بنت معوذ بن عفرا الانصارية رقم 3336.
- 3- فتح الباري 9: 166.

اقول: اما الاحتمال الاول الذي اورده ابن حجر اي اشتراك النبي (ص) في تلك الحفلات من ورا حجاب ففي غاية البطلان، وان منطوق الحديث «فجلس على فراشي كمجلسك هذا» يكشف زيف هذا الاحتمال.
واما الاحتمال الثاني: ان القصة وقعت قبل نزول آية الحجاب، ويدل كلام ابن حجر هذا على ان النبي (ص) لم يكن متورعا من الاعمال المشينة والقبائح التي كانت متداولة في ايام الجاهلية.
وهذه السخافة مردودة بالادلة والشواهد التاريخية وغيرها مما ذكرناها في ماسبق، وسنورد عليك شواهدا اخرى فيما ياتي بان النبي (ص) حتى في ايام طفولته وقبل البعثة كان يتبرأ من اعمال وعادات العرب في الجاهلية فكيف بعد ان بعث نبيا وفي اواخر حياته؟
واضف الى هذا فانه لم نستكشف من كلام الربيع ان القصة وقعت قبل نزول آية الحجاب او بعده.
واما الاحتمال الاخير الذي احتمله وقواه ابن حجر بانه من خصائص النبي (ص) جواز الخلوة بالمرأة الاجنبية والنظر اليها فهو مرفوض وغير مقبول خاصة على رأي الشيعة الذين

انكروا ذلك عليهم، وفندوا هذه الافكار وهذه الفكرة من الناحية الاجتماعية اصبحت ذريعة وحرية بيد اعدا الدين للاغارة على الاسلام وشخصية النبي (ص).
قال سهل بن سعد: دعا ابو اسيد الساعدي رسول الله (ص) في عرسه، وكانت امراته يومئذ خادمهم وهي العروس، قال سهل: تدرون ما سقت رسول الله (ص)، انقعت له تمرات من الليل فلما اكل سقته اياه(1).

1- صحيح البخاري 7: 32 كتاب النكاح باب حق اجابة الوليمة والدعوة، وص 33 باب النقيع والشراب الذي لا يسكر في العرس، وص 138 كتاب الاشربة باب الانتباز في الاوعية والتور، وص 139 باب نقيع التمر ما لم يسكر، صحيح مسلم 3: 1590 كتاب الاشربة باب « 9 » باب اباحة النبيذ الذي لم يشتد ولم يعد مسكرا ح86.

واخرج البخاري ايضا عن ابي حازم، عن سهل قال: لما عرس ابو اسيد الساعدي دعا النبي (ص) واصحابه، فما صنع لهم طعاما ولا قرية اليهم الا امراته ام اسيد، بلت تمرات في تور من حجارة من الليل فلما فرغ النبي من الطعام اماتته له فسقته تتحفه بذلك(1).

4 . شغف النبي (ص) بالغناء.

ومجموعة رابعة من تلك الاحاديث الموضوعه، تحدثنا بان الرسول (ص) كان مولعا بالغناء واستعمال آلات الغناء في حفلات العرس الى حد الشغف، واذا اشترك في حفلة ولم يكن فيها من الغناء شي، فكان يتدخل في الموضوع ويؤكد عليهم الغنا والتغني في الاعراس. ويظهر من الروايات انه كان يرحب بالجوارى والنساء المغنيات اللاتي كن مقبلات من عرس، ويقوم لهن واقفا ويقول: قسما بالله انتن من احب الناس الى.
ولنقرا معا هذه النصوص:

عن عائشة قالت: انها زفت امرأة الى رجل من الانصار فقال نبي الله (ص): يا عائشة ما كان معكم لهو، فان الانصار يعجبهم اللهو(2) اخرج البخاري.
واما ابن ماجة اخرج حديثا آخر باسناده عن ابن عباس قال: انكحت عائشة ذات قرابة لها من الانصار فجا رسول الله (ص) فقال: اهديتم الفتاة؟ قالوا: نعم قال: ارسلتم معهامن يغني؟ قالت: لا فقال رسول الله (ص): ان الانصار قوم فيهم غزل، فلو بعثتم معها من يقول: اتيناكم اتيناكم فحيانا وحياكم(3).

وعن انس بن مالك قال: ابصر النبي (ص) نساءً وصبيانا مقبلين من عرس فقام

1- صحيح البخاري 7: 33 كتاب النكاح باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس.

2- صحيح البخاري 7: 38 كتاب النكاح باب النسوة اللاتي يهدين المرأة الى زوجها.

3- سنن ابن ماجة 1: 612 كتاب النكاح باب «21» باب الغناء والدف ح1900.

ممتناً فقال: اللهم انتم من احب الناس الي(1).

واخرج ابن ماجة حديثاً قريباً الى الحديث المذكور رواه عن انس بن مالك انه قال: ان

النبي (ص) مر ببعض المدينة فاذا هو بجوار يضرين بدفهن ويتغنين ويقلن:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال النبي (ص): اللّٰه يعلم اني لاحبكن(2).

تقييم الاحاديث المذكورة.

نظرة في ما سلف:

لقد ذكرنا في الفصول الاربعة المذكورة بعض التهم القبيحة والاكاذيب التي افتروها على رسول اللّٰه (ص)، وشوهوا بها شخصية الرسول الطاهرة ولطخوا بها كرامته وقدسيته، ان هذه الاحاديث المزورة رويت جميعها في الصحيحين وسائر المراجع المعتمدة والمعتمدة عند اهل السنة والجماعة، وصححوها على انها اصول اسلامية قطعية لا تقبل النقد والخذش، حتى انتشرت وشاعت بين اتباعهم فتقبلوها بالرضا، وعلى اساسها اصدروا فتاويهم. وقد رتبناها على اربعة مجموعات وتعرضنا لذكر احاديث كل مجموعة منها في فصل مستقل.

1 . الغناء في بيت الرسول (ص).

2 . الرسول يدعو زوجه عائشة الى حفلة الرقص.

3 . اشتراك الرسول في الحفلات النسائية.

1- صحيح البخاري 5: 40 كتاب فضائل اصحاب النبي باب قول النبي للانصار انتم احب الناس الي، وج 7: 32، كتاب النكاح باب ذهاب النساء والصبيان الى العرس، صحيح مسلم 4: 1948

كتاب فضائل الصحابة باب «43» باب من فضائل الانصار ح174.

2- سنن ابن ماجة 1: 612 كتاب النكاح باب «21» باب الغناء والدف ح1899.

4 . شغف الرسول بالطرب والغناء.

وفي هذا الفصل نتعرض حسب الترتيب المسبق الى تقييم هذه المواضيع.

فضيحة رواتها:

في البد نسال رواة هذه المختلقات:

من هو هذا النبي الذي تغني الفتيات والنسا في داره وبمرأى منه، ويطرين
باشعاروقصائد هجائية مما كانت تهجو كل طائفة خصمها، وتنسب كل واحدة منها الى
الاخرى الاباطيل والاراجيف، والنبي يدعوهم الى المزيد من التغني واذا اراد احد مثل ابي
بكر ان يمنعهم يقول له: دعهم يا ابا بكر وشانهم؟
ومن هو هذا النبي الذي يرى اناسا يرقصون في فنا مسجده، وعوضا من منعهم وردعهم
يحثهم على الاكثار واذا اراد عمر بن الخطاب ان يصددهم عن فعلهم قال له: دعهم يا عمر
وشانهم؟

ومن هو هذا الرسول الذي يدعو زوجته الشابة الى مشاهدة الرقاصين الاجانب فتنظر
اليهم الى ان تشبع عينها من مشاهدتهم؟
ومن هو هذا الرسول الذي يتصدر الحفلات النسائية ويجلس بينهن ويستمتع غنائهن
وربما ابدى رايه في اغنيتهن؟

واي مبعوث هذا الذي يشترك في حفلة زواج، والعروس بنفسها تقوم بخدمة الرجال؟
واي رسول هذا الذي يتناسى وظائفه الرسالية ويفكر في الاعراس التي تقام هل انهم
دعوا مغنية ام لا؟ واذا لم يدعوا احدا يحثهم على ذلك، ومن ثم هو الذي يقوم بتعيين نوع
الاغنية: اتيناكم اتيناكم فحيانا وحياكم؟

ومن هو هذا النبي الذي يقف ممثلا امام نسا راجعات من العرس ويخاطب الفتيات
اللاتي يعزفن ويغنين ويقول لهن: والله اني لاحبكن وانكن لاحب الناس الي؟

وأبي وأي.

هذه القصص وامثالها التي حيكت حول الرسول (ص)، واخرجوها على شكل حديث صحيح، وتناقلوها عبر قرون متمادية فانها مصداق واضح لقول الشاعر:

إذا كان رب البيت بالدف مولعا فشيمة اهل البيت كلهم الرقص

ولكن الحق والحق اقول: وما آفة الاخبار الا رواتها.

البراهين القطعية تفند صحة الاحاديث:

فلو رجعت ايها المطالع البصير الى المواضيع التي اسلفنا ذكرها في اول بحثنا حول الانبياء عامة ورسول الله (ص) خاصة، وبرهنا بالايات والاحاديث الصحيحة، على اثبات زيف هذه الاحاديث وجعليتها، ولرايت ان سيرة الرسول قبل بعثته التي تطرقنا اليها بالاجمال هي الاخرى تدل على بطلان صحة هذه الاحاديث الموضوععة، واستتكرت هذه الاباطيل التي نسبت اليه (ص).

ولكي يتجلى اختلاقية هذه الاحاديث التي دلست ونسبت الى النبي (ص) اكثر وضوحا، نذكر لك بعض الاحاديث الاخرى التي تشير الى سيرة الرسول (ص)، واهمية المساجد في الاسلام، ونتطرق ايضا الى سرد بعض الروايات المروية في حرمة الغناء، وحرمة النظر الى الاجانب والاجنبيات، في مصادر العامة المعتمدة عليها والمعتبرة عندهم في هذه المسألة.

حول الرسول (ص):

روي في المصادر التاريخية المعتمدة عن محمد بن الحنفية عن ابيه الامام علي (ع) قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، كل ذلك يحول الله تعالى بيني وبين ما اريد من ذلك، ثم ما هممت بسؤ حتى اكرمني الله برسالته.

قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي باعلى مكة: لو ابصرت لي غنمي حتى

ادخل مكة، فاسمر بها كما يسمر الشباب، فخرجت اريد ذلك حتى اذا جئت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدف والمزامير فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا فلان تزوج ابنة فلان فجلست انظر اليهم، فضرب الله على اذني ففتمت، فما ايقظني الا مس الشمس، فرجعت الى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما صنعت شيئا، ثم اخبرته الخبر. ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك، فقال: افعل فخرجت فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة، فجلست انظر فضرب الله على اذني، فما ايقظني الا مس الشمس، فرجعت الى صاحبي فاخبرته الخبر ثم ما هممت بعدها بسؤ حتى اكرمني الله برسالته(1).

اقول: ان هذا النبي الذي حضى في صغره بالطاف وعنايات ربانية، ومنع بالفعل عن الاشتراك في مجالس اللهو، ولم يخطر على باله ولو للحظة واحدة ان يشارك اهل الجاهلية في عملهم، فكيف به بعد ان نال رتبة النبوة وبعث رسولا وهو يشرف على الشيب ان يغير سيرته، فيشترك في حفلات النساء وتخدمه العروس الشابية، ويدعوزوجته لمشاهدة الاجانب؟ ليست هذه الاعمال من تراث الجاهلية وعاداتها؟ ليست هذه الاعمال قد منعت شرعا، وجا تحريمها في الاسلام وعلى لسان النبي الكريم (ص)؟

الغناء في القرآن:

ثم آيات عديدة ومتظافرة تدل دلالة واضحة على حرمة الغناء والموسيقى، وقد اشار الى ذلك المفسرون، نذكر منها ثلاث آيات على سبيل التمثيل لا الحصر:

1. قوله تعالى: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل به عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزا اولئك لهم عذاب مبين)(2).

1- مستدرک الصحیحین 4: 245 کتاب التوبة والانابة، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 13: 207، تاريخ الطبري 2: 279، الكامل في التاريخ لابن اثير 2: 38، البداية والنهاية 2: 287، السيرة الحلبية 1: 122.
2- لقمان: 6.

سئل ابن مسعود عن قوله تعالى: (لهو الحديث)، فقال: الغناء والله الذي لا اله الا هو يردد لها ثلاثا.

وورد ايضا تفسير لهو الحديث بالغناء عن: ابن عباس، ابن عمر، عكرمة، سعيد بن جبير، مجاهد، مكحول، ميمون بن مهران، قتادة، النخعي، عطا والحسن البصري(1).

2. قوله تعالى: (واستفز من استطعت منهم بصوتك)(2).

قال ابن عباس ومجاهد: المراد من صوت الشيطان هو الغناء وآلاته(3).

3. قوله تعالى: (افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون)(4).

عن عكرمة، عن ابن عباس انه قال عقيب الاية: ان المراد من سامدون هو

الغنا والتغني.

وذلك لان سمد في لغة بني حمير هو الغناء، يقولون: سمد لنا اي غنى لنا(5).

الغناء في السنة:

واما الروايات الدالة على حرمة الغناء فهي متواترة ومتظافرة ايضا نكتفي بذكر بعضها

على سبيل المثال:

-
- 1- تفسير الطبري 21: 39 41، تفسير القرطبي 14: 51 53، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 3: 451 450، تفسير الدر المنثور 5: 159 160، ارشاد الساري 9: 171.
 - 2- الاسراء: 66.
 - 3- تفسير الطبري 15: 81، تفسير القرطبي 10: 288، تفسير ابن كثير 3: 49، تفسير اللوسبي 15: 111.
 - 4- النجم: 60.
 - 5- تفسير الطبري 28: 48، تفسير القرطبي 17: 122، تفسير ابن كثير 4: 260، تفسير الدر المنثور 6: 132.

1. عن ابي موسى الاشعري مرفوعا: من استمع الى صوت غناء، لم يؤذن له ان يستمع الروحانيين فقيل: ومن الروحانيون يا رسول الله؟ قال (ص): قرا اهل الجنة(1).

2. عن علي (ع) مرفوعا: تمسخ طائفة من امتي قرده، وطائفة خنازير، ويخسف

بطائفة، ويرسل على طائفة الريح العقيم، بانهم شربوا الخمر ولبسوا الحرير واتخذوا القيان

وضربوا بالدفوف(2).

3. عن انس مرفوعا: بعثني الله رحمة وهدى للعالمين وبعثني بمحق المعازف والمزامير

وامر الجاهلية(3).

4. روى ابن ماجة في سننه عن مجاهد: كنت مع ابن عمر فسمع صوت طبل، فادخل اصبعيه في اذنيه ثم تتحى حتى فعل ذلك ثلاث مرات ثم قال: هكذا فعل رسول الله (ص) (4) وقريب منه رواه ابي داود في سننه (5).
هذه كانت خلاصة ما ورد في ذم الغناء وحرمة من الايات والروايات.
ولكن سؤال يطرح:

ان مثل هذا الرسول الذي نزلت عليه هذه الايات، وجا بسنة تحرم الغناء، وهو القائل: من يستمع الغناء يحرم من صوت قرا الجنة، وان استماع الغناء والتغنى سبب لمسح الفضائل الانسانية، وتراه يسد اذنيه باصبعيه بمجرد ان يطرق اذنه صوت الغناء، ويتحى عن ذلك المكان بسرعة فهل يعقل لمثل هذا الرسول ان يسمح للفتيات بالغناء، وضرب الدف في داره، بحيث لو اراد احد ان يصدهن عن ذلك يمنعه ويقول: دعهن وشانهن؟

- 1- تفسير القرطبي 14: 54.
- 2- تفسير الدر المنثور 2: 324.
- 3- المصدر: ص 323.
- 4- سنن ابن ماجة 1: 613 كتاب النكاح باب «21» باب الغناء والدف ح 1901.
- 5- سنن ابي داود 4: 281 كتاب الادب باب كراهية الغناء والزرع ح 4924.

حول المساجد:

للمساجد في الاسلام شان كبير ومقام رفيع واهمية قصوى، واية بقعة في الارض اطلق عليها اسم المسجد يحرم على المسلمين تنجيسه، والمكث فيه جنبا، والقيام باي عمل ينافي حرمة المسجدية.

ولقد شرع رسول الله (ص) احكاما في المساجد مما تدل على رفعة شانها واهميتها:

1. قال (ص): جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراركم وبيعتكم وخصوماتكم ورفع اصواتكم واقامة حدودكم وسل سيوفكم (1).

والمراد من ذلك تمكين هؤلاء من المسجد، واما جلب الاطفال الى المساجد لتعويدهم على العبادة ومراقبتهم فليس فيه منع، بل انه مستحسن وانه من اصول التعليم والارشاد.

2. وفي مراعاة حرمة المساجد قال (ص): من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد،

فليقل: لا اداها الله اليك، فان المساجد لم تبين لذلك (2).

3 . وقال (ص): اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين(3).

- 1- سنن ابن ماجه 1: 247 كتاب المساجد والجماعات باب « 5 » باب ما يكره في المساجد ح750.
- 2- سنن ابي داود 1: 128 كتاب الصلاة باب في كراهية انشاد الضالة في المسجد ح 473، السنن الكبرى للبيهقي 2: 447 كتاب الصلاة باب كراهية انشاد الضالة في المسجد.
- 3- صحيح البخاري 1: 121 كتاب الصلاة باب اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين، وج 2: 70 كتاب الصلاة باب ما جا في التطوع مثنى مثنى، صحيح مسلم 1: 495 كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب «11» باب استحباب تحية المسجد بركعتين ح69 70، سنن الترمذي 2: 129 كتاب الصلاة باب «233» باب اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين ح316.

مسجد النبي (ص):

هذه الاحاديث التي ذكرناها ومئات غيرها، كلها تبين مكانة المسجد بشكل عام في شتى بلاد العالم، واما مكانة مسجد النبي (ص)، فانه يمتاز على غيره بكثرة الفضيلة والقداسة وان بعض المذاهب الاسلامية يعتبرون ان مسجد النبي (ص) هو ثاني مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام من حيث المكانة والفضيلة، وهناك مذاهب اخرى تعتقد بان مكانة المسجد النبوي اجل وارفع شانا حتى من المسجد الحرام(1).

ولهذه القداسة والفضيلة نقرا في تاريخ حياة النبي (ص) ان الرسول (ص) كان يقضي اوقات مناجاته مع الله ونفحات الدعا في مسجده الذي هو اشرف بقاع الارض، والذي كان ينزل فيه جبرئيل على النبي بالوحي الالهي، حتى انه كان له ورد خاص ودعا خاص حين دخول المسجد وعند الخروج منه.

روى الترمذي باسناده عن فاطمة بنت الحسين (2) عن فاطمة الزهرا بنت رسول الله (ص) قالت: كان رسول الله (ص) اذا دخل المسجد صلى على محمد وآله وسلم وقال: رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي ابواب رحمتك، واذا خرج صلى على محمد وآله وسلم وقال: رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك(3).

واخرج البخاري ان النبي اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى ركعتين ثم يدخل داره(4).
واذا عرفت ايها القارئ الكريم احكام المساجد ومكانتها وخاصة مسجد

1- الفقه على المذاهب الاربعة 1: 284 291 كتاب الصلاة باب ما يكره فعله في المساجد وما لا يكره.
2- هي فاطمة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب الهاشمية، وزوجها هو ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب الهاشمي.

- 3- سنن الترمذي 2: 127 كتاب الصلاة باب «234» ما يقول عند دخول المسجد ح314.
4- صحيح البخاري 4: 94 كتاب الجهاد والسير باب الصلاة اذا قدم من سفر.

النبي (ص) من خلال مطالعتك للاحاديث التي مرت عليك، فهل يعقل ان سيدالمرسلين (ص) يسمح للاعباش ان يشتغلوا بالرقص واللعب في فنا مسجده؟ فيا ترى ان النبي الذي خص دعا ماثورا احتراما لكيان المسجد لدخوله والخروج منه، هل يسمح لاحد ان يعلن في المسجد بفقد ضالة له؟

هذا النبي (ص) الذي امر الناس باقامة ركعتي صلاة التحية في المسجد اجلالا للمسجد وحفظا لقداسته ومكانته، ومنع الاطفال والمجانين والاشرار الذين يخلون بنظم المسجد ولا يراعون آداب المسجد من دخولهم المساجد، وو.

فهل من عاقل يعقل ويقبل بان حفلة رقص واعمال الشعبة اقيمت في هذا المسجد الذي هو انبل بقاع الارض شرفا واعلاها كرامة والنبي (ص) يقف متفجرا عليهم بل ويحث الرقاصين على فعلهم ويشجعهم بقوله: «دونكم يا بني ارفدة»، حتى اذا اراد احد مثل الخليفة ابي بكر او عمر ان يصددهم عن الرقص واللعب ويحثو في وجوههم حصب المسجد ينهاه النبي ويقول له: دعهم يا وشانهم؟

النظر الى الاجنبي والاجنبية:

نظر الرجل الى المرأة الاجنبية ونظر المرأة الى الرجل الاجنبي من المسائل التي حرمها الدين الاسلامي، وهذه من الامور الفطرية التي لا يحتاج اثباتها الى آية او حديث، ومع هذا الوضوح البين نورد لك ايها القارئ . حديثين استخرجناهما من كتب العامة ومصادرهم المعتبرة:

- 1 . اخرج السيوطي في تفسيره عن سنن ابي داود(1) والترمذي(2) والنسائي(3)

1- سنن ابي داود 4: 63 كتاب اللباس باب في قوله تعالى: (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) ح4112.
2- سنن الترمذي 5: 94 كتاب الادب باب « 29 » باب ما جا في احتجاب النساء من الرجال ح2778.
3- السنن الكبرى للنسائي 5: 393 كتاب عشرة النساء باب « 108 » نظر النساء الاعمى ح9241 / 1.

والبيهقي(1) بسندهم عن ام سلمة قالت: كنت وميمونة عند رسول الله (ص) اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه، فقال رسول الله (ص): احتجبا عنه فقالت ام سلمة: قلت: يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا؟ فقال (ص): افعميا وان انتما؟ الستما تبصرانه؟(2).

2. اخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، ان رسول الله (ص) قال: اياكم والدخول على النسا فقال رجل من الانصار: يا رسول الله افرابت الحمو زوجة الاخ؟ قال (ص): الحمو الموت(3)، لعل الحماة تكون سببا في الانزلاق الى المعاصي والذنوب.

فانت . ايها المطالع العزيز . بامكانك بعد التمعن في اهمية هذا الموضوع، ومعرفة حرمة النظر الى الاجنبي او الاجنبية، ان تقيم هذه الاحاديث المزورة على النبي (ص) بانه كان يجتمع مع النسا في حفلات العرس، والعروس بنفسها تقوم بخدمته وخدمة الرجال، او انه كان يشجع زوجته الشابة عائشة بنت ابي بكر ويدعوها للتفرج على الرقاصين.

فهل هذه القضايا الملفقة على النبي تبدو صحيحة؟ بينما تراه هو الذي امر زوجه العجوزتان ام سلمة وميمونة ان تحتجبا حتى عن رجل ضرير واعمى حتى لا تقع عينيهما عليه وان كان هو لا يراهما؟؟ هذا النبي الذي ينهى المسلمين ان يدخلوا على النسا الاجنبيات حتى ولو كن حماة لهم، ويمنعهم من ان يتوسطونهن، كيف يسوغ لنفسه ان يتوسط النسا في حفلاتهن؟ او يبيح للعروس وهي في ليلة زفافها ان تخدمه وتخدم اصحابه الكرام؟

-
- 1- السنن الكبرى للبيهقي 7: 91 كتاب النكاح باب مساواة المرأة الرجل في حكم الحجاب والنظر الى الاجانب.
- 2- تفسير الدر المنثور للسيوطي 5: 42.
- 3- صحيح البخاري 7: 48 كتاب النكاح باب لا يخلون رجل بامرأة الا ذومحرم، صحيح مسلم 4: 1711 كتاب السلام باب «8» باب تحريم الخلوة بالاجنبية والدخول عليها.

عائشة تلعب بالبنات عند الرسول (ص):

جاءت احاديث عديدة في كتب اهل السنة تؤكد النهي القاطع عن التماثيل وصناعتها، وهذه الاحاديث داخضة للحديث المشهور عندهم بان عائشة كانت تلعب بالبنات بمرأى من النبي (ص).

ولكي نتقف على حقيقة التزييف في احاديث عائشة نورد بعضها:

- 1 . اخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسندهما عن ابن عباس، عن ابي طلحة قال: قال النبي (ص): لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاوير(1).
 - 2 . وانفرد البخاري بالتخريج بسنده عن الاعمش، عن مسلم قال: كنا مع مسروق في دار يسار بن نمير فرأى في صفته تماثيل فقال: سمعت عبدالله قال: سمعت النبي (ص) يقول: ان اشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون(2).
 - 3 . واخرجا معا باسنادهما عن عائشة انها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فقام النبي (ص) بالباب فلم يدخل، فقلت: اتوب مما اذنبت.
- قال (ص): ما هذه النمرقة؟ قلت: لتجلس عليها وتوسدها قال (ص): ان اصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: احيوا ما خلقتم، وان الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة(3).

-
- 1- صحيح البخاري 7: 214 كتاب اللباس باب التصاوير، صحيح مسلم 3: 1665 كتاب اللباس والزينة باب «26» باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب وصورة ح84.
 - 2- صحيح البخاري 7: 215 كتاب اللباس باب عذاب المصورين يوم القيامة، صحيح مسلم 3: 1670 كتاب اللباس والزينة باب «26» باب تحريم تصوير صورة الحيوان وان الملائكة لا تدخل ح 98 .90
 - 3- صحيح البخاري 3: 83 كتاب البيوع باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، وج 7: 216 كتاب اللباس باب من كره القعود على الصورة وباب لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة، صحيح مسلم3: 1669 كتاب اللباس والزينة باب « 26» باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ح96.

واخيرا ايها القارئ النبيه، ماذا تقول في نبي قال: ان ملائكة الرحمة لا تدخل بيتا فيه التماثيل والصور، وقال: ان المصورون الذين يصنعون التماثيل هم اشد الناس عذابا يوم القيامة، وان هذا النبي الذي راي صورا على نمارق في بيته فابى ان يدخله فهل يصح لهذا النبي ان يجيز لزوجه ان تمتلك بناتا وتلعب بهن، ويجلس هو شاهدا على حضورينات الجيران في بيته، وهن يلعبن مع زوجته بهذه المجسمات والتماثيل؟

اسباب جعل هذه الاحاديث.

وهكذا فرغنا من سرد مجموعة كبيرة من آيات القرآن الكريم والروايات التي تفند وتدحض الاحاديث المدسوسة في كتب اهل السنة والتي تكيل الاكاذيب والافتراءات التي لفقت على النبي (ص).

والان نقف معا على معرفة الدواعي والاسباب لجعل هذه الاحاديث والاكاذيب حتى ينكشف الغل والغش اكثر وضوحا، ويتعرف القارئ على احاديث اهل السنة المترامية في كتبهم، حسب ما تسمح لنا ظروف كتابنا ونذكر من بين جميع العلل والاسباب والدواعي ثلاثة منها فقط:

1 . تبرير الفساد الخلقي في البلاط الخلفي:

عندما يدرس الواحد منا التاريخ دراسة متقنة ودقيقة، يعرف ان الحكومات التي تسلطت على رقاب المسلمين وخاصة منذ خلافة عثمان كانت تعيش فسادا اخلاقيا وانهارا دينيا كبيرا، وان الزمرة التي تشكل منهم بلاط الحكم وتقلدوا اكثر المناصب وامارة الولايات هم في الغالب من المنتسبين لعثمان الخليفة، الذين لم يتورعوا من الولوج في اي عمل فاسد ومخالف لاصول الدين والاخلاق وما كانوا يمتنعون من ذلك حتى طغت عليهم الملاهي بشكل ملحوظ، من معاقرة الخمر وتعاطيها وسهرات الطرب والغناء بحيث شاع الالتها بالطرب والغناء في اكثر البلاد الاسلامية خاصة مكة والمدينة اللتان تعتبران اهم مدن الاسلام، ومنهما انتقلت الى سائر المدن الاخرى.

ولما كانت الطغمة الحاكمة وبلاط الخلافة تحكم باسم الدين والشريعة، وترى

نفسها ممثلا ونائبا عن المتقلد خلافة رسول الله (ص)، وحيث كانت تتظاهر بتلك الامور وهم خلف الستار ملتهمون بالعيش المرفه ويستمتعون بالبذخ ومجالس الانس والطرب وحفلات معاقرة الخمر والتشدد بها، فلذلك رات ان تتذرع بخلق اخبار مفتراة واحاديث مختلقة وينسبونها الى رسول الله (ص) تحجيجا لمقامه وتصغيرا لشانه حتى تبرر اعمالها وجرائمها التي كانت تمارسها.

وهكذا خدشوا شخصية النبي (ص) وطعنوا فيها وانزلوها الى ادنى مرتبة لكي تسنح لهم الامور، ويتقبلهم المسلمون من دون خلاف.

فعلى هذا فاذا كان النبي (ص) يشترك في الحفلات النسائية ويسمع الغناء، بل ويشجع الجوارى على ذلك، او انه يدعو زوجته الشاب لمشاهدة حفلات رقص الرجال، او يحضر هو واصحابه الاعراس وتقوم العروس بنفسها بخدمته واستقباله وفما المانع من ان يشترك خلفاؤه وممثلوا الخليفة في مجالس الانس والطرب الليلية وينصتوا الى اصوات المغنيات؟ وهذه الامور التي نسبوها الى النبي (ص) تفتح باب الفساد الخلقي والتكليف بالاهوا لهؤلاء الهواة على مصراعيه، وذلك مع حرصهم على التصدي للزعامة وزمام المسلمين. فهذه المفتريات على النبي تسد افواه الرجال الذين يشجبون هذه المناكير ويحتجون على فاعلها لان بزعمهم الرسول كان كذلك . حاشاه (ص).

صور من مناكير بلاط الخليفة:

بالرغم من المحاولات التي قام بها المحدثون والمؤرخون لاختفا مساوى اصحاب رسول الله ومخازيهم، ويستروا معايب الخلفاء والامراء، ويعتموا على نقاطضعفهم، فان بعض الهفوات والنقاط التي تحكي هذه المخازي قد تسربت منهم ووصلت الينا .

ونستعرض لك . ايها القارئ النبيه . نماذجا وصورا مما نقلته كتب الحديث والتاريخ، والتي تعطيك لمحة واضحة وصورة كاشفة عن الاوضاع السائدة في عهد ذي النورين عثمان ومعاوية.

1 . ظهر في عهد عثمان ومعاوية عشرات المغنين والمطربين، كابن سيحان،، طويس، ابن عائشة، ذي الاصبع، وسائب خاثر وو ويمكنك ان تعبر عنهم بمغنيي ومطربي البلاط الخليفي، اذ انهم كانوا مخصوصين بالبلاط او بذات الخليفة(1).

2 . قال ابو الفرج الاصفهاني في ترجمة ابن سيحان المطرب المعروف:

وهو احد المعاقرين للشراب والمحدودين فيه وكان مع بني امية كواحد منهم، الا ان اختصاصه بل ابي سفيان وآل عثمان خاصة كان اكثر، الوليد بن عثمان ابن الخليفة ومؤانسته اياه اكثر من سائرهم لانهما كانا يتنادمان على الشراب.

وقال: كان الوليد بن عثمان يشرب مع الوليد بن عتبة بن ابي سفيان وابن سيحان، وكان يخمر، فاصابه من ذلك شي شديد حتى خيف عليه، وشق النسا عليه الجيوب، فدعي له

ابن سيحان، فلما رآه قال: اخرجني عني وعن اخي، فخرجني فقال له: الصبح يا ابا عبدالله اي حان وقت شراب الصبح فجلس مفيفا فذلك حيث يقول ابن سيحان:

بابي الوليد وام نفسي كلما
بدت النجوم وذر قرن الشارق(2)

3. روى ابو الفرج ايضا قصة مجالسة معاوية مع ابنه يزيد وسائب خاثر المغني المعروف بالمدينة ثم اوصى ابنه يزيد ان يكثر بره وصلته لسائب خاثر، ولا تفوته مجالسته، وهكذا روى: بان اشرف معاوية على منزل يزيد ابنه فسمع صوتا اعجبه، واستخفه السماع فاستمع قائما حتى مل، ثم دعا بكرسي فجلس عليه واشتهى الزيادة

1- راجع ترجمتهم في موسوعة الاغاني لابي الفرج الاصفهاني الاجزا 1 و2 و3.
2- الاغاني 2: 243 و244.

الصفحة
298

فاستمع بقية ليلته حتى مل، فلما اصبح غدا عليه يزيد فقال له:
يا بني من كان جليسك البارحة؟

قال: سائب خاثر قال: فاختر له يا بني من برك وصلتك فما رايت بمجالسته باسا(1).

4. ويروي كذلك عن ابن الكلبي يقول: قدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم، فامر حاجبه بالاذن للناس فخرج الاذن ثم رجع فقال: ما بالباب احد فقال معاوية: واين الناس؟ قال: عند ابي جعفر، فدعا بيغلته فركبها ثم توجه اليهم، فلما جلس فغنى سائب خاثر فسمع منه معاوية وطرب، واصغى له حتى سكت وهو مستحسن لذلك(2).

5. اخرج الامام احمد بن حنبل في مسنده عن عبدالله بن بريدة قال: دخلت انا وابي على معاوية فاجلسنا على الفرش، ثم اتينا بالطعام فاكلنا، ثم اتينا بالشراب فشرب معاوية، ثم ناول ابي ثم قال: ما شربته منذ حرمه رسول الله (ص)(3).

6. روى المسعودي في تاريخه: وغلب على اصحاب يزيد بن معاوية وعماله ما كان يفعل من الفسوق، وفي ايامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وظهر للناس شرب الشراب(4).

7. روى احمد بن حنبل: ان الوليد بن عقبة والي عثمان على الكوفة واخوه من امه كان معاقرا ومدمنا للشراب، ومولعا بالزنا ومشهورا بذلك، فشرب الخمر ليلة ودخل المسجد ليؤم الناس لصلاة الصبح، فصلى بهم اربعا ثم التفت الى المامومين فقال: هلا ازيدكم؟ حتى انه كان في الصلاة الكذائية فانشد ابياتا عشقية قال:

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

1- الاغاني 8: 324.

2- الاغاني 8: 324.

3- مسند احمد بن حنبل 5: 347.

4- مروج الذهب 3: 77.

الصفحة

299

ومن ثم تقيا في محرابه، فوصل خبره هذا الى اخيه الخليفة عثمان في مركز الخلافة الاسلامية، فامر أمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب ان يجري عليه الحد، بمحضر من اخيه الخليفة عثمان.

فلما تولى سعيد بن العاص امانة الكوفة من بعده ابي سعيد ان يصعد المنبر الا ان يغسل ويطهر، لانه قد صعد الوليد الفاسق والنجس(1).

نعم، فما دام ابن الخليفة الوليد بن عثمان يروم السهرات معاقرا للشراب والطرب، او اخ الخليفة الوليد بن عقبة وواليه على الكوفة يوم الناس في صلاة الصبح وهو سكران وان الخليفة ذاته معاوية في مركز الدولة الاسلامية ومهبط الوحي وعند المسجد النبوي يحضر مجالس السمر والطرب، ويصغي الى صوت المغني ويطرب به، ويشرب الشراب على مائدته ويدعو ضيفه الى اخذ نخب من الخمر ومادام هذا داب الخلفاء وبلاطهم وذوبهم، حيث ياتون بالمنكرات على مرأى من الناس فلا سبيل الى توجيهه وتبرير هذه المخازي وتلطيف الراي العام لقبول هذه المساوي الا لبس الفرو مقلوبا واتهام الرسول (ص) والافترا عليه بمثل ما هم يعملون حتى يتلقى الناس فعلهم بالمشروعية، واليك . ايها القارئ . بعض المفتريات على النبي (ص) لكي يبرروا معاقرتهم للخمر:

اهداء الشراب الى النبي (ص):

عند ما كنت اقوم بدراسة المفتريات التي حيكت ضد النبي (ص) تأملت في السياسة التي اتخذها الخلفاء، ومن ناحية اخرى كنت افكر في السبب لتفشي الخمر ومعاقرته وشربه بين الزمرة الحاكمة آنذاك، فبدرت الي فكرة لابد انهم اباحوا كل ذلك بعدان اختلفوا على رسول الله (ص) في هذا المجال كما هو دابهم في جعل الحديث حديثا ينسبون اليه شرب الخمر!!

1- مسند احمد بن حنبل 1: 144، انساب الاشراف للبلاذري 5: 33، مروج الذهب للمسعودي 2: 346 344، الاغانى لابي الفرج الاصفهاني 5: 126.

ولذلك قمنا بالفحص والتتقيب في كتبهم الحديثية حتى تمكنا من العثور على حديث في هذا المجال يرويهِ الامام احمد بن حنبل في مسنده، وعرفنا ان النبي (ص) لم ينج من هذه الفرية والتهمة ايضا، ولكن وضاعي الحديث والدساسين لما وجدوا ان اكدويتهم بان الرسول (ص) قد عاقر الخمر في اواخر حياته لم تتفق مع الايات المحكمة الصريحة التي نزلت بشأن تحريم الخمر، لذلك تراهم نسبوا الفرية لرسول الله (ص) الى عهد ما قبل التحريم. ورووا عن نافع بن كيسان انه قال: ان اباه كيسان اخبره انه كان يتجر في الخمر في زمن النبي (ص)، وانه اقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق يريد بها التجارة، فأتى رسول الله (ص)، فقال: يا رسول الله جئتك بشراب جيد، فقال رسول الله (ص): يا كيسان انها حرمت بعدك(1).

هذا ما روه في مجال معاقره النبي (ص) الخمر وافتروا عليه ذلك باسلوب رزين ودقيق لما كانوا يتسامرون ويتعاطون الخمر وربما نوافيك في الفصول القادمة ايضا ببعض الاخبار المدسوسة على رسول الله (ص).

2 . تضخيم دور عائشة.

اما السبب الاخر في الافتراء وجعل الاكاذيب ونسبتها الى رسول الله (ص) هو تضخيم دور عائشة، ونفوذها وتقويته، وذلك لانه وقعت في ايامها حوادث وقضايا كبيرة، مثل قتل الخليفة عثمان ذي النورين في عقر داره، ونشوب حرب كبرى فرضتها على خليفة آخر راح ضحيتها آلاف المسلمين، ولا يكون لها شبيهه في تاريخ الاسلام(2)، وكان المحرك الاول من وراء هذه الحوادث هو عائشة بنت ابي بكر وزوجة

1- مسند احمد بن حنبل 4: 335.

2- ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد ان عدد قتلى واقعة الجمل 25000 مسلم وزاد اليعقوبي على 300000 مسلم، بينما نلاحظ ان عدد قتلى المسلمين في جميع حروبهم الى قبل اندلاع هذه الواقعة لم يصل الى عدد قتلى هذه الواقعة، ولمزيد الاطلاع على نتائج هذه الواقعة راجع كتاب عائشة على عهد علي.

الصفحة

301

النبي (ص)!!.

افترى ان قيادة واقعة الجمل وسائر الحوادث، والافتا بقتل الخليفة (1) وانقياد الناس لهذه القيادة والتزامهم باوامرها، وفتح جبهة اخرى ضد امام عصرها اي الخليفة الحق أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع)، فهل كل هذه الامور تستدعي ان تضخم شخصية عائشة وموقعها عند الناس، الى حد بحيث اذا امرت بشي كان لامرها التأثير الكبير في نفوس المسلمين، ويتلقوا امرها فريضة دينية، والدفاع عن عائشة وحمایتها جهاد في سبيل الله؟ وهكذا ترفعوا في تضخيم شخصية عائشة وعظموها شأنها بحيث اختفت مخالفتها الصريح القرآن وامره (2)، ومعاندتها لامر رسول الله (ص) (3) خلف استار هذا التضخيم، حتى ان برؤوها وعملها عن النقد والمؤاخذة.

وافضل ذريعة تمسكوا بها في هذا المجال هو ان يصوروا لعائشة صورة مضخمة، ويرسموا شخصيتها مكبرة بحيث قالوا: ان النبي (ص) كان ينقاد لها، وكان يتحمل الصعاب والمتاعب في سبيل رغباتها، وكان يقف لتضع عائشة راسها على كتفه لتتفرج على رقص الاحباش، وانه لم يكشف عن تعبه حتى تمل هي وتنزل وان دل هذا على شي فانه يدل على انهم يريدون بذلك ابراز العلاقة الشديدة عند رسول الله (ص) بالنسبة الى عائشة، وكان يسعى ان يلبي رغباتها ولم يبرز اي نوع من الضجر والملل، حتى وان بلغت ثمانية عشر عاما فانها كانت تلعب بالبنات، ولكي يطيب قلبها ويرضيها فكان يدعو الجوارى ويشجعهن على اللعب مع عائشة.

1- الفتوى التاريخية التي اصدرتها ام المؤمنين عائشة اذ اعلنت على الملا بان عثمان قد كفر، وخرج عن الدين، وارث بعد اسلامه، فلا بد من قتله واعدامه، وهذه الفتوى هو قولها: اقتلوا نعثلا فقد كفر وسياتيك فيما بعد مصدر هذه الفتوى، فراجع.
2- قال تعالى مخاطبا نسا النبي: (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) الاحزاب: 33.

3- راجع كتب الحديث والتاريخ والعقائد فيما ورد الكلام حول حرب الجمل وخروج عائشة محاربة خليفة رسول الله علي بن ابي طالب (ع).

وبناءً على هذه الامور فلا يحق لاي احد ان ينتقدها ويشجب اعمالها، خاصة بالنسبة الى فتواها في قتل الخليفة: اقتلوا نعتلا فقد كفر (1)، اذ انها حكمت على عثمان بالارتداد والتهور، فذلك يجب اعدامه، وما كان احد يتردد فيما قالته عائشة وراته، اويبيدي معارضته لرايها.

وبعد فترة من الزمن وبعد ان تم العمل بفتوى عائشة بقتل عثمان تغيرت الامور على عكس هواها فنهضت ثائرة لدم عثمان الذي افتت بكفره بالامس واعلنت حربا ضد امير المؤمنين، واستنفرت الناس بفتواها الثانية التاريخية: الا ان عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتله فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم(2).

وبعد هذا التضخيم لشخصية عائشة هل يجوز لاحد ان يتخلف عن فتواها ولايقاثل الامام علي (ع)؟

فهل يحق لاحد ان يشجب حكمها ويستنكر عليها بانك بالامس حكمت بارتداد عثمان وفرضت قتله واليوم تطالبين بثاره؟ وو؟

هذا العامل الذي ذكرناه ضمن دواعي جعل الاحاديث ونسبتها الى رسول الله (ص) ليس امرا يمكن دركه وفهمه من خلال التأمل في الاحاديث المذكورة فحسب، بل ثمة احاديث اخرى تدل على ذلك تضخيم دور عائشة بوضوح وعيان، ولكي يتضح ذلك اكثر نذكر حديثين على سبيل المثال مما اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي في سننه:

1 . اخرج الصحيحان باسنادهما عن عائشة زوج النبي (ص) انها قالت: كنت انام بين يدي رسول الله (ص) ورجلاي في قبلته مزاحمة لسجده فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي، فاذا قام بسطتهما(3).

1- تاريخ الطبري 4: 477، الفتوح لابن اعثم الكوفي: 2: 225، تاريخ ابن اثير 3: 87، شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد 2: 77، النهاية لابن اثير 4: 156.
2- الامامة والسياسة 1: 8، شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد 2: 499.
3- صحيح البخاري 1: 107 كتاب الصلاة باب الصلاة على الفراش وص 136 باب التطوع. في خلف المرأة وص 138 باب هل يغمز الرجل امراته عند السجود لكي يسجد، وج 2: 81 كتاب الصلاة باب ما يجوز من العمل في الصلاة، صحيح مسلم 2: 367 كتاب الصلاة باب «51» باب الاعتراض بين يدي المصلي ح 272، وسنن النسائي 2: 67 كتاب الصلاة باب الرخصة في الصلاة خلف النائم.

واخرج ابن سعد في طبقاته الكبرى عن عائشة قالت: فضلت على نساء النبي (ص) بعشر، قيل: وما هن يا ام المؤمنين؟ فعددت فضائلها ثم قالت: وكان (ص) يصلي وانا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك باحد من نسائه غيري(1).

نستفيد من هاتين الروايتين:

اولا: ان استلقا عائشة وتمدها امام النبي (ص) وهو في حال الصلاة وغمزه اياها لم يكن على سبيل الصدفة والاتفاق، بل يظهر من قول عائشة بكونه فضيلة لها دون سائر نسائه، وان هذا العمل كانت تؤديه دائما وباستمرار، ولو كان مرة واحدة لم تكن فضيلة تفتخر بها ام المؤمنين على ضرراتها.

ثانيا: ان هذا الفعل يدل على اساتها الادب تجاه النبي (ص) وعدم اكرامها واجلالها للصلاة والعبادة ومن ناحية اخرى ترى ان هذا العمل هو تنزل وتحجيم لمقام النبوة والرسالة لان المؤمن والملتزم يانف ان يمزح ويتفكه وهو في الصلاة التي هي معراج المؤمن ومقام الابتهاال الى الله، ويغمز زوجته وهو في حال السجود، فكيف بخاتم الانبياء (ص)؟ والجدير بالذكر ان هذه الفرية مع انحطاط مفهومها وركاكتها، فيها اساءة ادب للنبي (ص) حين تعتبر احدى الفضائل التي فضلت عائشة على سائر نساء النبي (ص) وعلاقة النبي الشديدة بعائشة 2 . اخرج الترمذي باسناده عن عروة، عن عائشة قالت: كان رسول الله (ص) جالسا فسمعنا لغطا وصوت صبيان، فقام رسول الله (ص) فاذا حبشية تزفن والصبيان حولها فقال: يا عائشة تعالي فانظري، فجنبت فوضعت لحيي على منكب رسول الله (ص)

1- الطبقات الكبرى لابن سعد 8: 64 ترجمة عائشة.

فجعلت انظر اليها ما بين المنكب الى راسه، فقال لي: اما شبعت اما شبعت؟ قالت: فجعلت اقول: لا، لانظر منزلتي عنده اذ طلع عمر قالت:

فانفض الناس عنها قالت: فقال رسول الله (ص): اني لانظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر قالت: فرجعت(1).

وقد عرفت ايها القارئ ان هذه الرواية المزيفة والمختلقة تشير الى نقطتين:
الاولى: اختبار رسول الله (ص) في ان كم لعائشة من منزلة واحترام عنده، وقد صرحت الرواية:

كلما كان يقول النبي (ص): اما شبعت من مشاهدة الحبشية ورقصهن؟ تقول: لامتحنه واعرف منزلتي عنده.

الثانية: اختلاق فضيلة للخليفة عمر بن الخطاب الذي فر منه الناس وتفرقوا لماراوه قادما، حتى ان النبي يشيد بهذه الفضيلة تكريما لعمر يقول: اني لانظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر.

3 . اختلاق الفضائل للخلفاء:

العامل الثالث لوضع هذه الافتراءات السخيفة على النبي (ص)، وخلق هذه الخزعبلات، هو خلق فضائل للخلفاء واطهارهم بانهم الافضل.

ولتوضيح هذا نقول: لقد مر عليك في الجز الاول من كتابنا (2) ان معاوية بن ابي سفيان لما تسلط على الحكم ودامت خلافته عشرون عاما ولم يكن هناك منازع له في الحكم، اسس لجنة وكلفها وضع الاحاديث لصالح الخلفاء، وامر ولاته وعماله في اقصى البلاد الى اقصاها ان يقرؤوها على الناس في خطب صلاة الجمعة وينشروها بينهم.
ولم يدع معاوية في هذا المجال ذريعة الا استفاد منها، واستفرغ كل ما كان في وسعه من فكر وقوى في تحقيق هذه الامنية، حتى ان مرتزقته وعملاه لم يهنوا لحظة من مساعدته في ذلك، فاختلقوا فضائل للخلفاء حتى ولو كانت هذه الفضائل المزيفة تؤدي الى الالهانة بالرسول (ص) وتحجيم منزلته.

1- سنن الترمذي 5: 580 كتاب المناقب باب «18» باب مناقب عمر بن الخطاب ح3691.
2- راجع ص: 41.

والهدف من وضعهم هذه الاحاديث المزورة ان تكون بديلة عن الاحاديث النبوية الصحيحة التي تروي فضائل أمير المؤمنين الامام علي (ع)(1).

وطبقا لهذه الخطة تراهم يصورون الخليفة ابا بكر ذا قدسية وطهارة، وانه ذومعنوية عالية، وانه من المطهرين والصالحين، وانه لما دخل بيت رسول الله (ص) والفتيات يعزفن ويطربن اظهر انزجاره وانزعاجه للغنا، ويخاطب ابنته بحدّة ورسول الله (ص) حاضر: «امزمارة الشيطان في بيت رسول الله (ص)»؟ ومع ان النبي نهاه عن ذلك وقال: دعهن يا ابا بكر وشانهن، الا انه اظهر ورعه وتقواه في الموضوع، حتى قامت عائشة تشير على الفتيات ان يخرجن من البيت(2).

واختلقوا للخليفة عمر بن الخطاب فضيلة بانه لما دخل المسجد النبوي راي الحبشة يلعبون ويرقصون، فازدرا من ذلك، فهوى الى الارض واخذ حصبا ليحصبهم بهافصده النبي (ص) وقال له:(3).

فعلى هذا ليس يحق لرسول الله (ص) ان يقول بشان هؤلاء الذين بلغوا من الورع والقدسية والايمان والتمانة اعلى مراتبها(4)؟
ليس يحق لرسول الله (ص) ان يقول بشان الخليفة عمر بن الخطاب كلاما يعزز مقامه ويقدر منزلته ويعظم شخصيته حتى يقدمه على رتبة النبوة والرسالة؟ عمر(5).

-
- 1- وفي هذا المجال لنا بحث طويل ومفصل في كتاب البديل نرجو من الله موفق ان يوفقنا لاتمامه وطبعه المعرب.
 - 2- راجع المصادر ص: 276 - 277.
 - 3- راجع مصادرها ص: 280 هامش 2.
 - 4- سنن ابن ماجة 1: 15 المقدمة باب «6» باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح 43و42، سنن ابي داود 6: 201 كتاب السنة باب لزوم السنة ح 4670، مستدرک الصحيحين 1: 96 كتاب العلم باب عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي، سنن الدارمي 1: 57 المقدمة باب «16» باب اتباع السنة ح 95، مسند احمد بن حنبل 4: 126.
 - 5- سنن الترمذي 5: 580 كتاب الفضائل باب «18» باب مناقب عمر ح 3690.

ويمكنك من خلال دراسة هذه الاخبار والاحاديث المنسوبة الى رسول الله (ص) ان تقف على فضائل مختلفة بحق الخلفاء اكثر من ذلك.
واننا نشاهد احاديث مختلفة واكثر توهينا وازدرا من ذلك وضعتها ايدي العصبية المفرطة للحط من مقام النبي (ص) وتشويه شخصيته وفي هذا المجال نضيف على ما ذكر واحدة منها:

اخرج الترمذي والامام احمد بن حنبل باسنادهما عن بريدة قال: خرج رسول الله (ص) في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سودا فقالت: يا رسول الله اني كنت نذرت ان

ردك الله سالما ان اضرب بين يديك بالدف واتغنى فقال لها رسول الله (ص): ان كنت نذرت فاضربي، والا فلا.

فجعلت تضرب، فدخل ابو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فالقت الدف تحت استها، ثم قعدت عليه، فقال رسول الله (ص): ان الشيطان ليخاف منك يا عمر، اني كنت جالسا وهي تضرب فدخل ابوبكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي (1). فترى ان وضاعي هذه الاحاديث ارادوا تضخيم رتبة عمر بن الخطاب من الناحية التقوائية والمعنوية لتصبح اكبر من رتبة النبي (ص) وتراهم انهم يوحون بوضعهم هذه الاحاديث ان النبي (ص) وكذا زوجه واصحابه لم يتورعوا عن الاعمال السيئة، وكان (ص) راضيا بافعال شيطانية وان الشياطين يلعبون بين يديه وهو ينظر اليهم، ولكن ما ان دخل عمر حتى اختل نظم المجلس وفرت الشياطين من عمر فرارا.

1- سنن الترمذي 5: 580 كتاب المناقب، باب « 18»، باب المناقب مناقب عمر ح 3690، مسند احمد بن حنبل 5: 353.

موافقات عمر

بينما فيما سبق ان احدى دواعي تليفق الافتراءات على الرسول الكريم (ص) هي خلق فضائل للخلفاء، والتعظيم على مثالبهم ومساوئهم، وتطرقنا ايضا الى بعض الاكاذيب التي كانت تتناقلها الالسن، ويرويها البسطا والتي تشكل نوعية الثقافة والتفكير في المجتمعات الملوثة بالمغامرات المسائية، والليالي الحمراء التي كان يحييها الفساق واهل الفساد، وفي هذا الفصل يتعرف القارئ المحقق، والباحث على فضائل موضوعة اخرى ارقى درجة وارفع رتبة علميا، والمشتهرة في علوم الحديث والتاريخ بـ «موافقات عمر».

وملخص القول في الموافقات العمرية: هو ان الخليفة عمر كان يقترح مسائل عديدة على الله تعالى ورسوله، ومن ثم ينزل جبرئيل بية تؤيد ما اقترحه الخليفة عمر، واننا قد سمينا هذه الفضائل «بالفضائل العلمية» لان الوضاعين ارادوا بوضعهم هذا النوع من

الفضائل ان يرفعوا رتبة الخليفة، ويقربوها الى النبوة ويشركونه مع النبي في مسالة الوحي، ولما كان نزول الوحي القرآني من مختصات النبي ولا يشركه في ذلك احدفتوسلوا الى اختلاق طريقة اخرى غير النبوة ليشركوا عمر في مسالة الوحي مع النبي فقالوا: ان الخليفة عمر اذا احب ان يشرع حكما في مسالة ما، فما يبرح حتى ينزل الوحي على النبي (ص) موافقا ومطابقا للرأي الذي احب عمر تشريعه. وقالوا: ان الخليفة كان عالما بالاحكام مسبقا فيبيدي رايه، وبعدها ينزل الله آية تؤيد فكرة عمر، وتصحح رايه، واهيانا ينزل الله طبقا لما قاله عمر بتمام الفاظه وكلماته. فعلى هذا فان حرام الخليفة من تلقي الوحي القرآني مباشرة، لكنه لم يحرم من

وحي من نوع آخر غير الوحي القرآني.

واليك ايها القارئ نماذج من تلك الموافقات العمرية نذكرها على سبيل المثال:

1. صلى النبي (ص) على منافق مات، فهنا الخليفة عن ذلك، فلم يتعبد النبي بقوله، فانزل الله تعالى:

(ولا تصل على احد منهم مات ابدا)(1) تايدا لقول عمر وتقريبالفعل النبي (ص)(2).

2. كانت مضاجعة الزوجة في ليالي شهر رمضان محرمة كنهاره، فاضطجع الخليفة مع زوجه في احدى الليالي من شهر رمضان، وبعد ان استيقظ من نومه انزل الله تعالى: (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) (3) موافقة لرأي عمر وجواز للجماع ليلافي شهر رمضان(4).

3. دخل احد غلمان الخليفة عمر عليه منزله بدون ان يستاذن منه، فسا عمر هذا الفعل من غلامه، فجعل يدعو ربه ان يمنع ويحرم دخول الغلمان بدون اذن مولاهم عليهم، فانزل الله تعالى في ذلك آية الاستيذان(5)(6).

4. كان رسول الله يدعو الله كثيرا ليغفر الله لبعض المنافقين، فقال له عمر: يا رسول الله سوا عليهم، اي ان استغفارك وعدم استغفارك لهم سوا، فانزل الله تعالى: (سوا عليهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم)(7) تايدا وتصديقا لقول عمر، ونزل

1- التوبة: 84.

2- قال السيوطي: اخرج الحديث البخاري، مسلم، والبيهقي في الدلائل، الطبراني، ابن ماجة، البزاز، ابن جرير، ابوعلى وغيرهم راجع الدر المنثور 3: 266 ذيل الآية.

- 3- البقرة: 187.
 4- اخرج السيوطي في الدر المنثور 1: 197، عن الامام احمد وابن جرير وابن المنذر.
 5- النور: 58.
 6- فتح الباري 1: 401.
 7- المناقبون: 6.

الوحي بنفس الالفاظ التي قالها عمر(1).
 وحسب ما تتضمنه روايات اهل السنة ان الله عزوجل انزل آيات عديدة مؤيدة لراي الخليفة عمر، او مطابقة للمعنى الذي قصده عمر، او انزلها بنفس الالفاظ التي تفوه بها عمر وقد وردت هذه «الموافقات العمرية» في موارد عديدة من كتب الحديث والتاريخ والتفسير(2) وما ذكرناه في بحثنا هو نماذج فقط، والا فالموافقات العمرية المروية في كتب الجمهور هي اكثر بكثير مما اوردها لك هنا.
 قال ابن حجر العسقلاني:

وهذا دال على كثرة موافقته واكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر موافقة ولكن ذلك بحسب المنقول(3).

وقد جمع ابن حجر المكي سبعة عشر موردا من موافقات عمر(4).

وقال السيوطي: وقد اوصلها بعضهم الى اكثر من عشرين(5).

وقال العسقلاني ايضا:

وصحح الترمذي من حديث ابن عمر انه قال: ما نزل بالناس امر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر، الا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر، وهذا دال على كثرة موافقته وذكر قبله باسطر والمعنى وافقني ربي فانزل القرآن على وفق ما رايت لكن لرعاية الادب

- 1- اخرج السيوطي في الدر المنثور 3: 264 عن الامام احمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن ابي حاتم والنحاس وغيرهم.
 2- نحو مسند احمد بن حنبل 1: 24 و 36 و 53 و 456، وج 2: 148، وج 6: 223 و 271، مسند الطيالسي: 9 ح 41، تاريخ الخلفاء: 122، تفسير الدر المنثور 3: 170، وج 5: 213 و 214، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 1: 423، سيرة ابن هشام 4: 196.
 3- فتح الباري 1: 401.
 4- الصواعق المحرقة: 99 101.
 5- تاريخ الخلفاء: 122.

أسند الموافقة الى نفسه(1).

اقول: لا فرق في مقام الاستخفاف وتحجيم نبوة رسول الله (ص) ومرتبة الوحي والنبوة بين تليفق الاكاذيب والافتراءات التي نقلناها مسبقا وبين هذه الاكاذيب المسماة بموافقات عمر .

ولا يخفى ان رواية حضور النبي في حفلات النسا ونزول آية الحجاب تلبية لرغبة عمر، او ترغيب النبي الفتيات للغناء ونزول آية الاستيذان تاييدا لراي عمر وان النبي اجاز لزوجته ان تنظر الى رقص الاجانب وان آية (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) (2) نزلت تلبية لما رجاه عمر كل هذه منافية ومناقضة لمرتبة النبوة ولاتتناسب مع الرسالة. ولما كان التحقيق في جميع الموافقات العمرية ودراستها دراسة معمقة يحتاج الى كتاب مستقل وكبير وخارج عما نحن عليه من الاجاز، اکتفينا بدراسة وتحقيق حديثين فقط مما اخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما في باب الموافقات العمرية.

الايات الثلاثة:

حدثنا هشيم، عن حميد، عن انس قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)، وآية الحجاب، قلت يا رسول الله لو امرت نساك ان يحتجبين فانه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب(3) واجتمع نسا النبي عليه في الغيرة عليه فقلت لهن: (عسى ربه ان يطلقكن ان يبدهل أزواجا خيرا منكن)(4) فنزلت هذه الاية(5).

1- فتح الباري 1: 401.

2- البقرة: 125.

3- الاحزاب: 53.

4- التحريم: 5.

5- صحيح البخاري 1: 111 كتاب الصلاة باب ما جا في القبلة، وج 6: 24 كتاب التفسير ابواب تفسير سورة البقرة باب (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)، صحيح مسلم 4: 1865 كتاب الفضائل باب «2» باب فضائل عمر ح24.

نقل البخاري هذا الحديث في صحيحه في موردين بتفاوت يسير بينهما، في كتاب الصلاة وكتاب التفسير وكذا رواه مسلم في صحيحه باختلاف يسير. ترى في هذا الحديث ان الله انزل ثلاث آيات في قرآنه تلبية لرجا الخليفة عمر ورغبته:

1 . آية الحجاب .

2 . آية (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى).

3 . آية (عسى ربه ان يطلقكن).

واما بالنسبة الى هذا الحديث فسوف نقوم بدراسة ما يرتبط بية الحجاب فقط، وندع الحكم حول صحة القسمين الاخرين وسقمهما الى القارئ الباحث، وذلك لانه عندما يتضح ضعف شطر من حديث فان سائر الموارد تتبعه في الضعف والسقم.

تقييم الموافقة في آية الحجاب:

ان الحديث المذكور وان لم يتطرق الى ذكر نص الاية المنزلة الموافقة لراي عمرفي مسألة الحجاب، الا ان بعض الاحاديث الاخرى المروية بهذا الشأن والمنقولة ضمن فضائل عمر قد ذكرت نص آية الحجاب، اي (فاذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراحياب)(1)(2). ولكن الشواهد والادلة التي نذكرها تفند هذا الزعم بان تكون آية الحجاب نزلت تايبدا لقول عمر، وتثبت كون هذا الحديث موضوعا ومن اختلاقات الوضعين، وضعوه تشبيدا وتضخيما لمقام الخليفة عمر وتفضيلا له.

1- الاحزاب: 53.

2- مسند احمد بن حنبل 1: 456، شرح نهج البلاغة 12: 57، الرياض النضرة 2: 291.

1 . التضارب في الاحاديث:

احدى الادلة التي تثبت سقم القضية وضعفها هو التضارب والتناقض الموجود بين الاحاديث التي رويت بشأن نزول آية الحجاب.

ففي حديث عن عائشة قالت: كنت اكل مع رسول الله (ص) حيسا قبل ان تنزل آية الحجاب، ومر عمر، فدعاه فاكل فاصابت يده اصبعي فقال: حس الحجاب(1).

قال الطبري، حس بكسر السين والتشديد كلمة يقولها الانسان اذا اصابه ما مضه واحرقه كالجمره والضرية ونحوهما(2).

وفي حديث آخر اخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن عروة بن الزبير معللا سبب نزول آية الحجاب، وفيه ان عائشة زوج النبي (ص) قالت: كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله (ص):

احجب نساك قالت: فلم يفعل، وكان ازواج النبي (ص) يخرجن ليلا الى ليل قبل المناصع، خرجت سودة بنت زمعة وكانت امرأة طويلة فرأها عمر وهوفي المجلس فقال: عرفتك يا سودة على ان ينزل الحجاب قالت: فانزل الله آية الحجاب(3).
يظهر من هذين الحديثين ان الخليفة عمر كان على علم واطلاع مسبق بنزول آية الحجاب ولكن دعا الله عزوجل تعجيل وتسريع نزوله، ولذا كان يسعى في سبيل ذلك. ولكن هنا سؤال يبقى مختلجا في الذهن: في اي مكان نزلت آية الحجاب تلبية لرغبة عمر؟

-
- 1- شرح نهج البلاغة 12: 58، الرياض النضرة 2: 291.
 - 2- الرياض النضرة 2: 291.
 - 3- صحيح البخاري 8: 66 كتاب الاستئذان باب آية الحجاب، وج 1: 49 كتاب الطهارة باب خروج النساء الى البراز، صحيح مسلم 4: 1709 كتاب السلام باب « 7 » باب اباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الانسان ح18.

فالاحديث في هذا الشأن متضاربة ايضا، فبعضها يشير الى ان الاية نزلت بعد ان كرر عمر قوله لرسول الله (ص): ان رجالا يدخلون عليك بيتك، فكيف لا تامر زوجاتك بالاستتار عنهم؟
واخرى تقول: انها نزلت عندما لبي عمر دعوة النبي (ص) للاكل، واصابت يده اصبع عائشة فقال عمر: حس واحاديث اخرى تروي: انها نزلت عندما ارادت سودة بنت زمعة زوجة الرسول (ص) الخروج لقضاء الحاجة، ورأها عمر، وحيث كان حريصا على نزول آية الحجاب ناداها: عرفتك يا سودة.
فهذه التناقضات في قصة واحدة نزول آية الحجاب موافقة لراي عمر مصداق بارزودليل بين على صحة المثل المعروف الذي يقول: الكذاب كثير النسيان ولاحافضة للكذاب.

2 . احاديث اخرى تفند صحة هذا الحديث:

اخرجت في كتب اهل السنة ومصادرهم احاديث اخرى رويت بشأن نزول آية الحجاب تنكر وتفند نسبة نزول الحجاب تاييدا لقول عمر وتثبت كون الحديث العمري مزورا وموضوعا.

ونكتفي هنا بذكر حديث واحد اتفق عليه البخاري ومسلم ونقلنا ذلك عن انس:

عن ابي مجلز، عن انس قال: لما تزوج رسول الله (ص) زينب ابنة جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو كانه يتهيا للقيام، فلم يقوموا فلما راوه يقوم، قام من قام من القوم، وقعد بقية القوم، وان النبي جاء ليدخل فاذا القوم جلوس، ثم انهم قاموا، فانطلقوا فاخبرت النبي (ص) فجا حتى دخل، فذهبت ادخل، فالقى الحجاب بيني وبينه وانزل الله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن

من وراء حجاب(1) . (2).

واخرجه كذلك السيوطي عن الامام احمد والنسائي وابن جرير وابن منذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي(3).

وفي حديث آخر رواه البخاري عن انس قال: انه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله (ص) المدينة، فخدمت رسول الله عشرة حياته، وكنت اعلم الناس بشان الحجاب حين انزل، وقد كان ابي بن كعب يسالني عنه، وكان اول ما نزل في مبتى رسول الله (ص) بزینب ابنة جحش.

ثم ساق الحديث حسبما ذكرناه آنفا وقال: انزلت آية الحجاب في ليلة ابتنا النبي (ص)(4) بزینب.

والجدیر بالذكر ان في الحديث المستخرج عن انس بن مالك نقطة مهمة تجب الإشارة إليها وهي: ان انس كان يداب في الاستنكار وانتقاد من كان يعلق نزول آية الحجاب بحسب رغبة عمر، ويا ترى فلو كان هدف انس وغايته غير تنفيذ ودحض هذا القول، اتراه يؤكد في كلامه المتأخم للشدة والقوة في اللحن والتأكيد الزائد في بيان سبب نزول الآية ويقول: اني اعلم الناس بشان نزول آية الحجاب وذلك لانني خدمت رسول الله عشر سنوات وحتى ان ابي بن كعب المعروف بتضلعه في التفسير، والمشهور انه اعلم المفسرين كان يسالني عن شان نزول الآية.

ولما نقارن بين هذه الاحاديث، نرى ان انس بن مالك يقول: نزلت آية الحجاب

1- الاحزاب 53.

2- صحيح البخاري 6: 148 كتاب التفسير تفسير سورة الاحزاب، وج 8: 66 كتاب الاستئذان باب آية الحجاب، صحيح مسلم 2: 1050 كتاب النكاح باب « 15 » باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب ح93.

3- الدر المنثور 5: 213.

على رسول الله في ليلة ابتائنه وزفاهه بزینب بنت حش، ولا علاقة له اصلا باقتراح الخليفة عمر على الرسول ان يحجب نساءه، وكذلك لا علاقة له بالقصة التي تقول عندما كان الخليفة ياكل مع النبي (ص) فاصابت يده اصبع عائشة، او عندما راي سودة وهي خارجة لحاجة في احدى الليالي.

3 . سياق الآية:

وما يشهد على صحة قول انس بشأن نزول آية الحجاب في ليلة ابتنا النبي بزینب وعدم ارتباطها برغبة عمر هو سياق الآية، حيث ان الشطر الاخير من الآية الذي يشير الى مسألة الحجاب يتناسب مع الشطر الاول منها، ومجموع الآية يدل على انها نزلت في ليلة زواج النبي، وقد ذكرت الآية ما يتعلق بشأن النبي (ص) وزوجاته، وتعرضت لبيان احكام تتعلق بالمؤمنين وتعاملهم مع النبي (ص) وازواجه حيث قال تعالى: (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فاننتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من ورا حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن)(1).

فالملاحظ في الآية تناسب صدرها مع ذيلها حيث تذكر مسائل اخلاقية نحو الحضور في مجلس النبي وغيرها فعلى كل حال فان المفهوم الكلي للآية ومجموع ما في الآية يؤيد قول انس بن مالك ورايه.

الصلاة على المنافقين:

رويت في الصحيحين موافقة اخرى من موافقات عمر وهي قصة تحريم الصلاة على المنافقين، وذلك عند ما لبي النبي (ص) دعوة ابن عبدالله بن ابي للصلاة على جنازة ابيه عبدالله بن ابي راس المنافقين في المدينة فمنع عمر بن الخطاب النبي (ص) عن

ذلك، ولكن النبي ابي ولم يعتن بقوله واتجه للصلاة، فانزل الله آية تؤيد رأي عمر وتمنع الرسول من الصلاة على المنافقين قال تعالى:

(ولا تصل على احد منهم مات ابدا)(1).

وهاك نص الحديث:

عن ابن عمر قال: ان عبداللّه بن ابي لما توفي جاء ابنه الى النبي (ص)، فقال:

يارسول الله اعطني قميصك اكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له فاعطاه النبي (ص) قميصه، وقال: اذا فرغت فذنا، فلما فرغ آذنه فجا ليصلي عليه فجذبه عمر، فقال: اليس قد نهاك الله ان تصلي على المنافقين؟ فقال (ص): انا بين خيرتين قال: استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، فصلى عليه، فنزلت (ولا تصل على احد منهم مات ابدا)(2).

وروى عمر نفسه حديثا بهذا الشأن فيه اختلاف يسير عما نقله ابنه.

عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب انه قال: لما مات عبداللّه بن ابي بن سلول، دعي له رسول الله (ص)، ليصلي عليه، فلما قام رسول الله (ص)، وثبت اليه فقلت: يا رسول الله اتصلي على ابن ابي، وقد قال يوم كذا وكذا وكذا وكذا . اعدد عليه قوله؟ فتبسم رسول الله (ص) فقال: اخر عني يا عمر فلما اكرت عليه، قال: اني خيرت فاخترت، لو اعلم اني زدت على السبعين فغفر له لزدت عليها، قال: فصلى عليه رسول الله (ص)، ثم انصرف، فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة (ولا تصل على احد منهم مات ابدا الى وهم فاسقون).

1- التوبة: 84.

2- صحيح البخاري 2: 96 كتاب الجنائز باب الكفن في القميص الذي يكف اولا يكف، وج 6: 85 كتاب التفسير باب تفسير براءة، وج 7: 185 كتاب اللباس باب لبس القميص، صحيح مسلم 4: 1865 كتاب فضائل الصحابة باب «2» باب من فضائل عمرح 25 وص 2141 كتاب صفات المنافقين واحكامهم ح3.

قال: فعجبت بعد، من جرأتي على رسول الله (ص) يومئذ والله ورسوله اعلم(1).

يستفاد من هذين الحديثين:

1 . ان الرسول (ص) صلى على جنازة عبداللّه بن ابي، فقال له عمر بن الخطاب:

يارسول الله انك منعت من الصلاة على المنافقين.

2 . كان جواب النبي لقول عمر هو : ان الله قد خيرني في الاستغفار للمنافقين واني قد اخترت الجانب الايجابي منهما .
ولكن عندما نتمعن في الادلة التي سوف نذكرها ينكشف لنا زيف هذا الحديث وكونه من الموضوعات والمدلسات .

1 . منافاته للعقل :

وذلك لان قبوله يستلزم ان يكون هناك من هو اعلم من النبي (ص) بالاحكام والتعاليم السماوية، وادرى منه في معرفة فلسفة الاحكام الالهية واسرارها واعرف بالمصالح والمفاسد المترتبة على التعاليم الاسلامية لاننا نشاهد في الحديث ان الله عزوجل قد انزل آية تؤيد فكرة فرد ما غير النبي (ص)، وتفند عمل رسول الله وتنتهيه وتمنعه .
فعلى هذا، الم يكن من الافضل ان ينزل الوحي على هذا الرجل بدلا من رسول الله (ص)؟

2 . نزول الايات كان قبل موت ابن ابي :

ان سياق الايات والشواهد النقلية صريحة في ان هذه الاية (ولا تصل على احدمنهم) انما نزلت في السنة الثامنة من الهجرة والنبي في سفره الى تبوك ولما يرجع الى المدينة، وقد وقع موت عبدالله بن ابي بالمدينة سنة تسع من الهجرة، كل ذلك ثابت

1- صحيح البخاري 2: 121 كتاب الجنائز باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار.

ومسلم من طريق النقل، فعلى هذا فليس لاية اي ارتباط وعلاقة بموت ابن ابي واقتراح الخليفة عمر في ذلك .

3 . نص الحديث يدل على كونه موضوعا :

1 . ورد فيه انه لما اراد النبي ان يصلي على جنازة عبدالله بن ابي قال له عمر :
اتصلي عليه وقد قال كذا وكذا؟ اليس قد نهاك الله ان تصلي على المنافقين؟ ويدل
مضمون الحديث على ان النهي عن الصلاة على المنافقين الذي ورد في (ولا تصل على
احد منهم مات) نزل بعد هذه القصة التي دارت بين النبي (ص) وعمر والسؤال الذي يطرح
هنا هو :

من اين عرف عمر ان النبي (ص) قد نهى عن الصلاة على المنافقين حتى يذكره بها؟
ومن اين اتى عمر بهذا النهي؟
فقد اجاب علماء اهل السنة على هذا السؤال اجابات مختلفة ومتعددة، فهذا القرطبي
يقول: لعل ذلك وقع في خاطر عمر، فيكون من قبيل الالهام(1).
2. ان النبي اجاب عمر: ان الله قد خيرني في ذلك بين الاستغفار وعدم الاستغفار لهم
فقال:

(استغفر لهم او لا تستغفر لهم) فمن الواضح ان هذه الاية لا تدل على التخيير في
الاستغفار، بل ان الغاية في الاية هي ان الاستغفار لا يجدي للمنافقين شيئاً، لو ان الله لن
يغفر لهم ابداً، وان الاية تشير الى حالة الياس التام عند المنافقين وان ليس للاستغفار اي
اثر في حقهم.
وان عدد السبعين ليس فيه اية دلالة على تعيين التعددية، بل هو بيان للتاكيد والكثرة،
والمراد منه عدم جدوى كثرة الاستغفار للمنافقين وتعدده فكيف يتصور ان يحمل رسول الله
الاية على التخيير ويقول: ان الله قد خيرني؟
وكذا العبارات الاخيرة في الاية (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

1- فتح الباري 8: 268.

ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) (1) تشير الى انه ليس في
الاية اي دلالة على التخيير، وهذه العبارات نزلت لبيان فلسفة الحكم، حيث ان المنافقين
كانوا كافرين وفاسقين وان الله لا يهدي الفاسقين الكافرين الى الفلاح، فعلى هذا ان التعليل
والبيان يناسب عدم تاثير الاستغفار بحق المنافقين، ولا مناسبة بينها وبين التخيير.

اراء علماء العامة في الحديث:

عندما واجه علماء اهل السنة هذه الاشكالات الواردة حول الحديث الذي رواه
الصحيحان تنبه بعضهم فابدى عدم قبوله وردده.
قال القاضي ابو بكر الباقلاني منكرًا لصحة الحديث: لا يجوز ان يقبل هذا ولا يصح ان
الرسول قاله، اي فهم منه التخيير(2).
وقال امام الحرمين في البرهان، لا يصححه الحديث المذكور اهل الحديث(3).

وقال الغزالي: الاظهر ان هذا الخبر غير صحيح(4).

وقال الداودي: هذا الحديث غير محفوظ(5).

هذه هي الاحاديث التي رواها البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين يعتبران اهم مصدر ومرجع عند اهل السنة بعد القرآن حول الانبياء (ع) عامة، وحول نبينا (ص) خاصة ومن خلال مراجعة هذه المسائل يمكن للباحث المحقق ان يعرف حقيقة ايمان تابعي الصحيحين وعقيدتهم في الانبياء (ع) وبالنبوي (ص) ومسألة النبوة.

1- التوبة: 80.

2- فتح الباري 8: 272.

3- فتح الباري 8: 272.

4- فتح الباري 8: 272.

5- فتح الباري 8: 272.

الفصل الثامن الخلافة في الصحيحين

قال أمير المؤمنين الامام علي (ع):
زرعوا الفجور، وسقوه الغرور، وحصدوا الثبور، لايقاس بل محمد (ص) من
هذه الامة احد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدأ، هم اساس الدين،
وعماد اليقين، اليهم يفي الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق
الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الان اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى
منتقله(1).

منهج البحث وهدفه

يبدو جليا من عنوان الفصل ان المواضيع التي سنطرحها ونبحثها في هذه الصفحات وما بعدها، هي الاحاديث والروايات التي اخرجها الشيخان البخاري ومسلم في ابواب عديدة من صحيحيهما حول مسألة الخلافة.

والهدف الوحيد في هذا الفصل هو نقل الاحاديث فقط، وليس دراسة اصل مسألة الخلافة.

وبعبارة اخرى: ان كتابنا هذا ليس من نوع الكتب الكلامية، ولسنا بصدد دراسة مسألة الخلافة والاستدلال فيها على اثبات صحة عقيدة فئة معينة او رد ونقد عقيدة مذهب آخر، بل غايتنا الوحيدة هي تخريج الاحاديث المروية في الخلافة ونقلها، خاصة الاحاديث التي رويت في اهم مصادر اهل السنة والجماعة واثقتها واصحها عندهم، يعني صحيحي البخاري ومسلم.

وبنا على هذا، فانا لا نرى انفسنا ملزمين باستعراض كل الجزئيات والحقائق التاريخية ولو كانت تتعلق بهذه الاحاديث، وكذا لم نكن ملزمين بالرد والنقد والدراسة العميقة في جوانب هذا الموضوع، لان هذا النوع من البحث خارج عن نطاق ما نحن فيه،

1- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 1: 138.

وانه يحتاج الى كتاب مستقل، وقد كتب في هذا الموضوع كتب كثيرة واما لو ذكرنا بعض المقتطفات في بعض الموارد فانها لم تكن الا لبيان وتوضيح مضامين ومفاهيم الاحاديث وبلورتها.

اسئلة حول الخلافة:

تعتبر مسألة الخلافة من اهم المسائل الدينية التي وقع فيها الاختلاف بين المسلمين، ولم يكن هذا الاختلاف وليد عصور متاخرة نحو قرن او قرنين بل انه نشأ منذ ان التحق الرسول (ص) بالرفيق الاعلى وغربت شمس النبوة.

قال الشهرستاني: واعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة، اذ ما سل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة في كل زمان(1).

فنحن الان لسنا بصدد معرفة كيفية نشو هذا الاختلاف وتاريخه، ولكننا كمقدمة للاحاديث التي سنخرجها هنا نطرح تساؤلات ثلاثة:

1 . لقد بين الله عزوجل ورسوله (ص) للمسلمين الاحكام التي تخص جميع القضايا، الجزئية منها والكلية، نحو القصاص والتعزيرات، وحكام حرمة حقوق الاخرين واموالهم، واحكاما في النظر الى الاجنبية ولو نظرة واحدة، واحكام الغيبة ولو بكلمة وبحيث ان هذه الاحكام على كثرتها والتي تتجاوز العد والحصر تنقسم الى الواجب والحرام، والمندوب والمكروه.

فعلى هذا: فهل يعقل ان الله ورسوله (ص) لم يتعرضا لتبيين مسائل الامامة والخلافة التي تعتبر من اهم المواضيع الاسلامية؟
فلو ان الله والرسول (ص) قد جعلوا حل هذه المسألة المهمة بعهدة المسلمين انفسهم، فلماذا لم يفعلوا ذلك بالنسبة الى المسائل الجزئية والفرعية وبيننا احكامها؟
فلو كان الاغماض والاهمال في بيان ابسط المسائل الجزئية مثل الحلق والتقصير

1- الملل والنحل: 30.

في الحج، او آداب التخلي والاستنجاء، او آداب النكاح وغيرها غير جائز حسب ماتقتضيه قاعدة اللطف فهل يجوز لهما الاغماض والسكوت في مسألة مهمة كهذه؟
فاذا كان الجواب: لا فهل عينا احدا لتصدي هذه المرتبة والمنصب؟ وما هي مواصفاته؟
2 . يطلعنا التاريخ وسيرة النبي (ص) وكذا يستفاد من آيات الذكر الحكيم والاحاديث، ان المسلمين في الصدر الاول من تاريخ الاسلام كانوا يسألون النبي (ص) عن كل شي من احكام دينهم، ويرجعون اليه في تفسير الايات وبيانها، ويلجأون اليه في كل صغيرة وكبيرة، فيستفتون فيها منه حتى في العلل والامراض كانوا يطلبون دوا دائهم من النبي (ص)(1).

فعندئذ يتبادر الى الذهن سؤال: هل يتصور ان احدا من المسلمين واصحاب رسول الله (ص) لم يخطر على باله في تلك المدة التي عاش الرسول (ص) بينهم ثلاثة وعشرين سنة ان يسأل النبي عن مسألة الخلافة ومن يكون الامام والخليفة من بعده (ص)؟ هذا مع انهم على علم بان الرسول (ص) بشر ولا بد انه سوف يرحل عنهم الى جوار ربه، وقد سمعوا منه يرثل عليهم (انك ميت وانهم ميتون)(2) و(وما محمد الا

1- اخرج الترمذي ومسلم حديثا بما يناسب التطبيق وطلب الناس دوا مرضهم من رسول الله (ص) قال ابو سعيد: جا رجل الى النبي (ص) فقال: ان اخي استطلق بطنه فقال: اسقه عسلا.
فسقاه ثم جا، فقال: يا رسول الله قد سقيته عسلا فلم يزد الا استطلاقا فقال رسول الله (ص):
اسقه عسلا، فسقاه، ثم جا فقال: يا رسول الله قد سقيته عسلا فلم يزد الا استطلاقا قال: فقال رسول الله (ص): صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا، فسقاه عسلا فبرا.
سنن الترمذي 4: 356 كتاب الطب باب «31» باب ما جا في التداوي بالعسل ح 2082، صحيح البخاري 7: 159 كتاب الطب باب الدوا بالعسل، صحيح مسلم 4: 1736 كتاب السلام باب «31» باب التداوي بسقي العسل ح 91.
2- الزمر: 30.

رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم(1).
وانهم كانوا يعلمون ان مسالة الخلافة والامامة ترتبط بمصيرهم وحياتهم الدنيوية والاخروية، وهي تماما كمسالة النبوة، لها آثارها في جميع الامور، فهل يعقل ان احدا لم يسأل النبي (ص) عن ذلك؟
3. قال الله تعالى بشأن كتابة الوصية وضرورتها: (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والا قريين بالمعروف حقا على المتقين)(2).
وقال رسول الله (ص): ما حق امرئ مسلم، له شي يوصي فيه، يبني ليلتين، الا ووصيته مكتوبة عنده(3).
ويقول عبدالله بن عمر: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله (ص) قال ذلك الا وعندني وصيتي(4).
اذن، فكيف يسوغ للنبي (ص) ان يكون هو اول من يجيد عن امر الله الذي انزل عليه مؤكدا لزومه ووجوبه، ويترك العمل بما اوجبه هو على المسلمين بالنسبة الى موضوع كتابة الوصية، بينما تراه انه احوج الناس الى كتابة الوصية؟
وهل هناك احد من المسلمين تكون تركته وارامله وايتامه اكثر مما تركه وخلفه

1- آل عمران: 144.

2- البقرة: 180.

3- صحيح البخاري 4: 2 كتاب الوصايا، صحيح مسلم 3: 1249 كتاب الوصية ح 1، مسند احمد بن حنبل 2: 2 و 4 و 57 و 80، سنن ابي داود 3: 112 كتاب الوصايا باب ما جا في ما يؤمر به من الوصية ح 2862، سنن الدارمي 2: 495 كتاب الوصايا باب «1» باب من استحب الوصية ح 3175، سنن النسائي 6: 239 كتاب الوصايا باب الكراهية في تاخير الوصية، سنن الترمذي 4: 375 كتاب الوصايا باب «3» باب ما جا في الحث على الوصية ح 2118، سنن ابن ماجه 2: 901 كتاب الوصايا باب «2» باب الحث على الوصية ح 2699.
4- صحيح مسلم 3: 1250 كتاب الوصية ح 4.

رسول الله (ص) من التركة والايتم والارامل؟

فهل يمكن للعقل والضمير البشري ان يتصور ان رسول الله (ص) خلف ما تركه وراه من التركة التعاليم الدينية والاصول الاسلامية من دون تولية عليها، وانه ودع ايتامه وارامله جميع الناس من دون ان ينصب لهم قيما ووليا؟ ومن المستحيلات ان هذه المسألة لم تخطر بباله قط.

وفضلا عن حكم العقل والوجدان فان الشواهد التاريخية صريحة بان الرسول (ص) لم يدع امرا حتى وان كان جزئيا الا وعين فيه من ينوب عنه، ويقوم مقامه اذا عارضه امر ما، كما ثبت ذلك من خلال تعيينه قادة العسكر وثبت في التاريخ ايضا انه (ص) قد اوصى الى أمير المؤمنين الامام على (ع) ان يباشر تغسيله وتكفينه وقضا ديونه، الشخصية، بينما هذه من الامور الجزئية والبسيطة التي لم تفته فكيف تغيب عنه الوصية في امر الخلافة والامامة التي هي من اهم المسائل والقضايا المصيرية؟

والجواب على هذا التساؤل من وجهة نظر الشيعة فهو في غاية اليسر والسهولة، ولا حاجة عندهم على الاستدلال عليها والاحتجاج فيها الى ادنى تكلف وتعب.

لان الشيعة يعتقدون بان موضوع الخلافة لم يغيب حتى للحظة واحدة عن ذهن الناس الا وقد سالوا عنه رسول الله (ص)، ولم يكن الوصي مبهما لديهم لما كان الله عزوجل ورسوله يبينان بين آن وآخر، منذ ان بعث الله محمدا (ص) بالنبوة، وامره بان يعلن الرسالة على ملا، حمله مسؤولية تبليغ الخلافة ونصب الخليفة، ولم يدع رسول الله (ص) في تبليغ هذا الامر مجالا للابهام والايهام عند الناس، فبينه بابلغ وجه، فما مر عليه موقف الا وتطرق الى الخلافة واخبر الناس عن يتولى هذا المنصب من بعده.

يروى ابن الاثير: لما نزل قوله تعالى (وانذر عشيرتک الا قريبن) (1) في اول البعثة دعا اقرباه من بني عبدالمطلب واعمامه الى مادبة اقامها لهم، وما ان فرغوا منها، ورام

النبي (ص) ان يتكلم حتى ابتدره ابو لهب وغالط في الكلام، فنفرك القوم ولم يكلمهم النبي (ص)، وفي اليوم الثاني صنع ما صنع بالامس ولكن اسرع النبي (ص) في الكلام ووضح لهم مسألة الوحي والبعثة وقال: وقد امرني الله تعالى ان ادعوكم اليه، فايكم يؤازرنى على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فاحجم القوم، واعادها النبي ثلاثا، وفي كل مرة كان علي (ع) يقوم ويقول: انا يا نبي الله ثم قال (ص): ان هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا.

فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب: قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع ويقولون: انا لم نقبله نبيا فيجعل لنا وصيا(1).

وفي آخر سنين حياته وعندما كان النبي (ص) عائدا من آخر سفر للحج الى المدينة، وصل الى تلك البقعة الحارة المسماة بغدير خم امرالحجاج ان يمكثوا فيها، فعادالمتقدمون اليه، والتحق المتأخرون به، فقام واقفا أخذوا بيد علي (ع) ليعلن للجمع: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

وهكذا عند ما كان مستلقيا على فراش الموت، ويتنفس الانفاس الاخيرة من حياته وقد تصبب عرق الموت من جبينه، تراه في هذه اللحظات ايضا لم ينس قضية الخلافة ومستقبل دينه والشريعة التي جاء بها، ومصير امته التي قاسى الامرين في سبيل هدايتها، فكل هذه الامور قد تجسدت امامه ولذلك امر الحاضرين قائلا: ائتوني بكتف ودواة اكتب لكم ما لم تضلوا بعده ابدا.

وشوهد احيانا وهو على المنبر يقول: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا.

واحيانا تسمع منه وهو يعلن عن خلفائه ويعددهم قائلا: الخلفاء بعدي اثنا عشر .
واحيانا اخرى يذكر الناس بالآيات التي نزلت بشأن اوصيائه ويخاطب عليا

1- الكامل في التاريخ لابن اثير 2: 62 63، تاريخ الطبري 2: 319 321.

وترى احيانا اخرى ينوه بالبدع والتحريفات التي ستظهر من بعده ويبرز اسفه وتأثره من هذه الوقائع التي ستحدث بعد وفاته بد بالتحريف في اصل الخلافة الذي هو اساس كل البدع والتحريفات وجذور الضلالات.

ولكن الحكومات التي تعاقبت الواحدة تلو الاخرى في غضون الاربعة عشر قرنا، سعت واجتهدت بكل قواها في طمس الحقائق، واطهارها بصورة غير التي كانت عليها، ولكن يمكن معرفة هذه الحقائق التي تعتقد بها الشيعة من خلال بعض زوايا الاحاديث المروية في صحيح البخاري ومسلم اللذين يعتبران اهم مصدرين من مصادر العامة ولهذا السبب قد جعلناهما مرتكز بحثنا ودراستنا.

وهاك ايها القارئ الكريم باقة من الاحاديث التي انفلتت من مؤلفي الصحيحين في بيان فضائل اهل البيت (ع) اقتطفناها من الصحيحين ومن ثم نعقب بذكر الصفات التي لا بد وان تتوفر في من يخلف النبي (ص) مما ورد في هذين الكتابين.

فضائل اهل البيت (ع) في الصحيحين

1 . آية التطهير:

قالت عائشة: خرج النبي (ص) غداة وعليه مرط كسا مرحل من شعر اسود، فجاء الحسن بن علي فادخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فادخلها، ثم جاء علي فادخله.

ثم قال: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)(1)(2).
وقد ورد هذا الحديث متواترا في مصادر اهل السنة والمجاميع الحديثية والتفسيرية فضلا عن صحيح مسلم، ونزول هذه الاية في شان رسول الله (ص) وعترته اهل بيته (ع) ليس محل نقاش وترديد، وقد اشرنا فيما سبق في فصل الرسول في القرآن والسنة الى بعض المصادر والمجاميع السنية وقلنا: ان هذه الاية الكريمة صريحة في عصمة اهل البيت (ع) من جميع الذنوب وانهم مطهرون من الرجس والمعاصي، صغيرها وكبيرها.

وذكرنا كذلك بان الآية الكريمة تدل دلالة تامة على نفي ارتكابهم المعصية حتى في حالة السهو ومن غير القصد، لان السهو والخطا وان كان يرفع الحكم التكليفي والعقاب عن مرتكبه الا انه لا يرفع قبح الرجس والحرام ولا يدفع الاثر الوضعي المترتب عليه(3).

1- الاحزاب: 33.

2- صحيح مسلم 4: 1883 كتاب الفضائل باب «9» باب فضائل اهل بيت النبي (ع) ح 61.

3- راجع ص.

2 . آية المباهلة:

اخرج مسلم باسناده عن عامر بن سعد بن ابي وقاص، عن ابيه قال: امر معاوية بن ابي سفيان سعدا فقال: ما منعك ان تسب ابا تراب؟ فقال: اما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله (ص) فلن اسبه، لان تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم.

سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي (ع): يا رسول الله خلفتني مع النسا والصبيان؟ فقال له رسول الله (ص): اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي.

وسمعه يقول يوم خيبر: لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي عليا فاتي به ارمد فبصق في عينه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآية (فقل تعالوا ندع ابنانا وابناكم) دعا رسول الله (ص) عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم هؤلاء اهلي(1).

3 . حديث يوم الغدير:

حدثني يزيد بن حيان قال: انطلقت انا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن ارقم، فلما جلسنا اليه، قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، رايت رسول الله (ص) وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله (ص).

قال: يا ابن اخي والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت اعني

من رسول الله (ص)، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا، فلا تكلفوني، ثم قال: قام رسول الله (ص) يوما فينا خطيبا بما يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: اما بعد، الا ايها الناس فانما انا بشر يوشك ان ياتي رسول ربي فاجيب، وانا تارك فيكم ثقلين: اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي.

فقال له حصين: ومن اهل بيته يا زيد؟ اليس نساء من اهل بيته؟
قال: نساؤه من اهل بيته، ولكن اهل بيته من حرم الصدقة بعده قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.
قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم(1).

اقول: اخرج مسلم هذا الحديث في صحيحه باسانيد متعددة، ولكنه اسقط الشق الاخير منه، الذي يختص بقصة الغدير المختصة بأمر المؤمنين الامام علي (ع)، بينما زيد بن ارقم هو من جملة المئات من رواة حديث الغدير يقول: ثم قام فاخذ بيد علي (ع) فقال: يا ايها الناس من اولى بكم من انفسكم؟ قالوا: الله ورسوله اعلم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه(2).

ولا يخفى ان زيد بن ارقم عندما حدث بهذا الحديث، فقد حرف المفهوم الصحيح والواقعي لاهل البيت (ع) وادخل فيهم آل عقيل وآل جعفر وآل عباس، بينما الحديثان اللذان نقلناهما ذيل آية التطهير وآية المباهلة نرى ان رسول الله (ص) قد عرف اهل البيت (ع) بحيث لم يجعل مجالا لزيد بن ارقم واشباهه ان يبدوا رايهم الخاص وحسب

1- صحيح مسلم 4: 1873 كتاب فضائل الصحابة باب «4» باب فضائل علي بن ابي طالب (ع) ح36.

2- مستدرک الصحيحين 3: 533 كتاب معرفة الصحابة ذكر زيد بن الارقم الانصاري، مسند الامام احمد بن حنبل 4: 372 نقلهما عن زيد بن ارقم.

اهوائهم.

العصبية العمياء:

ان موضوع غدیر خم وحديث الثقلين من الامور والقضايا التي ورد ذكرها بالتفصيل في كتب اهل السنة ومصادرهم، وفي المئات من كتب محدثيهم ومؤرخيهم ومفسريهم وباسانيد متعددة، ولكن البخاري ومسلم وكما اشرنا سابقا في الجز الاول من هذا الكتاب ثقل عليهما تخريج امهات فضائل الامام علي (ع) واشهرها مثل هذا الحديث وذلك لتعصبهما المفرط، وهذا المقدار الذي اخرجته مسلم في صحيحه من حديث الغدير محرفا وناقصا انما هو جز ضئيل من واقعة الغدير التاريخية.

وبهذه المناسبة نورد ما ذكره ابو حامد الغزالي: اجمع جمهور العلماء على ان قول النبي (ص): من كنت مولاه فعلي مولاه، وكذا قول عمر لعلي: بخ بخ لك يا امير المؤمنين اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فهذا يعني تسليم ورضا وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرئاسة وحمل عمود الخلافة وعقود النبوة وخفقان الهوى في قعقة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول وفتح الامصار وسقاهاهم كاس الهوى، فعادوا الى الخلاف الاول فنذبوه ورا ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا(1).

4 . اهل البيت (ع) قرناء الرسول (ص):

دلت روايات متواترة من كتب اهل السنة والجماعة، ان رسول الله (ص) امر المسلمين بان يصلوا على اهل بيته وعترته (ع) ويجعلونهم قرناء له، اذا ارادوا ان يصلوا عليه (ص) ويسلموا عليه، واذا قصدوا تكريم النبي وتعظيمه يجب عليهم ان يقرنوا اهل بيته (ع) معه (ص) ولم يفرقوا بينه وبين عترته.

واليك ما اخرجته الصحيحان بهذه المناسبة:

1 . حدثنا الحكم قال: سمعت عبدالرحمان بن ابي ليلى قال: لقيني كعب بن

1- سر العالمين: 21.

عجزة، فقال: الا اهدي لك هدية؟ ان النبي (ص) خرج علينا فقلنا: يا رسول الله لقد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟
فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد(1).

2 . اخرج البخاري في صحيحه حديثا آخر قريبا من هذا المعنى عن ابي سعيدالخدري(2).

3 . واخرج مسلم ايضا باسناده عن ابي مسعود الانصاري قال: اتانا رسول الله (ص) ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: امرنا الله عزوجل ان نصلي عليك يا رسول الله (ص) فكيف نصلي عليك؟
قال: فسكت رسول الله (ص) حتى تمنينا انه لم يساله.
ثم قال رسول الله (ص): قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد، والسلام كما علمتم(3).

اقول: ثمة العشرات من الاحاديث رويت في صحاح اهل السنة ومسانيدهم وتقاسيرهم واكملهن جمعا تفسير الدر المنثور تعلم المسلمين كيفية الصلاة على النبي (ص) والتسليم عليه، وتامرهم ان يجعلوا اهل بيته (ع) قرناء له في الصلاة(4).

1- صحيح البخاري 8: 95 كتاب الدعوات باب الصلاة على النبي (ص)، وج 6: 151 كتاب التفسير باب تفسير سورة الاحزاب، وج 4: 172 كتاب بد الخلق باب يزفون النسلان في المشي، صحيح مسلم 1: 305 كتاب الصلاة باب «17» باب الصلاة على النبي (ص) ح 66.
2- صحيح البخاري 6: 151 كتاب التفسير باب تفسير سورة الاحزاب.
3- صحيح مسلم 1: 305 كتاب الصلاة باب «17» باب الصلاة على النبي (ص) ح 66.
4- الدر المنثور للسيوطي 5: 215.

ولكن ما ان توفي الرسول (ص) حتى راحوا يسترون ويعتمون على نقل مناقب آل الرسول (ع) وذلك حسب ما كانت تقتضيه سياستهم آنذاك، ولذلك بادروا الى ترك الصلاة على العترة (ع)، وعمدوا شيئا فشيئا الى الاكتفا باسم الرسول (ص) والصلاة البتروالناقصة،

واليوم كذلك نرى سيرة السلف تتبع، ومع ان هذه الاحاديث نصب اعينهم، وملئت كتبهم منها، تراهم يخالفون امر الرسول ويتبعون اباهم واسلافهم عوضا عن اتباع الرسول (ع) (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبانا او لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير)(1).

5 . الائمة الاثنا عشر (ع):

وردت في كتب اهل السنة احاديث حول الائمة الاثني عشر (ع) والامام المهدي (عج) واوصافه، نقلا عن النبي (ص)، ولما كانت الاحاديث في هذا الموضوع متواترة ومستفيضة، عمد بعض علمائهم الى تعيين بابا خاصا لذكره، والبعض الاخر الف بهذه المناسبة كتابا مستقلا.

ونورد اليك طرفا من هذه الاحاديث التي اخرجها الشيخان في صحيحيهما:

1 . عن عبدالملك: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: يكون

بعدي اثنا عشر اميرا فقال كلمة لم اسمعها فقال ابي: انه قال: كلهم من قريش(2).

اخرجه مسلم ايضا في جامعه بثمانية اسانيد مختلفة(3) وورد في احدها:

وعن جابر بن سمرة قال: انطلقت الى رسول الله (ص) ومعني ابي فسمعتة يقول: لايزال

هذا الدين عزيزا منيعا الى اثني عشر خليفة فقال كلمة صمניהا الناس فقلت لابي: ما قال؟

قال: كلهم من قريش(4).

1- لقمان: 21.

2- صحيح البخاري 9: 101 كتاب الاحكام باب الاستخلاف.

3- صحيح مسلم 3: 1451 كتاب الامارة باب «1» باب الناس تبع لقريش.

4- صحيح مسلم 3: 1453 كتاب الامارة باب «1» باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش

اقول: ورد هذا الحديث متواترا في كتب اهل السنة وصحاحهم، وهذا ان دل على شي فانما يدل على انه احدى الدلائل على احقية الشيعة الاثني عشرية وصحة معتقداتهم، ودليل على بطلان المذاهب الاخرى، لان مضمون هذا الحديث لا ينطبق البتة على ما يعتقدونه، لانهم يعتقدون باربعة خلفاء (الخلفاء الراشدون)، او بخمسة خلفاء اذا اضفنا الامام الحسن المجتبي (ع) الى الاربعة، فعلى هذا يكون عددهم اقل من اثني عشر أو أنهم يعتقدون بخلافة خلفاء بني امية وبني العباس، فيكون حينئذ العدد اكثر من اثني عشر، هذا مع ان اكثر خلفاء بني امية وبني العباس كانوا فساق وفجرة، وافنوا حياتهم في معاقرة الخمر واراقة الدماء والمعاصي، فكيف يمكن ان نجعل من كان هذا ديدنه خليفة النبي (ص)؟ وكذلك نرى ان هذا الحديث لا يتطابق مع ما تعتقده باقي الفرق من الشيعة مثل الاسماعيلية والزيدية والفتحية لان ائمتهم اقل عددا من اثني عشر فعلى هذا ان الحديث يوافق فقط ما تعتقده الشيعة الاثني عشرية التي توالي اثني عشر نقيبا اولهم الامام على بن ابي طالب (ع) وآخرهم المهدي (عج).

3 . جابر بن عبدالله وابو سعيد قالوا: قال رسول الله (ص): يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده(1).

4 . عن ابي سعيد قال: قال رسول الله (ص): من خلفاكم خليفة يحثو المال حثيولا يعده عدا(2).

قال النووي بعد بيان معاني الفاظ هذا الحديث: وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الاموال والغنائم والفتوحات مع سخا نفسه(3).

1- صحيح مسلم 4: 2235 كتاب الفتن واشراط الساعة باب «18» باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى ان يكون مكان الميت من البلا ح69.
2- المصدر ح68.
3- شرح صحيح مسلم 18: 40.

ثم قال: ان اسمه المهدي كما رواه الترمذي وابي داود وروى الترمذي عن الرسول الله
(ص) قال:

لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي(1).

وقال الترمذي: وهذا حديث حسن وصحيح.

وزاد ابو داود في آخر هذا الحديث انه (ص) قال: يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت
ظلما وجورا(2).

5. واخرج البخاري باسناده عن ابي هريرة قال: قال رسول الله (ص): كيف انتم اذ انزل
ابن مريم فيكم وامامكم منكم(3).

وقال ابن حجر في شرحه على هذا الحديث: قال الشافعي في مناقبه: تواترت الاخبار
بان المهدي من هذه الامة وان عيسى يصلي خلفه(4).

وقال العيني بعد كلام طويل وبحث مفصل حول الحديث: وفي صلاة عيسى (ع) خلف
رجل من هذه الامة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الاقوال
ان الارض لا تخلو من قائم لله بحجة(5).

1- سنن الترمذي 4: 438 كتاب الفتن باب « 52 » ما جا في المهدي ح 2230، سنن ابي
داود 4: 106 كتاب المهدي ح 4282.

2- المصدر.

3- صحيح البخاري 4: 205 كتاب بد الخلق باب نزول عيسى بن مريم.

4- فتح الباري 6: 385.

5- عمدة القاري 16: 40.

والجدير بالذكر ان كثيرا من العلماء والمحدثين عكفوا على جمع الاحاديث المروية حول الامام
المهدي عجل الله فرجه الشريف، واجمعها معجم احاديث الامام المهدي (ع) في خمس
مجلدات تحقيق وتاليف مؤسسة المعارف الاسلامية فقد جمع في هذا المعجم القيم الاحاديث
المروية حول الامام المنتظر (ع) بلغ عددها حوالي 30000 حديث من 420 مصدر من مصادر اهل
السنة المعرب.

وقال النووي في ترجمته في تهذيب الاسماء: اذا نزل عيسى كان مقرا للشريعة
المحمدية، لا رسولا الى هذه الامة ويصلي ورا امام هذه الامة تكرمة من الله لها من اجل
نبيها(1).

وهذه الاحاديث التي تلونها عليك، تكشف الستار عن الحقيقة الساطعة في العقيدة
السليمة التي يعتقد بها الشيعة، ظلت بمثابة اكبر واعظم ماساة واجهها شراح الصحيحين
من السلف وبعض الكتاب من اهل السنة في هذا العصر، وحيث سمعوا تانيب وجدانهم

وصرخات الضمير من باطنهم عمدوا الى التبرير وتاويل هذه الاحاديث حتى يجيبوا تانيب ضميرهم، وما هذه التبريرات والتاويلات الا تفاهة وركاكة وذلك لما فيهما من التناقضات والمبائنات والتضارب.

ولكن احد الكتاب بعد اذعانه بتفاهة هذه التبريرات سلك دربا ثالثا فقال: وهناك اخبار من هذا القبيل كثيرة، اعرضنا عنها لعدم فائدتها(2).

اقول: ومن الواضح ان هذا الحديث وامثاله لما كان على خلاف عقيدة هؤلاء وهو على عكس ما يرونه اعرضوا عنه لانهم لم يفهموا ولم يدركوا المفهوم الصحيح للحديث.

-
- 1- الاصابة في تمييز الصحابة 4: 638 ترجمة عيسى المسيح بن مريم رقم 6164.
2- اضا على السنة المحمدية للشيخ محمود ابورية: 192.

فضائل أمير المؤمنين (ع) في الصحيحين

الى هنا استعرضنا الاحاديث التي رواها الصحيحان في بيان فضائل اهل بيت النبي (ع) والائمة الاثني عشر (ع)، والان نذكر ما اخرجه الشيخان في صحيحيهما من الحديث حول كل امام بصورة مستقلة.
ونبدا بذكر فضائل أمير المؤمنين الامام علي (ع)، ثم فضائل سيدة النساء فاطمة الزهرا (س)، وبعدها فضائل سيدي شباب اهل الجنة الحسن والحسين (ع) معا، ثم فضائل كل منهما منفردا.

1 . عدو علي عدو الله:

عن ابي ذر (ره) قال: نزلت: (هذان خصمان اختصموا في ربهم)(1) في ستة من قریش: علي وحزمة وعبيدة بن الحارث جبهة الايمان والتوحيد وشيبة بن ربيعة وعتبة والوليد بن عتبة جبهة الشرك والكفر(2).
وعن قيس بن عباد، عن علي (ع) قال: فينا نزلت هذه الاية: (هذان خصمان اختصموا في ربهم)(3).

2 . حب علي ايمان وبغضه نفاق:

عن عدي بن ثابت، عن زر قال: قال علي (ع): والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، انه لعهد النبي الامي (ص) الي ان لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق(4).

-
- 1- الحج: 19.
 - 2- صحيح البخاري 5: 95 باب قصة غزوة بدر باب قتل ابي جهل، وج6: 123 كتاب التفسيرباب تفسير سورة الحج.
 - 3- صحيح البخاري 5: 95 باب قصة غزوة بدر باب قتل ابي جهل، ج 6: 123 كتاب التفسيرباب تفسير سورة الحج.
 - 4- صحيح مسلم 1: 86 كتاب الايمان باب «33» باب الدليل على ان حب الانصار وعلي من الايمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق ح131.

انفرد به مسلم في صحيحه.

3 . صلاة علي (ع) صلاة النبي (ص):

اخرج الشيخان البخاري ومسلم بسندهما عن مطرف، قال: صليت انا وعمران بن حصين خلف علي بن ابي طالب فكان اذا سجد كبر واذا رفع راسه كبر واذا نهض من الركعتين كبر، فلما انصرفنا من الصلاة قال: اخذ عمران بيدي ثم قال: بقدر صلى بنا هذا صلاة محمد (ص)، قال لقد ذكرني هذا صلاة محمد (ص)(1).

4 . ابو تراب الكنية المهداة:

عن ابي حازم ان رجلا جاء الى سهل بن سعد فقال: هذا فلان «امير المدينة» يدعوعليا عند المنبر قال: فيقول: ماذا قال؟ يقول: له: ابو تراب فضحك قال: والله ما سماه الا النبي (ص) وما كان له اسم احب اليه منه(2).

اقول: يفهم من متن هذا الحديث ان تلقيب أمير المؤمنين (ع) بابي تراب كان مفخرة له، وكان الامام علي (ع) يحب هذا اللقب اكثر من سائر القابه واسمائه، وحيث كانت هذه المفخرة باهرة كوضوح الشمس ولذا فلم يستطع اعدا علي (ع) ومناوئيه ان ينكروها فلذلك حرفوها وزوروا حقيقتها، واختلقوا احاديث تشعربان تلقيب الامام علي (ع) بهذه الكنية كان مذمة له.

وسوف نوفي التحقيق حول هذا الحديث وكذا الاحاديث الموضوععة في ذم الامام

- 1- صحيح البخاري 1: 199 كتاب الصلاة باب اتمام التكبير في الركوع، وباب اتمام التكبير في السجود، صحيح مسلم 1: 295 كتاب الصلاة باب «10» باب اثبات التكبير في كل خفض ورفع في الصلاة ح33.
- 2- صحيح البخاري 1: 120 كتاب الصلاة باب نوم الرجال في المسجد، وج 5: 23 كتاب فضائل اصحاب النبي (ص) باب مناقب علي بن ابي طالب (ع)، وج 8: 55 كتاب الادب باب التكني بابي تراب، وص 77 كتاب الاستئذان باب القائلة في المسجد، صحيح مسلم 4: 1874 كتاب فضائل الصحابة باب «4» باب من فضائل علي بن ابي طالب (ع) ح38.

علي (ع) في الجز الثالث من كتابنا هذا ان شاء الله.

5 . علي (ع) اقضى الناس:

اخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: ان عمر بن الخطاب كان يقول:
اقضانا علي (ع) (1).

اقول: هذه الكلمة التي اقر بها الخليفة الثاني واعترف بها، اقتبسها من كلمة النبي (ص) التي طالما كان يكررها في مواقف عديدة، فمرة قال (ص): اقضاهم علي (2) . اي اقضى الاصحاب . واخرى قال (ص): اقضاها علي(3) الامة جمعا.
ولا يخفى ان مسألة القضا وان كانت تستلزم التقوى والورع، فانها تحتاج ضرورة الى العلم الكافي والمعرفة التامة بالمسائل، بحيث لو لم تحصل تلك العلوم لاستحال القضا الصحيح.

وبناءً على هذا ان معرفة الامام علي (ع) التامة بعلم القضا، الذي امضاه الرسول وهو في الواقع اشارة الى ان الامام علي له المعرفة التامة بجميع العلوم، وكان كلمة الرسول «اقضاهم علي» حلت محل «علي اعلمهم واتقاهم وو».

6 . الحب المتبادل بين الله ورسوله وعلي:

عن سهل بن سعد قال: قال النبي (ص) يوم خيبر: لاعطين الراية غدا رجلا يفتح على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم، ايهم يعطى، فغدواكلهم يرجوه فقال: اين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له فبرا كان لم يكن به وجع، فاعطاه.

فقال: اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

فقال (ص): انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم

1- صحيح البخاري 6: 23 كتاب التفسير باب قوله تعالى: (ما ننسخ من آية او ننسها).

بما يجب عليهم، فوالله لان يهدي الله بك رجلا خير لك من ان يكون لك حمر
النعم(1).

اخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

وروى مسلم الحديث بلفظ آخر عن ابي هريرة: ان رسول الله (ص) قال يوم خيبر:
لاعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه.
قال عمر بن الخطاب: ما احببت الامارة الا يومئذ، فتساورت(2) لها رجا ان ادعى لها.
قال: فدعا رسول الله (ص) علي بن ابي طالب (ع)، فاعطاه اياها وقال (ص): «امش
ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك» قال: فسار شيئا ثم وقف، ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله
على ماذا اقاتل الناس؟ قال (ص): قاتلهم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله، فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله(3).

7 . علي هارون الامة:

عن مصعب بن سعد، عن ابيه: ان رسول الله (ص) خرج الى تبوك واستخلف عليا فقال
(ع): اتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال (ص): الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من
موسى الا انه ليس نبي بعدي(4).

1- صحيح البخاري 4: 73 كتاب الجهاد والسير باب فضل من اسلم على يديه رجل وص
64باب ما قيل في لوا النبي (ص)، وج 5: 22 كتاب فضائل اصحاب النبي (ص) باب مناقب علي
ابن ابي طالب (ع) وص 171 باب غزوة خيبر، صحيح مسلم 3: 1441 كتاب الجهاد والسير باب
«45» باب غزوة ذي قرد وغيرها ذيل ح 132، وج 4: 1872 كتاب فضائل الصحابة باب «4» باب من
فضائل علي بن ابي طالب (ع) ح 33 34 35..
2- قول عمر: «فتساورت لها» معناه: تطاولت لها، اي حرصت عليها، اي اظهرت وجهي
وتصديت لذلك ليتذكرني.
3- صحيح مسلم 4: 1870 كتاب فضائل الصحابة باب «4» باب من فضائل علي بن ابي
طالب (ع) ح 33.
4- صحيح البخاري 5: 24 كتاب فضائل اصحاب النبي (ص) باب من فضائل علي بن ابي
طالب، صحيح مسلم 4: 1870 كتاب فضائل الصحابة باب «4» باب فضائل علي بن ابي طالب
(ع) ح 31.

اقول: هذا الحديث اجمع على صحته اهل السنة والشيعه، وحتى ان الد ادعالي (ع) اي معاوية بن ابي سفيان لم يستطع ان ينكره(1).
وفيه ان الرسول (ص) شبه ومثل خلافة علي (ع) وولايته بهارون، واستثنى منه فقطمسالة النبوة.

وهذا التشبيه والتمثيل من الرسول (ص) هو تثبيت لجميع ما تحلى به هارون من المقام والمنزلة، لأمير المؤمنين علي (ع).

واما المنازل التي كانت لهارون وهي كما يلي:

1 . الوزارة: ان موسى (ع) كما حكى عنه القرآن، دعا الله ان يهب هارون منزلة الوزارة قال تعالى:

(واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري)(2).

2 . الاخوة: كان هارون اخا لموسى (ع) (هارون اخي) وعلي (ع) كان مثل هارون اخا لرسول الله (ص).

3 . الخلافة: عندما اراد موسى ان يذهب لميقات ربه جعل هارون خليفة لنفسه، قال

تعالى: (وقال موسى لا اخيه هارون اخلفني في قومي) (3) وكان هارون نائباً وخليفة لموسى (ع)، وقد فرض موسى طاعته على بني اسرائيل، واوصاه ان يبلغ دعوته ويوطد رسالته. وبنا على مضمون هذا الحديث فان أمير المؤمنين علي (ع) هو خليفة الرسول والقائم بمقامه ونائبه.

1- راجع ص: 331.

2- طه: 30.

3- الاعراف: 142.

4 . الوصاية: كما اشرنا اليه ان هارون كان خليفة موسى ووصيه في حياته وعندغيابه، ولو كان هارون حيا بعد وفاة موسى (ع) لكان اولى بالتصدي لمقام النيابة والخلافة والوصاية، ولكن هارون توفي قبل موسى (ع).

وبهذا الدليل تثبت احقية أمير المؤمنين علي (ع) لمقام وصاية الرسول (ص).

5 . النيابة والموازرة: اشرنا فيما سبق ان احد مناصب هارون هي مؤازرته واشترائه مع موسى في امره وقد نص القرآن على طلب موسى هذه المنزلة لهارون من الله حيث قال

تعالى: (اشدد به ازري واشركه في امري) (1) وكان جوابه تعالى لموسى: (قال قد اوتيت سؤلك يا موسى)(2).

فعلي (ع) بحكم هذا النص الصريح كهارون خليفة لرسول الله (ص) ووزيره وشريكه في امره على سبيل الخلافة عنه لا على سبيل النبوة.

ويستفاد من الحديث ايضا: ان أمير المؤمنين علي (ع) كان اولى الناس برسول الله (ص) حيا وميتا، وفضلهم واقربهم اليه (ص)، وله (ع) على الامة من فرض الطاعة في حياة النبي وبعد وفاته، كما كان لهارون على امة موسى في حياته، وانه (ع) افضل الناس جميعا والناصر والحامي عن رسول الله (ص) وخليفته في غيبته وبعد وفاته.

لفتة نظر:

يلزم ان نذكر للقران الكرام ان بعض علماء اهل السنة توهم ان رسول الله (ص) لم يقل لعلي: «انت مني بمنزلة هارون من موسى» الا مرة واحدة، وذلك عند خروجه في غزوة تبوك، ولذلك قام بالتاويل والتوجيه بان الخلافة هنا منحصرة بمورد خاص. بينما نلاحظ في طيات الكتب وثنايا المجاميع، وثبت بالادلة القطعية ان الرسول (ص) كرر هذه الكلمة ست مرات ولم تتحصر بغزوة تبوك(3).

1- طه: 31 32.

2- طه: 36.

3- راجع في ذلك المراجعات للعلامة شرف الدين وكفاية الطالب للكنجي.

فضائل فاطمة الزهرا (س)

1 . فاطمة سيدة النساء:

عن عائشة قالت: اقبلت فاطمة تمشي كان مشيتها مشي النبي (ص)، فقال النبي (ص): مرحبا بابنتي، ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله، ثم اسر اليها حديثا فبكت فقلت لها: لم تبكين؟ ثم اسر اليها حديثا فضحكت فقلت: ما رايت كاليوم فرحا اقرب من حزن فسالتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لافشي سر رسول الله (ص)، حتى قبض النبي (ص)

فسالته فقالت: اسر الي ان جبرئيل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وانه عارضني العام مرتين، ولا اراه الا حضر اجلي، وانك اول اهل بيتي لحاقا بي، فبكيت فقال: اما ترضين ان تكوني سيدة نسا اهل الجنة او نسا المؤمنين؟ فضحكت لذلك(1).

2 . فاطمة اول من تلتحق بالنبي (ص):

اخرج البخاري ومسلم عن عائشة قالت: دعا النبي (ص) فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فسارها، فبكت، ثم دعاها فسارها، فضحكت قالت: فسالته عن ذلك؟ فقالت: سارني النبي (ص) فاخبرني انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فاخبرني اني اول اهل بيته اتبعه، فضحكت(2).

3 . فاطمة بضعة الرسول (ص):

اخرج البخاري عن مسور بن مخرمة، عن رسول الله (ص) قال: فاطمة بضعة مني

-
- 1- صحيح البخاري 4: 248 كتاب بد الخلق باب علامات النبوة. وج 8: 79 كتاب الاستئذان باب من ناجى بين يدي الناس، صحيح مسلم 4: 1905 كتاب فضائل الصحابة باب « 15 » باب من فضائل فاطمة بنت النبي (ص) ح 99.
- 2- صحيح البخاري 4: 248 كتاب بد الخلق باب علامات النبوة. وج 5: 26 كتاب فضائل اصحاب النبي (ص) باب مناقب قرابة الرسول، صحيح مسلم 4: 1904 كتاب فضائل الصحابة باب « 15 » باب فضائل فاطمة بنت النبي (ص) ح 97.

فمن اغضبها اغضبني(1).

واخرج ايضا عنه، عن رسول الله (ص) قال: فانما هي بضعة مني يربيني ما اربها ويؤذيني ما اذاها(2).

وكذلك اخرجه مسلم في صحيحه باختلاف يسير(3).

4 . تسييح فاطمة (س):

اخرج الشيخان البخاري ومسلم في جامعيهما عن أمير المؤمنين علي (ع): ان فاطمة شكت ما تلقى من اثر الرحي، فأتى النبي (ص) سبي، فانطلقت، فلم تجده، فوجدت عائشة فاخبرتها، فلما جاء النبي (ص) اخبرته عائشة بمجي فاطمة، فجاء النبي (ص) اليها وقد اخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال:

على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: الا اعلمكما خيرا مما سالتما، اذا اخذتما مضاجعكما تكبرا اربعا وثلاثين، وتسبحاه ثلاثا وثلاثين، وتحمداه ثلاثا وثلاثين فهو خير لكم من خادم(4).

5 . حنان فاطمة على ابيها:

اخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: بينما رسول الله (ص) يصلي عند البيت، وابوجهل واصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالامس فقال ابو جهل: ايكم يقوم الى سلا جزور بني فلان فياخذه فيضعه في كتفي محمد اذا سجد؟ فانبعث اشقى القوم فاخذه

- 1- صحيح البخاري 5: 26 كتاب فضائل اصحاب النبي باب مناقب قرابة الرسول (ص).
- 2- صحيح البخاري 7: 47 كتاب النكاح باب ذب الرجل من ابنته.
- 3- صحيح مسلم 4: 1903 كتاب فضائل الصحابة باب « 15 » باب فضائل فاطمة بنت النبي (ص) ح94.
- 4- صحيح البخاري 4: 102 كتاب الخمس باب الدليل على ان الخمس لنوابي رسول الله (ص)، و5: 24 كتاب فضائل اصحاب النبي (ص) باب مناقب علي بن ابي طالب، و7: 84 كتاب النفقات باب عمل المرأة، صحيح مسلم 4: 2091 2092 كتاب الدعاء باب « 19 » باب التسبيح اول النهار وعند النوم ح80 81.

فلما سجد النبي (ص) وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وانا قائم انظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله (ص) والنبي (ص) ساجد، ما يرفع راسه، حتى انطلق انسان فاخبر فاطمة، فجات وهي جويرية فطرحته عنه، ثم اقبلت عليهم تشتمهم فلما قضى النبي (ص) صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم(1).

وكذلك اخرج مسلم باسناده عن ابي حازم، عن ابيه انه سمع سهل بن سعد يسال عن جرح رسول الله (ص) يوم احد.

فقال: جرح وجه رسول الله (ص)، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على راسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تغسل الدم وكان علي بن ابي طالب (ع) يسكب عليها بالمجن، فلما رات فاطمة (س) ان الما لا يزيد الدم الا كثرة، اخذت قطعة حصير فاحرقته حتى صار رمادا، ثم الصقته بالجرح فاستمسك الدم(2).

6 . فاطمة (س) تبكي لفقد ابيها (ص):

اخرج البخاري في صحيحه باسناده عن انس قال: لما ثقل النبي (ص) جعل يتغشاه، فقالت فاطمة (س): واكرب اباه فقال لها: ليس على ابيك كرب بعد اليوم فلما مات، قالت:

يا ابتاه اجاب ربا دعاه، يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه، يا ابتاه الى جبرئيل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة (س): يا انس اطابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله (ص) التراب؟(3).

-
- 1- صحيح البخاري 1: 69 كتاب الوضوء باب اذا القى على ظهر المصلي قدرا، صحيح مسلم 3: 1418 كتاب الجهاد والسير باب «39» باب ما لقي النبي (ص) من اذى المشركين ح 107.
 - 2- صحيح البخاري 1: 70 كتاب الوضوء باب غسل المرأة اباهما الدم عن وجهه، وج 4: 48 كتاب فضل الجهاد والسير باب لبس البيضة، صحيح مسلم 3: 1416 كتاب الجهاد والسير باب «37» باب غزوة احد ح 101.
 - 3- صحيح البخاري 6: 18 باب مرض النبي ووفاته.

فضائل الحسن والحسين (ع)

1 . الحسنان وحرمة الصدقة عليهما:

اخرج البخاري عن ابي هريرة قال: كان رسول الله (ص) يؤتى بالتمر عند صرام النخل، فيجي هذا بتمره وهذا من تمره، حتى يصير عنده كوما من تمر، فجعل الحسن والحسين (ع) يلعبان بذلك التمر، فاخذ احدهما ثمرة فجعله في فيه، فنظر اليه رسول الله (ص) فاخرجها من فيه فقال: اما علمت ان آل محمد (ع) لا ياكلون الصدقة(1). وكذلك اخرج عنه: ان الحسن بن علي (ع) اخذ ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي (ص): كخ كخ ليطرحها، ثم قال: اما شعرت انا لا ناكل الصدقة(2).

2 . الحسنان اشبه الناس بالنبي (ص):

- 1 . اخرج البخاري عن انس بن مالك: لم يكن احد اشبه بالنبي (ص) من الحسن بن علي (ع)(3).
- 2 . وكذا اخرج عن ابن جحيفة قال: رايت النبي (ص) وكان الحسن يشبهه(4).
- 3 . وروى ايضا عن عقبة بن حارث قال: رايت ابا بكر (رض) وحمل الحسن وهو يقول: بابي شبيهه بالنبي ليس شبيهه بعلي (ع)، وعلي يضحك(5).
- 4 . وايضا اخرج عن انس بن مالك: اتي عبيدالله بن زياد براس الحسين (ع) فجعل في طست فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئا فقال انس: كان اشبههم برسول

- 1- صحيح البخاري 2: 156 كتاب الزكاة باب اخذ صدقة التمر عند صرام النخل.
- 2- صحيح البخاري 2: كتاب الزكاة باب ما يذكر في الصدقة للنبي (ص)، وج 4: 90 كتاب الجهاد والسير باب من تكلم بالفارسية والبطانية.
- 3- صحيح البخاري 5: 33 كتاب فضائل اصحاب النبي باب مناقب الحسن والحسين.
- 4- صحيح البخاري 4: 227 باب صفة النبي (ص).
- 5- صحيح البخاري 4: 227 كتاب بد الخلق صفة النبي (ص)، وج 5: 33 كتاب فضائل اصحاب النبي (ص) باب مناقب الحسن والحسين.

اللّٰه (ص) وكان مخضوباً بالوسمة(1).

3 . حنان النبي (ص) عليهما:

اخرج البخاري عن ابي هريرة قال: قبل رسول اللّٰه (ص) الحسن بن علي (ع) وعنده الاقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الاقرع: ان لي عشرة من الولد، ما قبلت منهم احدا، فنظر اليه رسول اللّٰه (ص) ثم قال: من لا يرحم لا يرحم(2).

اقول: وكذا اخرجه احمد بن حنبل في مسنده وذكر الحسين بن علي (ع) بدل الحسن بن علي (ع)(3).

4 . الحسنان ريحانتا الرسول (ص):

اخرج البخاري في صحيحه عن ابن ابي نعم قال: كنت شاهدا لابن عمر وساله رجل عن دم البعوض.

فقال: ممن انت؟ فقال: من اهل العراق.

قال: انظروا الى هذا يسالني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي (ص)، وسمعت النبي (ص) يقول:

هما ريحانتاي من الدنيا(4).

5 . دعا النبي (ص) لهما:

اخرج البخاري عن ابن عباس (رض) قال: كان النبي (ص) يعوذ الحسن والحسين (ع) ويقول: ان اباكما ابراهيم الخليل كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق: اعوذ بكلمات اللّٰه التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة(5).

6 . اللهم احبيه واحبب من يحبه:

واخرج ايضا عن ابي هريرة قال: خرج النبي (ص) في طائفة النهار لا يكلمني ولا

- 1- صحيح البخاري 5: 32 كتاب فضائل اصحاب النبي (ص) باب مناقب الحسن والحسين.
- 2- صحيح البخاري 8: 9 كتاب الادب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته.
- 3- مسند الامام احمد 2: 269.
- 4- صحيح البخاري 8: 8 كتاب الادب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته.
- 5- صحيح البخاري 4: 179 كتاب بد الخلق باب يزفون النسلان في المشي.

اكلمه، حتى اتى سوق بني قينقاع، فجلس بفنا بيت فاطمة (س)، فقال: اثم لكع، اثم لكع، فحسبته شيئاً، فظننت انها تلبسه سخابا او تغسله، فجا يشتد حتى عانقه وقبله وقال: اللهم احببه واحب من يحبه(1).

وفي رواية مسلم: ان الرسول (ص) والحسن (ع) تعانقا ثم قال الرسول: اللهم اني احبه فاحبه واحبب من يحبه(2).

قال ابن اثير: لكع اي الصغير(3).

هذه باقة اقتطفناها للقارئ النبيه من القرآن والسنة النبوية في فضائل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) واهل بيته (ع) مما خرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

ولو تأملت وتدبرت قليلا في هذه الصفحات القليلة لعرفت ان موضوع الخلافة وكذلك تعيين الخلفاء الذين هم الافضل لكي يتقلدوا الخلافة والولاية بعد النبي (ص)، وفضليتهم لم تكن من المواضيع التي يمكن تغافلها والاعراض عنها وتجاهلها.

وما تلوناه عليك ما هو الا قطرة من بحار مناقبهم ومثرهم التي استخرجناها من هذين الكتابين والا فمناقبهم وفضائلهم المروية في سائر كتب علماء العامة ومسانيدهم وصحاحهم هي اكثر من ان تعد وتحصى.

وفي الصفحات المقبلة سنتعرف ايضا على ما يتعلق بالخلفاء الثلاث مما رواه الشيخان في صحيحيهما، ولكن قبل الولوج في هذا الموضوع ارى ضروريا ان نلفت نظر القرا الكرام الى خطبة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) التي استعرض فيها مسألة الخلافة والامامة والمواصفات التي يجب ان يتحلّى بها خليفة رسول الله الحقيقي.

- 1- صحيح البخاري 3: 87 كتاب البيوع باب ما ذكر في الاسواق، وج 7: 204 كتاب اللباس باب السخاب للصبيان.
- 2- صحيح مسلم 4: 1882 كتاب فضائل الصحابة باب « 13 » باب فضائل الحسن والحسين (ع) ح57.
- 3- النهاية لابن اثير 4: 268 مادة لكع.

الامامة في رأي الامام علي (ع)

شروط الامامة:

قال أمير المؤمنين الامام علي (ع) في ضمن خطبة له يذكر فيها شروط الامامة وصفات الامام:

اللهم اني اول من اناب، وسمع واجاب، لم يسبقني الا رسول الله (ص) بالصلاة، وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين: البخيل، فتكون له في اموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الامة(1).

فقد بين الامام علي (ع) في خطبته هذه ستة شروط رئيسية لمن اراد ان ينصب نفسه اماما للناس، ويتولى امور المسلمين، ويامر بالحرب او الصلح، ويبين احكام الدين وقوانينه لهم.

والشروط التي يجب ان يتصف بها الامام هي:

- 1 . ان لا يكون الامام شحيحا وبخيلا لكيلا يطمع في اموال الناس.
- 2 . ان يكون عالما بالاحكام والقوانين الدينية.
- 3 . ان يتحلى بالمرونة ويتخلى عن الخسونة.
- 4 . ان لا يكون ظالما وجبارا، حتى لا يضيع حقوق الاخرين.
- 5 . ان لا يكون مرتشيا.

1- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 8: 263.

6 . ان لا يكون معطلا لاحكام الدين، ولا بد ان يكون مجريا للاحكام وحافظا لها.
هذه الشروط الستة هي في الحقيقة صفوة الصفات التي يجب على الوالي والامام في
البلاد الاسلامية ان يتحلى بها، ولكن من المؤسف جدا حسب ما ورد في الصحيحين
البخاري ومسلم اللذين هما ام المصادر واهمها لدى اهل السنة ان الحكام الذين تربعوا على
سدة الخلافة بعد النبي (ص) لم يكونوا كذلك، ولم يتحلوا بالاخلاق الفاضلة والدراية التامة
باحكام الشريعة وكيفية اجرائها.

وهذه الحقيقة سوف تتجلى لك اكثر حين تقرا ما سنذكره لك في الفصول القادمة من
الاحاديث التي افرزناها من صحيح البخاري ومسلم فقط اللذين جعلناهما معتمدين الدراسة
عندنا، والا فلولا خوف الاطالة والاطناب والخروج عن دائرة البحث المقرر، فان سائر كتب
الحديث والتفسير والتاريخ وغيرها المعتمدة عند اهل السنة لغنية بهذه المواضيع.

الامامة وحسن الخلق

ذكرنا في الفصل السابق ان احد شروط الامامة والقيادة هو تحلي الامام بالمرونة وحسن
الخلق، لان الخشونة وسوء الخلق لا يتوافق والامامة بينما نجد في الاحاديث المروية في
المصادر المعتمدة لدى العامة، وخاصة صحيح البخاري ان بعض الخلفاء كانوا فارغين من
هذا الشرط ولم يتحلوا بحسن الخلق ولين العريكة.
وهذان نموذجان من تلك الاحاديث:

1 . اخرج البخاري باسناده عن ابن ابي مليكة قال: كاد الخيران ان يهلكا ابو بكر وعمر ،
لما قدم على النبي وفد بني تميم، اشار احدهما بالاقرع بن حابس الحنظلي اخي بني
مجاشع، و اشار الاخر بغيره.
فقال ابو بكر لعمر: ان ما اردت خلافي فقال عمر: ما اردت خلافاك، فارتفعت

اصواتهما عند النبي (ص) فنزلت (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم بعضا ان تحبط اعمالكم وانتم لاتشعرون) (1) .
(2) .

قال ابن حجر: وفد بني تميم كان قدومهم سنة تسع(3).
اخرجه ايضا الامام احمد بن حنبل في مسنده(4).

يتبادر للمتأمل في مضمون هذا الحديث، وتاريخ قدوم وفد بني تميم الى المدينة سؤال وهو: كيف يتصور ان يتقلد امامة المسلمين، ويتسلم عرش الخلافة، بعد النبي (ص) من صاحب النبي (ص) عشرين سنة ولم يراع آداب مجالسته، فيرفعان صوتهما عنده، ويتشاجران ويتجادلان عند الرسول (ص) حتى انزل الله في تقريعهما وذم فعلهما آية في كتابه؟

2. واخرج البخاري كذلك باسناده عن سعد بن ابي وقاص قال: استاذن عمر على رسول الله (ص)، وعنده نسا من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن، فلما استاذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فاذن له رسول الله (ص) ورسول الله (ص) يضحك فقال عمر: اضحك الله سنك يا رسول الله قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، قال عمر: فانت يا رسول الله كنت احق ان يهبن، ثم قال: اي عدوات انفسهن، اتهبنني ولا تهبن رسول الله (ص)؟ قلن: نعم، انت افظ واغظ من رسول الله (ص) (5).

-
- 1- الحجرات: 2.
 - 2- صحيح البخاري 9: 120 كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتدا بافعال النبي (ص)، وج5: 212 باب وفد بني تميم.
 - 3- فتح الباري 8: 68 عام الوفود.
 - 4- مسند الامام احمد 4: 60.
 - 5- صحيح البخاري 4: 153 كتاب بد الخلق باب صفة ابليس وجنوده، وج 5: 13 كتاب فضائل اصحاب النبي باب مناقب عمر بن الخطاب، وج8: 28 كتاب الادب باب التبسم والضحك.

اقول: لقد امتلات الكتب والمصادر المعتمدة وفاضت بذكر الطبيعة الخشنة، والغلظة الخلقية التي كان الخليفة عمر بن الخطاب يتصف بها حتى قيل: اذا غضب الخليفة عمر لم يسكن حتى يعرض على انامله ويجرحها. يقول الزبير بن بكار بعد ان روى هذه الامور: ان جارية اتت عمر بن الخطاب ايام خلافته تشتكى من احد ابني الخليفة، فما رام الخليفة الا ان اخذ يده فعضاها. وزاد ابن بكار: ولشدة هذه الصفة والغلظة التي كانت في الخليفة اضمر عبدالله بن عباس مخالفته للخليفة في مسالة العول، ولما مات اظهر ذلك، فقيل له: هلا قلت هذا في ايام عمر؟ قال ابن عباس: هبته وكان اميرا مهيبا(1).

الإمامة والعلم بالاحكام

الصفة الثانية من الصفات التي تلزم توفرها في الامام هي الاحاطة التامة بالاحكام، والامام الكامل بالتعاليم الدينية، فالذي لم يعرف جزئيات الاحكام الدينية، ولم يعلم اطراف المسائل، لا بد انه يرجع الى الاخرين وياخذ منهم حين تداهمه الحوادث والقضايا وهذا الفرد لا يليق له ان يتقلد الامامة والقيادة، لانه قد يفتي باحكام مضادة ومتناقضة مع الواقع، ويسوق الناس الى التيه والضلالة او التحير والترديد.

ولو تفحصنا التاريخ وكتب الحديث بمنظار التحقيق والبحث، لوجدنا ان الخلفاء ومقلدي الخلافة الاسلامية، لم تكن لديهم المعرفة الكاملة باحكام الدين كلياتها وجزئياتها، وكانوا يلتمسون حل المسائل والاحكام من سائر المسلمين وصحابة الرسول (ص)، وما اكثر ما افتوا بفتاوى متضادة ومناقضة ومخالفة للواقع واصدروا احكاما غريبة حتى قال عنهم أمير المؤمنين علي (ع):

ترد على ادهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها براهيه، ثم ترد تلك

1- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 6: 363.

الصفحة

355

القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آراهم جميعا، والههم واحد ونيبهم واحد، وكتابهم واحد، افامرهم الله تعالى بالاختلاف فاطاعوه، ام نهاهم عنه فعصوه، ام انزل الله دينا ناقصا، فاستعان بهم على اتمامه، ام كانوا شركا فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى، ام انزل الله تعالى دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه، والله سبحانه يقول: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (1) و(فيه تبيان كل شيء) (2)؟ (3).

ولكي تقوم باثبات هذه المسألة وانهم كيف افتوا الناس بفتاوى مناقضة بعضها بعضا، ومباينة للواقع ولماذا انتقد أمير المؤمنين (ع) سيرتهم في الافتاء واستنكرها عليهم نشير الى احد عشر فتوى مخالفة للنص القرآني الصريح من الموارد المذكورة في الصحيحين، واما ما في كتب الحديث والتاريخ وغيرها فهي كثيرة ومتضاربة:

1. التيمم: نصت الايات القرآنية (4) والاحاديث على ان الانسان اذا اجنب، ولم يجد ماءً، او ان الغسل بالما فيه ضرر عليه يجب عليه اداء الفرائض بالتيمم حتى يرتفع العذر.

يروى انه طرحت مسألة الجنابة وقد الما في مجلس الخليفة عمر بن الخطاب، ولكنه جهل الحكم المنصوص في القرآن والسنة، فافتى بترك الصلاة وتعطيلها فاعترض الصحابي عمار بن ياسر على حكم الخليفة، وذكره بالحكم: التيمم وادا الصلاة، لكن الخليفة عمر بن الخطاب لم يقنع بجواب عم ار، وهدده، فقال عمار: ان شاء الخليفة لم احدث بهذا بعد.

1- الانعام 38.

2- النحل: 289.

3- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 1: 288، نهج البلاغة تحقيق صبحي الصالح خطبة 18.

4- النساء: 43 والمائدة: 6.

الصفحة

356

واليك نص حديثين وردا بهذه المناسبة:

1 . عن سعيد بن عبدالرحمن، عن ابيه: ان رجلا اتى عمر فقال: اني اجنبت، فلم اجد ما؟ فقال: لا تصل.

فقال عمار: اما تذكر يا أمير المؤمنين اذ انا وانت في سرية، فاجنبنا، فلم نجد ما فاما انت فلم تصل واما انا فتمعكت في التراب وصليت فقال النبي (ص): انما يكفيك ان تضرب بيديك الارض، ثم تنفخ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك فقال عمر: اتق الله يا عمار فقال: ان شئت لم احدث به(1).

هذه الرواية اخرجها البخاري ومسلم عن سعيد بن عبدالرحمن.

ولكن البخاري خان الامانة واسقط جواب الخليفة عمر «لا تصل» من الحديث واشرنا في الجز الاول ان هذا هو داب البخاري في تقطيع الحديث وتعصبه(2).

2 . عن شقيق بن سلمة قال: كنت عند عبدالله بن مسعود وابي موسى الاشعري فقال له ابو موسى: يا ابا عبدالرحمن اذا اجنب المكلف فلم يجد ما، كيف يصنع؟ قال عبدالله: لا يصلي حتى يجد الما فقال ابو موسى: فكيف تصنع بقول عمار، حين قال له النبي (ص): كان يكفيك؟ قال: الم تر عمر لم يقنع بذلك؟ فقال ابو موسى: دعنا من قول عمار فما تصنع بهذه الاية . وتلا عليه آية المائدة(3)؟ قال: فما درى عبدالله ما يقول(4).

اخرج هذا الحديث البخاري ومسلم، ولكن بعض علماء اهل السنة بادر الى

1- صحيح البخاري 1: 92 باب التيمم باب المتيمم هل ينفخ فيهما، صحيح مسلم 1: 280 كتاب الحيض باب «28» باب التيمم ح112.

2- راجع ص 109.

3- المائدة: 6.

4- صحيح البخاري 1: 95 كتاب التيمم باب اذا خاف الجنب على نفسه المرض او الموت،

صحيح مسلم 1: 280 كتاب الحيض باب «28» باب التيمم ح110.

الصفحة

357

تعديل هذه الرواية والدفاع عن المرتبة العلمية للخليفة، فبرر قول عمر: «لا تصل» بانه نوع من الاجتهادات الخاصة لعمر، وبرر آخرون بان فتوى عمر كانت على حساب السهو والنسيان.

قال ابن حجر: لا تصل حتى تجد الما مقصور على رأي عمر، وهذا مذهب مشهور

عن عمر ويستفاد من هذا الحديث وقوع اجتهاد الصحابة في زمن النبي (ص)(1).

واما ابن رشد الفيلسوف والفقير المعروف في كتابه الاستدلالي بداية المجتهد بعدان برر

حكم عمر بالسهو والنسيان، فيحسم القضية بقوله:

لكن الجمهور راوا ان ذلك وجوب التيمم والصلاة على المجنب يثبت من حديث عمار

وعمران بن حصين، اخرجهما البخاري، وان نسيان عمر ليس مؤثرا في وجوب العمل

بحديث عمار(2).

2. حد شرب الخمر: عن قتادة يحدث عن انس بن مالك: ان النبي (ص) اتي برجل قد

شرب الخمر، فجلده بجريدتين، نحو اربعين قال: وفعله ابو بكر، فلما كان عمر

استشار الناس فقال عبدالرحمن:

اخف الحدود ثمانين فامر به عمر(3).

رواه مسلم في صحيحه بهذا المضمون بعدة اسانيد، والبخاري ايضا اخرجه في موردين

ولكنه اسقط آخر الحديث: فاستشار الناس(4).

وطبقا للاسلوب المتخذ في هذا الكتاب نقلنا الرواية عن البخاري والا فالحق: ان حد

شرب الخمر في عهد الرسول (ص) كان ثمانين جلدة وليس اربعين، ولما كان المسلمون

الاولائل ملتزمين بالعمل باحكام الدين، ومنشغلين بالحروب والفتوحات

1- فتح الباري 1: 352.

2- بداية المجتهد 1: 66.

3- صحيح مسلم 3: 1330 كتاب الحدود باب «8» باب حد الخمر ح37.

4- صحيح البخاري 8: 196 كتاب الحدود باب ما جا في ضرب شارب الخمر وباب الضرب

بالجريد والنعال.

فقليلًا ما اجري حد الخمر في ذاك الزمان، ولذلك ترى ان النسيان بالحكم قد اعترض الخليفة عمر .

ولكن في عهد الخليفة عمر حيث انفصل الناس عن المعنويات، وغمروا بالماديات وظل شرب الخمر يشيع شيئًا فشيئًا، فاصبح الحكم فيه من الموارد الكثيرة الابتلاء.

وقد ذكرنا آنفا ان أمير المؤمنين الامام علي (ع) هو الذي اشار على عمر بحد الشارب خمرًا ثمانين جلدًا وليس عبدالرحمن بن عوف.

فابن رشد الاندلسي يذكر الاختلاف الحاصل عند فقهاء اهل السنة في حد شارب الخمر وبعده يذكر الراي المشهور على انه هو ثمانين جلدًا ثم يقول:

فعمدة الجمهور تشاور عمر والصحابة لما كثر في زمانه شرب الخمر، و اشار علي (ع) عليه بان يجعل الحد ثمانين قيادا على حد الفرية(1).

وعلى اي حال، فالمستفاد من مجموع ما ذكرناه هو سوا كان الذي اشار عليه بذلك الامام علي (ع) او عبدالرحمن بن عوف ان الخليفة عمر بن الخطاب عرف الحكم في حد شارب الخمر بعد المشورة والاستشارة مع الاخرين.

3. دية الجنين: عن المسور بن مخرمة قال: استشار عمر بن الخطاب الناس في املاص المرأة فقال المغيرة بن شعبة: شهدت النبي (ص) قضى فيه بغرة عبد او امة قال: فقال عمر: ائنتي بمن يشهد معك قال: فشهد له محمد بن مسلمة(2).

اقول: هذا الحكم كما يشهد به الصحيحان اصح كتب اهل السنة هو من الاحكام التي افتى بها الخليفة عمر بن الخطاب باستناد الاستشارة، وفي الحديث ان

1- بداية المجتهد 2: 482.
2- صحيح البخاري 9: 14 كتاب الديات باب جنين المرأة، صحيح مسلم 3: 1311 كتاب الديات باب «11» باب دية الجنين ح39.

الخليفة قد اخذ براي المغيرة بن شعبة الجاني الزاني وشهادة رجل آخر.

4 . الاستئذان: ابا سعيد الخدري يقول: كنت جالسا بالمدينة في مجلس الانصار، فاتانا ابوموسى فرعا او مذعورا قلنا: ما شانك؟ قال: ان عمر ارسل الي ان آتية، فاتيت بابه فسلمت ثلاثا فلم يرد علي، فرجعت فقال: ما منعك ان تاتينا؟ فقلت: اني اتيتك فسلمت على بابك ثلاثا فلم يردوا علي، فرجعت وقد قال رسول الله (ص): اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع.

فقال عمر: اقم عليه البينة والا اوجعتك.

فقال ابي بن كعب: لا يقوم معه الا اصغر القوم قال ابو سعيد: قلت: انا اصغر القوم قال: فاذهب به(1).

اخرج مسلم هذه المسألة في صحيحه فمن تسعة احاديث باسانيد ومتون مختلفة، ورد عقيب واحدة منها تبرير الخليفة عمر لجهله بهذا الحكم البسيط قال:
خفي علي هذا من امر رسول الله (ص)، الهاني عنه الصفق بالاسواق(2).
وجا في حديث آخر ان ابي بن كعب هو الذي شهد لابي موسى، وقال بعدها مستكرا
عمل الخليفة:

فلا تكن يا بن الخطاب عذابا على اصحاب رسول الله (ص)(3).

اقول: ان مسألة الاستئذان التي اخرجها الشيخان في صحيحيهما، والتي كانت تعتبر مشكلة ومعضلة واجهت الخليفة عمر، حتى استدعت ان يشهد عليها الاخرون ويغلظ عليهم، هي من المسائل الاخلاقية والانسانية الفطرية وكل من كان ملتزما بمثل هذه الاخلاقيات يدرك حكمها بالفطرة والوجدان.

-
- 1- صحيح البخاري 8: 67 كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثا، صحيح مسلم 3: 1694 كتاب الاداب باب «7» باب الاستئذان ح33.
 - 2- صحيح مسلم 3: 1696 كتاب الاداب باب «7» باب الاستئذان ح36.
 - 3- المصدر ح37.

وهذا الحكم فضلا عن ان الرسول (ص) قاله وبينه للمسلمين، فقد ورد في القرآن ايضا، على نحو امر ارشادي قال تعالى: (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدافلا تدخلوها حتى يؤذن لكم)(1).

واما قول ابي بن كعب: لا يقوم معه الا اصغر القوم فيه تعريض وتقريع للخليفة، ومعناه ان حديث الاستئذان مشهور ومعروف يعرفه الكبار والصغار، وهو غير خفي على احد من المسلمين ولكن الصفق بالاسواق كما اعترف بذلك الخليفة بنفسه الهاه عن معرفة ابسط الاحكام، ومن هذا الحديث يمكننا ان نعرف مرتبة الخليفة العلمية وحله للمعضلات.

5. الكلالة: عن سالم بن ابي الجعد، عن معدان بن ابي طلحة: ان عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة، فذكر نبي الله (ص) وذكر ابا بكر ثم قال: اني لا ادع بعدي شيئاً اهم عندي من الكلالة، وما راجعت رسول الله (ص) في شي ما راجعته في الكلالة، وما اغظلي في شي ما اغظ لي فيه، حتى طعن باصبعه في صدري، وقال: يا عمر الا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟ واني ان اعش افض فيها بقضية، يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن(2).

آية الصيف التي اشير اليها في هذا الحديث هي آخر آية من سورة النساء، وتبين ارث الكلالة قال تعالى: (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امر هلك ليس له ولدوله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساءً فللذكر مثل حظ الا نثيين يبين الله لكم ان تضلواوالله بكل شي عليم)(3).

1- النور: 27 28.

2- صحيح مسلم 3: 1236 كتاب الفرائض باب «2» باب ميراث الكلالة ح9.

3- النساء: 176.

ولما كانت هذه الاية قد نزلت في الصيف سميت بية الصيف.

قال العلامة الاميني (قدس سره) عقيب هذا الحديث: ما اعضلت الكلالة على الخليفة وما ابهمها وابهم حكمها؟ وهي شريعة مطردة سمحة سهلة، حتى يعلن على منبره «اني لا ادع بعدي شيئاً اهم عندي من الكلالة»، وهل هو حين اكثر السؤال عنها، اجاب عنه الرسول (ص) ام لا؟ فاذا اجاب عنه الرسول، فلماذا لم يحفظه الخليفة؟ او قصر فهمه عن معرفته؟ واذا لم يجبه الرسول وابقى المسألة مبهمة عليه وحاشاه ان يؤخر البيان عن وقت الحاجة؟ وزد فكيف تخفى على احد معنى الكلالة وهي بين يديه وفيها قوله تعالى: (يبين الله لكم ان تضلوا)؟ فكيف يتصور ان الله بين حكم المسألة، والخليفة يقول لم تبين؟ وكيف

يرى النبي آية الصيف كافية في البيان لمن جهل الكلالة وتبقى هذه المسألة معضلة بدون حل للخليفة(1).

اقول: بعد بيان كل هذه المسائل فماذا هو مراد الخليفة عمر من قوله: وان اعش اقص فيها بقضية، يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لم يقرأ القرآن؟ فهل هناك قضا وراي فوق القرآن؟ افليس هذا يعني ان الخليفة يريد ان يجتهد في مقابل النص القرآني؟

6 . رجم المجنونة: عن ابن عباس قال: اتى عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها اناسا، فامر بها ان ترجم، فمر بها علي (رض) فقال: ما شان هذه؟ فقالوا: مجنونة بني فلان زنت فامر بها عمر ان ترجم فقال: ارجعوا بها ثم اتاه فقال: يا أمير المؤمنين، اما علمت ان رسول الله قال: رفع القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبيرا؟ قال: بلى: قال: وان هذه معتوهة بني فلان لعل الذي اتاها اتاهاوهي في بلاتها، فخلى سبيلها، وجعل عمر يكبر(2).

اخرج البخاري هذه الرواية في موضعين من صحيحه، وحفظا لرتبة عمر العلمية!!

1- الغدير للعلامة الاميني 6: 130 بتلخيص واختصار.
2- صحيح البخاري 7: 59 كتاب الطلاق باب الطلاق في الاغلاق والكره، وج 8: 205 كتاب المحاربين باب لا يرحم المجنون والمجنونة.

أسقط من الحديث مقدمته ومؤخرته وابقى هذا الوسط منه، قال علي لعمر: اما علمت ان القلم رفع عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ. وقد رويت هذه القصة بكاملها في مختلف كتب الحديث والتراجم(1).

وقال ابن عبدالبر بعد ان اخرج هذه الحكاية: ان عمر قال: لولا علي لهلك عمر(2).

7 . القراءة في صلاة العيد: عن عبيد الله بن عبد الله: ان عمر بن الخطاب سال اباواقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله (ص) في الاضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما (ق) والقرآن المجيد)، و(اقتربت الساعة وانشق القمر)(3).

اخرجه كل من مسلم في صحيحه، ومالك في الموطأ، والترمذي وابو داود في سننهما، واما ابن ماجة اخرجه في سننه بنحو آخر:

عن عبيدالله قال: خرج عمر (رض) يوم عيد، فارسل الى ابي واقد الليثي: باي شي كان النبي (ص) يقرأ في مثل هذا اليوم؟ فقال: بقاف واقتربت(4).

قال العلامة الاميني (قدس سره) تعقيبا على هذه الرواية: فهل معي نسائل الخليفة عن انه لماذا عزب عنه العلم بما كان يقرأه رسول الله (ص) في صلاة العيدين؟ او كان ناسياله فاراد ان يستثبت كما اعتذر به السيوطي في تنوير الحالك ج 1 ص 147؟ او انه الهاء عنه الصفق في الاسواق؟ كما اعتذر به هو في غير هذا المورد ويبعد النسيان ان حكما مطردا كهذا يكرر في كل عام مرتين على رؤوس الاشهاد ومزدحم الجماهير لا ينسى عادة(5).

- 1- سنن ابي داود: 140 كتاب الحدود باب في المجنون يسرق او يصيب حدا ح4399.
- 2- الاستيعاب 3: 1103 ترجمة علي بن ابي طالب (ع) رقم 1855.
- 3- صحيح مسلم 2: 607 كتاب صلاة العيدين باب « 3 » باب ما يقرأ به في صلاة العيدين ح14.
- 4- سنن ابن ماجه 1: 408 كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها باب « 157 » باب ما جا في القراءة في صلاة العيدين ح1282.
- 5- الغدير 6: 320.

اقول: فالقضية نفسها وبما هي هي، تومي الى ان الخليفة كان في حالة اضطراب هائل لجهله بالسورة التي تقرأ في صلاة العيد وهو في تلك الحالة قاصدا للذهاب الى صلاة العيد، اذ يرسل نفرا الى دار ابي واقد الليثي يساله عن كيفية المسالة وما يقرأ في صلاة العيد. 8. حلي الكعبة: اخرج البخاري حديثا في صحيحه في موردين وباختلاف يسير في الفاظهما:

عن ابي وائل قال: جلست الى شيبه في هذا المسجد قال: جلس الي عمر في مجلسك هذا.

فقال: هممت ان لا ادع فيها صفرا ولا بيضا، الا قسمتها بين المسلمين قلت: ما انت بفاعل قال: لم؟ قلت: لم يفعله صاحبك قال: هما المران يفتدى بهما(1).

ولكن يبدو للمحقق المدقق ان هذه القضية لم تحدث للخليفة مرة واحدة في عهده وخلافته فقط بل وقعت له مرات وقصد الكعبة كرات، وفي كل مرة كان يواجه مخالفة كبار الصحابة اياه، ومن ثم يرتدع ويتراجع عن قصده، فمرة يخالفه شيبه ويتراجع واخرى يشاور أمير المؤمنين الامام علي (ع) فينكر عليه ذلك، ويردعه بالادلة والبراهين القاطعة، واليك نص كلام أمير المؤمنين (ع):

روي انه ذكر عند عمر بن الخطاب في ايامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم: لواخذته فجهزت به جيوش المسلمين، كان اعظم للاجر وما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهم عمر بذلك، فسأل عنه أمير المؤمنين (ع) فقال: ان هذا القرآن انزل على محمد (ص) والاموال اربعة: اموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفي قسمه على مستحقيه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان

1- صحيح البخاري 9: 114 كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتدا بسنن رسول الله (ص)، وج3: 183 كتاب الحج باب كسوة الكعبة.

الصفحة
364

حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حاله، ولم يتركه نسيانا ولم يخف عنه مكانا، فافره حيث اقره الله ورسوله، فقال له عمر: لولاك لافتضحنا، وترك الحلي بحاله. قال ابن ابي الحديد بعد ان نقل الخطبة: هذا استدلال صحيح ويمكن ان يورد على وجهين:

احدهما: ان يقال: اصل الاشيا الحظر والتحريم، كما هو مذهب كثير من اصحابنا، فلا يجوز التصرف في شي من الاموال والمنافع الا باذن شرعي، ولم يوجد اذن شرعي في حلي الكعبة، فبقينا فيه على حكم الاصل. والوجه الثاني: ان يقال: حلي الكعبة مال مختص بالكعبة، وهو جار مجرى ستورالكعبة، فكما لا يجوز التصرف في ستور الكعبة وبابها الا بنص، فكذلك حلي الكعبة والجامع بينهما الاختصاص الجاعل كل واحد من ذلك كالجز من الكعبة، فعلى هذا الوجه ينبغي ان يكون الاستدلال(1).

اقول: ونقل الزمخشري هذه الخطبة في كتابه ربيع الابرار في الباب الخامس والسبعون(2).

9 . معنى ابا: اخرج البخاري في صحيحه: ان رجلا سال عمر بن الخطاب عن قوله: (فاكهة وابا)(3) ما الاب؟ قال: نهينا عن التعمق والتكلف(4).

فقد اشرنا فيما سلف، ان البخاري قد اسقط الشق الاول من الحديث واكتفى بالشق الاخير منه من قوله: نهينا عن ولكن ما اخفاه البخاري اظهره غيره في كتب الحديث والتفسير، وكذا شروح صحيح البخاري فذكروا القصة بالتفصيل حتى ان بعض

- 1- شرح نهج البلاغة 19: 158 159.
- 2- ربيع الأبرار 4: 26 باب اللباس والحلي من القلائد والاسورة.
- 3- عبس: 31.
- 4- صحيح البخاري 9: 118 كتاب الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لايعنيه.

شراح صحيح البخاري اذعنوا واعترفوا بما قام به البخاري من التقطيع والاسقاط(1).

10 . فتوى عثمان في الجنابة: وفقا لما نصت عليه الايات القرآنية والاحاديث المتظافرة المتواترة في الصحاح الستة بان الجنابة تتحقق باحد الطريقتين:

- 1 . خروج المنى.
- 2 . التقا الختانين، سوا خرج المنى ام لا وهذا هو المقصود في حد الزنا والنكاح.

قال الامام الشافعي: فاجب الله عزوجل الغسل من الجنابة، فكان معروفا في لسان العرب ان الجنابة الجماع، وان لم يكن مع الجماع ما دافق، وكذلك ذلك في حد الزنا وايجاب المهر وغيره، وكل من خوطب بان فلانا اجنب من فلانة عقل انه اصابها وان لم يكن مقترفا، ودلت السنة على ان الجنابة ان يفضي الرجل من المرأة حتى يغيب فرجه في فرجها الى ان يوارى حشفته، او ان يرمي الما الدافق وان لم يكن جماعا(2).

وورد في الصحيحين البخاري ومسلم وسائر مصادر اهل السنة احاديث متظافرة على وجوب الغسل بمجرد التقا الختانين وافرد مسلم لهذه المسألة بابا وعنوانه نسخ الما من الما ووجوب الغسل بالتقا الختانين(3).

وترى الخليفة عثمان لما سئل عن الرجل يجامع زوجته ولا يمني؟ يقول: لا يجب الغسل ويكفي الوضوء وغسل الفرج.

- 1- راجع فتح الباري 13: 229، ارشاد الساري 10: 311، عمدة القاري 25: 35، وراجع ايضا التفاسير وكتب الحديث واللغة، نحو: النهاية لابن اثير 1: 13 مادة اب، الدر المنثور 6: 317، الكشف 4: 705، ابن كثير 4: 504، الخازن 4: 354، البيهقي 4: 449، مستدرک الحاكم 2: 514 كتاب التفسير باب تفسير سورة عبس وتولى وغيرهم في تفسير سورة عبس.
- 2- الام 1: 36.
- 3- صحيح مسلم 1: 271 كتاب الحيض باب «22» باب نسخ الما.

واخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما باسنادهما عن، ابي سلمة ان عطا ابن يسار
اخبره ان زيد بن خالد الجهني اخبره انه سال عثمان بن عفان فقال: ارايت اذا جامع الرجل
امراته فلم يمن قال عثمان:
يتوضا كما يتوضا للصلاة ويغسل ذكره قال عثمان: سمعته من رسول الله (ص) فسالت
عن ذلك علي بن ابي طالب (ع) والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وابي بن كعب،
فامروه بذلك(1).

هذا هو فتوى الخليفة عثمان في الجنازة.

وقول الخليفة انه سمع هذا الحكم من النبي (ص)، والامام علي (ع) وطلحة والزبير وابي
بن كعب ايدوا ما سمعه من الرسول (ص)، اما ان تكون هذه فرية لا اصل لها وموضوعة
على لسان الخليفة حفظا لسمعة الخليفة كما نرى امثاله ونظائره بكثير واما ان تكون الرواية
على فرض صحتها مما ترتبط بالسنوات الاولى من البعثة النبوية حيث قال الرسول (ص):
«الما من الما»(2).

وهذا ان سلم قبول الرواية، فان ابن عباس ينكر ذلك ويقول بان المسألة الما من الما
تتعلق بالاحتلام، وعلى كل حال فان هذه المسألة من المسائل التي كثر الابتلا بها ولا تمت
بالجماع والمقاربة(3) وورد فيها احاديث كثيرة نحو عن عمرو ابنه وعائشة قالوا: اذا جاوز
الختان وجب الغسل، فكيف تخفى على الخليفة ويفتي بخلافها ويقول: لايجب الغسل ما لم
يمن.

ولعل الخليفة حفظ هذا الحكم منذ اول ما سمعه عندما اسلم، حتى ايام خلافته، وفي
هذه المدة الطويلة لم يكن يعلم انها نسخت فافتى وفقا للحكم المنسوخ الذي كان

1- صحيح البخاري 1: 80 كتاب الغسل باب غسل ما يصيب من فرج المرأة، وص 56 كتاب
الوضوء باب من لم ير الوضوء الا من المزجين، صحيح مسلم 1: 270 كتاب الحيض باب «21» باب
انما الما من الما ح86.
2- صحيح مسلم 1: 269 كتاب الحيض باب «21» باب انما الما من الما ح80.
3- فتح الباري 1: 316.

في ذهنه.

11 . المصاحف الشريفة: روى البخاري بإسناده عن انس بن مالك قال: ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية وأذربيجان مع اهل العراق، فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين اليهود والنصارى، فارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف، ننسخها في المصاحف، ثم نردها اليك، فارسلت بها حفصة الى عثمان.

فامر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شي من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة، وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا، وامر بما سواه من القرآن في كل صحيفة او مصحف ان يحرق(1).

قال احد العلماء المعاصرين: اما ان عثمان جمع المسلمين على قراءة واحدة وهي القراءة التي كانت متعارفة بين المسلمين، والتي تلقوها بالتواتر عن النبي (ص)، وانه منع عن القراءات الاخرى، اما هذا العمل من عثمان فلم ينتقده احد من المسلمين وذلك لان الاختلاف في القراءة كان يؤدي الى الاختلاف بين المسلمين، وتمزيق صفوفهم، وتقريب وحدتهم، بل كان يؤدي الى تكفير بعضهم بعضا، وقد منع النبي (ص) عن الاختلاف في القرآن، ولكن الامر الذي انتقد عليه هو احراقه لبقية المصاحف، وامره اهالي الامصار باحراق ما عندهم من المصاحف، وقد اعترض على عثمان في ذلك جماعة من المسلمين حتى سموه بحراق المصاحف(2).

اقول: ان للقرآن في الاسلام الحرمة الفائقة والمكانة العظيمة، وورد في تكريمه

1- صحيح البخاري 6: 225 كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ترى القصة كاملة.

2- البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي: 227.

واحترامه احكام كثيرة كحرمة مسه من دون ظهور، وحرمة قراءة العزائم للجنب والحائض في رأي الشيعة واما اهل السنة فانهم يقولون بحرمة قراءة اي سورة من القرآن لهما، وحرمة تنجيسه.

وملخص القول: قد تضافرت الاحاديث بحرمة كل عمل يكون موجبا لتوهين القرآن عرفا. قال الترمذي في سننه بعد ان اخرج حديث «لا تقرا الحائض ولا الجنب شيئا من القرآن»: المنقول عن النبي (ص) ما نصه، وهو قول اكثر اهل العلم من اصحاب النبي (ص) والتابعين ومن بعدهم مثل سفيان الثوري، وابن المبارك، والشافعي، واحمد، واسحاق قالوا: لا تقرا الحائض ولا الجنب من القرآن شيئا الا طرف الاية والحرف ونحو ذلك، ورخصوا للجنب والحائض في التسبيح والتهليل(1).

نعم، ان هذه التاكيدات والوامر والنواهي لم تصدر الا لبيان حرمة القرآن ورعاية شأنه واهميته فكيف جاز للخليفة عثمان ان يامر باحراق هذه المصاحف؟ وبأي دليل ومستند شرعي استساغ لنفسه ان يشعل النار في كثير من الايات القرآنية، سوا التي كانت في المدينة او سائر البلاد الاخرى؟ وكيف يمكن الجمع والتنطبيع بين هذه الفتوى والحكم الخلفي وبين عظمة القرآن والاحكام التي جاءت فيها؟

فلو كان الخليفة عثمان بن عفان قد قصد باحراق المصاحف الشريفة لينتقي الاختلاف المحتمل، فان هناك طرقا اخرى غير الاحراق يمكنه ان يدفع الاختلاف بها، ولا توجب الالهانة بكرامة القرآن والاساءة الى قدسيته، فمثلا كان بإمكانه ان يضع المصاحف في بئر او بحر ويحفظ قداسته.

والاجابة على هذه الاسئلة نحيلها الى القارئ النبيه ليجيب عليها.

1- سنن الترمذي 1: 236 كتاب الطهارة باب «98» باب من ابواب الطهارة ح 131.

لا ريب ان اهم شروط الامامة والتي تعتبر المفهوم الواقعي والحكمة العالية في الخلافة في الاسلام هو: ان يكون الامام والخليفة حافظا للدين، وصائنا للشريعة، ومنفذالقوانين القرآن وتشريعاته.

هذا ما اوضحه أمير المؤمنين (ع) في ضمن بيانه لشروط الامامة فقال: ولا المعطل للسنة فيهلك الامة.

ولكن التاريخ يروي لنا عكس هذا تماما، ويستفاد مما احتوته احاديث الصحيحين، ان بعض حكام الشريعة، وقوانين الدين، قد تعرضت للتزوير وتناولت اليها ايدي التشويه والتحريف في عهد الخلفاء، وانهم كانوا يغيرون التعاليم والاحكام الدينية حسب ما تقتضيه مصالحهم ونزعاتهم الشخصية، وكل واحد منهم كان يفسر الشريعة والسنة وفقا لرايه وكيفما شات هواؤهم.

لما ارادوا ان يبرروا هذا العمل . ويصبغوا هذه التحريفات والتغييرات بالصبغة الدينية والطابع الشرعي، ويظهروا باطلهم ومخالفاتهم للنصوص في كسوة الحق سموه الاجتهاد، وخلف ستار الاجتهاد وباسمه دسوا تحريفاتهم ومخالفاتهم في اوساطالمجتمعات الاسلامية، بينما الاجتهاد في الواقع امر، ومخالفة التعاليم القرآنية الصريحة والسنة النبوية امر آخر. وبهذه المناسبة يقول امير المؤمنين الامام علي (ع):

قد عملت الولاة قبلي اعمالا خالفوا فيها رسول الله (ص)، متعمدين بخلافه، ناقضين لعهد، مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها، وحولتها الى مواضعها، والى ما كانت في عهد رسول الله (ص)، لتفرق عني جندي، حتى ابقى وحدي، او مع قليل

من شيعتي الذين عرفوا فضلي، وفرض امامتي من كتاب الله وسنة رسوله (ص)(1). وقال ايضا: لو قد استوت قدمي من هذه المداحض لغيرت اشيا. وعلق ابن ابي الحديد في شرحه على هذه الكلمة: لسنا نشك انه كان يذهب في الاحكام الشرعية والقضايا الى اشيا يخالف فيها اقوال الصحابة، نحو قطعه السارق من رؤوس الاصابع، وبيعه امهات الاولاد، وغير ذلك، وانما كان يمنعه من تغيير احكام من تقدمه اشتغاله بحرب البغاة والخوارج(2).

اقول: ان عدد الاحكام التي غيرت وحرفت واحصا المخالفات التي وقعت في قبال اوامر النبي (ص) واحكامه سوا في حياته او بعد وفاته من قبل الصحابة، فهي كثيرة العدد مستخرجة ومروية في كتب الحديث والتفسير بكثرة. الا اننا نذكر هنا بعض تلك الاعمال . وقد نقلها الشيخان في صحيحهما التي خالف فيها الاصحاب اوامر الرسول (ص) وسننه، وحرفوها:

1 . القتل والفتك

تحريف الاحكام:

من الاحكام الضرورية في الشريعة الاسلامية حرمة الانسان المسلم الذي يقرب بالشهادتين شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (ص) فاهراق دمه واستباحة ماله حرام، ولا يحق لاحد التعرض لهما الا من الناحية الحقوقية الفردية. قال النبي (ص): امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا: لا اله الا الله، فمن قال: لا اله الا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه، وحسابه على الله(3).

- 1- كتاب سليم بن قيس الهلالي: 162، روضة الكافي: 59 ح 21، بحار الانوار 34: 168 كتاب تاريخ امير المؤمنين (ع) باب « 32 » باب علة عدم تغيير امير المؤمنين (ع) بعض البدع في زمانه، احقاق الحق 1: 61.
- 2- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 19: 161.
- 3- صحيح البخاري 9: 19 كتاب استتابة المرتدين والمعاندين باب قتل من ابي قبول الفرائض، صحيح مسلم 1: 51 كتاب الايمان باب «8» باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ح 32. ثمة في التاريخ الاسلامي قضايا وحوادث مؤلمة مثل احراق قبيلة بني سليم الذي اشعل خالد.

فبعد وفاة الرسول ابي بعض المسلمين المعتقدين بوجوب احكام الدين وضرورياته كالزكاة ان يدفع الزكاة الى ابي بكر، والحق لانهم ما كانوا يعترفون بخلافة ابي بكر على انها خلافة شرعية، ولذلك حاربهم ابو بكر فقتل رجالهم وسبى نساهم واطفالهم(1). ولما راوا فضاة ما فعلوه عمدوا الى الباسه لباس الشرعية ليحصنوا بذلك شرف الخليفة من النقد والاستنكار، ويبرؤونه من وصمة العار، ولذلك سموا مانعي دفع الزكاة الى الخليفة بالمرتدين، وبذلك اشتهروا، وصيروا في قائمة الكفار مثل مسيلمة(2) وطلحة(3) اللذان حاربا الاسلام في عهد رسول الله (ص).

1- بن الوليد فيها الفار في غرة حكومة الخليفة ابي بكر الصديق راجع الرياض النصرة للمحب الطبري 1: 147.

2- مسيلمة الكذاب: هو مسليمة بن ثمامة من بني حنيفة، ادعى النبوة وكان من المعمرين، نشأ باليمامة، ولما ظهر الاسلام في الحجاز وافتتح النبي 9 مكة ودانت له العرب، جاءه وفد من بني حنيفة وكان معهم مسيلمة الا انه تخلف مع الرجال خارج مكة فجا الوفد الى النبي واسلموا واخبروا النبي بمكان مسيلمة، ولما رجعوا الى ديارهم كتب مسيلمة الى النبي: من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله، سلام عليك، اما بعد... فاجابه النبي: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب.... وكان مسيلمة يضع اسجعا ليضاهي بها القرآن، وتوفي النبي 9 قبل القضا على فتنه، وفي عهد ابي بكر ارسل ابوبكر جيشا بقيادة خالد بن الوليد فقتل عليه، وكان ذلك سنة 12 من الهجرة.

راجع الاعلام ترجمة مسيلمة الجز السابع. المغرب.

3- طليحة الكذاب: هو طليحة بن خويلد الاسدي، قدم هو وقبيلته سنة تسع من الهجرة المدينة فاسلموا، ولما رجعوا ارتد طليحة وادعى النبوة فوجه النبي (ص) اليه ضار بن الازورفضربه ضار بالسيف يريد قتله، فنيا السيف فشاع بين الناس ان السلاح لا يؤثر فيه، ومات النبي (ص) فكثرت اتباع طليحة من قبائل اسد وغطفان وطبي، وكان يقول: ان جبرئيل ياتيه، وتلا على الناس اسجعا امرهم فيها بترك السجود في الصلاة، فهاجم المدينة في عهد ابي بكر وقتله خالد ومات في عهد عمر الاعلام ترجمة طليحة الاسدي الجز الثالث المغرب.

بينما الروايات والتاريخ يدفعان هذا الاتهام والوصمة بالارتداد عن هذه الفئة وينفيانه عنها وتبرئ اولئك من هذه الفرية.

ومن الاحاديث التي تكشف عن واقعية هذه القضية وحقيقتها هو ما اخرج البخاري ومسلم في كتابيهما، حيث كشفت عن جوانب جزئية من هذه القصة نتطرق الى نقل خلاصة القضية من الناحية التاريخية.

اخرج الشيخان عن ابي شهاب، اخبرني عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ان ابا هريرة قال: لما توفي النبي (ص) واستخلف ابوبكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا ابا بكر قال رسول الله (ص): «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا: لا اله الا الله، فمن قال: لا اله الا الله عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله»؟

قال ابو بكر: والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فان الزكاة حق المال والله

لومنعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله (ص) لقاتلتهم على منعها.

قال عمر: والله ما هو الا ان رايت ان قد شرح الله صدر ابي بكر للقتال، فعرفت انه

الحق(1).

اقول: ان الجملة الاولى من هذه الحكاية وكفر من كفر من العرب كما يظهر من

ظاهرها ليست الا كذبا وتديسا، وما هي الا ذريعة التمسوها لتوجيه القتل والغارات والتكيد

بالمسلمين، التي وقعت بامر من الخليفة ابي بكر، وما يشهد على زيف دعواهم ما جاء في الفقرات الاخيرة من القصة البخارية.

1 . ورد في جواب ابي بكر لعمر: «انى اقاتل من فرق بين الصلاة والزكاة» وهذه العبارة انما تدل بوضوح على ايمانهم واقامتهم الصلاة وليس فيها ما يمت الى كفرهم.

1- صحيح البخاري 9: 19 كتاب استتابة المرتدين والمعاندين باب قتل من ابى قبول الفرائض، صحيح مسلم 1: 51 كتاب الايمان باب «8» باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا: لا اله الا الله.

الصفحة

373

2 . فلو فرضنا انهم مرتدون فان اعتراض عمر على الخليفة حينئذ يكون باطلا، حيث انه استنكر عمل الخليفة وانتقده، واستدل في استنكاره بحديث يبين فيه تعاليم الاسلام في بيان مصونية مال المسلمين ودمائهم.
قال ابن رشد: وقد بقى من احكامه حكم مشهور، وهو ماذا حكم من منع الزكاة ومن لم يجحد وجوبها؟

فذهب ابو بكر (رض) الى ان حكمه حكم المرتد، وبذلك حكم في مانع الزكاة من العرب، وذلك انه قاتلهم وسبى ذريتهم، وخالفه في ذلك عمر، واطلق من كان استرق منهم ويقول عمر قال الجمهور(1).

وكانت حروب الردة كما يصطلحون عليها منحصرة في جبهتين: في جبهة حضرموت ضد قبائل كندة ومارب وكان اميرالعسكر الخليفة عكرمة بن ابي جهل وفي جبهة اطراف المدينة ضد قبائل عبس وذبيان وبنى كنانة وغيرها بقيادة خالد بن الوليد.
وهؤلاء الرجال الذين قتلوا بسيف المسلمين بقيادة عكرمة وخالد لم يرتدوا ولم يكونوا منكري وجوب الزكاة، بل هم مسلمون وكانوا يقولون:

اطعنا رسول الله مادام وسطنا.

فيا قوم ما شاني وشان ابي بكر(2).

بعضهم كانوا يقولون لممثل الخليفة: انك تدعو الى طاعة رجل لم يعهد الينا ولا اليكم فيه عهد(3).

وتارة كانوا يقولون (4) لهم: انظروا في شان عترة النبي (ص) فما كان من امرهم، وهم الاولى بتسنم خلافة الرسول فاقصيتموهم والله تعالى يقول: (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله) (5).

قال ابن كثير: وجعلت وفود العرب بعد خلافة ابي بكر تقدم المدينة، يقرون

- 1- بداية المجتهد 1: 256.
- 2- للمزيد من الاطلاع على قضية ما سمي بالردة راجع: معجم البلدان للحموي، انساب الاشراف للبلاذري، والفتوح لابن اعثم الكوفي.
- 3- للمزيد من الاطلاع على قضية ما سمي بالردة راجع: معجم البلدان للحموي، انساب الاشراف للبلاذري، والفتوح لابن اعثم الكوفي.
- 4- للمزيد من الاطلاع على قضية ما سمي بالردة راجع: معجم البلدان للحموي، انساب الاشراف للبلاذري، والفتوح لابن اعثم الكوفي.
- 5- الانفال: 75.

بالصلاة ويمتنعون عن اداء الزكاة، ومنهم من امتنع عن دفعها الى الصديق ابي بكر (1).

وقال العقاد: اما القبائل ورا ذلك، فكان لكل منها نصيب من التقليل يناسب نصيبها من القرب والبعد والمودة والجفا، فاقربهم الى مهد الاسلام كانوا يخلصون للنبي (ص) ويخرجون على من ولى الحكم بعده:

اطعنا رسول الله مذ كان بيننا فيا لعباد الله ما لابي بكر

واناس منهم آمنوا بالزكاة ولم يؤمنوا بمن يؤدونها اليه(2).

وقال الاستاذ محمد حسنين هيكل: جمع ابو بكر كبار الصحابة يستشيرهم في قتال الذين منعوا الزكاة، وكان رأي عمر بن الخطاب وطائفة من المسلمين معه الا يقاتلوا قوما يؤمنون بالله ورسوله، وان يستعينوا بهم على عدوهم، ولعل اصحاب هذا الراي كانوا اكثر الحاضرين، في حين كان الذين اشاروا بالقتال هم القلة. واغلب الظن ان المجادلة بين القوم في هذا الامر البالغ الخطر طالت، واحتدمت ايما احتدام، فقد اضطر ابوبكر ان يتدخل بنفسه فيها، يؤيد القلة ولقد اشتد في تاييد رايه في ذلك

المقام يدل على ذلك قوله: والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله (ص) لقاتلتهم على منعه(3).

اقول: وقصة التشاور بين ابي بكر وبلاطه نقلها السيوطي (4) والبلاذري وابن الاعثم الكوفي(5)، وقال الاعثم:

وان جملة «والله لو منعوني عقالا» قالها ابوبكر في جواب عمر عندما رآه يعارض

-
- 1- البداية والنهاية 6: 304 حوادث سنة احدى عشرة فصل في تنفيذ جيش اسامة.
 - 2- عبقرية الصديق: 124.
 - 3- الصديق ابوبكر: 96.
 - 4- تاريخ الخلفاء: 74.
 - 5- الفتوح 1: 22 6.

فكرة قتال المسلمين.

وعلى اي حال يتضح مما ذكرناه ونقلناه عن ابن كثير وسائر المؤرخين، ومن كلام ابي بكر ان السبب والباعث الرئيسي ورا قتاله لهؤلاء القوم لم يكن ارتدادهم وتراجعهم عن الاسلام، او انكارهم لاحدى الضروريات الدينية اي الزكاة، بل الباعث في قتالهم هو انهم امتنعوا عن اداء الزكاة لابي بكر كما كانوا يؤدونها لرسول الله (ص).

مالك بن نويرة عامل النبي (ص) على الصدقات:

الحروب التي شنت على القبائل المختلفة، وقتل فيها رجالها وسبيت النساء والاطفال، لم يكن سببها في الواقع هو ارتدادهم عن الدين وخروجهم عن الاسلام كما اتهموا بها، وانما السبب الواقعي هو امتناعهم عن اداء الزكاة للخليفة لابي بكر. ولما كان استعراض كل الجزئيات المكونة في تلك الحروب الردة وشرحها مما يستدعي ويستوجب الاطالة والاطناب، فلذلك اكتفينا بذكر قصة قتل مالك بن نويرة ورجال قبيلته خاصة(1).

قال ابن حجر في ترجمة مالك بن نويرة: وكان النبي (ص) استعمله على صدقات قومه قبيلة بني تميم(2).

وقال ابن الاعثم الكوفي: ثم ضرب خالد عسكريا بارض بني تميم، وبث السرايافي البلاد
مينة وبسرة، قال: فوقعت سرية من تلك السرايا على مالك بن نويرة فاذا هو في حائط له
ومعه امراته وجماعة من بني عمه.
قال: فلم يرع مالك الا والخيل قد احدقت به، فاخذوه اسيرا واخذوا امراته معه، وكانت
مسحة من جمال، واخذوا كل من كان معه من بني عمه، فاتوا بهم الى خالد بن الوليد حتى
اوقفوا بين يديه.

-
- 1- راجع: عبدالله بن سبا للعلامة العسكري لتزداد اطلاعا عن حروب الردة.
2- الاصابة 5: 560 ترجمة مالك بن نويرة رقم 7712.

قال: فامر خالد بضرب اعناق بني عمه بديا.
فقال القوم: انا مسلمون، فعلى ماذا تامر بقتلنا؟ قال خالد: والله لاقتلنكم، فقال له شيخ
منهم: اليس قد نهاكم ابو بكر عن ان تقتلوا من صلى للقبلة؟ قال خالد: بلى قد امرنا بذلك،
ولكنكم لم تصلوا ساعة قط.
قال: فوثب ابو قتادة الى خالد بن الوليد فقال: اشهد انك لا سبيل لك عليهم، قال خالد:
وكيف ذلك؟ قال:
لاني كنت في السرية التي قد وافتهم، فلما نظروا الينا قالوا: من اين انتم؟ قلنا: نحن
مسلمون قالوا:
ونحن مسلمون ثم اذنا وصلينا فصلوا معنا فقال خالد: صدقت يا ابا قتادة، ان كانوا قد
صلوا معكم فقد منعوا الزكاة التي تجب عليهم ولا بد من قتلهم قال: فرجع شيخ منهم صوته
وتكلم، فلم يلتفت خالد اليه والى مقالته، فقدمهم فاضرب اعناقهم عن آخرهم.
قال: وكان ابو قتادة قد عاهد الله انه لا يشهد مع خالد بن الوليد مشهدا ابدا بعد ذلك
اليوم.
قال: ثم قدم خالد مالك بن نويرة ليضرب عنقه، فقال مالك: اتقتلني وانا مسلم اصلي الى
القبلة؟ خالد: لو كنت مسلما لما منعت الزكاة ولا امرت قومك، والله ما نلت ما في مثابتك
منامك حتى اقتلك.

قال: فالتفت مالك بن نويرة الى امراته فنظر اليها ثم قال: يا خالد برجوعك عن دين الاسلام، وجفلك لابل الصدقة، وامرك لقومك بحبس ما يجب عليهم من زكاة اموالهم قال: ثم قدمه خالد فضرب عنقه صبورا فيقال: ان خالد بن الوليد تزوج بامرأة مالك، ودخل بها، وعلى ذلك اجمع اهل العلم(1).

قال اليعقوبي المؤرخ: وكان متمم بن نويرة اخو مالك شاعرا فرثى اخاه بمراث كثيرة ولحق بالمدينة الى ابي بكر، فصى خلف ابي بكر صلاة الصبح، فلما فرغ ابو بكر

1- الفتوح 1: 7.

الصفحة
377

من صلاته، قام متمم فاتكا على قوسه ثم قال:

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت خلف البيوت قتلت يابن الازور
ادعوته بالله ثم غدرت لو هو دعاك بذمه لم يغدر

فقال ابوبكر: ما دعوته ولا غدرت به(1).

وقال اليعقوبي ايضا: وكان اول ما عمل به عمر لما ولي الخلافة ان رد سبايا اهل الردة الى عشائريهم(2).

وقال ابن الاعثم: فهم ابو بكر بقتل المقاتلة وقسمة النسا والذرية، فمنعه عمر عن ذلك فامر بهم ابو بكر فحبسوا، ولما صار الامر الى عمر قال لهم: انطلقوا فانتم احرار لوجه الله فلا فدية عليكم(3).

نعم، هكذا كان المسلمون يقتلون وتضرب اعناقهم وتسبى نساؤهم وذرياتهم، بامر من الخليفة، وما ذنبهم الا انهم امتنعوا عن اداء الزكاة الى الخليفة، وكانوا يسحبون والاغلال في اعناقهم الى مركز الحكومة الاسلامية.

ولكن لما مات ابو بكر وحل محله خليفته عمر بن الخطاب استنكر ما كان يراه ابوبكر صحيحا، واول عمل قام به ان اطلق سراح الاسرى والسبايا وارجعهم الى قبائلهم كما قرأنا معا خلاصة ما نقله الشيخان في صحيحيهما في الاسطر السابقة.

واخرج مسلم في صحيحه باسناده عن ابي هريرة قال:

ان رسول الله (ص) لما اعطى الراية يوم خيبر لعلي بن ابي طالب (ع) قال له: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، قال: فسار علي (ع) شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يارسول الله على ماذا اقاتل الناس؟

- 1- تاريخ البيهقي 2: 132.
- 2- المصدر: 139.
- 3- الفتوح 1: 18.

قال: قاتلهم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (ص)، فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله(1).
هذه هي سيرة الرسول وسنته وانقياد الامام علي (ع) لاوامره، وهذه هي سنة الاسلام ونهجه الصحيح.
وتلك كانت طريقة الخلفاء ومنهجهم في اجرا الاحكام الدينية والسنة النبوية.

2 . قصة فدك وارث الرسول (ص):

المورد الثاني من مخالفة الخلفاء لرسول الله (ص) واحكام الشريعة، والتي وقعت في عهد الخليفة ابي بكر هو مسالة غصبه فدك وارث رسول الله (ص) من فاطمة الزهرا (س)، وانه آذى بضعة الرسول (ص) واغضبها.
ولما كانت هذه الواقعة وبعض جوانبها قد وردت مجملة ومختصرة في الصحيحين في موردتين فقط، نقلها عن عائشة بنت ابي بكر، راينا لزاما ان ننقل النص منهما ومن ثم ندرس هذه القضية دراسة محققة على نحو الاختصار.

1 . عروة بن الزبير: ان عائشة ام المؤمنين (رض) اخبرته ان فاطمة (س) ابنة رسول الله (ص) سألت ابا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله (ص) ان يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله مما افا الله عليه.

فقال لها ابو بكر: ان رسول الله (ص) قال: لا نورث، ما تركنا صدقة فغضبت فاطمة بنت رسول الله (ص)، فهجرت ابا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله (ص) ستة اشهر.

قالت: وكانت فاطمة (س) تسال ابا بكر نصيبها مما ترك رسول الله (ص) من خيبر

وفدك وصدفته بالمدينة، فابي ابو بكر عليها ذلك(1).

2 . عن عروة، عن عائشة: ان فاطمة (س) بنت النبي (ص)، ارسلت الى ابي بكر،

تسأله ميراثها من رسول الله (ص) مما افا الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس
خيبر فقال ابو بكر: ان رسول الله (ص) قال: لا نورث ما تركنا صدقة، انما ياكل آل محمد
(ع) في هذا المال، واني والله لا اغير شيئاً من صدقة رسول الله (ص) عن حالها التي
كان عليها في عهد رسول الله (ص)، ولا عملن فيها بما عمل به رسول الله (ص).

فابي ابو بكر ان يدفع الى فاطمة (س) منها شيئاً، فوجدت فاطمة (س) على ابي بكر في
ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي (ص) ستة اشهر، فلما توفيت دفنها
زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها ابا بكر وصلى عليها، وكان لعلي (ع) من الناس وجه حياة
فاطمة (س)، فلما توفيت استتكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة ابي بكر ومبايعته، ولم
يكن يبايع تلك الاشهر، فارسل الى ابي بكر ان ائتنا ولا ياتنا معك احد(2).

اقول: هذان الحديثان اخرجهما الشيخان باسنادهما عن عائشة، ولما كان الحديث طويلاً
انتقينا الفقرات الاولى منها حيث انها بيت القصيد.

وعلى الرغم من ان كلام عائشة قد اعطت القضية نوعاً من الجدل والمصالحة،
وصبغتها بصبغة الصلح والمسالمة، الا انها تحتوي على نقاط هامة، وتكشف عن حقائق
كانت مستورة تشير اليها باختصار:

1 . يظهر بعد البحث والتحقيق ان ميراث النبي (ص) وتركته المتنازع عليها، والتي
صودرت من قبل الخليفة، لم تنحصر بفدك كما هو المشهور، لان النبي (ص) كان يملك

1- صحيح البخاري 4: 96 كتاب الجهاد والسير باب فرض الخمس، صحيح مسلم
1381 كتاب الجهاد والسير باب «16» باب قول النبي: لا نورث ح54.
2- صحيح البخاري 5: 177 كتاب فضائل اصحاب النبي باب غزوة خيبر، صحيح مسلم
1381 كتاب الجهاد والسير باب «16» باب قول النبي: لا نورث ما تركنا صدقة ح54.

اموالا وقرى خارج المدينة غير فدك كما اثبتته المحققون والعلماء(1).
وهذا ما نستقيده من كلام عائشة حيث قالت: بان فاطمة طالبت ابا بكر بعد وفاة النبي
بموارد متعددة، مثل فدك والخمس من غنائم خيبر والصفايا والصدقات خارج المدينة.
ولعل اشتهاه فدك من بين كل تلك الموارد، لاهميتها الخاصة وموقعها كما يقول ابوداود
في سننه: ان ارياح فدك السنوية في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز كانت تبلغ اربعين
الف دينار وقد ردها الخليفة لبني الحسن(2).

- 2 . ان ابا بكر عندما امتنع من ان يرجع ميراث النبي (ص) الى اهل بيته (ع) عمد
الى تزويره جعل حديث ونسبه الى رسول الله (ص) بانه قال: لا نورث.
- 3 . ان فاطمة الزهراء (س) انكرت هذا الحديث المزيف وانتقدته، وهجرت ابابكر ولم تكلمه،
حتى توفيت فغسلها وكفنها ودفنها وصلى عليها زوجها علي بن ابي طالب (ع) ليلا، ولم
يخبر الخليفة بوفااتها والصلاة عليها.
- 4 . كانت فاطمة (س) في المدة التي عاشتها بعد ابيها الرسول ستة اشهر (3) اقوى حام
ومدافع لأمير المؤمنين (ع) في مقابل مخالفيه، ولذا نقرا انه ما بايع أمير المؤمنين (ع)
ابابكر ما دامت فاطمة (س) حية، وعندما توفيت فاطمة (س) وتغير اسلوب الخليفة
واصحاب رسول الله (ص) في معاملتهم لأمير المؤمنين الامام علي (ع)، ارسل الى ابي
بكر وبايعه، كما قالت عائشة: استنكر وجوه الناس فالتمس مصالحة ابي بكر ومبايعته.

1- سنن ابي داود 3: 141 كتاب الخراج والامارة والفى باب في صفايا رسول الله ح 2967.

2- سنن ابي داود 3: 143 كتاب الخراج والامارة والفى باب في صفايا رسول الله (ص)

ح 2972.

3- هذه المدة هي حسب ما ترويه روايات العامة، واما كتب التاريخ والسير عند الشيعة
وكذا رواياتهم تؤكد بانها سلام الله عليها عاشت بعد ابيها 70 يوما او ثلاث اشهر، فعلى الاول ان
قلنا بان شهادتها كانت في الثالث عشر من جمادى الاولى وعلى الثالث اشهر ان قلنا بان
شهادتها كانت في الثالث من جمادى الاخرى.

ابداع مادة قانونية:

اما ما يرتبط من هذه الموارد الاربع المذكورة ببحثنا هو الموردين الاوليين اي مصادرة ميراث النبي وغصبه، والآخر وضع حديث مزيف بحيث صار قانونا لمن ياتي بعده ولما كان موضوع مصادرة الارث وغصب فدك من مسلمات الحوادث التاريخية المتفق عليها عند السنة والشيعية، لذلك لم نر لزوما للبحث فيها، فعلى هذا فان البحث منحصر في المورد الثاني.

كان الخليفة ابوبكر في تلك اللحظات الحساسة بحاجة ماسة الى ذريعة قوية ووسيلة شرعية، حتى تمكنه من الوصول الى ما نواه من مصادرة ميراث النبي واخراج ماكان عليه يدي الزهرا ابنة الرسول (ص) من ملكيتها، ويجعلها جزا من الانفال العامة المتعلقة ببيت المال، وهو في نفس الوقت كان يفكر ان لا يواجه هزيمة في منازعته مع الجانب الآخر يعني فاطمة الزهرا (س) ويكون هو المنتصر عند الراي العام، فما كانت ذريعة اقوى وادحض لمطالبة الجانب الآخر من ان يضع ويختلق حديثا وينسبه الى النبي (ص) اذ يقول: نحن معاشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة.

هذا الحديث في معارضته ومناقضته للنصوص القرآنية صريح وواضح، وزد على هذه المخالفة ما فيه من معاكسته لكثير من الحقائق الاخرى التي سنذكرها:

فلو كان الحديث المنسوب الى النبي صحيحا فلم لم يرويه احد من اهل بيته (ع) واصحابه سوى ابي بكر، وحتى ابنته وصهره (ع) وكذا ازواجه لم يسمعوا بمثل هذا الخبر من النبي (ص)؟

الم تكن وظيفة الرسول (ص) وفقا للآية (وانذر عشيرتک الا قريبن) (1) ان يخبره ابنته (س) صاحبة الحق وصهره الامام علي (ع) الذي كان ملازما له دائما لكي لا تطالب بعد وفاته (ص) بالارث وكذا يصنع من حدوث الاختلاف بين اهل بيته (ع) واصحابه؟

هل الرسول (ص) كان يجهل انه سيحدث بعد وفاته اختلاف ونزاع حول مسألة الارث؟
ولو كان هذا الحديث صحيحا لماذا لاثت فاطمة الزهرا (س) وهي من اصحاب الكسا
ومعصومة من الذنوب والخطا (1)، خمارها، واشتملت بجلابها، واقبلت في امة من حفدتها
ونساقومها، تطا ذبولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (ص)، حتى دخلت على ابي
بكر، وهو في حشر من المهاجرين والانصار وغيرهم، فنيطت دونها مائة، فحنت ثم انت
انة اجش القوم لها بالبكا، فارتج المجلس، ثم امهلت هنيهة، حتى اذا سكن نشيج القوم،
وهداث فورتهم، افتتحت الكلام وبدات خطبتها التاريخية واحتجاجها الخالد.
وبعد الحمد والثنا ذكرتهم بمتاعب ابيها رسول الله (ص)، وقضية خلافة بعها، مستدلة
بالدراهم الجلية، والدلائل الواضحة، ثم توجهت الى ابي بكر، وقالت: يا ابن ابي قحافة،
افي كتاب الله ان ترث اباك ولا ارث ابي؟ وبعد ذلك توجهت الى قبر رسول الله (ص)
وقالت:

قد كان بعدك انبا وهنيئة
لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
ابدت لنا رجال نجوى صدورهم
لما قضيت وحالت دونك الكتب
تجهمتنا رجال واستخف بنا
اذ غبت عنا فنحن اليوم نعتصب(2)

قلو كان ما نسبه ابو بكر الى الرسول (ص) صحيحا لماذا غضبت عليه فاطمة الزهرا
(س) التي قال عنها الرسول: من اغضبها فقد اغضبني(3) ولم تكلم ابابكر حتى

- 1- راجع ص 309 اصل.
- 2- انظر الخطبة بكاملها واحتجاجها على ابي بكر في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد
16: 211، بلاغات النساء: 12، والشافى للسيد المرتضى 4: 70.
- 3- راجع ص.

توفيت (ع)؟(1).

قلو كان ادعا ابي بكر صحيحا لما وقف أمير المؤمنين والحسن والحسين (ع) الذين
نزلت فيهم آية التطهير والمباهلة الى جانب الزهرا (س) في احتجاجها مع ابي بكر؟

وهل يعقل ان ياخذ الامام علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) الصدقات وهي محرمة عليهم وهي مختصة بفقر المسلمين، ويصيرونها ملكا لهم؟ هذه الامور تدل بوضوح بان أمير المؤمنين وفاطمة وابناهما (ع) كانوا ينكرون على ابي بكر في جعله لهذه الرواية، وقالوا بانه قانون موضوع مختلق لا اساس له ولا اعتبار.

اصحاب النبي (ص):

قلنا: انه ليس في اصحاب النبي (ص) من سمع هذا الحديث من النبي (ص) الا ابابكر، وهذه المسألة من المسائل التي ما وسع علماء العامة ومحققهم الا ان يصرحوا وينهوا على انها من منفردات ابي بكر، وعلى سبيل المثال نذكر ثلاثا منهم:

1. قال ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: انه لم يرو هذا الخبر الا ابوبكر وحده، ذكر ذلك اعظم المحدثين، حتى ان الفقهاء في اصول الفقه اطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد(2).

وقال ايضا في موضع آخر تاييدا لقول السيد المرتضى: صدق المرتضى رحمه الله فيما قال، فلم يرو الخبر نفي الارث الا ابو بكر وحده(3).

2. قال السيوطي: واختلف الاصحاب في ميراثه النبي فما وجدوا عند احد من ذلك علماء فقال ابو بكر: سمعت رسول الله (ص) يقول: انا معشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة(4).

-
- 1 راجع ص.
-2 شرح نهج البلاغة 16: 227.
-3 شرح نهج البلاغة 16: 245.
-4 تاريخ الخلفاء: 73.

3. قال ابن حجر: اختلف الاصحاب في ميراث النبي فما وجدوا عند احد من ذلك علماء فقال ابو بكر: سمعت رسول الله (ص) يقول: انا معشر الانبياء لا نورث(1).

زوجات النبي (ص):

ذكرنا سابقا ان اسطورة نفي الارث من الانبياء، والتي ولدت بعد وفاة النبي على انها حديث نبوي لم يسمعه اي احد من اصحاب النبي (ص) ولا عترته (ع) وحتى زوجاته لم يسمعن من النبي مثل هذا الحديث.

ولو كان هذا الحديث صدر من النبي حقيقة لا خبرهن بذلك، لان لهن نصيب وسهم معين في ميراثه (ص)، وهن اولات حق في تركة النبي (ص)، وهذا البخاري يروي في صحيحه عن عائشة تقول: بان زوجات النبي (ص) طالبن ابا بكر ارثهن وسهمهن من تركة الرسول (ص) الثمن، وارسلن اليه عثمان لكي يطالبه بالثمن من الارث. وهذه القصة فيها دلالة واضحة على ان ازواج النبي قد انكرن على ابي بكر وكذبته، واثبتن بعملهن هذا ان هذا القانون منع ارث النبي (ص) هو من القوانين الموضوعية ولم يكن له وجود شرعي في الخارج وضعه ابو بكر ونسبه للنبي (ص). اخرج البخاري حديثا عن عائشة تشير الى حكاية هذه المطالبة: عن عروة بن الزبير قال: سمعت عائشة زوج النبي تقول: ارسل ازواج النبي (ص) عثمان الى ابي بكر يسالنه ثمنهن مما افا الله على رسوله (ص)، فكنت انا اردهن فقلت لهن: الا تتقين الله، الم تعلمن ان النبي (ص) كان يقول: لا نورث، ما تركنا صدقة، يريد بذلك نفسه، انما ياكل آل محمد (ص) في هذا المال(2).

وقد اشرنا فيما سبق بان هذا الحديث لم ينقله احد غير ابي بكر ولم ينسبه

- 1- الصواعق المحرقة: 35.
2- صحيح البخاري 5: 115 كتاب المغازي باب حديث بني النضير، صحيح مسلم 3: 1379 كتاب الجهاد والسير باب «16» باب قول النبي: لا نورث ح 51.

المحدثون الى عائشة، وان عائشة نفسها في احتجاجها على سائر ضرراتها وازواج النبي (ص) تروي الحديث عن ابيها ابي بكر ايضا. والجدير بالذكر ان الخلفاء كانوا يعطون كل واحدة من ازواج رسول الله (ص) ما يجبر حرمانها من ارث النبي (ص) واما عائشة فقد كان لها نصيب الاسد، وهي اكثرهن حظا من تلك العطايا(1).

والحق ما قاله ابن الفارقي استاذ المدرسة الغربية ببغداد كما يحدث ابن ابي الحديد عنه فقال:

سالت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: اكانت فاطمة (س) صادقة؟ قال: نعم.

قلت: فلم لم يدفع اليها ابو بكر فدك وهي عنده صادقة؟

فتبسم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته، قال: لو اعطاها اليوم فذك بمجرد دعواها، لجات اليه غدا وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يمكنه الاعتذار والموافقة بشي، لانه يكون قد سجل على نفسه انها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان من غير حاجة الى بيينة وشهود.
وهذا كلام صحيح وان كان اخرجه مخرج الدعابة والهزل(2).

3 . صلح الحديبية:

قال ابو وائل: كنا بصفين حيث اعلن وقف الحرب بين جند الامام علي (ع) وجيش معاوية، فقام بعض جند الامام مخالفا فقام سهل بن حنيف وسط جند الامام فقال: ايها الناس اتهموا انفسكم ولا تدعوا انكم تعلمون كل شي فاننا كنا مع رسول الله (ص) يوم الحديبية، ولو نرى قتالا لقاتلنا فجا عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله

- 1- شرح نهج البلاغة 16: 220 223.
- 2- شرح نهج البلاغة 16: 284.

السنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال (ص): بلى فقال عمر: اليس قتلنا في الجنة، وقتلهم في النار؟ قال (ص): بلى قال عمر: فعلى ما نعطي الدنية في ديننا، انرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال (ص): يابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله ابدا.
فرجع عمر متغيظا فلم يصبر اي انه لم يقنع بكلام النبي (ص) حتى جاء ابا بكر فقال: يا ابا بكر السنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: يابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله ابدا، فنزلت سورة الفتح(1).
وقد ورد في ذيل احدى الروايات، الفقرة التالية:
فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله (ص) على عمر الى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله او فتح هو؟ قال: نعم(2).

اقول: يتضح من هذا الموضوع وما يليه موضوع الوصية الذي سنبحثه في الفصل الاتي مدى جراءة الخليفة عمر على النبي (ص) وتجاسره عليه (ص)، ومن هذين الموضوعين يمكننا ان نعلم مدى درجة ايمان عمر واعتقاده بالنبوة، واعتماده على اقوال وكلام الرسول

الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (3)، ومخالفته لاوامرالنبي (ص) واعتراضه على النبي (ص).

4 . الوصية التي لم تكتب:

عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله (ص)، وفي البيت رجال، فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي (ص): هلم اكتب لكم كتابا لا تضلون

-
- 1- صحيح البخاري 4: 125 كتاب الخمس باب في ذيل اثم من عاهد ثم عذر، وج 6: 170 كتاب التفسير تفسير سورة الفتح، صحيح مسلم 5: 1411 كتاب الجهاد باب «34» باب صلح الحديبية ح94.
- 2- صحيح البخاري 4: 126 كتاب الخمس باب في ذيل اثم من عاهد ثم عذر، صحيح مسلم 3: 1412 كتاب الجهاد والسير باب «34» باب صلح الحديبية ح94.
- 3- النجم: 4.

بعده. فقال عمر: ان رسول الله (ص) قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف اهل البيت، فاختلفوا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله (ص) كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر.

فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله (ص)، قال رسول الله (ص): قوموا. قال عبيدالله: فكان ابن عباس يقول: ان الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم(1).

وعن ابن عيينة، عن سليمان الاحول، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس انه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى، حتى خضب دمه الحسبا فقال: اشتد برسول الله (ص) وجعه يوم الخميس فقال:

ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا، فتنزعوا، وما ينبغي عند نبي تنزع وقالوا: ما شأنه اهجر؟ استفهموه فذهبوا يردون عليه.

قال (ص): دعوني فالذي انا فيه خير اوصيكم بثلاث: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم، قال: وسكت عن الثالثة او قالها فانسيها(2). اقول: اخرج مسلم الحديث الثاني بطريقين وسندي الى ابن عباس، الاول عن سعيد بن جبير، والاخر عن عبيدالله بن عتبة، وذكره البخاري في صحيحه في سبعة موارد وباسانيد مختلفة(3).

فاما الحديث فقد مدت اليه يد المحرفين بالتحريف والتغيير فحرفت بعض متته

- 1- صحيح مسلم 3: 1259 كتاب الوصية باب «5» باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ح22، صحيح البخاري 7: 156 كتاب الطب باب قول المريض قوموا عني.
- 2- صحيح مسلم 3: 1257 كتاب الوصية باب «5» باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ح20.
- 3- راجع الموارد السبعة المذكورة في الهوامش الاتية 3 و4 و5.

الصفحة

388

والفاظه، الا انه لم يخل من احتوائه على نكات مهمة، راينا لزاما ان نشير اليها والى التحريفات فيه:

1 . النكتة الاولى التي تجب الاشارة اليها والتمحيص فيها هي: انه قد ذكر اسم الخليفة عمر صريحا في ثلاثة موارد من الاحاديث السبعة بانه هو الذي خالف النبي (ص) وصدده عن كتابة الوصية فقال عمر: ان رسول الله (ص) قد غلب عليه الوجع(1). وفي الاربعة الاخرى لم يذكر اسم المتكلم الخليفة عمر بالصراحة بل جاء في مورد واحد منها:

فقال بعضهم: ان رسول الله (ص) قد غلبه الوجع (2)، وجا في الثلاثة الباقية: فقالوا: هجر رسول الله (ص)(3).

ولكن مضامين جميع هذه الاحاديث السبعة تصرح بان المبتكر والمبدع للمخالفة هو عمر بن الخطاب الذي اوجد الشبهة هجران النبي (ص) واما العبارات الاخرى فقال بعضهم او فقالوا: هجر رسول الله (ص) لا يمكن ان تشكك في الحقيقة وتشوهها وتحرف المسألة عن واقعيتها.

وان الاختلاف والنزاع الذي حدث للحاضرين عند الرسول (ص) لم يكن الا ردا واثباتا لقول الخليفة هجر الرسول (ص) وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله الذي مال اليه فئة من الحاضرين، وخالفه آخرون كما جاء في النص:

فقال عمر: ان رسول الله (ص) قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف اهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول: قريوا يكتب لكم رسول الله (ص) كتابا

- 1- الموارد الثلاثة هي كالتالي: صحيح البخاري 1: 39 كتاب العلم باب كتابة العلم، وج 7: 156 كتاب الطب باب قول المريض: قوموا عني، وج 9: 137 كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب كراهية الخلاف.
- 2- راجع صحيح البخاري 6: 11 كتاب المغازي باب مرض النبي (ص) ووفاته.

3- راجع صحيح البخاري 4: كتاب الجهاد باب هل يستشفع الى اهل الذمة وص 120 كتاب
الخمسة باب اخراج اليهود من جزيرة العرب، وج 6: 12 كتاب المغازي باب مرض النبي (ص)
ووفاته.

لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر.
نقل ابن ابي الحديد رواية مفصلة من حوار جرى بين ابن عباس والخليفة عمرو وقد اعترف
الخليفة فيه بحقيقة هامة:
فقال: ان النبي (ص) في مرضه اراد ان يصرح باسمه . الامام علي (ع) فمنعت من
ذلك.

وذكر هذا الخبر احمد بن ابي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في تاريخه مسندا(1).
2 . ان جملتي «هجر رسول الله» و«غلب عليه الوجع» وان كانتا متغايرتين لفظا الا
ان مفهومهما واحد وهو نسبة الهجر والهذيان الى النبي (ص).
الا ان رواة الحديث وحفاظ اهل السنة لما شاهدوا بان هذا البهتان العمري وهذه النسبة
التي نسبها خليفته عمر الى رسول الله تخالف صريح الايات القرآنية التي تصف النبي
(ص) وخاصة آية (ما ضل صاحبكم وما غوى) (2) سوف تعرضهم للنقد وتوقعهم في
المؤاخذات والانتقادات، قاموا وكذابهم الدائم بتحريف وتغيير الحديث باشكال مختلفة.
ففي الاحاديث التي لم يرد فيها اسم الخليفة عمر صراحة، ونسبوا فيها القول المذكور
الى بعض الحاضرين عند النبي (ص)، ذكرت جملة هجر رسول الله (ص) صريحة.
واما الاحاديث التي ورد فيها اسم عمر او جاء فيها كلمة بعض والتي هي اشارة لامحالة
الى ان البعض هو عمر، فترى محدثو العامة اتوا بجملة «غلب عليه الوجع» بدلا عن كلمة
هجر، ولا ريب ان تلك الجملة تعبير كنائي عن هذه الكلمة ومفهومهما واحد لا

1- شرح نهج البلاغة 12: 21 و78.
2- النجم: 3.

وقد اشرنا فيما سلف الى ان المبدع للمقولة، والمخترع الاول للشبهة، والمبادر في القائها هو الخليفة عمر ذاته، ولا احد غيره، واذا تلفظ ونطق الاخرون بها وقالوا: «هجر» لم ياتوا بها من تلقا انفسهم بل انهم تعلموا ذلك من الخليفة.

3 . النكته الثالثة الهامة هي ما يرتبط بالشق الاخير من الحديث اذ ان بعض الرواة والحفاظ اسقطوا ذلك، وقطعوا ذيله، ولكن آخرين غيرهم ذكروا الرواية بكاملها، وفيها ان النبي (ص) في تلك اللحظة الحساسة، وبعدها امتنع من كتابة الوصية اوصى بثلاث وصايا، فنقل الراوي اثنتين منها، ونسي الثالثة فقال: واوصى عند موته بثلاث ونسيت الثالثة.

وهنا يتبادر سؤال: ما هي الوصية الثالثة التي نسجت العنكبوت اوتار نسيانها عليه؟ والحق ان نسيان الوصية الثالثة من وصايا النبي كانت فيه مصلحة ومنفعة لان تنسى ولا شك ان هذه الوصية الثالثة المنسية هي نفس الموضوع المهم والمصيري الذي اهتم النبي به وامر باحضار الكتف والدواة ليكتبه والذي يكون سدا منيعا امام ضلالة المسلمين وغيرهم.

والمهم ان الوصية التي اراد النبي (ص) ان يوصي بها كانت من الاهمية والخطورة بحيث استدعت ان يقوم احد الحاضرين في مجلس النبي بالمعارضة والمخالفة ويلفق على النبي بهتان الهجر والهديان.

وهذه الوصية التي بها تسد ابواب الضلالة والانحراف ما زالت باقية في ذهن النبي (ص) حتى استدعت ان يكتبها بعد ان اكدها وكررها شفاها، وذكرها صراحة، ولاشك في ان الراوي كان يعلمها ويدري تلك الوصية الا ان مصلحة النظام ومنافعها هي التي

1- راجع متن الاحاديث التي اشرنا اليها في هوامش ص 345.

الزمته ان يكتم وصية النبي (ص) ويدفنها تحت اكمام النسيان والتناسي كما قال:
«ونسيت الثالثة».

والجدير بالعجب والدهشة ان ابن عباس وسعيد بن جبير الراوي الاول والثاني لوصية النبي (ص) الثالثة قد نقلها، ولكن ما ان تصل سلسلة سند الرواية الى سليمان الاحول حتى طغى عليه عفريت النسيان فغابت تلك الوصية عن باله وصرح البخاري بان سفيان بن

عينية الراوي الرابع من سلسلة سند الحديث المبتور قال بان جملة «ونسيت الثالثة» هي كلمة سليمان الاحول وليست كلمة سعيد بن جبير او عبدالله بن عباس، وهكذا اعترف قائلاً: قال سفيان: هذا من قول سليمان(1).

فتعسا وسحقا لهذه السياسة التي تحول بين المر وبين الحقائق المصيرية، وتقوم بتحريف الحقائق وتزويرها، وتودع الكثير من الطول الضرورية في قفص النسيان والتناسي.

سؤال وجواب:

استشكل بعض العلماء من اهل السنة قائلاً:

فلو كانت كتابة الوصية ذات اهمية قصوى، فلماذا اعرض النبي (ص) عن ذلك على اثر مخالفة شردمة قليلة؟

فلو كانت الوصية بهذه المكانة من الاهمية لماذا استسلم النبي (ص) لمخالفة الفئة المعارضة، وهو يرى ان هذا الامر هو نجاة للامة ومصالحة لها؟

واما الجواب: فنكتفي بما قاله المرحوم العلامة السيد شرف الدين الموسوي بهذا الصدد اذ يقول:

وانما عدل عن ذلك لان كلمتهم تلك «هجر رسول الله» التي فاجاوه بها اضطرتة الى العدول، اذ لم يبق بعدها اثر لكتابة الكتاب سوى الفتنة والاختلاف من بعده، في انه

1- صحيح البخاري 4: 121 كتاب الخمس باب اخراج اليهود من جزيرة العرب.

هل هجر فيما كتبه والعياذ بالله او لم يهجر؟ كما اختلفوا في ذلك واكثروا اللغو واللغظنصب عينه، فلم يتسن له يومئذ اكثر من قوله لهم: «قوموا» كما سمعت، ولو اصر فكتب الكتاب للجوا في قولهم: «هجر»، ولاوغل اشياهم في اثبات هجره والعياذ بالله فسطروا به اساطيرهم، وملاوا طواميرهم، ردا على ذلك الكتاب وعلى من يحتج به. لهذا اقتضت حكمته البالغة ان يضرب (ص) عن ذلك الكتاب صفحا لئلا يفتح هؤلاء المعارضون واوليائهم بابا الى الطعن في النبوة نعوذ بالله ونستجير به، وقدراى (ص) ان عليا واولياه خاضعون لمضمون ذلك الكتاب سوا عليهم، اكتب ام لم يكتب؟ وغيرهم لا يعمل به ولا يعتبره لو كتب، فالحكمة والحال هذه توجب تركه اذ لا اثر له بعد تلك المعارضة سوى الفتنة كما لا يخفى والسلام(1).

وخلص المقال: ان النبي (ص) احس بان المعارضين الذين بهتوه بالهجر والهديان وهو ما زال حيا، فلا ريب انهم يصرون ويلحون في اثبات ذلك عليه حتى يشككوا اشياهم في اصل النبوة وبشطبوا على اعتبارها فكان ما فوجئ به كافيا، فلو كان يصيرلكانت النتيجة اطم.
ولذلك اقتضت حكمته ان يعرض عن الكتابة ويسد بالنتيجة باب الطعن على النبوة ذاتها.

5 . حج التمتع:

ومن الاحكام الدينية والتعاليم الاسلامية التي تم تحريفها وتغييرها في عهد عمرين الخطاب وبدلت، عما كانت عليه في عهد رسول الله (ص) مسالة حج التمتع وان هذا التحريف العملي كحكم رسول الله جوبه في عهد عثمان بن عفان بالمخالفة الشديدة من قبل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) حتى ارجع الى حكمه الاول الذي كان في عهد رسول الله (ص) وحسب ما امر به رسول الله والغيت بدعة عمر بن الخطاب بعد ان عملوا بها

1- المراجعات: المراجعة رقم 86.

برهنة من الزمن.

واما اهل السنة وعلماؤهم فقد اطبقوا على الافتا في العمل بحج التمتع الذي كان جائزا في عهد النبي وتركوا الاقتدا والالتزام ببدعة الخليفة الذي حرم حج التمتع(1).
وقبل الخوض في المسالة ارى من الضروري ان نستلهم مجرى هذا الحكم وكيفيته ومتعلقاته من كتب الحديث والصحيحين.

تعريفه:

هو ان يحرم المتمتع بالعمرة الى الحج في احد اشهر الحج شوال، ذي القعدة وذي الحجة ويلبي بها من الميقات ثم ياتي مكة، ويطوف بالبيت سبعا، ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعا، ثم يقصر ويحل من احرامه ليحل له جميع ما حرم عليه بالاحرام، حتى ينشئ في تلك السنة نفسها احراما للحج من مكة، ويخرج لعرفات، ثم يفيض الى

المشعر الحرام، ومنها الى منى، ثم ياتي بباقي المناسك من رمي الجمار والهدي والحلق
اوالتقصير والطواف وغيرها مما هو مفصل في الكتب الفقهية.

وسبب تسميته بحج التمتع هو ان فيه متعة والتذاذ باباحة المحظورات التي حرمت
بالاحرام في المدة التي تخللت بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج يعني ان المتمتع له
ان يتمتع ويلتذ بما حرم عليه بسبب احرام التمتع وما حرم عليه بسبب احرام الحج.
وهذا فرض لمن يسكن خارج مكة مسافة ثمانية واربعين ميلا اي ثمانية وسبعين
كيلومترا، ووجوبه ثابت بالادلة القرآنية الصريحة والسنة النبوية قال تعالى:
(فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في
الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد

1- راجع بداية المجتهد لابن رشد القرطبي 1: 341 343، والفقه على المذاهب الاربعة
لعبد الرحمن الجزيري 1: 688 696.

الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب(1).

واما الاحاديث في ذلك فمتواترة ومتظافرة، ونذكر هنا بعضها:

الرسول يتحدى السنن الجاهلية:

كانت العمرة في اشهر الحج في الجاهلية قبل الاسلام تعتبر من اكبر الذنوب
وافجر الفجور، وقد شرعها الرسول (ص)، وامر باتيانها في هذه الاشهر الثلاثة شوال ذي
القعدة وذو الحجة وهو بتشريعه هذا الامر تحدى قريش الجاهلية في تبليغ دعوته.
ولما كان هذا الامر على خلاف سنة الجاهلية وعاداتهم، فلذلك كان تشريعه (ص) له في
بداية الدعوة امرا صعبا وعسيرا على بعض المسلمين ان يقبلوه ويؤمنوا به، ولذلك تعاضم
عليهم وخالفوا امر رسول الله (ص) وتشريعه لمتعة الحج.

وفي هذا المورد اخرج البخاري ومسلم باسنادهما عن ابن عباس قال:

كانوا يرون ان العمرة في اشهر الحج من افجر الفجور في الارض، ويجعلون المحرم
صفرا، ويقولون: اذا برا الدبر وعفا الاثر، وانسلخ صفر، حلت العمرة لمن اعتمر.

قدم النبي (ص) واصحابه صبيحة رابعة من ذي الحجة مهلين بالحج، فامرهم ان

يجعلوها عمرة، فتعاضم ذلك عندهم فقالوا: يا رسول الله اي الحل؟ قال: «حل كله»(2).

واخرج ابن ماجة في سننه باسناده عن جابر بن عبد الله قال:
اهلنا مع رسول الله (ص) بالحج خالصا، لا نخلطه بعمرة، فقدمنا مكة لاربع ليال
خلون من ذي الحجة، فلما طفنا بالبيت وسعينا بين الصفا والمروة، امرنا رسول الله (ص)
ان نجعلها عمرة، وان نحل الى النساء، فقلنا: ما بيننا ليس بيننا وبين عرفة الا خمس

1- البقرة: 196.

2- صحيح البخاري 5: 175 كتاب الحج باب التمتع والاقران بالحج، صحيح مسلم 2: 909 كتاب
الحج باب «31» باب جواز العمرة في اشهر الحج ح 198، سنن النسائي 5: 180 كتاب الحج باب
اباحة فسح الحج بعمرة لمن لم يسق الهدى.

الصفحة

395

فنخرج اليها ومذاكيرنا تقطر منيا فقال رسول الله (ص): اني لابرکم واصدقکم ولولا
الهدى لاحللت.

فقال سراقه بن مالك: متعتنا هذه لعامنا هذا ام لايد؟

فقال (ص): «لا لايد الا بالهدى»(1).

ورواه ايضا البخاري(2) ومسلم(3) بتفاوت يسير عما اخرجه ابن ماجة.

وروى مسلم في صحيحه باسناده عن جابر بن عبد الله قال:

اهلنا مع رسول الله (ص) بالحج، فلما قدمنا مكة امرنا ان نحل، ونجعلها عمرة فكبرذلك

علينا، وضافت به صدورنا، فبلغ ذلك النبي (ص)، فما ندري اشي بلغه من السما ام شي

من قبل الناس؟ فقال:

ايها الناس، احلوا فلولا الهدى الذي معي فعلت كما فعلتم.

قال: فاحللتنا حتى وطئنا النساء، وفعلنا ما يفعل الحلال، حتى اذا كان يوم التروية،

وجعلنا مكة بظهر، اهلنا بالحج(4).

فاما هؤلاء الذين هم حديثو عهد بالاسلام، والذين ما زالت السنن الجاهلية مترسخة في

عقولهم وقلوبهم، وكانوا يعتقدون بان الحاج اذا احرم في اشهر الحرم لا يحق له ان ياتي

بمحظورات الاحرام، وخاصة اتيان النساء، الا ان يتم المناسك ويحل من احرام الحج، تراهم

قد اظهروا استنكارهم لامر الرسول بان قالوا: اننطلق ومذاكيرنا تقطر منيا؟

ولما كان هذا البعض الذين كبر عليهم امر رسول الله (ص) وتشريع حج التمتع،

وضافت به صدورهم، فلم يسعهم قبول ذلك وظلوا مترددين حتى اغضبوا بفعلهم رسول

-
- 1- سنن ابن ماجة 2: 992 كتاب المناسك باب «41» باب فسخ الحج ح2980.
 - 2- صحيح البخاري: 2: 195 كتاب الحج باب تقضي الحائض المناسك كلها، وح 3: 4 كتاب الحج باب عمرة التنعيم.
 - 3- صحيح مسلم 2: 883 كتاب الحج باب «17» باب بيان وجوه الاحرام وانه ح 141، ورواه النسائي في سننه 5: 178 وفيه زيادات وتفاوت.
 - 4- صحيح مسلم 2: 884 كتاب الحج باب «17» باب بيان وجوه الاحرام وانه ح142.

اللّٰه (ص) وآذوه.

تقول عائشة:

قدم رسول اللّٰه (ص) لاربع مضيين من ذي الحجة او خمس، فدخل علي وهو غضبان فقلت: من اغضبك يا رسول اللّٰه قال (ص): او ما شعرت اني امرت الناس بامر فاذا هم يترددون(1).

تحريم حج التمتع:

اشرنا في ما سبق ان هذا التشريع الذي ثبت وجوبه بالنص من الكتاب والسنة، قد عمل به المسلمون في عهد الرسول (ص) وعهد الخليفة ابي بكر الصديق الذي دام سنتان كما كان في عهد النبي (ص)، ولكن لما استخلف الخليفة عمر بن الخطاب منع من حج التمتع، ونهى عنه، وشدد في تحريمه، واغلظ عليه وهدد مخالفه القائلين بوجوب التمتع بأشد المجازاة.

ونقل اصحاب الصحاح والسنن والمسانيد والتاريخ والتراجم روايات متواترة في كتبهم هذا المنع والتحريم، ونكتفي بذكر طرفا منها مما اخرجه الصحيحان.
قال عمران بن حصين: نزلت آية المتعة في كتاب اللّٰه (2) يعني متعة الحج وامرنا بها رسول اللّٰه (ص) ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج، ولم ينه عنه رسول اللّٰه (ص) حتى مات، قال رجل برياه ما شاء(3).

عن ابي نظرة قال: كنت عند جابر بن عبد اللّٰه، فاتاه آت فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين متعة الحج ومتعة النساء فقال جابر: فعلناهما مع رسول

1- صحيح مسلم 2: 879 كتاب الحج باب «17» باب بيان وجوه الاحرام ح130.

2- البقرة: 196.

3- صحيح مسلم 2: 900 كتاب الحج باب «23» باب جواز التمتع ح 172، صحيح البخاري 2: 176 كتاب الحج باب التمتع، وج 5: 204 كتاب المغازي باب بعث ابي موسى الى اليمن.

اللّٰه (ص) ثم نهانا عنهما عمر، فلم نعد لهما(1).

وعن مطرف قال: بعث الي عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه فقال: اني كنت محدثك باحاديث، لعل الله ان ينفكك بها بعدي، فان عشت فاكنتم عني، وان مت فحدث بها ان شئت، انه قد سلم علي، واعلم ان نبي الله (ص) قد جمع بين حج وعمره ثم لم ينزل فيها كتاب الله ولم ينه عنها نبي الله (ص).
قال رجل فيها برايه ما شاء(2).

اقول: حسبك لما في هذا الحديث من تحريم الخليفة عمر لمتعة الحج ونهيه اياها، فان فيه ايضا حقيقتين مهمتين لابد من الاشارة اليهما:

1 . ان عمران بن حصين اخبر مطرف احاديث ومسائل كثيرة مما كان مكرها على اخفائها في هذه المدة، وامتنع من اعلانها حتى دنت السويقات الاخيرة من حياته، ولكن لم يذكر في الحديث من تلك المسائل الكثيرة سوى مسالة التمتع في الحج وباقي المسائل ظلت منسية.

2 . ان وصية عمران الي مطرف فيها تأكيد وتصريح على ان الاشخاص قد سلبت عنهم حرياتهم، وكانوا ممنوعين عن كشف الحقائق وبيانها ورواية المطالب الحقة وفي قبال هذا فانهم كانوا ملزمين ومكرهين على ان يكرروا ما تهواه الهيئة الحاكمة، ولا يبدون عكس ذلك ابداء، ويكنتموا الحقائق حفظا لمصالح الخلفاء، ولذلك تسمع عمران بن حصين يقول: ان عشت فاكنتم عني، وان مت فحدث بها ان شئت، انه قد سلم علي.

وذكر المؤرخون والمحدثون والمفسرون في كتبهم ان عمر بن الخطاب خطب الناس ذات يوم، فقال وهو على المنبر بكل صراحة:

متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وانا انهي عنهما واعاقب عليهما، متعة الحج

1- صحيح مسلم 2: 1023 كتاب النكاح باب «3» باب نكاح المتعة ح 17.

2- صحيح مسلم 2: 899 كتاب الحج باب «23» باب جواز التمتع ح 168.

ومتعة النساء(1).

ولكن الامام احمد بن حنبل كما هو دابه في الاسقاط والتقطيع جملة «وانا انهي

عنهما»(2).

علل تحريم عمر متعة الحج:

قد يتبادر سؤال الى ذهن القارئ العزيز عن السبب والداعي الى تحريم متعة الحج والنهي عنه خاصة بعد وفاة النبي (ص)، وما هي الغاية من هذا الفعل والهدف من المنع؟ والاجابة على هذا السؤال تكمن في مضامين الاحاديث التي اخرجها الصحيحان وغيرهما من الكتب المعتمدة عند اهل السنة والجماعة.

لان البحث والتحقيق في هذه المصادر المعتمدة والموثوقة تكشف لنا بان الغاية من هذه المخالفة لامر القرآن والسنة النبوية، وتحريم ما كان حلالا مثل حج التمتع لم تكن الا بسبب تلك الكلمة التي تفوه بها بعض المسلمين عندما استكبروا حين نزوله فاغضبوا بها رسول الله وآذوه، وعللوا تحريمهم فيما بعد بان قالوا: انطلق ومذاكيرنا تقطرمنيا وشبعوا مخالفتهم العلل السخيفة الناجمة من سوابقهم الذهنية والمعهودة من العهدالجاهلي.

نعم، هذه الاهداف والتوجيهات هي التي كانت سببا في تحريمهم لحج التمتع بعد وفاة الرسول، والتي جعلتهم يعارضون نص القرآن ويخالفون امر الرسول (ص) الصريح الذي اراد بتشريع هذا الحكم محو احدي العادات والسنن الجاهلية.

وهذا التعليل الباطل ورد بالتفصيل في صحيح مسلم واكثر مصادر اهل السنة. منها: عن ابراهيم بن ابي موسى، عن ابي موسى انه كان يفتي بالمتعة فقال له

-
- 1- احكام القرآن 2: 152، تفسير القرطبي 2: 392، كنز العمال 16: 519 ح 45715 و ص 521 ح 45722، شرح تجريد الاعتقاد للقوشجي: المقصد الخامس في الامامة 386.
- 2- احكام القرآن 2: 152، تفسير القرطبي 2: 392، كنز العمال 16: 519 ح 45715 و ص 521 ح 45722، شرح تجريد الاعتقاد للقوشجي: المقصد الخامس في الامامة 386.

رجل: رويدك بيعض فتياك، فانك لا تدري ما احدث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في النسك بعد، حتى لقيه بعد فساله، فقال عمر: قد علمت ان النبي (ص) قد فعله واصحابه، ولكن كرهت ان يظلوا معرسين بهن في الاراك، ثم يروحون في الحج تقطررؤوسهم(1).

قال احد المحشين على صحيح مسلم في بيان وتوضيح كلمة عمر «تقطر رؤوسهم»: وهذا التعبير احسن من قول بعضهم: «تقطر مذاكيرنا المنى»، فبين سيدنا عمرالعلة التي لاجلها كره التمتع، وكان رايه كما قال الزرقاني: عدم الترفه للحاج بكل طريق، فكره قرب عهدهم بالنسا لئلا يستمر البلل الى ذلك الحين يوم عرفة(2).

وقال الامام السندي في بيان كلام عمر «تقطر رؤوسهم»: يريد ان الافضل للحاج ان يتفرق شعره ويتغير حاله، والتمتع في حق غالب الناس صار مؤديا الى خلافه فنهيتهم لذلك(3).

اقول: وعلى كل حال فالهدف هو الذي اشرنا اليه، فالهدف واحد والتعابير في ذلك متعددة كما قيل: تعددت الاسباب والموت واحد.
واما الجواب القاطع لكل هذه التبريرات والمخالفات هو ما قاله رسول الله (ص) لهم: انا انتقامك واصدقكم وابركم(4).
وقال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضللا مبينا)(5).

-
- 1- صحيح مسلم 2: 896 كتاب الحج باب « 22 » باب في نسخ التحلل ح 157، سنن النسائي5: 153 كتاب مناسك الحج باب التمتع، سنن ابن ماجه 2: 992 كتاب مناسك باب «40» باب التمتع بالعمرة الى الحج ح2979، مسند الامام احمد بن حنبل 1: 49 50.
 - 2- صحيح مسلم 4: 46 حاشية الصحيح طبعة دار المعرفة للطباعة، لبنان.
 - 3- حاشية سنن النسائي 5: 153 كتاب الحج باب التمتع.
 - 4- راجع ص 353 هامش 1.
 - 5- الاحزاب: 36.

عثمان وحج التمتع:

اشرنا سابقا ان أمير المؤمنين الامام علي (ع) رأى المؤمنين على عهد عثمان ومعاوية يسعون جادين في اقامة هذه السنة النبوية واحيائها، كما كانت على عهد رسول الله (ص)، كانوا يجهدون في اماتة بدعة عمر، حتى ادرك علماء اهل السنة وفقهاؤهم بطلان بدعة عمرو افتوا بجواز متعة الحج والعمل بهذه السنة النبوية وتطبيقها من جديد بعد تلك الفترة من التحريم والمنع رغم فتوى عمر.

واليك بعض الاحاديث التي تومئ الى هذه المثابرة والمعارضة لتحريم عمر كما نقلتها مصادر اهل السنة والجماعة وخاصة الصحيحان.

اخرج البخاري ومسلم باسنادهما عن مروان بن الحكم:

شهدت عثمان وعلياً (ع)، وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما، فلما رأى علي

(ع) اهل بهما لبيك بعمرة وحجة قال: ما كنت لادع سنة النبي (ص) لقول احد(1).

وكذلك اخرج هذا الاختلاف بين عثمان والامام علي (ع) باسنادهما عن سعيد بن مسيب قال:

اجتمع علي وعثمان بعسفان، فكان عثمان ينهى عن المتعة او العمرة فقال علي (ع): ما تريد الى امر فعله رسول الله (ص) تنهى عنه؟ فقال عثمان: دعنا منك فقال (ع): اني لا استطيع ان ادعك، فلما ان راى علي ذلك اهل بهما جميعا(2).
ورواه مسلم بسنده عن عبدالله بن شقيق وفيه: فقال عثمان لعلي كلمة خشنة وتعسف(3).

-
- 1- صحيح البخاري 2: 175 كتاب الحج باب التمتع والاقران والافراد بالحج.
 - 2- صحيح البخاري 2: 176 كتاب الحج باب التمتع والاقران، صحيح مسلم 2: 897 كتاب الحج باب «23» باب جواز التمتع ح159.
 - 3- صحيح مسلم 2: 896 كتاب الحج باب «23» باب جواز التمتع ح158.

وفي سنن النسائي: عن سعيد بن مسيب انه قال بعد شرح الاختلاف بين الامام علي (ع) وعثمان قال (ع): اذا رايتموه قد ارتحل فارتحلوا، فلبى علي واصحابه بالعمرة(1).
وقال الامام السندي في شرحه على هذه الكلمة: اذا رايتموه اي ارتحلوا معه ملبين بالعمرة، ليعلم انكم قدمتم السنة على قوله وانه لا طاعة له في مقابلة السنة(2).

لفتة نظر:

لابد من الاشارة هنا الى نكتة ذات اهمية، وهي ان الكثير من الحقائق التي اشيراليها في كتب الحديث والتاريخ قد اندرست حقيقتها الواقعية ونالتها ايدي التحريف والاعراض السياسية آنذاك بان اسدلوا عليها حجابا من التعنيم والتزوير.
وهذا الاختلاف الواقع بين أمير المؤمنين (ع) والخليفة عثمان في مسألة حج التمتع التي ورد ذكرها في الصحيحين هي من تلك الحقائق التي لم تذكر الا بنحو الاجمال والاشارة، ولا شك ان الاختلاف بينهما لم يكن بهذه البساطة.
ويتضح مدى الاختلاف بينهما من رواية ابي عمر ابن عبد البر باسناده عن عبدالله بن الزبير ان الاختلاف بينهما كان شديدا الى درجة آلت ان يقتل أمير المؤمنين الامام علي (ع) في سبيل ذلك ويهرق دمه.

قال ابن الزبير: انا والله لمع عثمان بالجحفة ومعه رهط من اهل الشام وفيهم حبيب بن مسلمة الفهري اذ قال عثمان: وذكر له التمتع بالعمرة الى الحج، ان اتموا الحج وخلصوه في

اشهر الحج، فلو اخرتم هذه العمرة حتى تزوروا هذا البيت زورتين كان افضل، فان الله قد وسع في الخير فقال له علي (ع): اعمدت الى سنة رسول الله (ص) ورخصة رخص للعبادها في كتابه، تضيق عليهم فيها، وتتهى عنها، وكانت لذي الحاجة

- 1- سنن النسائي: 152 كتاب الحج باب التمتع.
- 2- المصدر السابق.

ولنائي الدار.

ثم اهل بالعمرة وحجة معا، فاقبل عثمان على الناس فقال: وهل نهيت عنها؟ اني لم انه عنها، انما كان راي اشرت به، فمن شاء اخذ به ومن شاء تركه.
قال: فما انسى قول رجل من اهل الشام مع حبيب بن مسلمة: انظر الى هذا كيف يخالف أمير المؤمنين؟ والله لو امرني لضربت عنقه قال: فرجع حبيب يده فضرب بها في صدره، وقال: اسكت، فض الله فاك، فان اصحاب رسول الله (ص) اعلم بما يختلفون فيه(1).

معاوية وحج التمتع:

قرأنا فيما سلف الاختلاف الواقع بين ابن عباس وابن الزبير في مسألة المتعتين، ودفاع جابر بن عبد الله عن قول ابن عباس، والدفاع الذي ذكر أنفا لم ينحصر في مسألة المتعتين فحسب بل هناك قضايا عديدة دافع فيها جابر عن ابن عباس، ورغم الارهاب والمنع عن نقل الحديث عن رسول الله (ص) فان جابرا لم يكن يخشى الارهاب في عهد الخلفاء، فانه كان يحدث علنا ويكشف الحقيقة التي كادت ان تدفن على اثر البدع(2).
ومن خلال التحقيق في الاحاديث يتضح لنا ان الاختلاف والنزاع في مسألة حج التمتع شمل عهد معاوية ايضا، وذلك لما كان معاوية مصمما على احيا سيرة عمرو عثمان في المسألة ولكن بعض المسلمين خالفوه ولم يرضخوا لقوله.

اخرج النسائي في سننه باسناده عن ابن شهاب، عن محمد انه حدثه انه سمع سعد بن ابي وقاص والضحاك بن قيس، عام حج معاوية بن ابي سفيان، وهما يذكران التمتع بالعمرة الى الحج فقال الضحاك: لا يصنع ذلك الا من جهل امر الله تعالى فقال سعد: بئسما قلت يا ابن اخي قال الضحاك: فان عمر بن الخطاب نهى عن ذلك قال سعد: قد

- 1- جامع بيان العلم وفضله 2: 30، مسند الامام احمد بن حنبل 1: 92.
2- راجع المصادر الحديثية خاصة صحيح مسلم 2: 885 كتاب الحج باب « 18 » باب في المتعة بالحج والعمرة ح 145.

صنعها رسول الله (ص) وصنعنا معه(1).

وروى مسلم في صحيحه والامام احمد في مسنده باسنادهما عن غنيم قال:
سالت سعد بن ابي وقاص عن المتعة قال: فعلناها، وهذا كافر بالعرش يعني معاوية(2).
ونستفيد من هذين الحديثين ان الاختلاف في حج التمتع ما يزل موجودا في عهد معاوية،
والا لما كان لتقييد الاختلاف بين اثنين بزمان معين او تحديده بعهد كفر معاوية قبل اظهاره
الاسلام له معنى.

6 . المتعة او الزواج المنقطع:

ومن الاحكام التي غيرها وبدلها الخليفة عمر بن الخطاب كما صرح بهذا
الامر للصحيحان في مضامين احاديثهما هو نكاح المتعة او الزواج المؤقت الذي ما زال
ممنوعا الى هذا العصر حسب ما افتى بمنعه الخليفة عمر، وتارة اخذها البعض وسيلة
للتشيع على الشيعة، وذريعة للنيل منهم، وعزوا بسببها الافتراءات والاكاذيب الى الشيعة
وعقائدهم.
ومن هنا رأينا انه من الضروري واللازم ان نقوم بالتحقيق والبحث فيها من خلال فصول
خمس:

1 . تعريفها:

المتعة او الزواج المؤقت الذي هو موضع اختلاف الشيعة والسنة عبارة عن: ان يتزوج
الرجل امرأة حيث لا يكون له اي مانع شرعي من نكاحها كالزواج الدائم بمهر وصداق معلوم
الى مدة معلومة، وبمجرد انقضاء المدة وانتهائها تبين المرأة من الرجل من

- 1- سنن النسائي 5: 152 كتاب الحج باب التمتع.
2- صحيح مسلم 2: 898 كتاب الحج باب « 23 » باب جواز التمتع ح 164، مسند الامام احمد
بن حنبل 1: 181.

غير اجراء صيغة الطلاق ويجوز للرجل ان يفارقها قبل انقضا المدة بان يهبها المدة
الباقية.

والمتعة تشترك مع الزواج الدائم في كثير من الاحكام وتفترق عنه في بعض الاحكام.
الاحكام المشتركة: اما الاحكام المشتركة بين هذين النوعين من انواع النكاح الدائم
والمؤقت فهي كالتالي:

- 1 . وجوب الايجاب والقبول.
- 2 . وجوب المهر والصداق.
- 3 . تجب على المرأة في الزواج المؤقت ان تعتد عدة الطلاق ان بني عليها، ولم تكن
يائسة تماما كالزواج الدائم، الا ان عدتها قران او خمسة واربعين يوما.
- 4 . عدة الوفاة فيهما اربعة اشهر وعشرة ايام.
- 5 . عدة المرأة الحامل فيهما الذي توفي زوجها فهي ابعد الاجلين.
- 6 . لا فرق بين الاولاد في مسألة التوارث وغيرها سوا ولدوا بالزواج الدائم او المنقطع.
- 7 . احكام المصاهرة فيهما مشتركة كحرمة الام او الاخت حرمة ابدية.
- 8 . حكم الجماع فيهما مشترك من حيث حرمة وطبها في حيضها او في نهار
شهر رمضان.

الاحكام المختصة بكل منها: واما وجوه الاختلاف والافتراق بين النكاح الدائم والمنقطع
تتلخص في عدة موارد.

- 1 . يجب تعيين المدة في المنقطع دون الدائم.
- 2 . لا يتوارث الزوجان في المنقطع الا اذا كان ذلك من شروط ضمن العقد.

- 3 . يجب تعيين الصداق والمهر في المنقطع دون الدائم.
- 4 . ليس للمرأة في الزواج المنقطع ان تطالب بالنفقة الا اذا كانت المطالبة شرطاً ضمن
العقد.

5 . لا يجوز للرجل ان ينكح اكثر من اربع زوجات في آن واحد في الزواج الدائم على العكس من الزواج المؤقت فليس فيه هذه المحدودية(1).

2 . مشروعية المتعة في الاسلام:

ان اصل تشريع المتعة في الاسلام ثابت بالكتاب والسنة القطعية ومتفق عليه عندالمسلمين شيعة وسنة.

اما دليل الاجماع: فلان المسلمين على اختلاف مذاهبهم وعقائهم متفقون على ان المتعة او الزواج المؤقت قد شرعه الله ورسوله، ولاشك في تشريعه من جانب الرسول (ص) ولا يشك احد من العلماء المسلمين بكونه من الضروريات الدينية.

قال الفخر الرازي: واتفقوا علماء المسلمين على انها كانت مباحة في ابتداء الاسلام واختلفوا في انها هل نسخت ام لا؟ فذهب السواد الاعظم من الامة الى انهامنسوخة، وقال السواد منهم: انها بقيت مباحة كما كانت(2).

واما دليل الكتاب: قال تعالى: (فما استمتعتم به منهن فتوهن اجورهن)(3).

قطع مفسرو الشيعة جميعا بان الاية نزلت بشأن بيان حكم النكاح المنقطع، وعلى هذا اكثر مفسري اهل السنة، والمراد من قوله تعالى: (فتوهن اجورهن) اي اعطوهن صدقاتهن في المتعة.

وهكذا قرأ بعض القراء الاوائل مثل: ابي بن كعب، ابن عباس، سعيد بن جبير

-
- 1- راجع فروع المسألة واحكامها الجزئية في الكتب الفقهية عند الشيعة.
 - 2- تفسير الفخر الرازي 10: 49 عند تفسير الاية 24 من سورة النساء.
 - 3- النساء: 24.

والسدي: (فما استمتعتم به منهن الى اجل) حيث انهم جعلوا كلمة الى اجل اي تعيين المدة في الزواج المنقطع جزا من الاية.
ونقل هذه القراءة الطبري(1) في تفسيره والزمخشري(2) عن ابن عباس، ونقلها الفخر الرازي عن ابي بن كعب(3).
وكذا روى الطبري عن مجاهد وهو من المفسرين في القرن الاول الاسلامي قوله: بان هذه الاية نزلت بشأن المتعة(4).

ومما يؤيد شأن نزولها في المتعة سياق الايات نفسها من هذه السورة حيث انه قرينة واضحة وشاهد بين على ذلك، لان صدر السورة (النسا) تبين حكم الزواج الدائم. قال تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النسا مثنى وثلاث ورباع وآتوا النسا صدقاتهن نحلة)(5).

فلو فرضنا ان الاية آية الاستمتاع هي كذلك تتعلق بالزواج الدائم فانها تستلزم كون تكرار الحكم الواحد في سورة واحدة بنفسها من دون غاية، وهذا مما ينافي بلاغة القرآن المجيد واما لو فرضنا ان الاية تتعلق بالمتعة كما هي فانها تبين حكما ثانيًا ومستقلا، وحينئذ لا يستدعي التكرار، ولا يريد على القرآن اي نقد.

وبعبارة اخرى يلاحظ من خلال التدبر في سورة النسا ان السورة قد بينت وذكرت النسا اللاتي يحرم نكاحهن، وتبين كذلك الطرق التي بها تحل النسا للرجال وهي اربع:

1 . الزواج الدائم بالحرّة.

1- تفسير الطبري 5: 8 10.

2- تفسير الكشاف 1: 498.

3- التفسير الكبير 10: 51.

4- تفسير الطبري 5: 9.

5- النساء: 3.

2 . ملك اليمين.

3 . الزواج بالاماء.

4 . الزواج المؤقت.

فاما حكم الزواج الدائم والزواج بملك يمين فقد ورد ذكره في الاية الثالثة من سورة النسا حيث قال تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النسا او ما ملكت ايمانكم).

وحكم الزواج بالاماء فهو مذكور في الاية الخامسة والعشرين في قوله تعالى: (ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات).

وفي آية: (فما استمتعتم به منهن فتوهن اجورهن) التي هي محل بحثنا بين الله عزوجل حكم النوع الرابع من الزواج وهو الزواج المؤقت او المتعة.

واما السنة: فقد دلت على مشروعية المتعة من خلال تظافر الاحاديث المتواترة التي اوردها الشيعة والسنة.

وقد اخرج البخاري ومسلم في بيان مشروعية المتعة روايات عديدة باسنادهما عن: سلمة بن اكوع، جابر بن عبدالله، عبدالله بن مسعود، ابن عباس، سبرة بن معبد، ابو ذر الغفاري، عمران بن حصين، واكوع بن عبدالله الاسلمي.

ولما كان نقل جميع الاحاديث المروية في هذا الموضوع يستدعي الاطالة والاطناب وبحاجة الى كتاب مستقل اكتفينا بذكر بعض مما روي في الصحيحين.

1 . اخرج مسلم في صحيحه باسناده عن سلمة بن اكوع وجابر بن عبدالله الانصاري قالا: خرج علينا منادي رسول الله (ص) فقال: ان رسول الله (ص) قد اذن لكم ان

تستمعوا يعني متعة النساء(1).

واخرجه مسلم بلفظ آخر: ان رسول الله (ص) اتانا فاذن لنا في المتعة(2).

واخرجه البخاري بلفظ ثالث: كنا في جيش فاتانا رسول رسول الله (ص) فقال: انه قد

اذن لكم ان تستمتعوا فاستمتعوا(3).

2 . روى مسلم ايضا عن جابر بن عبدالله قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق،

الايام، على عهد رسول الله (ص) وابي بكر حتى نهى عنه عمر، في شان عمرو ابن

حريث(4).

اقول: ذكر ابن حجر قصة عمرو بن حريث بنحو الاجمال والاختصار فقال: دخل

عمرو بن حريث الكوفة وتمتع بامرأة فحملت المرأة منه، فجات به وهي حامل منه الى

الخليفة عمر، فسأل عمر عمرو عن القصة فاعترف عمرو، ومن بعدها نهى الخليفة عن

المتعة(5).

3 . واخرجا باسنادهما عن عبدالله بن مسعود فقال: كنا نغزو مع رسول الله (ص) ليس

لنا نسا فقلنا:

الا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا ان ننكح المرأة بالثوب الى اجل، ثم قرأ

عبدالله: (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طبيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب

المعتدين)(6)(7).

- 1- صحيح مسلم 2: 1022 كتاب النكاح باب «3» باب نكاح المتعة ح13.
- 2- المصدر ح14.
- 3- صحيح البخاري 7: 16 كتاب النكاح باب نهى رسول الله عن نكاح المتعة آخرًا.
- 4- صحيح مسلم 2: 1023 كتاب النكاح باب «3» باب نكاح المتعة ح16.
- 5- فتح الباري 9: 141.
- 6- المائدة: 87.
- 7- صحيح البخاري 6: 66 كتاب التفسير تفسير سورة المائدة باب (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك)، وج 7: 5 كتاب النكاح باب ما يكره من التبتل والخصا، صحيح مسلم 2: 1022 كتاب النكاح باب «3» باب نكاح المتعة ح11.

اقول: اخرجته مسلم بثلاثة اسانيد عن ابن مسعود، ولا يخفى فان قراءة ابن مسعود لهذه الاية اعتراض وانتقاد على من حرم هذا النوع من الزواج المتعة وكانه اراد ان يقول: ان هذا الزواج من الطيبات، وانه قد شرع في الدين كسائر التشريعات والقوانين الشرعية، وان حكمه باق الى ابد الابد، وتحريمه يعتبر اعتدا وتجاوز عن الحدود الالهية.

وقال النووي في شرحه لرواية ابن مسعود: فيه اشارة الى انه كان يعتقد اباحتها كقول ابن عباس، وانه لم يبلغه نسخها(1).

4. روى مسلم عن ابي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله، فاتاه آت، فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله (ص) ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما(2).

3. عمر يحرم المتعة:

علم مما ذكرناه في الصفحات السابقة ان مشروعية المتعة كانت ثابتة في عهد الرسول (ص) ثبوتا قطعيا ودلت عليه الاية القرآنية والسنة النبوية ودليل الاجماع. وكذا علم من مضامين ثلاثة احاديث من الاحاديث الخمسة التي ذكرناها ان المتعة كان يعمل بها على عهد الرسول (ص)، وانها كانت مباحة في عهد الخليفة ابي بكر، وفترة من عهد الخليفة عمر ومن ثم نهى عنها عمر.

وهاك ايها القارئ الكريم تصريحات بعض المؤرخين والمحدثين في هذا الموضوع: اخرج الامام احمد بن حنبل في مسنده باسناده عن ابي نضرة قال: قلت لجابر بن عبد الله: ان ابن الزبير (رض) ينهى عن المتعة، وابن عباس يامر بها قال: فقال لي: على يدي

2- صحيح مسلم 2: 1023 كتاب النكاح باب «3» باب نكاح المتعة ح17.

جرى الحديث، تمتعنا مع رسول الله (ص) ومع ابي بكر، فلما ولى عمر خطب الناس فقال: ان القرآن هو القرآن، وان رسول الله هو الرسول (ص)، وانهما كانتا متعتان على عهد رسول الله (ص): احدهما متعة الحج، والاخرى متعة النساء(1).

اقول: ذكرنا آنفا في فصل متعة الحج ان الامام احمد بن حنبل قد اسقط المقولة الاخيرة من كلام الخليفة حيث قال: «وانا انهى عنهما واعاقب عليهما»(2).

قال السيوطي: عمر بن الخطاب اول من حرم المتعة(3).

وقال ابن رشد الاندلسي: واشتهر عن ابن عباس تحليلها وتبع ابن عباس على القول بها اصحابه من اهل مكة واهل اليمن، ورووا ان ابن عباس كان يحتج لذلك بقوله تعالى: (فما استمتعتم به) وفي حرف عنه (الى اجل مسمى).

وروي عنه انه قال: ما كانت المتعة الا رحمة من الله عزوجل رحم بها امة محمد (ص)، ولولا نهى عمر عنها ما اضطر الى الزنا الا شقي.

ورواه عنه ابن جريج وعمرو بن دينار وعن عطا قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: تمتعنا على عهد رسول الله (ص) وابي بكر ونصفا من خلافة عمر، ثم نهى عنها عمر الناس(4).

اقول: ان ابن جريج الذي قال بجواز المتعة والذي نقل عنه الفقيه الفيلسوف ابن رشد هو افقه علماء مكة في عهده توفي عام 150 من الهجرة.

قال عبد الله بن احمد بن حنبل: قلت لابي: من اول من صنف الكتب؟ قال: ابن جريج(5).

1- مسند الامام احمد بن حنبل 1: 52.

2- راجع ص 355 هامش 3.

3- تاريخ الخلفاء: 137 فصل في اوليات عمر.

4- بداية المجتهد 2: 63.

5- تهذيب التهذيب لابن حجر 6: 403 و406 ترجمة عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الاموي رقم 855.

وقال الامام محمد بن ادريس الشافعي: استمتع ابن جريج بسبعين امرأة(1).
وقال الرجالي المعروف الذهبي: ابن جريج هو احد الاعلام الثقات وكان فقيه اهل مكة،
وهو في نفسه مجمع على ثقته مع كونه قد تزوج نحوا من سبعين امرأة نكاح المتعة، وكان
يرى الرخصة في ذلك(2).

قال الفاضل القوشجي: ان عمر سعد المنبر وقال: ايها الناس ثلاث كن على
عهد رسول الله (ص)، انا انهي عنهن واحرمهن واعاقب عليهن وهي: متعة النسا ومتعة
الحج وحي على خير العمل(3).

وقال محمد بن المنصور: كنا مع المامون في طريق الشام فامر فنودي بتحليل المتعة
فقال يحيى بن اكنم لي ولابي العينا: بكرة غدا اليه، فان رايتما للقول وجها فقولا، والا فاسكتا
الى ان ادخل قال:

فدخلنا عليه وهو يستاك، ويقول وهو مغتاض: متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص)
وعلى عهد ابي بكر (رض) وانا انهي عنهما، ومن انت يا جعل حتى تنهي عما فعله رسول
الله (ص) وابو بكر؟ فاوما ابو العينا الى محمد بن منصور وقال: رجل يقول في عمر بن
الخطاب ما يقول، نكلمه نحن؟ فامسكنا فجا يحيى بن اكنم فجلس وجلسنا وكلمه يحيى
واخبره بقيام الناس فانصرف المامون عن رايه(4).

4 . دعوى النسخ في المتعة:

لقد تذرع علماء اهل السنة في تبرير مواقف الخلفاء، وتثبيت مقامهم وتنزيههم من النقد
والمؤاخذه بسبب التحريفات والتغييرات التي اوجدها الخلفاء في الاحكام الى

1- تهذيب التهذيب لابن حجر 6: 403 و406 ترجمة عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج الاموي
رقم 855.

2- ميزان الاعتدال 2: 659 ترجمة عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج رقم 5227.

3- شرح التجريد للقوشجي المقصد الخامس: الامامة: 386، شرح نهج البلاغة 1: 182.

4- وفيات الاعيان 6: 149 ترجمة يحيى بن اكنم رقم 793.

احد هذين الطريقتين: 1 . جعل الحديث 2 . ادعا الاجتهاد.
وانهم يحاولون ان يثبتوا حكم الخليفة اولاً: بان يوضعوا احاديث وينسبونها الى الرسول
(ص) ويعبرون عنها بانها صادرة عنه (ص) وثانياً: اذا لم تسنح لهم الفرصة في الوضع

والجعل فانهم يعمدون الى القول باجتهاد الخليفة وينسبون الحكم المخالف لحكم الرسول (ص) بانه مما اجتهد فيه الخليفة وثالثا: فانهم يستفيدون من كلا الناحيتين كما هوفي المتعة فانها ذو جنبتين اي انهم يقومون بوضع الحديث وادعا الاجتهاد.

وقد ثبت في كتب الحديث والتاريخ ان المتعة كانت مباحة على عهد رسول الله (ص) وعهد ابي بكر وفترة من خلافة عمر بن الخطاب وكان المسلمون ياتمرون فيها بامر من الله عزوجل ورسوله (ص).

والذي نهى عنها هو عمر بن الخطاب وهدد من يخالف رايه باشد العقوبات، وقد ذكرنا فيما سبق بعض الاحاديث واقوال المؤرخين فيما يختص بالموضوع ومع ذلك نرى ان بعض اصحاب رسول الله (ص) الذين كانوا رواة وعلماء ومفسرين اعلنوا مخالفتهم الصريحة لامر عمر وفتواه، واثبتوا حكم جواز المتعة قولاً وعملاً.

ولكن عالج بعض العلماء من اهل السنة حكم الخليفة وتثبيت فتواه بالتوجيه التالي اولا بان آية المتعة وحكم جوازها هي من الايات والاحكام المنسوخة ورووا في هذا الادعا احاديث موضوعة، وتارة اخرى يدعون بان منع المتعة هو من اجتهادات الخليفة عمر(1). ولما كان موضوع النسخ في آية المتعة والحكم بجواز الزواج المنقطع بحاجة الى تفصيل وتبيين اكثر وكتاب مستقل في الموضوع فاننا نرجو من القراء الكرام مطالعة الكتب الاخرى التي كتبت في هذا الموضوع(2).

1- كما ذهب الفاضل القوشجي الى القول بان المنع مسالة اجتهادية وان القول بالنسخ في هذه المسالة مرفوض.
2- راجع: الغدير للعلامة الاميني الجز السادس، تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي الجز الرابع، المتعة لتوفيق الفكيكي، البيان في تفسير القرآن للسيد الخوني 333 - 351.

ان الذين قالوا بان حكم المتعة منسوخ ونسبوا هذا النسخ المزعوم الى عهدالرسول (ص) اقوالهم متشنتة ومتضاربة، بحيث لا يمكن الجمع بينها، وهذا الاضطراب بنفسه دليل آخر على كون ادعا النسخ تحكماً وافتراراً.

وذلك لان بعضهم ادعى بان الناسخ آية، وادعى آخرون بان الناسخ هو السنة والاحاديث الصحيحة واما اقوال المدعين في كل من الناسخ سوا كان آية او حديث مضطربة.

فمثلا ان القائلين بان المتعة نسخت بية من القرآن يلاحظ انهم قد اختلفوا في تعيين الالية الناسخة الى خمسة اقوال:

القول الاول: بانها نسخت بقوله تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم)(1).

والقول الثاني: فان الالية الناسخة هي آيات العدة(2).

الثالث: ان الالية الناسخة هي آية الارث(3).

القول الرابع: آية التحريم(4).

والقول الاخر: هي الالية التي ذكرت فيها تعدد الزوجات(5).

بينما لانرى بين مفهوم الايات المذكورة وآية المتعة اي تضارب ولا تناقض حتى تنسخها وكذا نشاهد ان بعض هذه الايات(6) مكية وآية المتعة مدنية فكيف يتصور ان

1- المؤمنون: 7.

2- البقرة: 228.

3- النساء: 12.

4- النساء: 23.

5- النساء: 3.

6- مثل الالية 7 من سورة المؤمنون.

ينسخ ما نزل مؤخرا بما نزل مقدما؟

واما الذين قالوا: ان آية المتعة نسخت بالسنة والحديث لهم خمسة عشر قولاً كذلك، لان بعض هذه الاحاديث يقول: نسخت آية المتعة في غزوة خيبر، وبعضها يقول: في فتح مكة وقيل: في غزوة تبوك وقال آخرون: نسخت في حجة الوداع وادعى آخرون انها نسخت في غزوة حنين (الاطواس)(1).

ولكن القول الحق ان الروايات التي وردت في صحيح البخارى وصحيح مسلم، تقول:

بان آية المتعة لم تنسخ ابدا لا بية ولا بحديث، بل ان المسلمين كانوا يعملون بها على عهد رسول الله (ص) وابي بكر ونصفا من خلافة عمر ثم نهى عنها عمر(2).

واما الروايات التي قيل انها ناسخة للمتعة علاوة على ما فيها من التناقضات

والاضطراب فيما بينها، وانها تخالف الكثير من الروايات الصحيحة التي تقول بعدم النسخ فانها اخبار آحاد وثبتت في محله بان القرآن لا ينسخ بالخبر الواحد.

5 . الافتراءات الشائعة:

اشرنا سابقا ان حكم المتعة ثابت كتابا وسنة، وبالرغم من ان حدود المتعة وشروطها قد ذكرت بالتفصيل وبيان واضح في الكتب الفقهية الشيعية، مع هذا نرى ان بعض علماء اهل السنة ومؤلفيها تشبثوا بكل حشيش، كالغريق، وما وسعهم الا ان يكتبوا ما توهموه من الاباطيل، ورشحتها خزعلاتهم الفكرية حول المتعة او لما نجم من جمودهم الفكري وتعصبهم المفرط، فاتهموا الشيعة باراجيف موهومة ونسبوا اليهم الافتراءات والاكاذيب. ونذكر للقرا اربعة من تلك الاقوال:

- 1- يمكن الاطلاع على هذه التناقضات والتضارب الموجود في المسألة عن طريق التامل في الاحاديث المروية في هذه المسألة، وقد جمعها ابن حجر العسقلاني في فتح الباري 9: 148145.
- 2- راجع صحيح البخاري وصحيح مسلم كتاب النكاح في نكاح المتعة.

1 . كلمة الشيخ محمد عبده: قال في مكافحته للمتعة: فان المتمتع بالنكاح المؤقت لا يقصد الاحصان دون المسافحة، بل يكون قصده الاول المسافحة، فان كان هناك نوع ما من احصان نفسه ومنعها من التنقل في دمن الزنا، فانه لا يكون فيه شي مامن احصان المرأة التي تؤجر نفسها كل طائفة من الزمن لرجل، فتكون كما قيل:

كرة حذف بصوالجة فتلقفها رجل رجل(1)

اقول: يظهر من توهم صاحب المنار ان بين الزواج المؤقت «المتعة» والعفة والزواج الشرعي منافاة وتباين حيث ادعى ان الزوجة المؤقتة «بالتمتع» ليست زوجة شرعية ولذا عبر عن الزواج المؤقت بالسفاح والزنا. وقد اوضحنا فيما سبق ان المتعة شبيهة بالزواج الدائم من حيث الشروط والعدة. واما تشبيه صاحب المنار المرأة في المتعة بالمرأة التي تؤجر، والكرة التي يتلقفها الرجال واحد بعد اخر، فيه: اولاً: لو كان هذا الادعا صحيحا فان الايراد يرد اولاً وبالذات على اصل تشريعه في عهد الرسول لانه لا يمكن تصور هذا التشبيه والتقبيح بانه منحصر بزمان دون زمان، ولا يشك احد ان المسلمين الاوائل كانوا يتمتعون على عهد الرسول (ص)، ثم نستثني

القيح عن هذا الزمان من بقية الازمنة، لان الشي القبيح يظل قبيحا الى الابد ولا يزول القبح عنه.

وثانيا: لو فرضنا صحة هذا التوهم والاشكال فانه يرد ايضا على الزوجة الدائمة فانه لا يحق لها ان تتزوج رجلا آخر بعدما حصل لها الطلاق من الزوج الاول، وهكذا لماتطلق من الزوج الثاني لا يجوز لها الزواج بالثالث، لانها حينئذ تكون لعبة وكرة حسب تعبير الشيخ محمد عبده بايدي الرجال والازواج، وعلى هذا فلا يكون فرق بين الزواج الدائم والمؤقت من هذه الناحية.

وما يثير العجب ان صاحب المنار بعد ان اطال الكلام في هذا الموضوع يختتم

-1 المنار 5: 13 17.

الصفحة
416

كلامه قائلا: اخشى ان اكون خرجت بهذا البحث عن منهاجي فيه وهو الاعراض عن مسائل الخلاف التي لا علاقة لها بفهم القرآن والاهتدا به، وعن الترجيح بين المذاهب الذي هو مثار تفرق المسلمين وتعاديتهم، على انني ابرا الى الله من التعصب والتحيز الى غير ما يظهر لي انه الحق والله عليم بذات الصدور(1).

ومع هذا الكلام تراه ينحاز ويتعصب حتى ينجر الى ان يسخر ويستهزئ باصل اصيل ثابت حكمه في القرآن والسنة واجماع المسلمين.

2 . كلمة موسى جار الله: ارى ان المتعة من بقايا الانكحة في الجاهلية كانت امراتاريخيا لا حكما شرعيا بقيت في صدر الاسلام بقا العوائد التي لا تستاصل الا بزمن، فالعرب قبل الاسلام كان لها انكحة دامت حتى صارت عادة ابطلها الاسلام يمكن ان البعض كان يرتكب المتعة في صدر الاسلام جريا على العادة مستحلا او جاهلا، ويمكن ان الشارع اقرها لبعض في بعض الاحوال من باب ما نزل فيها ما قد سلف، وقدنزل في اشد المحرمات ونسخت وحرمت تحريم ابد ولم يكن نسخها نسخ حكم شرعي بل نسخ امر جاهلي، ولم يكن في الاسلام نكاح متعة، ليس بيد احد دليل لابطاحتها في زمن من صدر الاسلام ولم تقع من صحابي في الاسلام ولو وقعت فلا يتمكن احد ان يثبت انها كانت باذن من الشارع بل دوام عمل كان في الجاهلية وعادة معروفة(2).

اقول: فلو امعنت النظر ايها القارئ الكريم في الصفحات السابقة وكررت مطالعتك فيها يظهر لك جواب ادعا موسى جار الله وعلمت ان حكم المتعة ثبت في القرآن والسنة ثبوتاً قطعياً وقد اتفقت اقوال المحدثين والمفسرين بان المسلمين في صدر الاسلام قد عملوا بالمتعة.

وما قول جار الله النابع عن العصبية الا تحكم وتحرص واستهزا وتفكه لما ورد في الكتب الحديثية والتفسيرية والتاريخية.

1- المنار 5: 17.

2- الوشيعة: تلخيص من ص 121 132.

(فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون)(1).

3. فرية الالوسي: لفق محمود شكري الالوسي البغدادي بهتاناً وافكاً واضحافاضحاً على الشيعة فقال: ان عند الشيعة متعة اخرى يسمونها المتعة الدورية، ويروون في فضلها ما يروون، وهي ان يتمتع جماعة بامرأة واحدة فتقول لهم من الصبح الى الضحى في متعة هذا، ومن الضحى الى الظهر في متعة هذا، ومن الظهر الى العصر في متعة هذا، ومن العصر الى المغرب في متعة هذا، ومن المغرب الى العشا في متعة هذا، ومن العشا الى منتصف الليل في متعة هذا، ومن منتصف الليل الى الصبح في متعة هذا(2).

لقد اسلفنا البحث حول موضوع المتعة وبيان حقيقتها وماهيتها في بداية هذا الفصل وأن لنا ان نقول ان ما نسبته الالوسي الى الشيعة ما هو الا بهتان واضح وافترافاضح.

ليس من سائل يسأل هذا الالوسي: اي شيعي هذا الذي يقول بهذا الراي وهذا النوع من المتعة؟

واي رواية عثر عليها الالوسي تروي لنا هذا النوع من المتعة؟

ومن هو الراوي الذي ذكر فضائل لهذه المتعة الالوسية؟

وفي اي كتاب نقلت هذه الروايات التي افرزتها خيالات وتوهمات الالوسي؟

وما هي الكتب الحديثية والتفسيرية الشيعية التي رويت فيها هذه التخرصات الالوسية؟

واي عالم او جاهل شيعي يفتي بصحة هذا النوع من المتعة الالوسية؟

(كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا)(1).
4 . عصبية الشيخ محمود شلتوت: هو الرئيس السابق لجامعة الازهر بمصر واحدا لعلماء المتفتحين علميا والواعين والمعروف عنه انه لا تاخذه العصبية فتراه لما ياتي على ذكر المتعة يتعصب ويبرز شننته فيقول:
زواج المتعة ومنه الزواج الى اجل هو ان يتفق رجل مع امرأة خالية من الازواج على ان تقيم معه مدة ما معينة او غير معينة في مقابلة مال معلوم.
واضاف قائلاً: ان القرآن قد ربط بعنوان الزوجية احكاما كثيرة كالتوارث وثبوت النسب والنفقة والطلاق والعدة وليس شي من هذه الاحكام بثابت فيما يعرف بزواج المتعة(2).
لقد ذكرنا انفا ان احد شروط المتعة هو تعيين المدة وهكذا العدة باقسامها والتناسب والتوارث فانها من شروط المتعة واما ادعا ان الزواج المؤقت نوع من المتعة فانه ناشئ عن، وليس بصحيح ولا معنى له.
(افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون)(3).

7 . صلاة التراويح:

وهي صلاة نافلة تقام في ليالي شهر رمضان بنحو الجماعة.
وهذه الصلاة ما سنها النبي (ص)، ولا كانت على عهده، وحتى انها لم تكن على عهد ابي بكر، وفترة من عهد عمر بن الخطاب، ولا شرع في الاسلام اقامة النوافل جماعة الا صلاة الاستسقا، واقامة الصلاة جماعة انما هي في الصلوات الواجبة فقط.

وفي العام اربع عشر من الهجرة ابتدع الخليفة هذه الصلاة، والنزم المسلمين ان يقيموا النوافل في ليالي شهر رمضان جماعة، وكتب بذلك الى البلدان والولاية ونصب في المدينة امامين يصليان بالناس وهما: ابي بن كعب اماما للرجال، وتميم الداري اماما للنساء. وحسبك ايها القارئ الكريم ما روي بهذا الصدد في الصحيحين وبعض المصادر المعتبرة الاخرى.

1. روى البخاري باسناده عن عبدالرحمن بن عبدالقاري انه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة الى المسجد فاذا الناس اوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر: اني ارى لو اجتمع هؤلاء على قارئ واحد لكان امثلي، ثم عزم فجمعهم على ابي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة اخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر: نعم البدعة هذه(1).

2. واخرج هو ومسلم معا باسنادهما عن ابن شهاب، عن حميد بن عبدالرحمان، عن ابي هريرة ان رسول الله (ص) قال: من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

قال ابن شهاب: فتوفي رسول الله (ص) والامر على ذلك عدم الجماعة في النوافل، ثم كان الامر على ذلك في خلافة ابي بكر، وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنهما(2). قال ابن سعد: وهو اي عمر اول من سن قيام شهر رمضان، وجمع الناس على ذلك وكتب الى البلدان، وذلك في شهر رمضان سنة اربع عشرة وجعل للناس بالمدينة

1- صحيح البخاري 3: 58 كتاب الصوم باب فضل من قام رمضان.
2- صحيح البخاري 3: 58 كتاب الصوم باب فضل من قام رمضان، صحيح مسلم 1: 523 كتاب الصلاة باب «25» باب الترغيب في قيام رمضان، ح174.

قارئين قارئاً يصلّي بالرجال، وقارئاً يصلّي بالنساء(1). ذكر اليعقوبي في حوادث سنة اربع عشرة: وفي هذه السنة سن عمر قيام شهر رمضان، وكتب بذلك الى البلدان، وامر ابي بن كعب وتميم الداري ان يصليا بالناس. فقيل له في ذلك: ان رسول الله (ص) لم يفعله، وان ابا بكر لم يفعله فقال: ان تكن بدعة فما احسنها من بدعة(2). وقال السيوطي: وفي سنة اربع عشرة جمع عمر الناس على صلاة التراويح(3).

سيرة أمير المؤمنين علي (ع):

يستفاد من مضامين الشواهد التاريخية وامتون الاحاديث ان أمير المؤمنين الامام علي (ع) جاهد في ايام خلافته ان يعيد هذه الصلاة على ما كانت عليه في عهد رسول الله (ص) ويطبق اوامر الرسول (ص) خاصة فيما يتعلق بهذه العبادة، ولكن ثمة بعض الاسباب والعوامل منها: جهل بعض المسلمين شلت عزيمة الامام (ع) وحالت دون تطبيق نواياه.

وقد اشار الامام علي (ع) الى هذا الامر في احدى خطبه فقال: ولو امرت الناس ان لا يجمعوا في شهر رمضان الا في فريضة، لنادى بعض الناس من اهل العسكر ممن يقاتل معي: يا اهل الاسلام، وقالوا: غيرت سنة عمر، نهينا ان نصلي في شهر رمضان تطوعا، حتى خفت ان يثوروا في ناحية عسكري، بؤسي لما لقيت من هذه الامة بعد نبيها من الفرقة، وطاعة ائمة الضلال والدعاة الى النار(4). نقل ابن ابي الحديد عن كتاب الشافي: وقد روي ان أمير المؤمنين (ع) لما اجتمعوا

- 1- الطبقات الكبرى لابن سعد 3: 281، وفي ارشاد الساري 3: 425 رواه بلفظ آخر.
- 2- تاريخ يعقوبي 2: 140.
- 3- تاريخ الخلفاء: 131.
- 4- كتاب سليم بن قيس الهلالي: 163.

اليه بالكوفة، فسالوه ان ينصب لهم اماما يصلي بهم نافلة شهر رمضان، زجرهم وعرفهم ان ذلك خلاف السنة النبوية فتركوه، واجتمعوا لانفسهم، وقدموا بعضهم فبعث اليهم ابنه الحسن (ع) فدخل عليهم المسجد، ومعه الدرة، فلما راوه تبادروا الابواب، وصاحوا: واعمره(1).

استجواب العيني:

وقال العيني في شرحه على البخاري في بيان قول عمر: ونعم البدعة. وانما دعاها عمر بدعة لان رسول الله (ص) لم يسنها لهم، ولا كانت في زمن ابي بكر، ثم ان البدعة ان كانت مما يندرج تحت مستحسن في الشرع فهي بدعة حسنة(2). ونسائل العيني: انك قد اعترفت والزمتم نفسك بان هذه الصلاة بدعة، ولكن من اين لك ان تحكم بانها بدعة حسنة؟

فان قلت: ان هذه البدعة الحسنة الرسول (ص) افضل فعليك ان تتبع السنة النبوية
الراجعة وتترك البدعة المرجوحة والباطلة.
فما قولك يا عيني، ومن كان على شاكلتك؟

8 . التطبيقات الثالث .

ما هي التطبيقات الثالث؟

ان الطلاق الثالث الذي يحرم المطلقة على مطلقها، هو: ان يطلق المر امراته مرتان
وفي كل مرة يرجعها او يتزوجها بعد انقضا العدة، وفي المرة الثالثة لو طلقها لاتحل له حتى
يتزوجها محلل ثم يطلقها او يموت عنها فبعد ذلك يمكن ان يتزوجها الزوج الاول.

1- شرح نهج البلاغة 12: 283.

2- عمدة القاري 11: 126.

الصفحة

422

وقد جاء هذا الحكم في القرآن صريحا وبيننا وقال تعالى: (الطلاق مرتان فامسك
بمعروف او تسريح باحسان الى ان قال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره(1)).

الجملة الاسمية «الطلاق مرتان» صريحة بان الطلاق لا بد وان يكون متعددا ولوطلق
الرجل زوجته مرة واحدة، وفيه بعد الثلاثة، كان يقول لها: طلقتك ثلاثا، فان هذا الطلاق
يعد مرة واحدة ولم تتطلق الزوجة لنص القرآن في ذلك، وللرجل ان يرجع اليها، ولم يستوجب
حرمة الرجوع، او الزواج بها مرة اخرى.

قال الزمخشري في بيان الطلاق مرتان:

التطبيق الشرعي الذي لا تحل المرأة لزوجها هو تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون
الجمع والارسال دفعة واحدة، ولم يرد بالمرتين التنثية اي ان يقول: طلقتك طلاقين، ولكن
التكرير كقوله: (ثم ارجع البصر كرتين)(2) اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين(3).

فالمسالة من الناحية القرآنية، وسنة الرسول واضحة، وسيرته (ص) مؤيدة لهذه المسالة
بحيث لا ابهام فيها.

واما تحريم الخليفة عمر بن الخطاب المرأة المطلقة بهذه الكيفية على زوجها اعراض
عن التعدد والتكرار في الطلاق، واكتفى بتقييد الطلاق بعدد ثلاثة لفظا، بان يقول الرجل مرة
واحدة لزوجته:

انت طالق ثلاثا فان الخليفة عمر يرى ان هذه المرأة قدطلقت وحرمت على الرجل حرمة
ابدية، ولا يحق له الرجوع اليها والزواج بها ثانية الا ان تتكح زوجها غيره.
واليك ايها القارئ الكريم بعض الاحاديث مما روي في صحيح مسلم:

1- البقرة: 230 299.

2- الملك: 4.

3- تفسير الكشاف: 1: 273 ذيل آية 229 من البقرة.

الصفحة

423

1 . قال ابن عباس: كان الطلاق على عهد رسول الله (ص) وابي بكر وسنتين من
خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: ان الناس استعجلوا في امر
قدكانت لهم فيه اناة، فلو امضيناه عليهم، فامضاه عليهم(1).
وعن طاووس قال: ان ابا الصهبا قال لابن عباس: هات من هناتك، الم يكن الطلاق
الثلاث على عهد رسول الله (ص) وابي بكر واحدة؟
فقال: قد كان ذلك، فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فاجازه عليهم(2).
هذا ما استخرجه مسلم في صحيحه حول مسألة التطليقات الثلاثة، وهي ثابتة في كتب
التاريخ والحديث والمصادر المعتمدة ثبوت المسلمات بان الطلاق المقيد بالعدد كان طلاقا
واحدا، حتى عهد الخليفة عمر حيث افتى الناس، بان الطلاق المقيد بالعدد ثلاثة لفظا، هو
ثلاث تطليقات، وبعده يوجب التحريم وحرمة رجوع الزوج اليها.
وعلى خطى عمر بن الخطاب افتى اكثر علماء اهل السنة وائمتهم الاربعة عبرالتاريخ
بحرمة المتعة ولم يتعدوا فتوى الخليفة عمر، واليوم كذلك تبعا للسلف افتى علماؤهم بذلك
الحكم، ولا يخفى على احد ان هذه الفتوى المبينة للنص الصريح مما جا به القرآن قد
عورض من قبل الاخرين، المخالفين لهذا الراي، حيث انهم انكروا ذلك تارة بالصراحة، وتارة
بالكناية والايما، حتى آل الامر الى الغا فتوى عمر من جانب المحاكم الشرعية في مصر
وفقيها الاعظم.

وحسبك يا قارئ الكريم الفتاوى المصرحة وآرا علماء اهل السنة المخالفة لراي عمر
نوردها اليك بالاجمال.

-
- 1- صحيح مسلم 2: 1099 كتاب الطلاق باب «2» باب طلاق الثلاث ح15.
2- المصدر نفسه ح17.

مجري التطليقات الثالث:

قال ابن رشد الاندلسي: المسالة الاولى: جمهور فقها الامصار على ان الطلاق بلفظ ثلاث حكمه حكم التطليقة الثالثة لا تحل الرجوع بعد ذلك(1).

وقال الجزيري في كتابه الفقه على المذاهب الاربعة: فاذا طلق الرجل زوجته ثلاثا دفعة واحدة، بان قال لها: انت طالق ثلاثا لزمه ما نطق به من العدد في المذاهب الاربعة وهو رأي الجمهور(2).

وتلاحظ في هاتين المقولتين ان ابن رشد وكذا الجزيري كشفوا عن مخالفتهم لهذه النظرية رأي عمر في الطلاق، وابدوا ان هذا الراي العمري هو خلاف الواقع وهو من الاحكام المبتدعة . المختلقة.

فاما ابن رشد يرد هذه النظرية باسلوب كنائي جميل وذلك في ثنايا بيانه لمسالة اخرى غير مسالة الطلاق قال: ان من الزم الطلاق الثالث في واحدة، فقد رفع الحكمة الموجودة في هذه السنة المشروعة(3).

واما الجزيري مؤلف الفقه على المذاهب الاربعة بعد ان ذكر ادلة الطرفين المخالف والموافق في مسالة الطلاق، اعتبر هذه المسالة من المسائل الاجتهادية وصير مخالفة ابن عباس لعمر مخالفة مجتهد لآخر وبعد ذلك قال:

ومما لا شك فيه ان ابن عباس من المجتهدين الذين عليهم المعول في الدين، فتقليده جائز ولا يجب تقليد عمر فيما رآه، لانه مجتهد، وموافقة الاكثرين له لا تحتم تقليده عمر(4). وقال الشيخ محمد عبدة بعد بحث طويل حول آية الطلاق: ان انشا الطلاق ثلاثا

1- بداية المجتهد 2: 66 كتاب الطلاق.

2- الفقه على المذاهب الاربعة 4: 341.

3- بداية المجتهد 2: 68 كتاب الطلاق ذيل مسالة 3.

4- الفقه على المذاهب الاربعة 4: 341.

بالقول ليس في قدرة الرجل ايقاعه مرة واحدة، ذلك ان الامور العملية لا تتكرر
بتكررالقول المعبر عنها بل ولا القولية ايضا، فمن فسخ العقد مرة وعبر عنها بقوله ثلاثة
فهو كاذب.

ثم يضيف عبده على خبر رسول الله (ص) عن رجل طلق امراته ثلاث تطليقات جميعا
فقام (ص) غضبان ثم قال: ايلعب بكتاب الله وانا بين اظهركم؟
واضاف الشيخ محمد عبده:

وليس المراد من اطالة الكلام في هذه المسألة مجادلة المقلدين، او ارجاع القضاة
والمفتين عن مذاهبهم فيها، فان اكثرهم يطلع على هذه النصوص في كتب الحديث وغيرها
ولا يبالي بها، لان(1). وفي عام 1929 من الميلاد اي قبل 69 عام الغت المحاكم الشرعية
بمصر حكم عمر، من دستورها وبعدها بفترة وجيزة افتى شيخ الازهر ورئيسها والمرجع
الاعلى لاهل السنة الشيخ محمود شلتوت فقال: والذي نراه في المسألة من جهة الوقوع
وعدمه ونفتي به هو الراي الذي اختاره قانون المحاكم الشرعية الصادر سنة 1929 وهو ان
الطلاق المقترن بعدد كان يقول الرجل لامراته: انت طالق بالثلاث لا يقع الا طلقة واحدة
رجعية(2).

اما تاثير هذه الفتاوي والاراء النافية لفتوى عمر وصمودها امام رأي الخليفة على
المذاهب الاربعة السنية واتباعهم، لاشك فانها بحاجة الى زمن اطول حتى تتحرر من
الاغلال والقيود التقليدية العمياء والتعصب الجاهلي.

9 . البكاء على الموتى.

حزن الانسان عند موت احبته وبكائه عليهم، مسألة نفسية ومن مستلزمات

1- تفسير المنار 2: 381 387.

2- الفتاوى: 305.

العاطفة البشرية، وهما من مقتضيات الرحمة والشفقة الانسانية.
وقد اباح الدين الاسلامي البكاء على الاموات، والرسول (ص) نفسه كان يبكي على
الاموات وخاصة الذين استشهدوا في سبيل الله.

وورد في الكتب والمصادر الدينية ان البكا على الاموات كان سيرة متبعة عند المسلمين،
وحيث انه لم يتمشى مع قريحة الخليفة عمر بن الخطاب، ولم يوافق رايه نهى عنه نهيا
شديدا، وكان يضرب فيه بالحصى والعصا الذين يبكون على امواتهم مهما كان الميت عظيما
ومكرما.

ونورد لك . ايها القاري . الاحاديث الدالة على ان النبي (ص) كان يبكي على الاموات
وينعاهم، وبعدها نذكر موقف الخليفة عمر بن الخطاب تجاه مسالة البكا على الموتى، مما
ورد في المصادر التاريخية وخاصة الصحيحين:
روى البخاري باسناده عن انس بن مالك: ان النبي (ص) نعى جعفرا وزيدا قبل ان يجي
خبرهم وعيناه تذرفان(1).

وروى ايضا عنه قال: ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه فجعلت عينارسل
الله (ص) تذرفان فقال له عبدالرحمن بن عوف: وانت يا رسول الله؟ فقال: ابن عوف انها
رحمة ثم اتبعها باخرى فقال: ان العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول الا ما يرضي ربنا،
وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون(2).

واخرج مسلم في صحيحه: زار النبي (ص) قبر امه فبكى وابكى من حوله(3).
وفي صحيح البخاري روايات متواترة حول بكا النبي (ص) وبضعته فاطمة

-
- 1- صحيح البخاري 2: 104 كتاب الجنائز باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن.
 - 2- صحيح البخاري 2: 105 كتاب الجنائز باب قول النبي (ص): انا بك لمحزونون.
 - 3- صحيح مسلم 3: 671 كتاب الجنائز باب « 36 » باب استئذان النبي (ص) ربه في زيارة
قبرامه ح108.

الزهرا (س) اکتفينا بذكر ثلاثة منها(1).

واما ما ورد في الصحيحين عن نهى الخليفة عمر بن الخطاب فنذكر بعضه:
اخرج البخاري باسناده عن عبدالله بن عمر في حديث حول مرض سعد بن عباد
وعيادة النبي (ص) اياه وبكائه على سعد وثم يذكر مخالفة ابيه عمر بن الخطاب
لامر الرسول (ص).

فقال: اشتكى سعد بن عباد شكوى له، فاتاه النبي (ص) يعوده مع عبدالرحمن بن
عوف وسعد بن ابي وقاص وعبدالله بن مسعود، فلما دخل عليه فوجده في غاشية اهله

فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي (ص)، فلما رأى القوم بكاء النبي (ص) بكوا فقال (ص): الا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا وأشار الى لسانه او يرحم وان الميت يعذب ببكاء اهله عليه.
وكان عمر (رض) يضرب فيه بالعصا ويرمي بالحجارة ويحثى بالتراب(2).
واخرج مسلم هذا الحديث ولكن اسقط القسم الاخير منه(3).
وكذا اخرج البخاري في صحيحه: وقد اخرج عمر اخت ابي بكر حين ناحت(4).
وروى احمد في مسنده عن ابن عباس في ضمن ذكره موت عثمان بن مظعون،
لمامانت رقية ابنة رسول الله (ص) فقال (ص): الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون.
قال: وبكت النسا فجعل عمر يضريهن بسوطه، فقال النبي (ص) لعمر: دعهن يبكين،
واى اكن ونعيق الشيطان.

-
- 1- راجع صحيح البخاري 2: 100 كتاب الجنائز باب قول النبي (ص): يعذب الميت ببعض بكاء اهله عليه.
 - 2- صحيح البخاري 2: 106 كتاب الجنائز باب البكا عند المريض.
 - 3- صحيح مسلم 2: 636 كتاب الجنائز باب «6» باب البكا على الميت ح 12.
 - 4- صحيح البخاري 3: 160 باب اخراج اهل المعاصي والخصوم.

ثم قال رسول الله (ص): مهما يكون من القلب والعين فمن الله والرحمة، ومهما كان من اليد واللسان فمن الشيطان.
وقعد رسول الله (ص) على شفير القبر وفاطمة (س) الى جنبه تبكي، فجعل النبي (ص) يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها(1).
اقول: ونقل ابن سعد هذه القصة بتفاوت يسير في الفاظها وزاد في آخرها: لما قام عمر بضرب النسا وزجرهن، فاخذ رسول الله (ص) بيده وقال: مهلا يا عمر(2).
وكذلك روى احمد بن حنبل عن ابي هريرة في حديث طويل مر على رسول الله (ص) جنازة، ومعها بواك، فنهروا عمر فقال له رسول الله (ص): دعهن، فان النفس مصابة والعين دامعة والعهد حديث(3).
قال ابن ابي الحديد: واول من ضرب عمر بالدرة ام فروة بنت ابي قحافة اخت ابي بكر مات ابو بكر فناح النسا عليه، وفيهن اخته ام فروة، فنهاهن عمر مرارا، وهن يعاودن فاخرج ام فروة من بينهن وعلاها بالدرة، فهربن وتفرقن(4).

10 . صلاة المسافرين

ان الصلاة الرباعية الظهر والعصر والعشا تقصر في السفر الى ركعتين، ولا فرق في نوعية السفر سواءً كان للتجارة او الزيارة او الغزو او غيره، وقد ثبتت مشروعية هذا الحكم بالكتاب (5) والسنة النبوية(6).

- 1- مسند احمد بن حنبل 1: 335.
- 2- الطبقات الكبرى 3: 399 ترجمة عثمان بن مطعون.
- 3- مسند احمد بن حنبل 2: 333.
- 4- شرح نهج البلاغة 1: 181.
- 5- سورة النساء: 101.
- 6- راجع صحيح مسلم 1: 478 484 كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب « 1 » باب صلاة المسافرين وقصرها، صحيح البخاري 2: 53 كتاب الصلاة باب ما جا في التقصير، سنن ابن ماجه 1: 338 كتاب الصلاة باب «73» باب تقصير الصلاة، سنن ابي داود 2: 3 ابواب صلاة السفر، سنن النسائي 3: 116 كتاب تقصير الصلاة في السفر.

وكان هذا الحكم يعمل به في عهد الرسول (ص) وعهدي ابي بكر وخليفته عمر ومدة من عهد عثمان، وفي النصف الثاني من خلافة عثمان اتم الصلاة وهو في منى مسافراً، وتبعه المسلمون في ذلك، وخالفه آخرون واعترضوا عليه مستكبرين في الاتمام في السفر. وروى الطبري عن ابن عباس انه قال: ان اول ما استنكر على عثمان هو اتمامه الصلاة في منى، وهو مسافر اليها، واخذ عليه في ذلك، حتى كان هذا العمل منطلق ثورة المسلمين عليه(1). وقد ذكر المحدثون والمؤرخون والمفسرون في كتبهم تغيير وتحريف عثمان لحكم صلاة المسافرين.

وكفاك يا قارئ من كل ما ورد في هذا الموضوع ثلاث احاديث اخرجها الشيخان في صحيحهما:

عن عبدالله بن عمر قال: صليت مع النبي بمنى ركعتين وابي بكر وعمر ومع عثمان صدرا من خلافته ثم اتمها(2). وعن عبدالرحمان بن يزيد يقول: صلى بنا عثمان بن عفان بمنى اربع ركعات فقل ذلك لعبدالله بن مسعود فاسترجع (انا لله وانا اليه راجعون)(3) ثم قال: صليت مع

- 2- صحيح البخاري 2: 53 باب ما جا في التقصير باب الصلاة بمنى، صحيح مسلم 1: 482 كتاب صلاة المسافرين باب «2» باب قصر الصلاة في منى ح16.
- 3- ان الاسترجاع عادة ما يقال ويكرر اذا حلت بالانسان مصيبة او رزية عظيمة كما يدل على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة آيه 156 وان استرجاع ابن مسعود يكشف عن عظيم التحريف والتغيير الذي حدث في عهد عثمان من تغيير حكم صلاة المسافرين كما لاحظت في المتن، وان هذه المخالفة والتحريف لامر رسول الله (ص) ونص القرآن لهو من الرزايا والمصائب العظيمة التي حلت بالاسلام والقرآن المعرب.

رسول الله (ص) بمنى ركعتين، وصليت مع ابي بكر بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين، فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان(1).

واخرج البخاري حديثا آخر فيه بان عبدالله بن مسعود لما قال: صليت مع رسول الله (ص) وابي بكر وعمر ركعتين في منى، قال: ثم تفرقت بكم الطرق فياليت حظي من اربع، ركعتان متقبلتان(2).

وقال الطبري في تاريخه في حوادث عام تسع وعشرين: وحج بالناس في هذه السنة عثمان، فضرب بمنى فسطاطا، فكان اول فسطاط ضربه عثمان بمنى، واتم الصلاة بها وبعرفة.

فذكر الواقدي عن ابن عباس يقول: ان اول ما تكلم الناس في عثمان ظاهرا، انه صلى بالناس بمنى في ولايته ركعتين، حتى اذا كانت السنة السادسة اتمها فعاب ذلك غير واحد من اصحاب النبي (ص)، وتكلم في ذلك من يريد ان يكثر عليه حتى جاء علي (ع) فيمن جاءه، فقال (ع): والله ما حدث امر، ولا قدم عهد، ولقد عهدت نبيك (ص) يصلي ركعتين، ثم ابا بكر ثم عمر وانت يا عثمان صدرا من ولايتك، فما ادري ما ترجع اليه(3).

مقارنة واستنتاج:

هذه الموارد العشرة التي ذكرناها نقلنا عن البخاري ومسلم من الموارد التي خولف فيها النصوص الصريحة في القرآن والسنة النبوية التي اجتهد فيها الخلفاء مقابل النص، وهذه الحقائق الكامنة وراء الدفاع المرير عن الاحكام المذكورة المبتنية عليها جذور الخلافة.

- 1- صحيح البخاري 2: 53 ابواب التقصير باب الصلاة بمنى، صحيح مسلم 1: 483 كتاب صلاة المسافرين باب «2» باب قصر الصلاة بمنى ح19.
- 2- صحيح البخاري 2: 194 كتاب الحج باب الصلاة بمنى.
- 3- تاريخ الطبري 4: 267 حوادث سنة تسع وعشرين.

وهذه الحقائق هي التي دفعت ابن ابي الحديد الى القيام بالمقارنة والمقايضة بين سيرة أمير المؤمنين الامام علي (ع) وسائر الخلفاء فقال:

واما الراي والتدبير: فكان (ع) من اسد الناس راياء، واصحهم تدبيراً، وهو الذي اشار على عمر بن الخطاب لما عزم على ان يتوجه بنفسه الى حرب الروم والفرس بما اشار، وهو الذي اشار على عثمان بامور كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث.

وانما قال اعداؤه: لا رأي له، لانه كان متقيدا بالشرعية لا يرى خلافها، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه، وقد قال (ع): لولا الدين والتقى لكنت ادهى العرب وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوقفه، سوا اكان مطابقا للشرع ام لم يكن.

ولا ريب ان من يعمل بما يؤدي اليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لاجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون احواله الدنيوية الى الانتظام اقرب ومن كان بخلاف ذلك، تكون احواله الدنيوية الى الانتثار اقرب(1).

1- شرح نهج البلاغة 1: 28.

تنبؤات الرسول (ص)

تنبأ رسول الله (ص) بحوادث ووقائع كثيرة سوف تحدث بعد وفاته، واخبر بها المسلمين.

ومن تلك التنبؤات: خلافة بني امية ودولتهم الجائرة (1)، نشأة الخوارج وقتل امير المؤمنين علي (ع) اياهم (2)، شهادة عمار بن ياسر بسيوف الفئة الباغية (3)، والاخبار عن حدوث التحريف والبدع في مختلف احكام الدين وكل هذه التنبؤات مروية في الصحيحين. واستدامة بما يناسب البحوث السابقة نذكر في هذا الفصل موضوعي التحريف والارتداد اللذين اشير اليهما في الصحيحين ونذكر في كل موضوع منهما طرفا من الاحاديث:

الارتداد:

1 . عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي (ص) قال: وان اناسا من اصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال(4)، فاقول: اصحابي، اصحابي.

- 1- صحيح البخاري 4: 242 كتاب بد الخلق باب علامات النبوة في الاسلام، وج 9: كتاب الفتن باب قول النبي هلاك امتي على يدي اغيلة سفها.
 - 2- صحيح البخاري 4: 243 كتاب بد الخلق باب علامات النبوة في الاسلام، صحيح مسلم 2: 748 كتاب الزكاة باب «48» باب التحريض على قتل الخوارج ح156.
 - 3- صحيح البخاري 1: 121 كتاب الصلاة باب التعاون في بنا المسجد، صحيح مسلم 4: 2235 كتاب الفتن باب «18» باب لا تقوم الساعة حتي يمر الرجل بقبر الرجل ح70 73.
 - 4- نقرأ في الايات 41 50 من سورة الواقعة ان الله عزوجل ذكر اصحاب الشمال الذين هم من العصاة والمذنبين ومن اهل النار بعد ان استعرض حالات السابقين المقربين واصحاب اليمين الذين حفهم بالنعم والهبات العظيمة، فذكر بعد هاتين الفنتين اصحاب الشمال و اشار الى العقوبات التي يواجهاونها، واللوان العذاب التي تحاصرهم وتطوقهم وتسلب منهم الحواس والقدرة.
- ونقرأ معا الايات وتندبر فيها ونقيسها بما ورد في الحديث النبوي ودخور بعض اصحاب الرسول (ص) في دائرة اصحاب الشمال.
- (واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصررون على الحنث العظيم وكانوا يقولون ائذامتنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون او اباؤنا الا ولون) المعرب.

فيقول: انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم فاقول كما قال العبدالصالح (1):
(وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شي شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفرلهم فانتك انت العزيزالحكيم)(2).
اخرجه البخاري (3) واما في صحيح مسلم (4) فقد جاءت جملة «انتك لاتدري ما احدثوا بعدك» بدلا عن جملة: «انهم لم يزالوا مرتدين».
وفي حديث آخر اخرجه الشيخان البخاري ومسلم (5) وردت كلمة «اصحابي» بالتصغير بدلا عن كلمة «اصحابي» وهذا انما يدل على ترحم وتحنن النبي (ص) اياهم او تحقيرهم واهانتهم.

2 . ابن ابي مليكة قال: عن اسما بنت ابي بكر قالت: قال رسول الله (ص): اني

- 1- المراد بالعبد الصالح هو عيسى بن مريم (ع).
- 2- المائة: 117 - 118.
- 3- صحيح البخاري 4: 169 كتاب بد الخلق باب و (اتخذ الله ابراهيم خليلا)، وص 204 باب و (اذكر في الكتاب مريم)، وج 6: 69 كتاب التفسير تفسير سورة المائدة وص 122 تفسيرسورة الانبياء، وج8: 136 كتاب الرقاق باب كيف الحشر.

- 4- صحيح مسلم 4: 2194 كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها باب « 14 » باب فنا الدنيا وبيان الحشر ح58.
- 5- صحيح البخاري 8: 149 كتاب الدعوات باب في الحوض، صحيح مسلم 4: 1800 كتاب الفضائل باب «9» باب اثبات حوض نبينا (ص) ح40.

على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس دوني، فاقول: يا رب مني ومن امتي.

- فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ واللّه ما برحوا يرجعون على اعقابهم.
- فكان ابن ابي مليكة يقول: اللهم انا نعوذ بك ان نرجع على اعقابنا او نفتن في ديننا(1).
3. عن عطا بن يسار، عن ابي هريرة، عن النبي (ص) قال: بينا انا نائم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت: اين؟
- قال: الى النار واللّه قلت: وما شانهم؟ قال: انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري.
- ثم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت: اين؟
- قال: الى النار واللّه قلت: وما شانهم؟ قال: انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري فلا اراه يخلص منهم الا مثل همل النعم(2).
4. اخرج البخاري باسناده عن ابن المسيب انه كان يحدث عن اصحاب النبي ان النبي (ص) قال: يرد على الحوض رجال من اصحابي فيحطون عنه، فاقول: يا رب اصحابي، فيقول: انك لا علم لك بما احدثوا بعدك، انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري(3).

التحريف والبدعة في الدين:

1. ابو حازم، عن سهل بن سعد قال: قال النبي (ص): اني فرطكم على الحوض من

1- صحيح البخاري 8: 151 كتاب الدعوات باب في الحوض، وج 9: 58 كتاب الفتن، ما جافي قول الله تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)، صحيح مسلم 4: 1794 كتاب الفضائل باب «9» باب اثبات حوض نبينا (ص) ح27.

2- صحيح البخاري 8: 150 كتاب الدعوات باب في الحوض.

3- صحيح البخاري 8: 150 كتاب الدعوات باب في الحوض.

مر علي شرب ومن شرب لم يظما ابدا، ليردن علي اقوام اعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم.

قال ابو حازم: فسمعني النعمان بن ابي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ قلت: نعم قال: اشهد على ابي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها فاقول: انهم مني فيقال: انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول: سحقا سحقا لمن غير بعدي(1).
اخرج الحديث البخاري ومسلم في جامعيهما، ولكن مسلم اورد جملة «لمن بدل بعدي» بدلا عن «لمن غير بعدي».

قال القسطلاني في شرحه على الحديث: اي غير دينه، لانه لا يقول في العصاة يغير الكفر سحقا سحقا، بل يشفع لهم، وكل من ارتد عن دينه او احدث فيه فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه(2).

2. روى مسلم باسناده عن ابي هريرة: ان رسول الله (ص) اتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون، وددت انا قد راينا اخواننا. قالوا: اولسنا اخوانك يا رسول الله؟

قال: انتم اصحابي، واخواني الذين لم ياتوا بعد.

فقالوا: كيف تعرف من لم يات بعد من امتك يا رسول الله؟

فقال: ارايت لو ان رجلا له خيل غر محجلة، بين ظهري خيل دهم نهم الا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

1- المصدر ص 149 وج9: 58 كتاب الفتن باب ما جا في قول الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)، صحيح مسلم 4: 1793 كتاب الفضائل باب «9» باب اثبات حوض نبينا (ص) ح26.
2- ارشاد الساري 9: 340.

قال: فانهم ياتون غرا محجلين من الوضوء، وانا فرطهم على الحوض الالياذان رجال عن حوضي، كما يذاد البعير الضال، اناديهم: الا هلم، فيقال: انهم قد بدلوا بعدك فاقول: سحقا سحقا(1).

3. وكذلك اخرج مسلم باسناده عن عبدالله بن رافع مولى ام سلمة: عن ام سلمة زوج النبي (ص) انها قالت: كنت اسمع الناس يذكرون الحوض ولم اسمع ذلك من رسول الله

(ص)، فسمعت رسول الله (ص) يقول: ايها الناس اني لكم فرط على الحوض فاي اي لياتين احدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال فاقول: فيم هذا؟ انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول: سحقا(2).

اعتراف بالحقيقة:

هذا الذي اوردناه من الاحاديث في موضوعي الارتداد والتحريف هو قليل من كثير من الاحاديث المروية في الصحيحين عن رسول الله (ص).
وبدل نص الاحاديث وكذا الكلمات الواردة فيها نحو «اصحابي» و«اصحابي» و«مني» دلالة تامة وصريحة على ان هؤلاء الافراد الذين يؤخذون ذات الشمال هم من الذين صاحبوا النبي (ص) ولازمه بل كانوا في عداد خواص اصحابه.
وكان بعض اصحاب النبي (ص) لم يسعهم احيانا وخاصة في اللحظات الحساسة والحرجة الا ان يعترفوا بهذه الحقيقة المذكورة ويزيلوا الستار المسدول والحاجب على تجلي ما يكنوه في صدورهم، ونختم بحثنا هنا بذكر موردين من الاعترافات التي نقلها البخاري في صحيحه:

1 . اخرج البخاري باسناده عن العلا بن المسيب عن ابيه قال: لقيت البرا بن عازب رضى الله عنهما فقلت: طوبى لك، صحبت النبي (ص) وبايعته تحت الشجرة.

1- صحيح مسلم 1: 218 كتاب الطهارة باب « 12 » باب استحباب اطالة الغرة والتججيل في الوضوء ح39.
2- صحيح مسلم 4: 1795 كتاب الفضائل باب «9» باب اثبات حوض نبينا (ص) ح29.

فقال: يا ابن اخي انك لا تدري ما احدثنا بعده(1).

2 . اخرج البخاري ايضا باسناده عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر جعل يالم فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين ولئن كان ذلك، لقد صحبت رسول الله (ص) فاحسنت صحبتته، ثم فارقتة وهو عنك راض، ثم صحبت ابا بكر فاحسنت صحبتته، ثم فارقتة وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فاحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون.

قال: اما ما ذكرت من صحبة رسول الله (ص) ورضاه، فانما ذلك من من الله تعالى من به علي، واما ما ذكرت من صحبة ابي بكر ورضاه، فانما ذلك من من الله جل ذكره

من به علي، واما ما ترى من جزعي، فهو من اجلك واجل اصحابك، واللّه لو ان لي طلاع الارض ذهباً لاقتديت به من عذاب اللّه عزوجل قبل ان اراه(2).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واهل بيته الذين بهم تمت الكلمة وعظمت النعمة، اللهم احشرنا في زمرة المتمسكين بهم واللائذين بفنائهم آمين رب العالمين. عصر الثلاثا الرابع من جمادى الاولى 1396 من الهجرة النبوى ة. وبدات الترجمة في الخامس عشر من شعبان 1418 من الهجرة وانتهت في يوم الاحد عشرين جمادى الاخرة 1419 هجرية.

1- صحيح البخاري 5: 159 كتاب المغازي باب غزوة الحديبية البرا بن عازب من صحابة النبي (ص) الاجلا اشترك في احد و13 ا و14 غزوة اخرى واشترك في بدر، ولكن رده النبي (ص) الى المدينة لصغر سنه وتوفي سنة 73 هـ راجع: اسد الغابة 1: 171 ترجمة البرارقم تهذيب التهذيب 1: 388 ترجمة البرا بن عازب رقم 699.

2- صحيح البخاري 5: 16 كتاب فضائل اصحاب النبي (ص) باب مناقب عمر بن الخطاب.

فهرس مصادر التحقيق

1 . القرآن الكريم.

« أ »

- 2 . ابو طالب مؤمن قريش: عبدالله الخنيزي . دار التعارف للمطبوعات . بيروت، لبنان.
- 3 . ابو هريرة: عبدالحسين شرف الدين الموسوي العاملي . دار التعارف للمطبوعات . بيروت، لبنان.
- 4 . احاديث ام المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، المجمع العلمي الاسلامي.
- 5 . احقاق الحق وملحقاته: الشهيد السيد نورالله الحسيني المرعشي التستري (ت 1019 هـ) مع تعليقات آية الله المرعشي النجفي، مكتبة المرعشي، قم، ايران.
- 6 . الاحكام في اصول الاحكام: سيف الدين علي بن محمد المشهور بالامدي الشافعي (ت 631 هـ)، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 1985.
- 7 . اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ)، مطبعة جامعة مشهد، ايران.
- 8 . الادب المفرد: محمد بن اسماعيل البخاري (ت 256 هـ)، منشورات عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- 9 . الارشاد: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت 413 هـ)، مؤسسة آل البيت (ع) لاحيا التراث، ايران.

- 10 . ارشاد الساري شرح صحيح البخاري: ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد القسطلاني، (ت 923 هـ)، دار احيا التراث الاسلامي، بيروت، لبنان.

- 11 . استقصا الافحام: السيد مير حامد حسين اللكهنوي صاحب عبقات الانوار (ت 1306 هـ)، مخطوط.
- 12 . الاستيعاب في معرفة الاصحاب: ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (ت 463 هـ)، مكتبة نهضة مصر.
- 13 . اسد الغابة: عزالدين ابي الحسن الشيباني المعروف بابن الاثير (ت 630 هـ)، المكتبة الاسلامية.
- 14 . الاصابة في معرفة الصحابة: احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 15 . اضوا على السنة المحمدية: محمود ابو رية، دار المعارف بمصر.
- 16 . الاعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- 17 . اعيان الشيعة: السيد محسن الامين العاملي (ت 1371 هـ)، دارالتعارف، بيروت، لبنان.
- 18 . الاغاني: ابو الفرج الاصفهاني علي بن الحسين (ت 356 هـ)، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 19 . اكمال الدين: ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت 381 هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ايران.
- 20 . امالي الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ)، دار الثقافة للنشر.
- 21 . الامام الشافعي: محمد ابو زهرة . مصر.
- 22 . الامام مالك: محمد ابو زهرة . مصر .
- 23 . الامامة والسياسة: ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ)، مؤسسة الحلبي، القاهرة، مصر.
- 24 . الانجيل.
- 25 . انساب الاشراف: احمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279 هـ)، دارالفكر، بيروت، لبنان.

« ب »

- 26 . بحار الانوار: محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ)، مؤسسة الوفا، بيروت، لبنان.
- 27 . بداية المجتهد: ابو الوليد محمد بن احمد المشهور بابن رشد القرطبي الاندلسي (ت 595 هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 28 . البداية والنهاية: ابو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774 هـ)، دارالفكر، بيروت، لبنان.
- 29 . بلاغات النساء: احمد بن ابي طاهر (ت 280 هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، العراق.
- 30 . البيان في تفسير القرآن: السيد ابو القاسم الخوئي، المطبعة العلمية، قم، ايران.

« ت »

- 31 . تاريخ بغداد: ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 32 . تاريخ الخلفاء: جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت 911 هـ)، القاهرة، مصر.
- 33 . تاريخ الخميس: حسين بن محمد بن الحسن الدياربيكري (ت 966 هـ)، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- 34 . تاريخ الطبري: لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، دارسويدان، بيروت، لبنان.
- 35 . تاريخ اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي (ت 292 هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- 36 . تاسيس الشيعة: السيد حسن الصدر، منشورات الاعلمي، طهران، ايران.
- 37 . تحف العقول: ابو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني من اعلام القرن الرابع الهجري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ايران.

- 39 . تذكرة الحفاظ: شمس الدين محمد الذهبي (ت 748 هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ايران.
- 40 . تزيين الممالك في مناقب الامام مالك: جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 41 . تطهير الجنان المطبوع مع الصواعق المحرقة: احمد بن حجر الهيتمي (ت 974 هـ)، القاهرة، مصر.
- 42 . تفسير ابن كثير: عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن كثير (ت 774 هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 43 . تفسير القرطبي: شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي (ت 671 هـ)، دار احيا التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 44 . تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 45 . تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة الحويزي، المطبعة العلمية، قم، ايران.
- 46 . التقريب والتيسير: محيي الدين النووي الشافعي (ت 676 هـ).
- 47 . تلخيص المستدرک: شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد الذهبي (ت 848 هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 48 . تهذيب الاسما واللغات: ابو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت 676 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 49 . تهذيب التهذيب: شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن حجرالعسقلاني (ت 852 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 50 . التوحيد: ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت 381 هـ)، مكتبة الصدوق، طهران، ايران.
- 51 . التوحيد: محمد بن عبدالوهاب.
- 52 . التوراة.

53 . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت 429 هـ)، القاهرة، مصر .

« ج »

- 54 . جامع احاديث الشيعة: الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم، ايران .
- 55 . جامع بيان العلم وفضله: ابو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (ت 493 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- 56 . جامع البيان في تفسير القرآن: ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان .

« خ »

- 57 . خصائص أمير المؤمنين (ع): النسائي، بيروت، لبنان .
- 58 . الخصال: ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق) (ت 381 هـ)، جماعة المدرسين، قم، ايران .

« د »

- 59 . دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، لبنان .
- 60 . دراسات في الكافي والبخاري: هاشم معروف الحسني، بيروت، ايران .
- 61 . الدر المنثور: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت 911 هـ)، قم، ايران .

« ذ »

- 62 . ذخائر العقبى: محب الدين الطبري (ت 694 هـ)، طهران، ايران .

« ر »

- 63 . ربيع الابرار: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 528 هـ)، بغداد، العراق .

- 64 .رجال النجاشي: ابو العباس احمد بن علي بن احمد بن العباس النجاشي (ت 450 هـ، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ايران .
- 65 .روح المعاني: ابو الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي (ت 1270 هـ)، دار احيا التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 66 .الرياض النضرة: ابو جعفر احمد الشهير بالمحب الطبري (ت 694 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

« ز »

- 67 . زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم: محمد حبيب الله بن سيدي احمد (ت 1363 هـ)، دار احيا التراث العربي، بيروت، لبنان.

« س »

- 68 .سنن ابن ماجة: ابو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت 275 هـ)، دارالفكر، بيروت، لبنان.
- 69 . سنن الدارمي: ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت 255 هـ) دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 70 . السنن الكبرى: ابو بكر احمد بن شعيب بن علي النسائي (ت 303 هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 71 . السنة قبل التدوين: الدكتور محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 72 . السيرة النبوية: عبدالملك بن هشام الحميري (ت 213 هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

« ش »

- 73 . الشافي في الامامة: علي بن الحسين الموسوي (الشريف المرتضى) (ت 436 هـ)، مؤسسة الصادق، قم، ايران.

- 74 . شرح التجريد: علا الدين علي بن محمد القوشجي (ت 879 هـ)، قم، ايران.

- 75 . شرح سنن النسائي: جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، المطبوع بهامش سنن النسائي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 76 . شرح مسند احمد: احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر.
- 77 . شرح نهج البلاغة: عزالدين ابو حامد بن هبة الله الحسين بن ابي الحديد (ت 655 هـ)، القاهرة، مصر.
- 78 . الشيعة بين الحقائق والاهام (نقض الوشيعة): موسى جار الله: السيدمحسن الامين، بيروت، لبنان.

« ص »

- 79 . صحيح البخاري: اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري (ت 256 هـ)، دار احيا التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 80 . صحيح مسلم: ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ)، دار احيا التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 81 . صحيح مسلم بشرح النووي: ابو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت 676 هـ)، دار احيا التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 82 . الصديق ابو بكر: محمد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 83 . الصواعق المحرقة: احمد بن حجر الهيتمي (ت 974 هـ)، القاهرة، مصر.

« ض »

- 84 . ضحى الاسلام: احمد امين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

« ط »

- 85 . طبقات الشافعية: تاج الدين السبكي (ت 771 هـ)، مصر.
- 86 . الطبقات الصغرى: ابو المواهب الشعراني (ت 973 هـ)، القاهرة، مصر.

« ع »

- 87 . عبد الله بن سبا: السيد مرتضى العسكرى، دار الزهراء (س)، بيروت، لبنان.

- 88 . عبقرية الصديق: عباس محمود العقاد، بيروت، لبنان.
- 89 . العقد الفريد: ابو عمر بن عبد ربه الاندلسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- 90 . العلو للعلي الغفار: شمس الدين محمد بن احمد الذهبي (ت 748 هـ)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، السعودية.
- 91 . عمدة القارئ: القاضي بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد العيني (ت 855 هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 92 . كون المعبود شرح ابي داود: شرف الحق محمد اشرف ابو عبدالرحمن الصديقي العظيم آبادي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

« غ »

- 93 . الغدير: عبدالحسين احمد الاميني النجفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

« ف »

- 94 . الفائق: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 583 هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 95 . الفتاوى الحديثية: احمد بن حجر الهيتمي (ت 974 هـ)، مصر.
- 96 . فتاوي شيخ الازهر الشيخ محمود شلتوت.
- 97 . فتح الباري في شرح صحيح البخاري: احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، دار احيا التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 98 . الفرق بين الفرق: عبدالقاهر بن طاهر البغدادي (ت 429 هـ)، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان.
- 99 . الفصول المهمة: علي بن محمد بن احمد المالكي الشهير بابن الصباغ (ت 855 هـ)، مكتبة دار الكتب، النجف، العراق.
- 100 . الفقه على المذاهب الاربعة: عبدالرحمن الجزيري، دار احيا التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 101 . فهرست الشيخ الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم، ايران.

« ك »

- 102 . الكافي: ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت 329 هـ)، دار الكتب
الاسلامية، طهران، ايران.
- 103 . الكامل في التاريخ: عز الدين ابي الحسن الشيباني المعروف بابن الاثير (ت
606 هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- 104 . كتاب سليم بن قيس: ابو صادق سليم بن قيس الهلالي الكوفي (ت 76 هـ)، قم،
ايران.
- 105 . الكشاف في تفسير القرآن: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 528 هـ)،
دارالكتاب العربي، بيروت، ايران.
- 106 . كشف الظنون: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت 1067
هـ)، دارالفكر، بيروت، لبنان.

« ل »

- 107 . اللئالي المصنوعة: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت 911 هـ)، دار
المعرفة، بيروت، لبنان.

« م »

- 108 . مجمع البيان: ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 552 هـ)، مؤسسة
الاعلمي، بيروت، لبنان.
- 109 . مجمع الزوائد: نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي (ت 807 هـ)، دار الكتاب
العربي، بيروت، لبنان.
- 110 . مجموعة الرسائل الكبرى: ابو العباس احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني
الدمشقي (ت 728 هـ)، دار احيا التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 111 . المحبر: ابو جعفر محمد بن حبيب، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت،
لبنان.

- 112 . مروج الذهب: ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت 346 هـ)، دار
الاندلس، بيروت، لبنان.
- 113 . المستدرک علی الصحیحین: الحاكم النيسابوري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله
(ت 405 هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 114 . مسند احمد: احمد بن حنبل (ت 241 هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 115 . مسند الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري (ت 204 هـ)،
دارالمعرفة، بيروت، لبنان.
- 116 . مصابيح السنة: الحسين بن مسعود بن محمد الفرا البغوي (ت 516 هـ)، دار
المعرفة، بيروت، لبنان.
- 117 . مفردات الفاظ القرآن الكريم: ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب
الاصفهاني (ت 502 هـ)، ايران.
- 118 . الملل والنحل: محمد بن عبدالكريم بن احمد المعروف بـ (الشهرستاني) (ت 548
هـ)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر.
- 119 . من لا يحضره الفقيه: ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت
381 هـ)، قم، ايران.
- 120 . مناقب احمد بن حنبل: ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت 597 هـ)، مصر.
- 121 . الموضوعات: ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت 597 هـ)، دار الفكر،
بيروت، لبنان.
- 122 . الموطن: مالك بن انس (ت 179 هـ)، دار احيا التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 123 . الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، بيروت، لبنان.

« ن »

- 124 . النهاية: ابن الاثير المبارك بن محمد الجزري (ت 606 هـ)، مصر.

- 125 . نهج البلاغة: الدكتور صبحي الصالح، قم، ايران.
126 . نور الابصار: مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي، منشورات الشريف الرضي، قم،
ايران.

« ه »

- 127 . هدى الساري مقدمة فتح الباري: ابن حجر العسقلاني الشافعي (ت 852 هـ).

« و »

- 128 . وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104 هـ)، دار احيا التراث
العربي، بيروت، لبنان.
129 . الوشيعة في نقض عقائد الشيعة: موسى جار الله التركستاني.
130 . وفيات الاعيان: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان (ت 681
هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

وهناك مصادر اخرى ورد ذكرها في ثنايا الكتاب.